مجلة علمية فصلية محكمة
تصدرها جامعة إب
الجمهورية اليمنية

هيئة التحرير

أ.د / أحمد محمد شجاع الدين	رئيس الجامـعة	**رئيس التحريـــــر**
أ.د / أحمد يحيى الجوفي	نائب رئيس الجامعة	**نائـب رئيس التحريـر**

هيئة استشـــــــارية

أ.د/ محمد سامي السيد صقر أ.د/ عبد الشـافي صديـق محمد
أ.د/ مهـدي صـــــالح هجـــــرس

سكرتير التحريـر : أ/ فوزي علي صويلــح
صف وإخـــراج عيسى محمد الشعري

الاشتراك السنوي (**يشمل أجور البريد**)

- **داخل اليمن**
  - **للأفـــراد** : 800 **ريال** .
  - **للمؤسسات** : 1200 **ريال**
- **خارج اليمن** :
  - **للأفـــراد** : 10 **دولارات** .
  - **للمؤسسات** : 20 **دولاراً** .

الافتتاحية

بقلم رئيس التحرير

يسعدني أن يتم إصدار هذا العدد من مجلة الباحث الجامعي ومحافظة إب تستعد لاستقبال العيد السابع عشر للوحدة اليمنية.

تعد وحدة الشعب اليمني منذ القدم كوطن موحد له حضارته وتقاليده وخصائصه ومقوماته التي جعلت منه كياناً موحداً متميزاً عبر مراحل التأريخ المختلفة .

لقد ناضل الشعب اليمني على مرور الزمن من أجل إعادة وحدة الوطن وأصبحت الوحدة اليوم حقيقة واقعة ، والشعب اليمني يحتفل بالعيد السابع عشر للوحدة اليمنية الخالدة التي تعيش في وجدان كل مواطن يمني أينما وجد انطلاقاً من إدراكه أن عزة اليمن وتقدمه و استقراره في وحدته.

لقد تمكن الشعب اليمني من تحقيق النصر العظيم بقيام ثورتي 26 سبتمبر 1962م، 14 أكتوبر 1963م وتحقيق الوحدة وبذل التضحيات الجسيمة في سبيل الدفاع عن الثورة اليمنية والوحدة واليوم يحتفل الشعب اليمني بجميع فئاته وشرائحه الاجتماعية بالذكرى السابعة عشرة لقيام الوحدة في 22مايو 1990م. لقد مثل دوماً هدف تحقيق الوحدة اليمنية من أولى أهداف الحركة الوطنية بمختلف توجهاتها السياسية وكان لإصرار الشعب اليمني ونضاله الدؤوب وتضحياته الجسيمة في سبيل تحقيق الوحدة اليمنية والدفاع عنها وعن مكتسباتها العظيمة الأثر الكبير بتحقيق الوحدة، وتحققت العديد من المنجزات العظيمة في ظل راية الوحدة.

وفي هذه المناسبة العظيمة للذكرى السابعة عشرة للوحدة اليمنية أرتأت جامعة إب إصدار العدد الثالث عشر من مجلة الجامعة العلمية المحكمة "الباحث الجامعي" حرصاً منها على مواكبة هذه المناسبة العظيمة. كانت الجامعة تحبذ أن يصدر هذا العدد من المجلة وكل موضوعاتها عن الوحدة اليمنية باعتبار أن الجامعة قد أعدت من أجل تنفيذ ندوة علمية عن الوحدة اليمنية والألفية الثالثة وتحت شعار " معاً نحو مزيد من التلاحم والتقدم وتحقيق التنمية الشاملة" وحدد للباحثين الذين سيتقدمون بأبحاثهم الأهداف من تنفيذ الندوة وشروط إعداد الأبحاث التي ستقدم للندوة. ومن الصعوبة أن يتم نشر الأبحاث قبل تحكيمها وتصحيحها في هذا العدد من المجلة

وإخراجها قبل احتفال اليمن بالعيد السابع عشر للوحدة ولهذا تقرر أن يصدر كتاب أو عدد خاص من مجلة الباحث ويتم نشر جميع الأبحاث التي سيتم إجازتها للنشر من قبل المحكمين وستقدم للندوة خلال الفترة القادمة.

ولهذا نجد من المهم أن نستعرض بعضاً مما ورد في الأبحاث التي تقرر نشرها في هذا العدد ونؤكد أن عدم استعراض بعض الأبحاث في الافتتاحية لا يقلل من أهميتها، ولكن لمحدودية صفحات الافتتاحية مما اقتضى الأمر التعرض لبعض ما ورد في هذه الأبحاث في هذا العدد.

يحتوي العدد الثالث عشر من المجلة على العديد من الأبحاث القيمة ومنها دراسة عن عقد الاستصناع، وأكد الباحث أن ما دفعه على البحث في هذا الموضوع هو الرغبة في تعريفه حيائه، حيث وهذا العقد غير معروف لدى الكثير من الباحثين والمهتمين بقضايا الفقه . إن التطرق لأهمية هذا الموضوع حول عقد الاستصناع في الفقه الإسلامي لما يترتب عليه من مصالح كبيرة في تنشيط التجارة والصناعة، وكذلك الزراعة.

أما موضوع ظاهرة مضغ القات بين المصلحة والمفسدة فقد حدد الباحث تفاقم مشكلة ظاهرة تعاطي القات وذلك باستخدام المبيدات المتعددة والقاتلة مما أثر ذلك على الجوانب الصحية والاجتماعية والاقتصادية لمتعاطيه . حاول الباحث أن يركز في بحثه على ظاهرة انتشار زراعة القات في معظم محافظات الجمهورية وحصر منافعه ومضاره من إظهار ظاهرة مضغ القات بين المصلحة والمفسدة كما يراها الباحث في بحثه.

حرصت هيئة تحرير المجلة على نشر البحوث الميدانية لبعض الظواهر والمشاكل في المجتمع وخاصة المحلي وأعطتها الأولوية في النشر ومنها حول الأثر لبعض العوامل الاقتصادية والاجتماعية على السياحة الداخلية لمدينة إب. لقد سعى الباحثون الذين نفذوا البحث الميداني إلى معرفة تأثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية على السياحة في مدينة إب ، وتم التركيز على تأثير الدخل الشهري للفرد والمهنة ، والنوع، والعمر، والحالة الاجتماعية على حركة السياحة الداخلية في مدينة إب. حاولت الدراسة الإجابة عن سؤالين هامين من وجهة نظرنا وهما: (تأثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية على حركة السياحة الداخلية في محافظة إب، وما هي الفروق ذات الدلالات الإحصائية في تأثير هذه العوامل على قاطني حي مدينة إب القديمة مقارنة بقاطني حي جبل كاحب) ؟

حدد الباحثون الفترة الزمنية لتنفيذ الدراسة الميدانية من شهر يوليو 2004 إلى شهر يناير

2005م ، وتحديد الفترة الزمنية مهم لتنفيذ الدراسة الميدانية كما نراها ، من الواضح أن المجلة في هذا العدد حرصت على نشر أبحاث ذات الصلة بالتحولات والتغيرات المتسارعة خلال هذه الفترة الزمنية ومنها اتجاهات طلبة جامعة إب حول ظاهرة العولمة وما هي المتغيرات التي حدثت لهم ، وكيف يفهمون هذه الظاهرة وكيف يتعاملون معها وكيف يعيشون في ظل هذه الظاهرة .

تحاول الدراسة أن تجيب على بعض الأسئلة ومنها: ما هي أراء طلبة الجامعة حول مفهوم العولمة ونشأتـها وما هي اتجاهاتهم وهل توجد فروق ذات دلالات إحصائية بين اتجاهات العينة التي تم دراستها من ناحية الجنس والتخصص والمستوى الدراسي. ومن دون شك أن ظاهرة العولمة قد أفرزت أشكالاً متعددة من القناعات والاعتقادات والاتجاهات بين أوساط فئات المجتمع المختلفة.

لقد اعتبر البعض أن ظاهرة العولمة خطر يهدد المجتمعات العربية والإسلامية والبعض الآخر اعتبرها نافذة يمكن للإنسان أن يطل منها على العالم الآخر وهذا مما سيسهم في تعزيز قيم الحرية وحقوق الإنسان وحرية التجارة وعلى منجزات العصر الحديث. وحاول الباحثان أن يوضحا رؤية كل طرف حول ظاهرة العولمة ونتائجها.

لم تقتصر المجلة في هذا العدد على معرفة اتجاهات طلبة جامعة إب فقط حول ظاهرة العولمة، بل حاولت أن تقف على دور أعضاء هيئة التدريس في مواجهة تحديات العولمة في هذا القرن وكيفية التعامل معها. لقد استخدم الباحث المنهج الوصفي والتحليلي في إعداد الدراسة وحاول التعرف على دور أستاذ الجامعة في مواجهة العولمة، وما هي أهدافها وتحدياتها، حاول في هذه الدراسة أن ينطلق لإعداد دراسته من عدة حيثيات ومنها:-

أن العولمة أصبحت حقيقة قائمة وأمراً واقعاً لا مفر أمام عضو هيئة التدريس في الجامعة من مواجهة ذلك ، وأن العولمة ليست شراً مطلقاً أو خيراً مطلقاً ، ولهذا لا يجب على أعضاء هيئة التدريس في الجامعات أن يقفوا منها الموقف السلبي أو التشيع لها. هنا يفرض عليهم أن يحسنوا تعاملهم مع قضية العولمة وتحدياتها ولابد من الاهتمام بعضو هيئة التدريس كمهمة تعليمية تربوية بالدرجة الأولى.

من المؤكد أن الدول القوية علمياً واقتصادياً تمكنت من الاستفادة القصوى من العولمة والنظام الدولي الجديد، وهذا ما يفرض على الدول النامية الاستفادة القصوى من العولمة والنظام الدولي الجديد ، وإذا لم تدرك هذا جيداً فهي ستزداد تخلفاً.

يحتوى هذا العدد أيضاً على مواضيع أدبية حول النظرية الأدبية عند الأستاذ الدكتور/ عبد العزيز المقالح، وقد تطرقت الدراسة إلى أن المقالح في كتاباته يفرق بين مصطلحين وهما: الأول : المقدمة بوصفها نمطاً كتابياً إرشادياً ، والثانية: الإشارة بوصفها شهادة أو إجازة للشاعر. أكد الباحث أن الأستاذ الدكتور/ عبد العزيز المقالح أعطى عناية خاصة لعناوين الدواوين والقصائد، وأكد أن المقالح يعطي أهمية لتحليلها من أجل الوصول إلى دلالاتها الفنية.

أكد الباحث في بحثه عن النظرية الأدبية للأستاذ الدكتور/ عبد العزيز المقالح وأن لديه مقياساً في تصنيف الشعراء واستخدامه وسيلتين في تصنيفه هما الناحية الفنية، وكذلك الجانب الزمني وفسر معنى الإبداع. توصل الباحث في دراسته إلى مفهوم المقالح للحركة الأدبية في اليمن وفي العصر الحديث والمعاصر وأسباب تعثرها، وكذلك أنواع الشعر من حيث اللغة ومن الحداثة إلى التقليد والجديد سواءً كانت القصيدة طويلة أم قصيرة ، وكذلك طبيعة الموضوع .

تم تخصيص جزء من هذا العدد كبقية الأعداد السابقة من المجلة للأبحاث التي يتم إعدادها في التخصصات والعلوم الإنسانية والتطبيقية من قبل أعضاء هيئة التدريس باللغة الإنجليزية. لقد كان الحرص ولا زال لدى أعضاء هيئة تحرير المجلة أن يتم الاهتمام بهذا الجزء من المجلة تمهيداً لتخصيص مجلة علمية محكمة تصدر باللغة الإنجليزية عند توفر الإمكانيات المادية التي تمكن الجامعة من إصدار مجلة أخرى لمختلف التخصصات العلمية باللغة الإنجليزية، وهذا ما نأمل أن تتمكن الجامعة من تحقيقه في المرحلة القادمة إن شاء الله .

وفي نهاية الافتتاحية لا يسعني إلا أن أؤكد أن للذكرى السابعة عشرة للوحدة اليمنية الخالدة التي تستقبلها محافظة إب هذا العام من أجل إقامة الحفل المركزي لهذه المناسبة العظيمة، وافتتاح العديد من المشاريع الإستراتيجية فيها أنها تمثل بحق مناسبة غالية يتجسد فيها حصاد أكثر من عقد ونصف من العطاء المتجدد وسيبقى يوم 22 مايو 1990م مصدراً لقيم الوفاء لشهداء الثورة والوحدة اليمنية ، وتحققت بفضل تضحياتهم أغلى المنجزات الوطنية لعموم محافظات الجمهورية من أجل مستقبل واعد بالخير والعطاء للأجيال القادمة.

أ.د / أحمد محمد شجاع الدين

رئيس التحرير

المحتـــويات

م	اسم البحث	الباحث	الصفحات
1	ارتباط السلوك الإنساني بالأحداث الكونية في القرآن الكريم	د. حيدر بن أحمد الصافح	30-1
2	التملكة في الفقه الإسلامي	د. إسماعيل عبد الرزاق الدوسري	66-31
3	القات بين المصلحة والمفسدة	د. عبد الناصر قاسم تعتاع	88-67
4	عقد الاستصناع في الفقه الإسلامي	د. عمر الجيلاني الأمين حماد	112-89
5	أسماء الأعلام اليمنيين في العصر الحديث دراسة البنية والدلالة	د. عبد الله محمد سعيد عبدالله	142-113
6	النظرة الأدبية عند المقالح مقدمات دواوين الشعر أنموذجاً	د . أحمد قاسم علي أسحم	166-143
7	تبادل أداتي الشرط (إن) و(إذا) وأثره في الدلالة	د. أيوب جرجيس العطّية	184-167
8	إسهامات علماء إب في الحياة الفكرية اليمنية في القرن السادس الهجري – الثاني عشر ميلادي	د. سفيان عثمان المقرمي	206-185
9	دور الأستاذ الجامعي العربي في مواجهة تحديات العولمة في القرن الحادي والعشرين	د. محمد فائز محمد عادل	232-207
10	اتجاهات طلبة جامعة إب نحو ظاهرة العولمة	د. أحمد غالب الهبوب د. فاضل زامل الجنابي	260-233
11	أثر بعض العوامل الاجتماعية والاقتصادية على السياحة الداخلية في مدينة إب	د. عبد الحكيم المنصوب أ.د محمد حسن النقاش د. طارق المنصوب	286 -261
12	دراسة تقويمية لنماذج من اختبارت قسم اللغة الإنجليزية (بكليات التربية/جامعة صنعاء)	د. عائض شريان	314 -287
13	المواصفات والقواعد الأساسية لنظم الإدارة البيئية (إيزو ISO 14000) واقع ومعوقات تطبيقها في المنظمات الصناعية اليمنية	فؤاد راشد عبده	348 -315

شروط النشر في المجلة

1] أن يكون البحث جديداً في موضوعه، ولم يسبق نشره في أية دورية علمية أخرى.

2] أن يلتزم بشروط البحث العلمي من حيث تبويب المادة واستخدام الهوامش والإشارات إلى المصادر والمراجع وفق طريقة منهجية واحدة وفي آخر البحث.

3] يقدم الباحث إلى المجلة نسختين من بحثه مطبوعة على الكمبيوتر ببرنامج Microsoft Word 2003 وبحجم صفحة (24cm × 17cm) وبحجم الخط (14) على قرص مضغوط CD ROM

4] تحال الأبحاث وعلى نحو سري إلى محكم في اختصاص مادة البحث الوارد إلى المجلة.

5] يدفع صاحب البحث المقدم إلى المجلة مبلغاً وقدره (5000) خمسة آلاف ريال إذا كان من خارج الجامعة و مبلغ (3000) إذا كان من العاملين فيها وهي أجور تحكيم ومراسلات في حال قبول بحثه للنشر .

6] تقدم مع البحث خلاصة موجزة لا تزيد عن (150) مائة وخمسين كلمة وباللغتين العربية والإنجليزية.

7] لا يزيد البحث في الدراسات العلمية عن (20) عشرين صفحة وفي الدراسات الأدبية عن (30) ثلاثين صفحة بضمنها صفحات الهوامش والملاحق والمصادر .

8] تقبل الأبحاث المكتوبة باللغة الإنجليزية.

9] المجلة غير ملزمة بإعادة الأبحاث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .

10] تعبر الأبحاث المنشورة عن آراء كتابها .

11] ترسل الأبحاث على العنوان الجمهورية اليمنية – محافظة إب – جامعة إب – ص.ب (70362) – (مجلة الباحث الجامعي) أو على البريد الإلكتروني alsherai2002@yemen.net.ye

ارتباط السلوك الإنساني بالأحداث الكونية في القرآن الكريم

د. حيدر بن أحمد الصافح *

ملخص البحث

كثيراً ما يشكو الناس من الأوضاع والمصائب ويتسخطون على الأحداث والكوارث التي تنزل بهم من الأمراض والأوبئة ، أو الخوف والجوع ، أو الفتن والحروب وغيرها .. فهل تلك الكوارث والمصائب والأحداث التي تصيب النفوس والأموال ، والزروع والثمار منفصلة عن كسب الإنسان وسعيه لا علاقة بينها وبينه ، أم أن لها ارتباطاً واتصالاً _ ولو في بعض جوانبها _ بهذا الإنسان المخلوق العجيب .

هذا ما حاولت أن أبينه في هذا البحث من خلال آيات القرآن الكريم وأحاديث سيد المرسلين ﷺ ، وقد جعلته في فصلين ، بيَّنتُ في الفصل الأول الارتباط القائم بين الأحداث الكونية والطاعات التي يقوم بها الإنسان نحو ربه وخالقه وما يترتب عليها من خيرٍ وسعادةٍ في الدنيا والآخرة . وفي الفصل الثاني بيَّنتُ آثار الذنوب والمعاصي وارتباطها بما يحدث من فساد كوني ومصائب وعقوبات إلهية لا تقتصر على الذين ظلموا خاصة ولكنها قد تعم بأضرارها الجميع ، ثم خاتمة ضمنتها أهم نتائج البحث ، وبالله التوفيق .

المقدمة :

{الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون} (الأنعام/ الآية : 1) والصلاة والسلام على نبينا محمد البشير النذير والسراج المنير المبعوث رحمة للعالمين صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد .. فإننا في هذا العصر ـ عصر ـ ثورة المعلومات والاتصالات والتقدم الصناعي والتقني الهائل ، نعيش مع ذلك أزمة فكرية وعقائدية ، وانتكاسات فطرية وأخلاقية ، يعيش البشر ـ في تيهٍ وضلالٍ وقلقٍ واضطرابٍ، حيث تظن الكثرة الساحقة منهم أن هذا الكون بما فيه ومن فيه وجد صدفة وعبثاً واعتباطاً ، وأنه لا علاقة البتة تربط بين أجزائه ، وأنه لا ارتباط بين فعل الإنسان والأحداث الكونية سلباً وإيجاباً ، وليس ثمة رباً خالقاً مدبراً علياً قديراً يخلق ويرزق ويحي ويميت ويدبر

---

*) أستاذ مساعد كلية التربية – صنعاء .

الأمر{ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار}(ص/ الآية:27) .

ومما يؤسف له أن المسلمين إلا من رحم الله قد وقعوا تحت تأثير هـذا الفكـر المنحـرف ، وذلـك حـين ابتعدوا عن وحي الله وأصغوا إلى ما يفتريه ويقترفه ويُنَظِّر له أكابر المجرمين من الكفار ، من خلال وسائل التـأثير والإعلام والتوجيه ، وصدق الله القائل :{ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ۞ ولتصغي إليه أفئـدة الـذين لا يؤمنـون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون }(الأنعام / الآيتين : 112 _ 113) فرأيت أن من الضرورة بمكـان أن ينبه المسلمون إلى ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من حقائق تفسر وتبين لهـم هـذا الوجـود ، حقيقـة الكـون ، وحقيقة الحياة والموت ، وحقيقة هذا الإنسان .

إن من الضروري أن يعلم المسلم حقيقته وعمله ووظيفته في الحياة ، وأن يعرف علاقته بخالقه وبارئه ، وعلاقته بما حوله ومن حوله ، وأن تكون لديه نظرة شمولية متكاملة غير مبعثرة ولا مجزأة ، منطلقاً في ذلك كله مما أخبر الله به في كتابه الكريم ، وما أخبر به رسوله ﷺ في سنته ، فإنه إن علم ذلك يتحدد له منهجه ، ويتبين طريقـه ، ويدرك وظيفته ، فيعبد ربه ويهتدي بهداه ويسير على صراط مستقيم . أما إذا جهـل الإنسـان ذلـك فإنـه يعـيش في صراع وتناقض بينه وبين نفسه ، وبينه وبين ما حوله ، يعيش حياته فترة صـدام بـين المخلوقـات التـي أبـدعها الله وخلقها ونظمها وبين الفطرة التي فطر الله الناس عليها .

وهذا ما تعاني منه البشرية اليوم ، وهي بحاجة ماسة إلى من يأخذ بيدها ويبصرها وينقذها مـن كبوتهـا لتكـون سـوية مسـتقيمة {أفمـن يمشـي مكبـاً عـلى وجهـه أهـدى أمـن يمشـي سـوياً عـلى صراط مستقيم}(الملك/ الآية:22).

وقد رأيت أن أُسهم بهذا البحث المتواضع لأبين الترابط التام بين ما يفعله الإنسان من خير أو شر ومـا يترتب عليه مـن نتـائج وعواقـب في هـذه الحيـاة ، وذلـك عـلى هـدي القـرآن الكـريم وسـنة المصـطفى ﷺ وقـد أسميته﴿ ارتباط السلوك الإنساني بالأحداث الكونية في القرآن والسنة ﴾ وهو يتكون من مقدمة وفصلين وخاتمة.

مـدخل بين يـدي البحث :

هناك علاقة وترابط بين سلوك الإنسان وما يحدث في الكون من خيرٍ وشرٍ ، واستقرارٍ وأمنٍ ، ورغدٍ في العيش وتقدمٍ وحضارةٍ ، وعلوٍ وانتصارٍ ، أو ما يحدث من قلقٍ واضطرابٍ ، وخـوفٍ وجـوعٍ ، وتخلـفٍ وهـزائم وانكسارٍ ، ويحسن قبل الدخول في الموضوع أن نُعَرِّف العنوان (ارتباط السلوك الإنساني بالأحداث الكونيـة) فـما هو السلوك ؟ وماهي الأحداث ؟ وما هو الكون ؟

السلوك : هو سيرة الانسان ومذهبه واتجاهه ، يقال : فلان حسن السلوك أو سيء السلوك . ومدار الكلمة على سلوك الطريق ، والأمر المستقيم ، وإدخال الشيء في شيء ، ومنه : الخيط يخاط به ، وسلكت الشيء بالشيء : أنفذته .

والسلوك عند علماء النفس هو : الاستجابة الكلية التي يبديها كائن حي إزاء أي موقفٍ يواجهه "[1]".

والسلوك عند أهل التصوف هو : معرفة النفس ما لها وما عليها ، ومجاهدتها في العبادات والطاعات ، والزهد في الدنيا ، والإقبال على الآخرة ، وتهذيبها وتقويمها بالفضائل والأخلاق "[2]".

والمراد بالسلوك في هذا البحث هو : ما يصدر من الإنسان من أفعال وتصرفات .

والأحداث جمع حدثٍ ، وحدث الشيء حدوثاً تجدد وجوده فهو حادث وحديث ، ومنه يقال : حدث به عيبٌ ، إذا تجدد وكان معدوماً قبل ذلك ، ويتعدى بالألف ، فيقال أحدثته ، ومنه محدثات الأمور ، وهي التي ابتدعها أهل الأهواء .

وحوادث الدهر نُوَبُهُ ، كحوادثه وأحداثه "[3]".

والمراد به هنا : ما يحصل ويحدث من نعمٍ ونقمٍ وكوارث ومصائب يكون الإنسان هو المتسبب فيها .

والمراد بالكون : الوجود المطلق العام ، ويطلق الكون على الأشياء التي أوجدها الله تعالى من المخلوقات عُلويها وسُفليها ومابينهما"[4]" .

فهل هناك علاقة بين ما يصنعه الإنسان من خيرٍ أوشرٍ في هذه الحياة وبين ما يحصل من أمورٍ وأحداثٍ ، ومصائب وكوارث ، أم أنه لا علاقة ولا ارتباط ؟؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه _ إن شاء الله _ من خلال هذا البحث ، وبالله التوفيق .

الفصل الأول

ارتباط الطاعات بالأحداث الكونية

المبحث الأول : الغاية من إيجاد الخلق هي الطاعة والعبودية لله تعالى :

خلق الله الثقلين الجن والأنس لغاية عظيمة ومهمة خطيرة لم يخلقهم عبثاً ولم يتركهم سدى ، فأفعاله تعالى منزهة عن اللعب والعبث في الخلق والإيجاد والتدبير قال الله سبحانه :{ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون }(المؤمنون / الآية : 115) والمعنى أتظنون أنكم مهملين كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب عليها ؟. "[5]"

والعبث في اللغة : اللعب ، وقيل هو الفعل لا لغرض صحيح . "[6]"

وقال سبحانه :{ أيحسب الإنسان أن يترك سدى }(القيامة / الآية : 36) قال الشافعي رحمه الله (الإمام أبوعَبْدِ اللهِّ مُحَمَّدُ بنُ إدْرِيْسَ الشَّافِعِيُّ ت / 204 هـ) في معناها : أي هملاً لا يؤمر ولا ينهى ؟ وقال غيره : لا يثاب ولا يعاقب . والقولان واحد لأن الثواب والعقاب غاية الأمر والنهي . فهو سبحانه خلقهم للأمر والنهي في الدنيا . والثواب والعقاب في الآخرة .

فأنكر سبحانه على من زعم أنه يترك سدى ، إنكار من جعل في العقل استقباح ذلك واستهجانه . وأنه لا يليق أن ينسب ذلك إلى أحكم الحاكمين ."7" فالحكمة من الخلق والغاية منها إنما هي عبادة الله تعالى وطاعته وتوحيده وتعظيمه ومعرفته والتقرب إليه بكافة أنواع الطاعات والعبادات التي شرعها فقال سبحانه :{ وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون }(الذاريات / الآية : 56) هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها ، وبعث جميع الرسل يدعون الناس إليها ، وهي العبادة المتضمنة لمعرفته سبحانه ومحبته ، والإنابة إليه والإقبال عليه ، والإعراض عمن سواه ، وذلك يتضمن معرفته تعالى ، فإن تمام العبادة متوقف على المعرفة بالله ، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه ، كانت عبادته أكمل ، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله ، فما خلقهم لحاجة منه إليهم ."8" ولقد سخر الله للإنسان كل ما في هذا الكون وأسبغ عليه النعم لعبادته سبحانه وشكره وذكره على آلائه ونعمه كما قال سبحانه :{ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون }(الروم / الآية : 46) .

وقال جل وعلا في سورة النحل في معرض الامتنان والتذكير بنعمه وآلائه الغامرة الكثيرة :{ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ۞ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لأية لقوم يتفكرون ۞ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ۞ وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون ۞ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون }(النحل / الآيات : 10 _ 14). فعبادة الله وحده لا شريك له هي الغاية المطلوبة من الخلق ، ومن أجلها أرسل الله الرسل لدعوة الناس إليها فكل رسول قد قال لقومه : ((اعبدوا الله مالكم من إله غيره)) [الأعراف / آية : **59**] فرسالتهم في هذا الأصل واحدة كما قال الله عنهم : ((ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)) [النحل / آية : **36**] ، وقال : ((وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)) [الأنبياء / آية : **25**] ، وأخبر سبحانه وتعالى أن عبادته هي العهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى على آدم عليه السلام وذريته بالعبادة له وأشهدهم على أنفسهم سبحانه بأنه ربهم

المستحق للعبادة وحده دون غيره ، فأقروا وشهدوا كما قال تعالى : ((وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)) [الأعراف/ آية:**172**] ، وقال تعالى : ((ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ۞ وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم)) [يس / آية : 60] فالعهد هو اجتناب عبادة الشيطان وتحقيق عبودية الله تعالى وحده لا شريك له .

وقد أخبر الرسول ﷺ أن عبادة الله تعالى هي حق الله على عباده كما جاء في حديث معاذ ﷺ قال : بينا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل فقال : (يا معاذ) قلت : لبيك رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال : (يا معاذ) قلت : لبيك رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال : (يا معاذ) قلت : لبيك رسول الله وسعديك ، قال : (هل تدري ما حق الله على عباده ؟) قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : (حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً) ، ثم سار ساعة ثم قال : (يا معاذ بن جبل) ، قلت : لبيك رسول الله وسعديك ، فقال : (هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه ؟) ، قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : (حق العباد على الله أن لا يعذبهم)"[9]" ، وحين يحقق العبد عبودية الله تعالى وحده يكون متآلفاً ومتناغماً مع هذا الكون كله ، الجميع في مسيرة واحدة ، وتوجهٍ واحد ، فالكون كله عابد لله طائع خاضع كما قال سبحانه : ((ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين)) [فصلت / آية : **11**] ، وقال : ((سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم)) [الحديد / آية : **1**] ، وقال : ((يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم)) [الجمعة / آية : **1**] ، وقال : ((ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون)) [النور / آية : **41**] ، لا يشذ عن هذه العبودية إلا الكافرون الظالمون من عتاة الجن والإنس الذين هم حصب جهنم ، لا يدركون مقدار جريمتهم وفظاعتها إلا في النار حين يعترفون بعد فوات الأوان كما أخبر الله عنهم في كتابه بقوله : ((وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير * فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير)) [الملك / آية : **10** _ **11**] .

المبحث الثاني : الإيمان والاستقامة على أمر الله والاستمساك بدينه يجلب الخير الوفير والنعم الكثيرة كما قال الله سبحانه :{ وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً }(الجن / الآية : **16**).

يبين الله تبارك وتعالى ، أن البشر لو استقاموا على شرع الله ودينه ، لوسع الله عليهم الرزق ، وأغدق عليهم الخيرات ، وفتح عليهم أبواب النعمة والرخاء ، فإذا استقام البشر على طريق الحق والإيمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين لأسقاهم الله ماء غدقاً : أي كثيراً ، وقد رُوي عن عمر ﷺ أنه قال في هذه الآية : أينما كان الماء كان

المال ، وأينما كان المال كانت الفتنة . ومعنى لأسقيناهم : لوسعنا عليهم في الدنيا ، وضرب الماء الغدق الكثير لذلك مثلاً ، لأن الخير والرزق كله بالمطر يكون ، فأقيم مقامه كقوله تعالى :{ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض }(الأعراف / الآية : 96) وقوله تعالى :{ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم } (المائدة / الآية : 66) ، ورُوي عن سعيد بن المسيب (أَبُو مُحَمَّدٍ سَعيدُ بنُ المُسَيِّبِ بنِ حَزْنِ القُرَشِي المَخْزُوْمِي المَدَنِي ت / 94 هـ) والحسن وغيرهم أنهم قالوا : كان أصحاب النبي ﷺ سامعين مطيعين ، ففتحت لهم كنوز كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشي ، ففتنوا بها فوثبوا على إمامهم فقتلوه . يعني عثمان ﷺ"[10]" ، وهذا يدل على أن الأمة الإسلامية إذا استقامت على الطريقة القويمة واستمسكت بشرع الله فإن الله يفتح عليها الخيرات والبركات من السماء والأرض ، ومفهوم ذلك أن من لم يستقم على الطريقة فيكون انحرافه موجباً لحرمانه من نعم الله تعالى ، وها هو العالم الإسلامي الذي تنكر لشرع الله وتمرد على الله ، يعاني من المجاعات والأزمات الاقتصادية ، مفتقر لغيره يتسول كافة الأمم الأخرى في استيراد غذائه ولباسه ودوائه وسلاحه وما ذلك إلا عقوبة عاجلة لا ترتفع عنهم حتى يراجعوا دينهم .

وقد يعبر عن الاستقامة بالتقوى ولزومها وما يترتب على ذلك من السعادة العاجلة كما قال تعالى :{.. ومن يتق الله يجعل له مخرجا ۞ ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره .. }(الطلاق / الآيتين : 2 _ 3) وقد ذكر أهل التفسير بأن هذه الآية نزلت في عوف بن مالك الأشجعي ﷺ حين جاء إلى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله إن ابني أسره العدو وجزعت أمه فبم تأمرني ؟ قال : (آمرك وإياها أن تكثروا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله) . فقالت المرأة : نِعْمَ ما أمرك به ، فجعلا يكثران منها ، فغفل العدو عن ابنهما فاستاق غنمهم ، وجاء بها إلى أبويه ، فنزلت هذه الآية "[11]" ، وهي عامة في كل من يتقِ الله تعالى فإنه يجعل له من كل ضيقٍ مخرجاً ، ومن كل كربٍ فرجاً ، ويرزقه من حيث لا يرجو ولا يؤمل ، ولا يخطر له على بال .

ومن لوازم الإيمان والاستقامة المداومة على التوبة والاستغفار واللجوء إلى الله تعالى فإنها مفتاح للخير وطريق للقوة والرزق ، وقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تبين لنا أن التوبة والاستغفار ، واللجوء إلى الله تعالى والضراعة إليه له ارتباط وثيق بالأحداث الكونية التي تترتب على ذلك من تفريج الهموم و الكربات ، وإزالة المصائب والنكبات ، وإحلال الخيرات والبركات ، وإنزال النصر والرحمات ، وقد أكد هذه الحقيقة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم ، فنبي الله نوح عليه السلام يقول لقومه كما أخبر الله عنه بقوله :{ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا ۞ يرسل السماء عليكم مدراراً ۞ ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً }(نوح / الآيات : 10 _ 12) فالاشتغال بالطاعة سبب لانفتاح أبواب الخيرات ، قيل أنهم

بعدما كذبوه بعد تكرير الدعوة ، حبس الله عنهم القطر ، وأعقم أرحام نسائهم ، فوعدهم إن آمنوا أن يـرزقهم الله الخصب ، ويدفع عنهم ما كانوا فيه ، وهذا هو الموافق للحكمة ، لأن الله يبتلي عباده بالخير والشر ـ ليرجعـوا إليـه ، ورُوي عن الحسن البصري (أَبُو سَعِيد الحَسَنُ بنُ يَسَار البَصْرِي ت / 110 هـ) أن رجلاً شكا إليه الجدب فقال : (استغفر الله) وشكا إليه آخر الفقر ، وآخر قلة النسل ، وآخر قلة ريع أرضه ، فأمرهم كلهم بالاستغفار ، فقال لـه الربيع : أتاك رجال يشكون أبواباً ويسألون أنواعاً ، فأمرتهم كلهـم بالاسـتغفار ؟ فـتلا لـه الآيـة ، ولـذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء ، وهو الدعاء بطلب السُقيا على وجه مخصوص ، فإذا أجدبت الأرض ، وقحط المطر شرع الاستسقاء بالاتفاق ."[12] وهذه القاعدة التي يقررها القرآن قاعدة صحيحة مطردة ، فما من أمة اتقت الله وعبدتـه وأقامت شريعته ، فحققت العدل والأمـن للنـاس جميعـاً إلا فاضـت فيهـا الخـيرات ، ومكـن الله لهـا في الأرض واستخلفها فيها بالعمران وبالصلاح سواء ."[13] وهذا نبي الله هود عليه السلام يقول لقومه :{ ويا قوم استغفروا ربكـم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرار ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجـرمين }(هـود / الآيـة : 52) فقـد أوضحت هذه الآيات وغيرها بأن هناك ارتباطاً تاماً بين الأعـمال الإنسـانية وبـين الحـوادث الكونيـة التـي تمسـه فالأعمال الصالحة توجب فيضان الخيرات ونزول البركات . والأعمال الطالحة تستدعي تتابع البلايا والمحن وتجلب النقمة والشقوة والهلكة ."[14] إن الإيمان بالله واليوم الآخر وطاعة الله ورسوله هو طريق السعادة والخير والفلاح في الدنيا والآخرة كما قال تعالى :{ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة .. }(النحل / الآية : 97) فليس الإيمان والعمل الصالح قاصراً على الجزاء الأخروي فحسب كما يعتقد بعض النـاس ، وإنـما الإيـمان والعمل الصالح ، حافز على الخير في الحياة الدنيا ، والباعث على إعمارها وإصلاحها بالإيمان والتوحيد ، ولذا كـان من مضمون رسالة الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم التركيز على التوحيد وإفـراد الله بالعبـادة وطاعـة الرسول ثم اللجوء إلى الله تعالى بكثرة الضراعة والاستغفار والتوبة ، والبشر حين يحققون ذلك يلقون الخير والعزة والكرامة والحياة الطيبة الحسنة في هذه الدنيا كما قال الله تعالى :{ الر ۞ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت مـن لـدن حكيم خبير ۞ أن لا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير ۞ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضـله وإن تولـوا فـإني أخـاف علـيكم عـذاب يـوم كبـير ۞ إلى الله مرجعكم وهو على كل شيئ قدير}(هود / الآيات : 1_ 4) وقد ذكر الله تعالى لنا في كتابه نموذجاً لقوم كانوا قـد استحقوا العذاب والعقوبة ، ولكنهم حين عادوا إلى الله وآمنوا واستغفروا ، أنجـاهم الله مـن العـذاب ، ومـتعهم بالحياة الطيبة ، إنهم قوم يونس عليه السلام ، فحين دعاهم نبيهم كذبوا وأعرضوا فخرج نبي الله عليه السلام مغاضـباً وأنـذرهم عذاب الله فلما رأوا علامات العذاب ومقدماته ندموا على ما كان منهم ، ولبسوا المسوح ، وتضرعوا إلى الله ، وبكى

الرجال والنساء والبنون ، وردوا المظالم إلى أهلها ، وكانت ساعة عظيمة هائلة فكشف الله برأفته ورحمته عنهم العذاب وأخروا في الحياة ومتعهم الله بقية حياتهم متاعاً حسناً كما قال الله تعالى :{ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين } (يونس/ الآية:98). "[15]" هذا بالنسبة للقوم نجاهم الله لما لجأوا وتضرعوا ، وأما بالنسبة لنبي الله يونس عليه السلام فقد عتب الله عليه تصرفه ، حيث غضب من كفر قومه ، وإصرارهم على شركهم وتكذيبهم ، فخرج منهم مغاضباً دون إذن من الله تعالى ظاناً أن ذلك الأمر يسير لا يستحق العقاب ، غير أن الله تعالى أمر الحوت فابتلعه عند ركوبه البحر وإلقائه من القارب ، فكان في ظلمات وكربات ، ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ، ولكنه عليه السلام فزع إلى الله وهتف باسمه منادياً{ فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين} قال الله سبحانه :{ فنجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين }(الأنبياء / الآيتين : 87 _ 88) وهذا من كرمه تعالى وفضله على عباده المؤمنين فما من مسلم يقع في كرب ومعضلة ، ثم يتوجه إلى ربه ويقصده ويضرع إليه إلا نجاه ، كما أخبر النبي ﷺ قال : (دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له)"[16]" بل إن المشركين كانوا إذا وقعوا في شدة وكرب ، وأيقنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه . أخلصوا لله في التوجه والدعاء قائلين :{ لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين } (الأنعام/ الآية:63).

وقد جعل الله لهذه الأمة ضماناً من العذاب العاجل إن هي أخذت به ولجأت إليه كما قال الله سبحانه : {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون }(الأنفال / الآية : 33) فوجود النبي ﷺ بين أظهرهم أمنة لهم من العذاب ، ولزوم الاستغفار مانع من موانع وقوع العذاب بهم ، بعد أن انعقدت أسبابه . أخرج الترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أنزل الله علي أمانين لأمتي{وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون } فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة)"[17]"، وروى الإمام البيهقي في شعب الإيمان بسندٍ صحيحٍ عن قتادة رحمه الله (أبو الخَطَّابِ قَتَادَةُ بنُ دِعَامَةَ السَّدُوْسِيُّ البَصْرِيُّ ت / 117 هـ) قال : (إن القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم ، أما داؤكم فذنوبكم ، وأما دواؤكم فالاستغفار)"[18]" ، وفي مسند الإمام أحمد عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله .)"[19]" ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (من لَزِمَ الاستغفار ، جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب)"[20]" فالتوبة والندم والاستغفار كل ذلك يعود على العبد بالعفو والرضى و القبول من الله تعالى وإذا رضي الله عن عبده حفظه ووفقه وأسبغ عليه النعم

وصرف عنه الشرور والنقم ، فقد جعل الله سبحانه في سنته وقدره أن فعل الحسنات والاستقامة على أمره تجلب الخير للعباد ، أفراداً وجماعات وأمما وشعوباً .

المبحث الثالث : الدعاء والتضرع سبب تفريج الكروب وزوال الهموم والغموم .

الدعاء طلب الإنسان من الله تعالى العناية والعون وإظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة وتعظيم الخالق والثناء عليه بما هو أهله ﷻ ، والدعاء من أعظم العبادات ، قال رسول الله ﷺ : (الدعاء هو العبادة)"[21]" والدعاء من أهم الأسباب الجالبة للخيرات ، والدافعة للكوارث والمصائب والنوازل ، فقد ورد في حديث ثوبان عن النبي ﷺ أنه قال : (لا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر ، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)"[22]" ولا يتنافى هذا الحديث مع ما ورد من أحاديث توضح أن الأحداث والأعمار والأرزاق مقدرة ، فإنها مقدرة بأسبابها ، وإن الدعاء من أعظم الأسباب ، ولم تقدر مجردة عن أسبابها : فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور ، ومتى لم يأتِ بالسبب قد يتخلف المقدور ، وهذا كما قدر الشبع والري بالأكل والشرب ، وقدر دخول الجنة والنار بالأعمال ، لذلك عندما اعترض أبو عبيدة ﷺ على عمر ﷺ حين اختار لجنده الانتقال إلى الجبال بالشام حتى يرتفع الطاعون ، فقال له : أفراراً من قدر الله ؟ قال : لو غيرك قالها ياأبا عبيدة ، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ."[23]" وفي هذا بيان ضرورة الأخذ بالأسباب ومدافعة الأقدار بالأقدار ."[24]" فإذا أنزل بالناس البلاء وحلت بساحتهم الكوارث والمصائب فما عليهم إلا اللجوء إلى الله تعالى والضراعة إليه سبحانه بصدق وإخلاص لرفع ما نزل بهم ، وإزالة الضر الذي أصابهم ، وهذا هو ما يريده الرب تبارك وتعالى من عباده سيما في حال الشدائد والمحن التي يصابون بها كما قال جل وعلا :{ فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون }(الأنعام / الآية : 43) وفي الآية عتاب على ترك الدعاء ، وإخبار عنهم أنهم لم يتضرعوا حين نزول العذاب ، ويجوز أنهم تضرعوا تضرع من لم يخلص ..والتضرع على هذا الوجه غير نافع"[25]" ، والأجدر بالعباد أن يقابلوا العذاب والمصائب بالانكسار لله والذلة والخضوع والتوجه الصادق إلى جنابه والاستعانة به ، ولكن الإنسان ظلومٌ كفارٌ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ، قال الله تعالى :{ ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون }(المؤمنون / الآية : 76) ولقد بين الله تعالى أن الناس إذا لجاءوا إليه مضطرين إذا نزل بهم ما لا قبل لهم به وأخلصوا له الدعاء أنه يجيب دعاءهم سبحانه كما قال سبحانه :{ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أَءِلَهٌ مع الله قليلاً ما تذكرون }(النمل / الآية : 62) فهو سبحانه المدعو عند الشدائد ، المرجو عند النوازل ، كما قال تعالى :{.. وإذا مسكم الضر في البحر ضَلَّ من تدعون إلا إياه..}(الإسراء / الآية : 67) فهو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه ، ولا يكشف ضر المضرورين سواه ."[26]" ومن

أنواع المضطرين : المظلومون ، وقد حذرنا رسول الله ﷺ من دعائهم فقال : (اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)"27" .

ومن مظاهر استجابة الله لعباده ، استجابته لهم عند الشدة والقحط وقلة الأمطار ، فكم خرج المؤمنون على امتداد التاريخ يطلبون بقلوب وجلة تائبة من ربهم أن يسقيهم الغيث ، فتكون الإجابة سريعة في كثير من الأحيان ، ويأتي الغيث إلى القرية أو المدينة التي خرجت تدعو ربها ، والقرى والمدن التي بجوارها لا يأتيها شيئ ، وقد أحسن الشاعر حين قال مصوراً هذه المعاني :

وكم أصاب المسلمين من جفاف فنفروا ثقالهم مع الخفاف
وطلبوا من الإله الفرجا فحققوا الفوز ونالوا المخرجا
فهل طبيعة أجابت أم وثن أم أنه السميع كشاف المحن "28"

وكم رأى المضطرون تفريجاً لكربهم بدعائهم لربهم وخالقهم في قديم الدهر وحديثه ، وعادة الله تعالى مع أحبابه وأصفيائه أنه يكشف همهم ، ويجيب دعاءهم ، وينصرهم في جهادهم وحروبهم كما قال الله تعالى :{ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين }(الأنفال / الآية : 9) وكان نظام الملك (الوزير الكبير قِوامُ الدين أبوعلي الحسنُ بنُ علي بنِ إسحاق الطُّوسيُّ ت / 485 هـ) الوزير الأول للسلطان السلجوقي ملكشاه (السلطانُ الكبيرُ جلالُ الدَّوْلَةِ أبو الفَتح مَلِكْشَاه بن السلطان آلب أرْسلان محمد بن جغريبَك السّلجوقي التُّركي ت / 485 هـ) ينفق الأموال الكثيرة على العلم والعلماء وطلاب العلم ، ويقيم المدارس ويشيد المساجد ، فوشى أحدهم بنظام الملك عند السلطان وقال له : إنه ينفق الأموال في غير محلها ، وأن تلك الأموال كافية لإقامة جيش تخيم راياته على أسوار القسطنطينية ، فعاتبه ملكشاه وطلب منه أن يبرر تصرفه ذلك فقال في إجابته للسلطان : أنا أقمت لك جيشاً يسمى جيش الليل إذا نامت جيوشك ليلاً قامت جيوش الليل على أقدامها صفوفاً بين يدي ربهم ، فأرسلوا دموعهم ، وأطلقوا ألسنتهم ومدوا إلى الله أكفهم بالدعاء لك ولجيوشك ، فأنت وجيوشك في خفارتهم تعيشون ، وبدعائهم تبيتون ، وببركاتهم تمطرون وترزقون . "29"

المبحث الرابع : القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقي الأمة من العقوبات العاجلة ويحميها من السقوط :

لقد ضمن الله للمؤمنين النجاة من العذاب ما قاموا بهذه الفريضة وهذا الأمر، وهو الدعوة إليه والسعي لإصلاح ما أفسد المفسدون فقال سبحانه :{وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون} (هود/ الآية : 117).

وقال سبحانه في قصة أصحاب السبت الذين اعتدوا فيه واستباحوا الحرام بالحِيَل ، فلما فعلوا ذلك أهلكهم الله وعاقبهم الله ولم يسلم من العقاب إلا الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر قال تعالى :{ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ۞ وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أومعذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون ۞ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون }(الأعراف / الآيات : 163 _ 165) فقد بين الله تعالى أنه نجى الطائفة التي أمرت ونهت ، ووعظت وذكرت . وأهلك الطائفة التي اعتدت وطغت ، وانتهكت حرمات الله ولم ترعوِ أو تنتهِ ، ولم تستمع لنصح الناصحين . وهكذا ينجي الله رسله والمؤمنين وأتباعهم إلى يوم الدين ، فهي سنته تعالى لا تتبدل ولا تتغير كما قال سبحانه :{ ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننجِ المؤمنين }(يونس / الآية :103).

وهذا ما أكده النبي ﷺ في أحاديث كثيرة ، وبَيَّنَ ﷺ أن الناس إذا رأوا المنكر ثم لم يغيروه أو ينكروه وهم قادرون على ذلك ، فإنهم حينئذٍ يكونون معرضين للعقوبات الربانية العاجلة ، قال أبو بكر الصديق ﷺ في خلافته بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها { يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ..}(المائدة / الآية : 105) وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب)"[30]" ، وقال ﷺ :) ما من قومٍ يعمل فيهم بالمعاصي ، ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب)"[31]" ، وعن حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ قال : (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)"[32]" فترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب من الأسباب التي تمنع من إجابة الدعاء ، وعن جرير ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدروا على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا)"[33]" .

إن الواقع الإسلامي اليوم على امتداده واتساعه يعيش ومنذ أمد حياة الذلة والقلة ، والجهل والفقر ، والمرض والخوف والتخلف ، وتسليط الأعداء ، وما سبب ذلك إلا فشوا المعاصي والمنكرات ، والسكوت عليها ومعايشتها ، وغدت واقعاً معاشاً ، حتى أننا ندعوا ولكن لا يستجاب لنا لأن الخبث قد كثر والفساد قد انتشر ، ولم تقم الأمة بواجبها في هذا المضمار فكان هذا الواقع السيئ والذي لن يتحول أو يزول عن الأمة حتى تراجع دينها وتقوم بواجبها في الإصلاح والتغيير والدعوة إلى الله قال الله تعالى :{ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. } (الرعد/ الآية : 11) .

الفصل الثاني
ارتباط المعاصي والسيئات بالأحداث الكونية

المبحث الأول : العمل بالجرائم وإشاعتها يعقبها الخزي والعار والهلاك والدمار

إن من مسلمات الإيمان وبدهياته ، ومن حقائق القرآن وتقريراته التي أبدى فيها وأعاد ، هي أن العبد إذا عصى الله تعالى وخالف أمره وأفسد في الأرض فإنه لا يجني من ذلك سوى الحسرات والهلاك في الدنيا والآخرة ، وإذا عمل الناس بالمعاصي أصابهم شؤمها وعقوباتها وأثرت أفعالهم القبيحة على الإنسانية وعلى الحيوان والأرض والزروع والثمار وحصل فسادٌ كبيرٌ في الأرض ، فذنوب الخلق ومعاصيهم تُحْدِثُ في الأرض أنواعاً من الفساد في المياه والهواء والزروع والثمار والمساكن ، كما قال الله تعالى :{ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون }(الروم / الآية : 41) .

إن ممارسة الجريمة وإشاعتها ومخالفة سنن الله تعالى في خلقه لا تنتج سوى الخزي والعار والهلاك والدمار ، وقد قص الله علينا في كتابه من أخبار الأمم الظالمة التي فسقت وعتت عن أمر ربها ورسله ، وأشاعت الجريمة في حياتها كيف فعل الله بهم ، فقوم لوط عليه السلام لما كذبوا الرسل وعملوا الفاحشة وأعلنوا بها عاقبهم الله ودمرهم ، لقد كان قوم لوط من أفجر الناس وأكفرهم ، وأسوأهم طويةً وسلوكاً ، يقطعون الطرق للسلب والنهب ، ويأتون في ناديهم المنكر ، ولا ينهون عن منكر فعلوه ، وقد ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم وهي : اللواط ، بأن ينزو الذكر على الذكر ويذرون ما خلق الله لهم من النساء ، فأرسل الله نبيه لوطاً عليه السلام بالرسالة الإلهية لهدايتهم وتحذيرهم سوء أفعالهم ، فدعاهم نبي الله عليه السلام إلى عبادة الله وتوحيده ونهاهم عن جريمة اللواط التي كانوا يمارسونها وحذرهم غاية التحذير ، ولكن القوم بدل أن يستجيبوا لنبيهم لوط عليه السلام هددوه قائلين له : إن لم تكف عن نهينا وتوبيخنا فسنخرجك من بلادنا . فأجابهم لوط عليه السلام وأعلن لهم عن إنكاره وبراءته وبغضه لما يعملون من جرائم وفواحش ، ثم كانت النتيجة أن الله ﷻ أهلكهم ودمرهم كما أخبر تعالى وبَيَّنَ في أكثر من سورة كقوله تعالى :{ فأخذتهم الصيحة مشرقين ۞ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ۞ إن في ذلك لآية للمتوسمين ۞ وإنها لبسبيل مقيم ۞ إن في ذلك لآية للمؤمنين}(الحجر / الآيات : 73 _ 77) ، وقال :{ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ۞ مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد}(هود / الآيتين : 82 _ 83) والبقعة التي أصابهم العذاب بها هي البقعة التي تعرف اليوم بالبحر الميت أو بحيرة لوط ، ويرى بعض العلماء أن البحر الميت لم يكن موجوداً قبل هذا الحادث ، وإنما حدث من بعد العذاب الذي جعل عالي البلاد سافلها وصارت أخفض منطقة عن مستوى سطح البحر ، وهذا من شؤم

الجريمة والمعصية ، حيث حصل الشؤم على البشر والأرض والماء . ثم يعقب الله تعالى على هذه الحادثة العظيمة والعذاب المدمر بقوله :{وما هي من الظالمين ببعيد } أي أن العذاب ليس ببعيد عمن يعمل عمل قوم لوط ، بل العقاب الإلهي سيحل بمن عمل عملهم "[34]" ، ويفصل الرسول ﷺ ويبين العواقب الوخيمة التي ستحل بمن يمارس الفساد والانحراف والشذوذ ، فقال ﷺ : (لم تظهر الفاحشة في قومٍ قط ، حتى يعلنوا بها ، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا . ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم . ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا . ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم . وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ، ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل بأسهم بينهم)"[35]" .

وهاهي المجتمعات البشرية التي شاعت فيها الفواحش ، واستباحت المحرمات وأطلقت لشهواتها العنان ، وأعلنت وجاهرت بذلك الفساد ، هاهي تجني وتحصد ما غرست وزرعت ، وما فعلت وقدمت ، لقد عاقبهم الله بالأمراض والأوبئة التي لا عهد لهم بها ، ولا قبل لهم بمقاومتها ، إن مرض فقد المناعة (الإيدز) الذي يأتي نتيجة لممارسات جنسية محرمة كالزنا واللواط وغير ذلك من انحرافات ، إنه يحصد عشرات الملايين سنوياً ، ووفقاً لإحصاءات منظمة الصحة العالمية فإن وباء الإيدز يقتل أكثر من مليوني شخص كل عام في أفريقيا وحدها ، وتقدر الأمم المتحدة عدد الأفارقة الذين فقدوا حياتهم نتيجة المرض منذ تشخيصه للمرة الأولى بأحد عشر مليوناً ، ويصنف هذا الوباء في إفريقيا بأنه القاتل رقم واحد ، وهو الرابع في بقية أنحاء العالم وهناك أمراض وفيروسات أخرى تصيب الذين ظلموا وشذوا وتمردوا على الفطرة{وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون }(النحل / الآية : 33)"[36]" .

المبحث الثاني : الاستكبار في الأرض والبغي فيها سببٌ لتعجيل الله العذاب في الدنيا :

وإذا كان هذا الإجرام والفساد في جانب واحد من جوانب الانحراف وهو الوقوع في جريمة الزنا واللواط والإعلان بها والمجاهرة والدعوة إليها . فهناك جوانب أخرى من صور الفساد التي تؤدي إلى خراب الأرض وفسادها وإهلاك الحرث والنسل بسبب الاستكبار في الأرض والبغي فيها بغير الحق ، كما قال الله تعالى :{ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ۞ وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد }(البقرة / الآيتين : 204 _ 205) والدول حين تسير على هذه السياسة الإجرامية يعجل الله لها العذاب ، ويأخذهم بالسنين ونقص الأنفس والثمرات ، ويرسل عليهم أنواعاً من العذاب كما قال الله ﷻ في سلفهم فرعون وأعوانه وأركان نظامه :{فأرسلنا عليهم الطوفان

والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين }(الأعراف / الآية : 133) والدول على مختلف الأعصار والأقطار حين تفسد وتُكثِر الفساد يعاقبها الله تعالى كما قال سبحانه :{ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ۞ إرم ذات العماد ۞ التي لم يخلق مثلها في البلاد ۞ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ۞ وفرعون ذي الأوتاد ۞ الذين طغوا في البلاد ۞ فأكثروا فيها الفساد ۞ فصب عليهم ربك سوط عذاب ۞ إن ربك لبا المرصاد}(الفجر / الآيات : 6 _ 14) فكما أهلك الأمم والقرون الأولى بجرائمهم وفسادهم فسيعاقب ويهلك الآخرين ، وكأن قائلاً يقول : لقد أخبرنا الله تعالى عن فعله بالمكذبين السابقين في الماضي فكيف بالحاضر والمستقبل بالنسبة للمستكبرين والمفسدين فكان الجواب { إن ربك لبا المرصاد } فلا يفلت من عقابه مجرم ولا ظالم.

وها نحن نشاهد عقوبات الله تعالى في دول عظمى حين طغت وبغت وأكثرت الفساد في الأرض كيف دمر الله عليهم ، لقد شاهدنا سقوط إمبراطورية الإلحاد والفساد والقتل والتدمير ، فيما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي ، ثم انفرد بالأمر الصليبيون بقيادة الأمريكان وأعلنوا في غرور وكبرياء بأنهم القوة الوحيدة في العالم ، وكفروا وظلموا وأسرفوا في الظلم والطغيان ، واستباحوا شعوب العالم وبغوا وعتوا عتواً كبيراً ، وها نحن أولاء نشاهد سنن الله تحيط بهم ، وتسوقهم الأقدار إلى حتفهم بسبب ظلمهم وطغيانهم ، إن سنن الله تعالى تنحت في كيانهم وتنخر في قواهم ، إن الصليبية ورأسها أمريكا الآن تدفع ضريبة جبروتها وطغيانها من اقتصادها ، وسمعتها وجيوشها واستخباراتها ، لقد أخرجهم الكبر والطغيان من بلادهم ليلقوا حتفهم وهزيمتهم في مواقع كثيرة من العالم الإسلامي ، ومن الأمور المقررة والمستفادة من تجارب البشرية ما ذكره الإمام ابن تيمية رحمه الله (شيخُ الإِسْلَامِ تَقيُ الدِيْنِ أَبو العَبَّاسِ أَحمَدُ بنُ عَبدُ الحَلِيم بن عَبدُ السَلامِ الحَرَّانِي ت / 728 هـ) حين قال : (.. فإن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة ، وعاقبة العدل كريمة ، ولهذا يُروى (الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة)"[37] فالظلم يجلب غضب الرب وسخطه ، والظلم يخرب الديار ويقوض الحضارات وبسببه تنهار الدول ."[38]

إن المتأمل فيما يجري من أحداث بشرية فاسدة ومفسدة ، ثم يتأمل نتائجها في أحداث كونية ، سيراها مرتبطة بها ارتباط المقدمة بالنتيجة ، والسبب بالمسبب بلا ريب ، ومن ذلك فساد البيئة ، والأمراض التي ظهرت في البشر والحيوان كجنون البقر وأنفلونزا الطيور ، وارتفاع الأسعار ، وكثرة الزلازل ، وانتشار الفتن ، وكثرة القتل والاستخفاف بالدماء ، وانعدام الأمن ، كل ذلك إنما هو ثمرة ونتيجة لما يفعله الكافرون الظالمون . فما يجري إذا ليس بمعزلٍ عن ما يصنعه الإنسان ويفعله وهذه حقيقة لا بد من إدراكها ووعيها جيداً حتى يعلم الخلق أنما بغيهم على أنفسهم . قال رسول الله ﷺ : (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في

الآخرة من : البغي ، وقطيعة الرحم)"[39]" . وقال ﷺ : (ليس شيئ أُطِيْعَ الله فيه أعجل ثواباً من صلة الرحم ، وليس شيء أعجل عقاباً من البغي وقطيعة الرحم ، واليمين الفاجرة ، تدع الديار بلاقع)"[40]" .

المبحث الثالث : الترف والفسق يؤدي إلى سقوط الدول وهلاك المجتمعات .

الترف هو التنعم والترفه ، والمترف هو الذي أبطرته النعمة وسعة العيش فتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها ."[41]" ، والمترفون همهم ساقطة واهتماماتهم خسيسة ، فهم لا يهتمون إلا بملاذ الدنيا وشهواتها وجمع حطامها، لا يهمهم ما يكون في الناس من فساد ومنكرات ، ولا يكترثون لها ولا ينهون عنها لانشغالهم بملذاتهم وشهواتهم ، ويعظم الخطر حين يكون الترف والفسق في الطبقات الحاكمة ، فإنهم بسلوكهم وترفهم يؤثرون على عامة الناس ، ويكون هَمُّ الناسِ وشغلهم الشاغل هو محاكاة المترفين والتشبه بهم ، ويقل في هذا الموضع الناصحون ويتوارى المصلحون ، وإذا وصلت الأمة إلى هذه المرحلة تكون قد عرضت نفسها للعقاب والتدمير قال الله تعالى :{فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين }(هود / الآية : 116) ، وقوله تعالى :{ واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه } أراد بالذين ظلموا : تاركي النهي عن المنكرات ، أي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين ، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنما اهتموا بالتنعم والترف والانغماس في الشهوات ، والتطلع إلى الرياسة والسعي لها ، وجمع الثروة وطلب أسباب العيش الهنيء ، ورفضوا ما وراء ذلك مما ينفعهم في الآخرة ، ونبذوه وراء ظهورهم ."[42]"

فالدول حين تقصر اهتماماتها بالملذات والشهوات وتغرق في الترف والتنعم تسقط همتها ، وتقعد عن طلب معالي الأمور ، تؤثر حب السلامة والرضى بالدون فيطمع فيها أعداؤها ، فيتسلطون عليها ويأخذون ما عندها من أموال وثروات ، بعد أن يأفل نجمها ويذهب ريحها ، وهذه سنة تاريخية ونتيجة حتمية ، تؤول إليها الدول المترفة .

وكذلك الأمر بالنسبة للشعوب المنعمة والمترفة التي تغرى بالراحة والكسل ، لا تحب الجد والجهد ، ولا تبذل في سبيل المجد والعمل ، وتفقد الرغبة في التنافس أو التسابق في معالي الأمور ، فهم صدى للحكام المترفين ونسخة من فسقهم وترفهم قال الله تعالى :{وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً}(الإسراء / الآية : 16) والمعنى كما جاء في التفسير : إذا دنا وقت هلاكها أمرنا بالطاعة مترفيها أي متنعميها وجبابرتها وملوكها ، ففسقوا فيها فحق عليها القول فأهلكناها ، وإنما خصَّ الله تعالى المترفين بالذكر مع توجه الأمر بالطاعة للجميع ، لأنهم أئمة الفسق ورؤساء الضلال ، وما وقع من سواهم إنما وقع لاتباعهم وإغوائهم ، فكان توجه الأمر إليهم آكد ."[43]"

وقد جاء في السنة مايؤكد هذا المعنى ويشير إليه ويجليه فعن ابن عمر ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) "[44]"

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال : ورأى سكة وشيئاً من آلة الحرث فقال : سمعت النبي ﷺ يقول : (لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل) ."[45]"

وهذه الأحاديث كما قال العلماء محمولة على من شغله الحرث والزرع وحب الدنيا والتكالب عليها عن القيام بالفرائض والواجبات ، كالدعوة إلى الله تعالى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس ، والناس حين يشتغلون بدنياهم ويوغلون في طلبها وحبها والحرص عليها يكونون قد وقعوا في الفخ ، وسقطوا في التهلكة ، وهذه حقيقة مشاهدة وواقعة في الحياة البشرية في قديم الدهر وحديثه ، ويؤكد ذلك ما جاء عن أبي عمران أسلم قال : غزونا من المدينة نريد القسطنطينية ، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر ، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة ، فحمل رجل _ منا _ على العدو ، فقال الناس : مَهْ مَهْ ! لا إله إلا الله ! يلقي بيديه إلى التهلكة ، فقال أبو أيوب الأنصاري : إنما تأولون هذه الآية هكذا ، أن حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة ، أو يُبلي من نفسه ، إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه ، وأظهر الإسلام ، قلنا بيننا خفياً من رسول الله ﷺ : هلم نقيم في أموالنا ونصلحها ، فأنزل الله تعالى { وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد ، قال أبو عمران : فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية)) "[46]"

إن جمع المال وحبه وكنزه وعدم إنفاقه في سبيل الله تهلكة وهلاك للنفس بالشح والطمع ، وتهلكة للجماعة بالعجز والخور والضعف ، وإغراء للأعداء بها حيث يطمعون بها ، ويأخذون ما بيدها .

وقد أخبر النبي ﷺ أن حُبَّ الدنيا وكراهية الموت سبب من أسباب تسلط الأعداء علينا ، كما جاء عن ثوبان ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : ((يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها) ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذٍ ؟ قال : (بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهْن) . فقال قائل يا رسول الله : وما الوهْن ؟ قال : (حب الدنيا وكراهية الموت) "[47]" .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (... وما ظهر في قوم الزنا والربا إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله "[48]"

وعن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول اللهﷺ : (إذا مشت أمتي بالمطيطاء ، وخدمها أبناء الملوك أبناء فارس والروم سلط شرارها على خيارها) "[49]".

إن المترفين إذا لم يوجد من يأخذ على أيديهم عاثوا في الأرض فساداً ، ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها ، وأرخصوا القِيَم العليا التي لا تعيش إلا بها ولها . ومن ثم تتحلل الأمة وتسترخي وتفقد حيويتها وعناصر قوتها وأسباب بقائها ، فتهلك وتطوى صفحتها ، وهذه سنة نرى آثارها وندرك ارتباط الترف بالهلاك والتدمير وأن ذلك نتيجة طبيعية . "50"

المبحث الرابع : الآفات والمصائب سببها المعاصي والجرائم .

قال الله تعالى :{وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير }(الشورى / الآية : 30) والخطاب في الآية موجه إلى المجتمع ، والمراد : أن المصائب العامة الشاملة التي تصيب المجتمع كالقحط والغلاء والوباء والزلازل وغيرها إنما هي بسبب معاصي المجتمع ككل ، أي بين أعمال الإنسان وبين النظام الكوني ارتباطٌ خاصٌ ، فلو جرى المجتمع الإنساني على ما تقتضيه الشريعة وتهتدي إليه الفطرة ، من الاعتقاد والعمل لنزلت عليه الخيرات ، وفتحت عليه البركات ، ولو أفسدوا لجنوا على أنفسهم بالفساد والخراب ، هذا ما تقتضيه هذه السنة الإلهية ، إلا أن ترد عليهم سنة الابتلاء أو سنة الاستدراج والإملاء فينقلب الأمر . ويمكن أن يشمل الخطاب الأفراد كذلك ، فيكون ما يصيب كل إنسان من مصيبة في نفسه أو ماله أو ولده أو عرضه مستنداً إلى معصية أتى بها ، ويعفو الله عن كثير منها . فالآية مسوقة لبيان ارتباط المصائب بالمعاصي ، وكون المعاصي ذوات آثار دنيوية سيئة منها ما يصيب الإنسان ولا يخطئ ، ومنها ما يُعفى عنه فلا يصيبه لأسباب صارفة وحكم مانعة كصلة الرحم والصدقة ودعاء المؤمن والتوبة . "51"

قال الله تعالى :{ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون } (الروم / الآية : 41) والظاهر من الآية الكريمة ظهور ما يصح إطلاق اسم الفساد عليه سواء كان راجعاً إلى أفعال بني آدم من معاصيهم واقترافهم السيئات ، وتقاطعهم وتظالمهم وتقاتلهم ، أو راجعاً إلى ما هو من جهة الله سبحانه بسبب ذنوبهم كالقحط وكثرة الخوف والموتان ونقصان الزرائع ونقصان الثمار . "52"

قال الإمام ابن القيم : أراد أن الذنب سبب الفساد الذي ظهر ، وإن أراد أن الفساد الذي ظهر هو الذنوب نفسها فيكون اللام في قوله تعالى :{ليذيقهم بعض الذي عملوا } لام العاقبة والتعليل .

وعلى الأول فالمراد بالفساد النقص والشر والآلام التي يحدثها الله في الأرض بمعاصي العباد ، فكلما أحدثوا ذنباً أحدث الله لهم عقوبة ، كما قال بعض السلف كلما أحدثتم ذنباً أحدث الله لكم من سلطانه عقوبة .

والظاهر _ والله أعلم _ أن الفساد المراد به الذنوب وموجباتها ويدل عليه قوله تعالى :{ ليذيقهم بعض الذي عملوا } فهذا حالنا . وإنما أذاقنا الشيئ اليسير من أعمالنا . فلو أذاقنا كل أعمالنا لما ترك على ظهرها من دابة. "53"

ومن الآفات التي تسببها الذنوب والمعاصي ، ما يحل في الأرض من الخسف والزلازل ويمحق بركتها ، وقد مر رسول الله ﷺ على ديار ثمود ، فمنعهم من دخول ديارهم إلا وهم باكون ، ومن شرب مياههم ، ومن الاستسقاء من آبارهم "54" ، لتأثير شؤم المعصية في الماء وكذلك شؤم تأثير الذنوب في نقص الثمار وما تُرى به من الآفات . "55"

ومن الآثار والآفات الكونية التي أفسدت على الإنسان والحيوان والنبات بيئتهم ، بسبب الكفر والمعاصي والطغيان وما يصدر عن الإنسان من أفعال وتصرفات تكون سبباً لإهلاك الحرث والنسل ، إن العالم اليوم يصرخ ويئن ويحذر من المصائب والكوارث التي تحاصره وتحيط به بسبب ما يفعله ويكسبه من الأقوال والأفعال ، وبين وقت وآخر تعقد المؤتمرات الدولية لتناقش مدى تأثير أنشطة الإنسان على تلوث البيئة وتغير المناخ، وما ينتج عن ذلك من عواقب وخيمة وأضرار جسيمة على كوكب الأرض التي وضعها الله للأنام وقد أطلقوا على هذه الظاهرة : (ظاهرة الاحتباس الحراري) وهذه الظاهرة تشكل خطراً على الأرض وسكانها ، حيث يحدث تغير مناخي ، سمته الأساسية ارتفاع درجة حرارة الأرض وما يترتب على ذلك من عواقب وخيمة تؤثر سلباً على الإنسان والنبات والحيوان ، وتحذر كثير من الجهات العلمية والسياسية من أنه إذا لم تتخذ إجراءات حاسمة للحد من انبعاث الغازات الضارة بالبيئة والتي يسببها الإنسان بسوء استخدامه وإسرافه للطاقة والإفراط في إحراق الوقود ، وما ينتج من انبعاث الغازات الناجمة عن وسائل النقل والمصانع والأدخنة المتصاعدة من إحراق أنابيب النفط ، والمصانع الكبرى ، والتجارب النووية وغيرها ، كل ذلك يؤدي إلى إفساد الأرض وتغيير مناخها مما يؤدي إلى ارتفاع درجة الحرارة ، ويشكل ذلك تهديداً للصحة العامة ويعمل على تكاثر أنواع ضارة من الحشرات وانقراض أنواعٍ برية وبحرية من الحيوانات والنباتات وتصحر الأرض ، وكنتيجة للتغيرات الكبرى في المناخ يشهد العالم انهيار جبالٍ من ثلوج القطب ، مما يؤدي إلى ارتفاع مستوى مياه البحر مما يتسبب في غرق مناطق ساحلية شاسعة ذات كثافة سكانية عالية . كما يؤدي ذلك إلى ضعف خصوبة التربة ، وتدني الإنتاج الزراعي ، ومعاناة البشرية من ظروف جوية وظواهر طبيعية قاسية ، إضافة إلى ما يحدث من انهيارات ثلجية وانزلاق الصخور . وكل تلك الأمور سببها فساد الإنسان وإفساده ، وصدق الله القائل :{ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس... } "56".

المبحث الخامس : آثار الذنوب والمعاصي على الإنسان والحيوان والبيئة :

إن للمعاصي والذنوب آثاراً أخبر الله عنها في كتابه ، ويراها الإنسان في التأريخ البشري قديماً وحديثاً واقعاً مشاهداً ، ويمكن أن نجمل تلك الآثار في النقاط الآتية :

1. المعاصي تزيل النعم سواء أكانت تلك النعم من المأكول أو المشروب أو المركوب أو في المساكن الفارهة والقصور الشاهقة أو كانت نعمة الأمن والاستقرار ، فالمعاصي والذنوب الصادرة من البشر تزيل ذلك إما كلية أو بنقصانها كما قال الله تعالى :{ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون }(النحل/ الآية : 112).

وقد أخبر الله في كتابه عن مصارع الأمم المكذبة الكافرة التي كانت ترفل في النعم والخيرات ثم حلت بها العقوبات بسبب الكفر والظلم ، ومن ذلك ما حصل لأهل سبأ كما قال سبحانه في شأنهم :{ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ۞ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيئ من سدر قليل ۞ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور}(سبأ / الآيات : 15 _ 18) .

2. حلول الهزائم وتسلط الأعداء إنما يكون بسبب المعاصي والآثام والمخالفات الصادرة من الناس ، ومن ذلك التفرق والتنازع على متاع الحياة ومخالفة الرسول ﷺ ، وقد بين الله تعالى للصحابة رضوان الله عليهم سبب هزيمتهم في أحدٍ فقال :{ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعدما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم .. }(آل عمران / الآية : 152) وقال : { أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيئ قدير }(آل عمران / الآية : 165) .فأي جيش يخرج إلى معركةٍ وهو مليئ بالكبر والغرور والعجب فإن الهزيمة والانكسار هي النتيجة الحتمية لذلك ، وقد حذر الله المؤمنين من سلوك هذه الأخلاقيات إن أردوا النصر كما قال تعالى :{ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ۞ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين }(التوبة / الآيتين : 25 _ 26) ، فالنصر ليس بكثرة العدد والعدة وإنما هو من عند الله تعالى ، وحين خرج كفار قريش لمحاربة رسول الله ﷺ في معركة بدر كانوا مملوئين كبراً وغروراً وبطراً فكانت الدائرة عليهم وأذلهم الله وأخزاهم ، ونبه سبحانه المؤمنين وحذرهم من أن يسلكوا سلوكهم في حروبهم وجهادهم فقال سبحانه :{ ولا تكونوا كالذين خرجوا من

ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط . وإذا زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريئ منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب }(الأنفال / الآيتين : 47 _ 48).

3. ومن آثار المعاصي أنها تكون سبباً للخسف والزلازل والفتن ، والخسف لا يكون إلا بسبب البغي والطغيان كما أخبر الله تعالى عن قارون فإنه لما بغى الفساد في الأرض وتجبر وطغى واستعلى ، عاجله الله بالعقوبة وخسف به وبداره الأرض كما قال سبحانه :{ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين }(القصص / الآية : 81) . وليس هذا خاصاً بقارون فحسب ، ولكن العقوبة تلاحق كل من طغى وبغى وشاق الله والرسول ﷺ ، وقد أخبر النبي ﷺ بأن الأمة ستعاقب مثل تلك العقوبات إذا فشت فيها المعاصي والمنكرات كما جاء في الحديث عن عمران بن حصين ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف ، إذا ظهر القيان والمعازف وشربت الخمور) "57"، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان ..) "58"، ولقد كثرت في عصرنا الخسوفات والزلازل وتلك الآيات التي يعظ الله بها عباده ويخوفهم لكي يرجعوا إليه كما قال سبحانه :{..وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً}(الإسراء / الآية : 59) .

4. ومن آثار الذنوب على الدواب ما أخبر الله _ ﷻ _ عنه في كتابه بقوله :{ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً }(فاطر / الآية : 43) قال ابن مسعود ﷺ في قوله سبحانه :{ ما ترك على ظهرها من دابة } جميع الحيوانات مما دب ودرج ، وقال أبو هريرة ﷺ : والذي نفسي بيده إن الحبارى لتموت هزلاً في وكرها بظلم الظالم . "59"

وعن أبي قتادة بن ربعي ﷺ أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ مُرَّ عليه بجنازة فقال : (مستريح و مُستَرَاحٌ منه) قالوا : يا رسول الله ما المستريح ، وما المستراح منه ؟ فقال : (العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا ، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب) "60" فهي تستريح من أذاه لها بشؤم معصيته ، فتُمنع من رزق الله من المطر وغيره ، أو بإيذائه لها بأي أنواع الإيذاء المادي من ضرب أو قتل أو غير ذلك . قال مجاهد (أبوالحَجَّاجِ مُجَاهِدُ بنُ جَبْر المكي ت / 103 هـ): إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر ، وتقول هذا بشؤم معصية بني آدم . وقال عكرمة (أبو عَبْدِ اللهَّ المَدَنِي، مَوْلَى عَبْدِ اللهَّ بنِ عَبَّاس ت /

105 هـ) : دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون : مُنعنا القطر بـذنوب بنـي آدم ."[61]
وعن ابن مسعود ﷺ قال : إن كان الجُعْل ليعذب في جحره من ذنب ابن آدم ثم قرأ{ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة }"[62].

5. ومن آثار الذنوب والمعاصي أنها تجلب على صاحبها غضب المخلوقات واستنكارها غضباً لله رب العالمين .

فالسماوات والأرض والجبال وكل العوالم تغضب غضباً شديداً حين تسمع الكفر من بني آدم ، فهؤلاء النصارى حين نسبوا لله الولد وافتروا على الله الكذب وهذا من أعظم الإفك وأكبر الكبائر جاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (يقول الله تبارك وتعالى : { كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ، وأما شتمه لي فقوله : اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد }.)"[63]، وقد أخبرنـا الله في كتابه عن موقف السماوات والأرض والجبال عند سماعها هذا الكفر فيقول سبحانه :{ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ۞ أن دعوا للرحمن ولداً}(مريم / الآيتين : 90 _ 91) وفي الآية بيان لـرد فعـل تلك المخلوقات لتلك الفرية العظيمة ومدى تأثرها لذلك ، بما أودعه الله تعالى فيها من الإدراكات عند سماعها الإد ، قال الإمام ابن كثير رحمه الله في معنى الآية : أي يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالـة مـن فجـرة بنـي آدم ، إعظاماً للرب وإجلالاً لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده ، وأنه لا إله إلا هو وأنه لا شريك له وأنه لا نظـير له ولا ولد له ولا صاحبة له ولا كفء له بل هو الواحد الأحد ، وفي كل شيئ له آيةٌ ، تدل على أنه الواحد)"[64] .

والسماء والأرض لا تبكي على موت الكافرين والمنافقين كما قال سبحانه :{ فـما بكـت علـيهم السـماء والأرض ..} (الدخان / الآية : 29) ، بل إن الأرض لا تقبل أجساد بعض المنافقين للدفن فيها ، وذلك لما قدموه من الكفر وعصيان الله عز وجل ، فتنبذ أجسادهم خارجها ، كما جاء في صحيح مسلم عن أنس ابن مالك ﷺ قال : (كان منا رجل من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب لرسول الله ﷺ ، فانطلق هارباً حتـى لحـق بأهل الكتاب ، قال : فعرفوه ، قالوا : هذا يكتب لمحمد ، فأعجبوا به ، فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم ، فحفروا له فواروه ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ، ثم عادوا فحفروا له فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ثم عادوا .... فتركوه منبوذاً)"[65] ، وكذا الريح تتبرأ من أهل النفاق والمعاصي الذين خرجوا عن عبوديـة الله تعـالى ، فعن جابر ﷺ قال : قدم رسول الله ﷺ من سفر فلما كان قرب المدينة هاجت ريح كادت أن تـدفن الراكـب فقـال رسول الله ﷺ : (بعثت هذه الريح لموت منافق) فقدم المدينة فإذا عظيم من المنافقين قد مات ."[66]

* ومن عجائب البحر التي تدل على إدراكه ، وتدل أيضاً على عبوديته لله تعالى ، أنه يَعظُم عليه أن يرى

ابن آدم وهو يعصي الله عز وجل ، مع حلمه سبحانه به فيتألم لذلك ويتمنى هلاك ابن آدم . بل ويستأذن ربه في ذلك ، فقد جاء في مسند الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال : (ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضح عليهم فيكفه الله عز وجل) وفي رواية أخرى (ما من يوم إلا والبحر يستأذن ربه أن يغرق ابن آدم والملائكة تعاجله وتهلكه والرب سبحانه وتعالى يقول دعوا عبدي)"67" فالبحر يتمعر بسبب معصية ابن آدم ويتمنى إغراقه ، مع استطاعة البحر ذلك ولكنه مأمور من قبل خالقه ، والسبب في استطاعته إغراق البشر هو : أن نسبة الجزء المائي للكرة الأرضية تمثل ثلاثة أرباعها ، وأما الجزء الذي يعيش عليه البشر هو الربع ، والغريب أن الجزء المائي يعلو على ذلك الربع ، ومع هذا لم يحدث ولا يحدث بأن يعلو الماء على الجزء الذي تعيش عليه الكائنات البشرية والحيوانية والجمادية ، وهذا من حكمته سبحانه في هذا الكون ."68"

ومن خلال هذه النصوص من الكتاب والسنة يتبين لنا الارتباط الوثيق بين ما يفعله البشر وسائر المخلوقات القائمة على العبودية الحقة لربها وخالقها ، فإذا أطيع الله عز وجل من قبل بني البشر فرحت وتجاوبت معهم وأفاضت عليهم بإذن الله الخيرات والبركات ، وإذا ما عصى البشر ربهم فإن العوالم كلها تغضب وتستنكر لكفرهم ومعاصيهم ولولا حلم الله تعالى على عباده ، وتأجيل عقوبتهم ، لهاجت المخلوقات وانتقمت من بني آدم ودمرتهم ، ولما ترك الله على ظهر الأرض من دابة ولكنه سبحانه حليم بعباده ، ولهذا جاء اسمه الحليم في القرآن في غير موضع ، ولسعته يقرنه سبحانه باسم العليم كقوله :{..وكان الله عليماً حليماً }(الأحزاب / الآية : 51) ، {والله عليمٌ حليمٌ }(النساء / الآية : 12) وفي الأثر أن حملة العرش أربعة : اثنان يقولان : سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك . واثنان يقولان : سبحانك اللهم وبحمدك ، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك . "69"

الخاتمـــة

بعد أن عشنا في هذا البحث مع مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين العلاقة والآثار الناتجة عن السلوك الإنساني وارتباطه بالكون وبالمخلوقات الأخرى وما يترتب على ذلك .

وقد تمحور البحث حول نقاط أجملها فيما يلي :

- خلق الله الإنس والجن للعبادة والوجود كله عابد طائع لربه مسلمٌ له ، ولا يشذ عن ذلك إلا الكافرون، فلا مكان للفوضى والعشوائية والعبث في خلق الله ، وإنما كل شيء بحكمة وتقدير العزيز العليم .

- مانزلت مصيبة أو عقوبة إلا بذنبٍ ، ولا ترفع الكوارث والنكبات والمصائب إلا بالعودة إلى الله والتوبة والاستغفار والضراعة إليه جل وعلا ، وقد ضمن الله لعباده النجاة والخير والسعادة في الدنيا والآخرة إن هم رجعوا إليه وآمنوا به وأخلصوا له .
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطبيقه في واقع الحياة يقي المجتمع البشري من التحلل والفوضى والفساد والظلم والاستبداد .
- إشاعة الفواحش والجرائم تسبب الشقاء والهلاك للبشر ، وتُحِلُ بهم النكبات ، وتُتَابع عليهم العقوبات العاجلة في الأموال والأنفس والثمرات .
- الغرور والاستكبار في الأرض ، والفساد فيها والبغي ، رعونة وطيش يُـوْدي بأهله عاجلاً ، ويُسرع بهلاكهم وزوالهم .
- الترف والفسق ينخر الدول ويقوضها ويُفسد المجتمعات ، ويُفقدها القدرة على الصمود والمقاومة أمام شهواتها وأعدائها ، فتَسقط وتشقى ، وتُستَعبد وتَذِل .
- كل ما يحدث من فساد في الأرض من تغيّر في البيئة والمناخ ، أو نقصٍ في الزروع والثمار ، وانعدام البركة وقلة الأمطار ، وفقدان الأمن والاستقرار ، وانتشار الخوف والأمراض والفقر وسفك الدماء ، وتسليط بعض الأمم على بعض ، إنما هو من آثار الذنوب والمعاصي ، وعصيان الرب جل وعلا ، وإن العوالم كلها تَغضبُ إذا عصى بنو آدم ربهم ، ولولا حلم الله ورحمته لعاجلهم بالعقوبات وماترك على هذه الأرض إنساناً يدب ويمشي على ظهرها ، ولكنه سبحانه يمهلهم ويؤخرهم إلى أجلٍ محدودٍ {.. فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون}(الأعراف : الآية / 34) .

وأخيراً فإن هذه المعاني الغائبة عن الأذهان لا بُدَّ من بيانها وتوعية الأمة بها حتى لا تُحِسَ بالغربة وهي تعبد الله _ جلَّ وعلا _ وترى ملايين البشر عن ربهم وآياته معرضون ، فإنها حين تعلم وتدرك أن الكون كله بسماواته وأرضه وما فيهما وما بينهما يعبد الله ويسبحه وينزهه ويعظمه {تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً}(الإسراء : الآية / 44) وهنا يعلم المرء أنه ليس بمفرده ، بل الكون كله سائر معه في عبادة وطاعة وصلاة وذكر {.. كلٌ قد علِم صلاته وتسبيحه .. }(النور : الآية / 41) فيُحِسُ بالطمأنينة واليقين ، ويشعر بالعزة والرفعة والكرامة بتحقيق العبودية لله رب العالمين ، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

الـهوامـــــش

(1) ينظر : لسان العرب 10 / 442 ، وترتيب القاموس 2 / 600 ، والمصباح المنير 1 / 286 ، والمعجم الوسيط 1 / 445 .

(2) ينظر : أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي 2 / 328 .

(3) ينظر : المصباح المنير 1 / 124 ، وترتيب القاموس 1 / 600 .

(4) ينظر : المعجم الوسيط 2 / 806 ، وترتيب القاموس 4 / 103 .

(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 12 / 156 .

(6) زاد المسير في علم التفسير 5 / 496 .

(7) التفسير القيم للإمام ابن القيم صـ 504 جمع محمد أويس الندوي .

(8) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبدالرحمن السعدي صـ 813 .

9) البخاري مع الفتح 10 / 397 .

(10) ينظر : القرطبي 19 / 18 والدرر المنثور للسيوطي 8 / 305 .

(11) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري 14 / 138 والدر المنثور للسيوطي 8 / 196 وأيسر التفاسير للجزائري 5 / 375 ، وأورد الحاكم في المستدرك حديثاً بمعناه وصححه وتعقبه الذهبي رحمه الله بقوله : بل منكر ، 1 / 727 برقم 1993 ، و 2 / 534 برقم 3820 .

(12) تنوير الأذهان في تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي اختصار الشيخ محمد علي الصابوني 4 / 416 .

(13) في ظلال القرآن لسيد قطب 6 / 3713 .

(14) ينظر : الميزان في تفسير القرآن لمحمد الطباطبائي 10 / 300 .

(15) ينظر : مختصر تفسير ابن كثير للصابوني 2 / 207 ومع الأنبياء في القرآن لطبارة صـ 306 .

(16) الترمذي 5 / 529 برقم 3505 ، وأحمد 1 / 170 ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي .

(17) الترمذي 5 / 270 برقم 3082 ، وأحمد في المسند 4 / 393 (19524) موقوفاً على أبي موسى وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره ، وقال الترمذي : حديث غريب ، وضعف الألباني رفعه ، وروى مسلم في صحيحه 4 / 1961 برقم2531 قوله ﷺ = = : (النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا آمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي آمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) .

(18) الجامع لشعب الإيمان 12 / 458 .

(19) المسند 6 / 20 (23999) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : حسن بمجموع طرقه ، والدرر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي 4/ 57 .

(20) أبو داوود 2 / 85 برقم 1518 ، وابن ماجة 2 / 1254 برقم 3819 ، والحاكم 4 / 291 برقم 7677 وصححه، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم 705 .

(21) أبو داود 2 / 76 برقم 1479 ، والترمذي 5 / 211 برقم 2969 وقال حسن صحيح ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود وصحيح سنن الترمذي .

(22) الترمذي 4 / 448 برقم 2139 وقال : حسن غريب ، وابن ماجة 2 / 1334 برقم 4022 ، وأحمد في المسند 5 / 280 ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 154.

(23) البخاري 5 / 2163 برقم 5397 ومسلم 4 / 1740 برقم 2219 .

(24) ينظر : الجواب الكافي 15 والتربية الروحية والاجتماعية د / أكرم ضياء العمري صـ 104 .

(25) ينظر : تفسير القرطبي 6 / 425 .

(26) ينظر : تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير 3 / 387 .

(27) البخاري برقم 1496 فتح الباري 3 / 357 .

(28) ينظر : كتاب الإيمان للشيخ الزنداني وآخرين صـ 64 .

(29) ينظر : العراق في التاريخ صـ 506 نقلاً عن التربية الروحية والاجتماعية صـ 102 .

(30) أخرجه أبو داود2 / 525 (4338) ، والترمذي 4 / 467 (2168) ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود وصحيح سنن الترمذي .

(31) أخرجه أبو داود 2 / 525 (4338) ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود .

(32) أخرجه الترمذي 4 / 468 (2169) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي .

(33) سنن أبي داوود 2 / 526 (4339) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود .

(34) ينظر : مع الأنبياء في القرآن لعفيف طبارة صـ142 وما بعدها .

(35) سنن ابن ماجة 2 / 1332 (4019) وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة .

(36) ينظر : الإعجاز العلمي في الطب الوقائي لصالح السنباني صـ 252 وما بعدها .

(37) ينظر : مجموع الفتاوى 28 / 62 ، 63 .

(38) نضرة النعيم 10 / 4926 .

(39) الترمذي برقم 2511 وأبو داوود برقم 4902 وابن ماجة برقم 4211 وصححه الألباني في الصحيحه برقم 918 .

(40) البيهقي في السنن الكبرى 10 / 35 وصححه الألباني في الصحيحة برقم 978 وانظر تخريجه فيها .

(41) ينظر : لسان العرب لابن منظور 1 / 360 .

(42) ينظر : السنن الإلهية لزيدان 185 .

(43) تفسير الألوسي 15 / 42 .

44) أبو داود 3 / 274 (3462) وأحمد 2 / 28 (4825) وغيرهما وهو صحيح ، ينظر تخريجه بطرقه في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني برقم (11).

45) البخاري مع الفتح 5 / 4 .

46) أبو داود 3 / 12 (2512) والحاكم 2 / 94 (2434) وغيرهما ، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (13) .

47) أبو داود 4 / 111 (4297) وأحمد 5 / 278 (22450) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (958) .

48) أحمد 1 / 402 (3809) والحاكم وصححه 2 / 43 (2261) وأبو يعلى 8 / 396 (4981) ، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب 2/ 179 حديث رقم (1860) : حسن لغيره .

49) الترمذي 4 / 526 (2261) وابن حبان 15 / 112 (6716) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (956) .

(50) ينظر : في ظلال القرآن 4 / 2217 .

(51) بتصرف عن الميزان في تفسير القرآن لمحمد حسين الطباطبائي 18 / 59 – 60 .

(52) فتح القدير للشوكاني 4 / 228 .

(53) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي للإمام ابن القيم صـ 58 طـ 1968 م .

(54) البخاري 3 / 1237 برقم 3199 و 3200 ، ومسلم 4 / 2285 _ 2286 برقم 2980 و2981 .

(55) الجواب الكافي صـ 58 .

(56) ينظر : تغيير المناخ وعودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً للباحث : سلطان زايد ملاطف مبحث الاحتباس الحراري 126وما بعدها .

(57) الترمذي 4 / 495 (2212) ، وأبو داوود 2 / 516 (4307) ، وابن ماجة 2 / 1350 (4062) ، وأحمد في المسند 2 / 163 (6521) و 5 / 259 (22285) ، واللفظ للترمذي وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي .

(58) صحيح البخاري مع الفتح 13 / 81 – 82 برقم 7121 .

(59) ينظر : القرطبي 14 / 361 .

(60) البخاري مع الفتح 11 / 362 ومسلم برقم 950 واللفظ له .

(61) ينظر : الجواب الكافي 62 والمعاصي وأثرها على الفرد والمجتمع صـ 157 – 158 لحامد بن محمد المصلح .

(62) ابن كثير 3 / 587 والدرر المنثور 7 / 36 .

(63) البخاري 4 / 1903 برقم 4690 .

(64) تفسير القرآن العظيم 3 / 147 .

(65) صحيح مسلم 4 / 2145 .

(66) صحيح مسلم 4 / 2146 .

(67) مسند أحمد 1 / 43 (303) .

(68) عبودية الكائنات لرب العالمين لفريد التوني صـ 300 – 301 .

(69) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين للإمام ابن القيم صـ 236 .

المصادر والمراجع

القــرآن الكــريــم

- الإعجاز العلمي في الطب الوقائي لصالح بن عبد القوي السنباني، ط/ تجريبية جامعة الإيمان _ صنعاء : 1425 هـ _ 2004 م .
- أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي ، بإعداد عبد الجبار زكار ، من منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي _ سوريا / دمشق : 1978 م _ دار الكتب العلمية / بيروت _ لبنان ، دون ذكر لرقم الطبعة .
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للشيخ أبي بكر الجزائري ، ط / 3 راسم للدعاية والإعلان _ جدة : 1410هـ _ 1990 م .
- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة للأستاذ الطاهر أحمد الزاوي ، ط / 2 دار الكتب العلمية _ بيروت / لبنان ، دار المعرفة _ بيروت / لبنان : 1399 هـ _ 1979 م .
- تغيير المناخ وعودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً للباحث : سلطان زايد ملاطف ، رسالة ماجيستير مقدمة في جامعة الإيمان .
- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، بتحقيق الشيخين عبدالوهاب عبداللطيف ومحمد الصديق ، ط / 1 مكتبة النهضة الحديثة ومطبعة الفجالة الجديدة _ القاهرة : 1384 هـ _ 1965 م .
- تنوير الأذهان في تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البُروسُوي اختصار الشيخ محمد علي الصابوني ، ط / 2 دار القلم_ دمشق / بيروت : 1409 هـ _ 1989 م .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبدالرحمن السعدي ، ط / 1 مؤسسة الرسالة _ بيروت / لبنان : 1421 هـ _ 2000 م .
- التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام للدكتور / أكرم ضياء العمري ، ط / 1 مركز الدراسات والإعلام دار اشبيليا _ الرياض : 1417 هـ _ 1997 م .
- التفسير القيم للإمام ابن القيم جمع محمد أويس الندوي ، مكتبة السنة المحمدية ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تأريخها أو البلد الذي طبعت فيه .

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر _ بيروت / لبنان : 1405 هـ _ 1984 م ، دون ذكر لاسم المحقق أو رقم الطبعة .
- الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ط / 2 دون ذكر اسم الدار أو البلد أو تأريخ الطبعة .
- الجامع الصحيح المعروف بـ (سنن الترمذي) للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيس بن سورة الترمذي ، بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي _ بيروت ، دون ذكر رقم الطبعة أو تأريخها .
- الجامع الصحيح المعروف بـ (صحيح الإمام البخاري) للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري ، بمراجعة د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير – اليمامة _ بيروت : 1407 هـ _ 1987 م ، دون ذكر رقم الطبعة .
- الجامع لشعب الإيمان للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، بتحقيق الدكتور عبدالعلي عبدالحميد حامد والشيخ مختار أحمد الندوي ، طـ/ 1 الدار السلفية _ بومباي / الهند : 1411 هـ 1991 م .
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي للإمام الحافظ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المشتهر بابن قيم الجوزية ، بتحقيق محمود عبدالوهاب فايد ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر : 1388 هـ _ 1968 م دون ذكر لرقم الطبعة .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، دار الفكر _ بيروت : 1398 هـ _ 1978 م ، دون ذكر رقم الطبعة .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، ط / 1 دار الفكر _بيروت : 1403 هـ _ 1983 م .
- زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، ط / 3 المكتب الإسلامي _ بيروت / دمشق :1404 هـ _ 1984 م .
- سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، بتحقيق الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية _ صيدا / بيروت ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تأريخها .
- سنن ابن ماجة للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني ، بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي ، المكتبة العلمية _ بيروت ، دون ذكر رقم الطبعة أو تأريخها .
- السلسلة الصحيحة للعلامة المحدث أبي عبدالرحمن محمد ناصر الدين ا لألباني ، ط / 3 المكتب الإسلامي _ بيروت / دمشق : 1403 هـ _ 1983 م .
- السلسلة الضعيفة للعلامة المحدث أبي عبدالرحمن محمد ناصر الدين ا لألباني ، ط / 3 المكتبة الإسلامية _ عمان / الأردن ، مكتبة المعارف _ الرياض : 1406 هـ _ 1986 م .

- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية للدكتور عبدالكريم زيدان ، ط / 3 مؤسسة الرسالة _ بيروت / لبنان : 1414 هـ _ 1994 م.
- السنن الكبرى للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، طبعة دار المعرفة ببيروت / لبنان ، وهي : ط / 1 مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية _ حيدر آباد / الهند : 1344 هـ ، ولم يذكر المحقق .
- صحيح الإمام مسلم للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي _ بيروت / لبنان ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تأريخها .
- صحيح الترغيب والترهيب للعلامة المحدث أبي عبدالرحمن محمد ناصر الدين الألباني ، ط / 5 مكتبة المعارف _ الرياض .
- عبودية الكائنات لرب العالمين لفريد إسماعيل التوني ، ط / 1 مكتبة الضياء _ جدة : 1413 هـ _ 1992 م .
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم ، بتصحيح زكريا علي يوسف ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت / لبنان ، دون ذكر لتأريخ الطبعة أو رقمها .
- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني ، بتحقيق الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخين محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبدالباقي ، نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض ، دون ذكر لاسم الدار أو رقم الطبعة أو تأريخها .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار المعرفة _ بيروت ، دون ذكر اسم المحقق أو رقم الطبعة أو تأريخها .
- في ظلال القرآن لسيد قطب ، ط/ 7 دار المعرفة ودار إحياء التراث _ بيروت :1391 هـ _ 1971 م .
- كتاب الإيمان للشيخ الزنداني وآخرين ، ط / 1 _ 1982 م ، دون ذكر بلد الطبع أو اسم الدار.
- لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر _ بيروت ، دون ذكر اسم المحقق أو رقم الطبعة أو تأريخها .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم العاصمي النجدي وابنه محمد ، نسخة مصورة من الطبعة الأولى _ 1398 هـ ، دون ذكر اسم الدار أو اسم البلد أو تأريخ الطبعة الأولى .
- مختصر تفسير ابن كثير لمحمد علي الصابوني ، ط / 2 دار القرآن الكريم _ دمشق / بيروت : 1396 هـ .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل للإمام الحافظ أبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني ، ط / 2 المكتب الإسلامي _ بيروت / دمشق : 1398 هـ _ 1978 م .
- مع الأنبياء في القرآن الكريم لعفيف عبدالفتاح طبارة ، ط/ 10 دار العلم للملايين _ بيروت : 1981 م .

- المجتبى في معرفة السنن المعروف بـ (سنن النسائي) للإمام الحافظ أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي ، دار إحياء التراث العربي _ بيروت / لبنان ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تأريخها .
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي للعلامة أحمد بن محمد بن علي المُقري الفيومي ، طبعة المكتبة العلمية/ بيروت _ لبنان ، دون ذكر للمحقق أو رقم الطبعة أو تأريخها .
- المعاصي وأثرها على الفرد والمجتمع لحامد بن محمد المصلح ، ط / 1 مكتبة الضياء / جدة _ 1992 م .
- المعجم الوسيط لمجموعة من المصنفين ، ط / 2 مجمع اللغة العربية _ القاهرة : 1392 هـ _ 1972 م .
- الميزان في تفسير القرآن لمحمد حسين الطباطبائي، ط/ 1 مؤسسة الأعلمي- بيروت : 1411 هـ - 1991م .
- نضرة النعيم في مكارم وأخلاق الرسول الكريم ﷺ إعداد مجموعة من المختصين بإشراف د . صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن محمد بن ملُّوح ، ط / 1 دار الوسيلة للنشر والتوزيع _ جدة : 1418 هـ _ 1998 م .

۞ بالإضافة لما سبق فقد تمت الاستعانة بالموسوعة الذهبية للحديث الشريف ، الإصدار الأول _ مركز التراث للبرمجيات : 1417 هـ - 1997 م .

التهلكة في الفقه الإسلامي

د.إسماعيل عبد الرزاق الهيتي الدوسري *

توطئة البحث :

يقول الله تبارك وتعالى : { وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (البقرة:195) .

هذا هو نص الآية بتمامها، ولطالما نسمع من يستشهد بها في أثناء كلامه فيذكر المقطع الوسط منها ليضلل الحقيقة على السامع ويوهم بان المراد منها الاستسلام للعدو حينما تتباين موازين القوى وتفوق قوة المهاجم عددا وعدة .

وقبل الشروع في موضوع البحث أود الإشارة إلى وهم في نوع آخر من الاستدلال لفتاوى بعضهم من أن العدو أو جيش الكفار إذا هاجموا بلدا مسلما فمشروعية النفير والتصدي لإخراجه لا تحل إلا تحت ما أسموه ب(الراية)، بمعنى أن تكون بإمرة إمام ، ولا أدري : إذا هاجم لص بيتا وأشهر سيفه عليهم ليسطو على مالهم أو لينتهك عرضهم أو ليقتلهم أ يقال لذلك اللص : مهلا لننصب الراية أولاً ؟؟ أو ليأذن لنا ربّ البيت صاحب الراية؟؟ فكذلك البلاد إن تعرضت لغزو أو سطو، هذا إ ن كان لها إمام وصمت أو تجاهل الأمر!! فكيف يكون الأمر إن اصبح البلد من غير إمام؟ وأصبح الناس في هرج ومرج فهل عدم أولو العلم العاملين المخلصين لينحازو إليهم؟ وإن انعدم كل ذلك فهل لا يتصور وجود الجماعة المسلمة التي يمكن أن تعقد الراية وينضوي تحت خيمتها من يصح العمل الإسلامي في ظلها ! ؟

وهذه الحجج لا تستقيم إذا علمنا أن الفقهاء متفقون على أن أي بلد يتعرض أهله إلى غزو وجب على أهل ذلك البلد النفير لإزاحته ، فإذا عجزوا انتقل الوجوب إلي البلد الذي يليه فالذي يليه حتى يتم إخراجه ويشمل الحكم الأب والابن وهو يخرج من غير استئذان أبيه والرجل والمرأة تخرج من غير استئذان زوجها ، وإذا كان الأمر كذلك فلم يتحدث أحد من الفقهاء عن شرط الدفاع عن الدين النفس أو العرض أو المال أن تكون هناك راية لمشروعية ذلك .[1]

أما ما عرف عند الفقهاء ب(دفع الصائل) فهي خارجة عن محل النزاع فإنها واردة في كلامهم

---

*) أستاذ الفقه المقارن بجامعة إب – كلية الآداب

بخصوص مهاجمة المسلم المسلم الآخر صائلا عليه بقتل ونحوه .

وبعد : فمفهوم التهلكة يتضح من محاولة بيان أسباب نزول الآية – موضوع بحثنا – وأبرز أقوال المفسرين ، وسأذكر ذلك في مطلب مستقل ، ثم أعرض بعدها أقوال الفقهاء في مشروعية التصدي للعدو في حالة انعدام التوازن بين الجانبين في مطلب ثاني ، وهذه المسألة شاء بعض الناس تسميتها ب(العمليات الإنتحارية) ، لكن الفقهاء عرفت في مصادرهم بما قالوا :

هل يجوز لفرد واحد ، أو جماعة صغيرة من المسلمين أن تحمل على جيش ضخم للعدو ، أو تقتحم معسكرا كبيرا له ؟ وما شابه ذلك الكلام .

ولذا : فسأقسم البحث – بعد هذه المقدمة – على مطلبين ، وخاتمة :

المطلب الأول : مفهوم التهلكة في اللغة والآثار.

المطلب الثاني : حكم قتال العدو في حال عدم التوازن بين الجانبين .

الخاتمة : في خلاصة البحث .

أساله تعالى السداد ، وتيسير السبيل ، وأن يسهل الله لي بنحو هذا العمل طريقا إلى الجنة ، وعليه تعالى توكلي ، وبه أستعين .

المطلب الأول
مفهوم التهلكة في اللغة والآثار

أولا : المراد بالتهلكة لغة :

التهلكة في اللغة : الهلاك ، وهو : انتهاء الشيء إلى الفساد ، أو : مصير الشيء بحيث لا يدري أين هو .

وقيل: هو كل شيء تصير عاقبته إلى الهلاك .[2]

والإلقاء _ في قوله *عز وجل* : { ولا تلقوا } _ : طرح الشيء ، وعدي ب{إلى} لتضمنه معنى الإنتهاء .

والباء في قوله: { بأيديكم } : مزيدة ، والمراد بالأيدي : الأنفس .

قال الطبري : (وذلك مثل ، والعرب تقول للمستسلم للأمر: أعطى فلان بيديه ، وكذلك يقال للممكن من نفسه مما أريد به : أعطى بيديه ،فبذلك يكون المعنى : { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } أي : ولا تستسلموا للهلكة فتعطوها أزمتكم فتهلكوا) .[3]

ثانيا : مفهوم التهلكة لدى علماء الأثر والمفسرين

أما مفهوم التهلكة في القرآن ومن المعني به في هذه الآية : فقد نقل في معناها وسبب نزولها أقوال وروايات عدة لأئمة التفسير والأثر يمكن إيجازها في الأقوال الثمانية الآتية :

القول الأول:

إنها نزلت تحذيرا للأمة في كل زمان ومكان من الانشغال بشواغل الدنيا والكسب للعيال والإنفاق عليهم عن الغزو والجهاد في سبيل الله أو الإنفاق لإعداد المجاهدين والمرابطين لإرهاب عدو الله وحماية بيضة الإسلام ودولته ، فإنهم إن قعدوا عن ذلك أو تقاعسوا فقد هلكوا أو مصيرهم الهلاك ، فتلك هي التهلكة التي حذر الله الناس من الإلقاء بأيديهم إليها .

وممن نقل عنه نحو هذا القول من الصحابة رضي الله عنهم : عمر بن الخطاب ، وأبو هريرة ، وأبو أيوب الأنصاري ، والبراء بن عازب في أشهر الروايتين عنه ، وذكر صاحب فتح الباري أن هذا القول صح عن ابن عباس وجماعة من التابعين ، واليه ذهب البيضاوي، وهو أحد التأويلين لكل من النسفي ، وأبي السعود وجلال الدين السيوطي ، وبه قال الشوكاني ونصره في (السيل الجرار) ، كما رجحه أبو الثناء الآلوسي .(4)

ويدل على هذا القول روايات ، منها :

ما رواه الترمذي وغيره من طريق المقري عن حيوة ابن شريح ،عن يزيد بن أبي حبيب – قال – أخبرني أسلم أبو عمران ، قال :(كنا بالقسطنطينية وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد ، فخرج من المدينة صف عظيم من الروم ، وصففنا لهم صفا عظيما من المسلمين ، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح بعضهم : سبحان الله ألقى بيده إلى التهلكة ، فقام أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أيها الناس : إنكم تتأولون هذه الآية على غير التأويل وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، إنا لما أعز الله نبيه وكثّر ناصريه قلنا بعضنا لبعض سرّا من رسول الله إن أموالنا قد ضاعت فلو أنّا أقمنا في أموالنا أصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله تعالى كتابه يرد علينا ما هممنا به فقال :{ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) في الإقامة التي أردنا أن نقيم في الأموال فنصلحها فأمرنا بالغزو ، فما زال أبو أيوب غازيا في سبيل الله حتى قبضه الله عز وجل) رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح غريب، ورواه : ابن ماجه ، وابن حبان ،

والحاكم ، وغيرهم ، وقال الحاكم : على شرط الشيخين ولم يخرجاه . (5)

2- ما رواه الطبري ، وغيره (عن طارق بن عبد الرحمن عن المغيرة بن شبيل قال : بعث عمر رضي الله عنه جيشا

فحاصروا قيصر ، فتقدم رجل من بجيلة فقاتل حتى قتل ، وهو جد المغيرة بن شبيل ، فأكثر الناس فيه فقالوا ألقى بيده إلى التهلكة، فبلغ ذلك عمر، فقال : كذبوا ، يرحمه الله ، ثم قرأ :{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ الله ..الآية }) (البقرة: من الآية**207**) .[6]

-وهذا الأثر من هذا الطريق له شاهد عند ابن أبي شيبة وغيره من طريق إسماعيل بن أبي خالد (عن قيس بن أبي حازم عن مدرك بن عوف الأحمسي ، قال : بينا أنا عند عمر إذ أتاه رسول النعمان بن مقرن فسأله عمر عن الناس ، قال : فذكروا عند عمر من أصيب يوم نهاوند ، فقالوا : قتل فلان ، وفلان ، وآخرون لا نعرفهم ، فقال عمر : لكن الله يعرفهم ، قالوا : ورجل اشترى نفسه يعنون عوف بن أبي حية أبا شبيل الأحمسي ، قال مدرك بن عوف : ذاك والله خالي يا أمير المؤمنين ، يزعم الناس أنه ألقى بيديه إلى التهلكة ، فقال عمر : كذب أولئك ، ولكنه من الذين اشتروا الآخرة بالدنيا ، قال إسماعيل : وكان أصيب وهو صائم فاحتمل وبه رمق فأبى أن يشرب حتى مات) .[7]

- ورواه الطبري ، وابن المنذر من هذه الطريق أيضا بلفظ : (قلت : إن خالي غزا بنفسه حتى قتل ، فزعموا أنه ألقى بيده إلى التهلكة ، فقال كذب اؤلئك ، ولكن من الذين اشتروا الآخرة بالحياة الدنيا) لكن ابن حجر صحح رواية ابن المنذر هذه بلفظ : (إني لعند عمر ، فقلت : إن لي جارا رمى بنفسه في الحرب فقتل ، فقال ناس : ألقى بيده إلى التهلكة ، فقال عمر : كذبوا لكنه اشترى الآخرة بالدنيا) . [8]

3- روى ابن المبارك عن حماد بن جعفر عن العبدي عن أبيه - وذكر قصة طويلة في خروج المسلمين في غزوة إلى كابل وحدث فيها - : أن صلة بن الأشيم ، وهشام بن عامر صنعا بالعدو صنيعا ضربا وقتلا وكسرا ذلك العدو ، وقالوا : رجلان من العرب صنعا بنا هذا فكيف لو قاتلونا ؟ فأعطو المسلمين حاجتهم ، فقيل لأبي هريرة : إن هشام بن عامر -وكان يجالسه- ألقى بيده إلى التهلكة ! وأخبره خبره ، فقال أبو هريرة : كلا ولكنه التمس هذه الآية { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ... } .[9]

4- روى أحمد ، والطبري وغيرهما من طريق أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق قال: (سأل رجل البراء : أحمل على المشركين وحدي فيقتلونني ، أ كنت ألقيت بيدي إلى التهلكة ؟ قال : لا ، إنما التهلكة في النفقة ، بعث الله رسوله فقال : { فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ}) (النساء: من الآية84) قال صاحب مجمع الزوائد : رجال أحمد رجال سليمان بن داود الهاشمي ، وهو ثقة .[10]

- وروى الطبري وغيره هذا لأثر أيضا من طريق حكام بن سلمة الرازي عن الجراح عن أبي إسحاق قال : (قلت للبراء : يا أبا عمارة : الرجل يلقى ألفا من العدو فيحمل عليهم وإنما هو وحده أيكون ممن قال الله فيهم

: { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } ؟ فقال : ليقاتل حتى يقتل قال الله تعالى لنبيه : { فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك }) .[11]

القول الثاني:

أن التهلكة : الإمساك عن النفقة في سائر وجوه القربات وخاصة الغزو والسرايا والبعوث .

نقل ذلك عن : ابن عباس ، و حذيفة بن اليمان ، وزيد بن أسلم ، وعبد الرحمن بن زيد ، وعبد الله بن كثير ، والضحاك ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، وعكرمة ، والشعبي ، ومجاهد، والسدي ، وقتادة ، ومقاتل ، والحسن في رواية ، وعلى هذا التأويل : القرطبي ، وأبو جعفر النحاس ، وأبو السعود ، والواحدي ، والبغوي ، وهو أحد التأويلين لكل من ابن الجوزي والسيوطي والشوكاني ، قال القرطبي : وهو قول جمهور الناس .[12]

وقد أسند أئمة الحديث والأثر والتفسير روايات في هذا الوجه سأذكر أهمها في الآتي :

1- أخرج البخاري ، وغيره من حديث حذيفة (: في قول الله تعالى : { وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } أنزلت في النفقة) ، وفي لفظ : (أي : ولا تمسكوا عن النفقة) .[13]

2- روى الطبري ، وغيره من طريق العوفي (عن ابن عباس : يقول : أنفقوا ما كان من قليل أو كثير ولا تستسلموا فلا تنفقوا شيئا فتهلكوا) ، وروى الفريابي من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه . وأخرجه ابن المنذر أيضا ، وصححه الحافظ ابن حجر بلفظ : (ليس ذلك في القتال إنما هو في النفقة أن تمسك يدك عن النفقة في سبيل الله) .[14] ، وللطبري وغيره رواية أخرى من طريق شعبة عن ابن عباس بلفظ : (أنفق في سبيل الله وإن لم يكن لك إلا مشقص أو سهم) وروى القرطبي نحو هذا عن السدي .[15]

3- ما رواه الطبري وغيره من طريق (عبد الرحمن بن زيد : في قوله { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } قال : إذا لم يكن عندك فلا تخرج بنفسك بغير نفقة ولا قوة فتلقي بيدك إلى التهلكة) .[16]

4- ما روى الطبري وغيره عن ابن عباس : (أن رجالا كانوا يخرجون في بعوث يبعثها رسول الله بغير نفقة فإما يقطع بهم وإما كانوا عيالا ، فأمرهم الله أن ينفقوا مما رزقهم الله ولا يلقوا بأيديهم إلى التهلكة ، والتهلكة : أن يهلكوا من الجوع أو المشي) .

وبنحو هذا روى الطبري وغيره عن عكرمة ، ومحمد بن كعب القرظي ، وعامر الشعبي ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي ، والحسن ، وعطاء .([17])

ولا أرى إطالة الكلام في سوق الأسانيد التي نقلوها عنهم ، بل أكتفي منها ما نقله ابن حبان بسنده ورواه غيره (عن حماد بن سلمة عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن الضحاك بن أبي جبيرة – من حديث طويل

جاء في آخره – قال وكانت الأنصار يتصدقون ويعطون ما شاء الله حتى أصابتهم سنة فأمسكوا فأنزل الله تعالى {وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة}) قال ابن قدامة : إسناده صحيح .[18]

القول الثالث :

أن النفقة هي المعنية بالنهي في هذه الآية . معنى ذلك { وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } فتخرجوا في سبيل الله بغير نفقة ولا قوة .

نقل الطبري هذا التوجيه ، ويرى أنه يختلف عن التأويل الذي قبله ، وروى فيه ألأثر المتقدم ذكره في القول الثاني (عن عبد الرحمن بن زيد : إذا لم يكن عندك فلا تخرج بنفسك بغير نفقة ولا قوة فتلقي بيدك إلى التهلكة) .[19]

لكن لايبدو لي فيه فرق عن القول السابق ، ولذا فقد عده القرطبي قولا واحدا كما سبق توثيقه .[20]

القول الرابع

أنها نزلت تحذيرا وترهيبا من البخل أو زجرا عن الإسراف أو عن الإنفاق من الكسب الحرام .

فالتهلكة : أن يعتاد الناس البخل ، أو يمسكوا عن الإنفاق المشروع والمأمور به خوفا من الفقر ونحوه .

– فمما أثر من أن معنى التهلكة : البخل : ما روى عبد بن حميد وغيره من طريق السكن بن المغيرة (عن الحسن : {إلى التهلكة } : قال : هو البخل) .

وروي أيضا من طريق عوف وغيره عن الحسن مثله .[21]

– وبمعنى التحذير من ترك الإنفاق خشية الفقر : روى الطبري من طريق ابن أبي نجيح (عن مجاهد :

{ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } : لا يمنعكم النفقة في حق خوف العيلة . والعيلة : الفقر) . قال سعيد بن منصور : سنده صحيح .[22]

– وروى من طريق خصيف (عن عكرمة : لما أمر الله بالنفقة فكان بعضهم يقول : ننفق فيذهب مالنا ولا يبقى شيء ، فقال : أنفقوا ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، يقول أنفقوا وأنا أرزقكم) .[23]

– وبمعنى أن ترك الإنفاق مفض إلى الهلاك ذكر مقاتل في تفسيره : (قال رجل من الفقراء : يا رسول الله : ما نجد ما نأكل ، فبأي شيء نتصدق ؟ فقال : " بما كان ولو بشق تمرة تكفون وجوهكم عن النار وهي التهلكة) .[24]

وبمعنى أن التهلكة : الإنفاق من حرام : أي : لا تنفقوا من حرام فتأثموا وتهلكوا : نقله القرطبي ، وغيره (عن عكرمة قال – معناها – { وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ }) .(البقرة: من الآية267) .[25]

القول الخامس :

معنى التهلكة المنهي عنها : هو اليأس من رحمة الله وأنه لا يغفر الذنوب .

نقل هذا عن : النعمان بن البشير ، وعبيدة السلماني ، ورواية عن البراء بن عازب ، واليه ذهب محمد بن سيرين ، وأبو قلابة ، والحسن في رواية .[26]

ومما أسند الرواة في هذا الوجه هو الآتي :

1- روى الطبري وغيره من طريق حماد بن سلمة عن سماك بن حرب (عن النعمان بن البشير قال : كان الرجل يذنب الذنب فيقول : لا يغفر الله لي فأنزل الله تعالى { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة }) . قال الحافظ ابن حجر: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح .[27]

- وروى ابن المنذر حديث النعمان هذا من طريق حماد عن سماك بلفظ : (إذا أذنب أحدكم الذنب فلا يقولن : قد أسأت فيلقي بيده إلى التهلكة ولكن ليستغفر الله ويتوب إليه) .[28]

2- روى الطبري وغيره من طرائق عدة عن أبي إسحاق روايات أتمها رواية حفيده (إسرائيل عنه قال : سمعت البراء _ وسأله رجل _ فقال يا أبا عمارة : أ رأيت قول الله تعالى { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } هو الرجل يتقدم فيقاتل حتى يقتل ؟ قال : لا ، ولكنه الرجل يعمل بالمعاصي ثم يلقي بيده ولا يتوب) .

- وفي رواية الثوري (عن أبي إسحاق : فيقول : لا تقبل لي توبة) .

- وفي رواية الحسين بن واقد عنه : (فيلقي بيده فيقول لا تقبل لي توبة) .[29]

3 - روى الطبري أيضا عن عبيدة السلماني من طريق هشام بن حسان (عن محمد بن سيرين قال : سألت عبيدة عن هذه الآية فقال : كان الرجل يذنب الذنب _ حسبته قال العظيم _ فيلقي بيده فيهلك فنهوا عن ذلك فقيل : أنفقوا الآية) .

- ومن طريق هشيم قال أخبرنا هشام نحوه وقال - بعد قوله(بيده) – إلى التهلكة، ويقول: لا توبة لي).

- ومن طريق أيوب عن ابن سيرين نحوه دون قوله : (ويقول لا توبة لي) .

وفي لفظ (عن أيوب : هو الرجل يصيب الذنب العظيم فيلقي بيده ويرى أنه قد هلك) .

ومن طريق ابن عون عن ابن سيرين قال : (التهلكة : القنوط) .

ونقل عن عبد بن حميد من طريق عوف عن ابن سيرين قال : (لا تيأس ، فتقنط ، فلا تعمل) .[30]

القول السادس :

التهلكة : عذاب الله تعالى

وهو قول رواه الطبري عن ابن عباس .[31]

وسيتضح توجيهه في نهاية ما سأنقله عن الطبري في القول الآتي .

القول السابع :

التهلكة تعني : كل ما تقدم ذكره من الأقوال : الانشغال عن الإنفاق على الغزو أو الانشغال عن الغزو نفسه ، أو ترك الإنفاق بشتى صوره ، أو الشعور باليأس من رحمة الله ، أو: أنها عذاب الله سبحانه وتعالى فكل ذلك مهلك للفرد والمجتمع وإلقاء بالأيدي إلى التهلكة .

وهذا ما جنح إليه الطبري ويرى أنه الصواب، وهو قول أبي بكر الجصاص ، والنسفي ، والثعالبي ، وتأويل آخر لابن الجوزي للشوكاني .[32]

قال الطبري في توجيهه هذا التأويل : (والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله جل ثناؤه أمر بالإنفاق في سبيله بقوله { وأنفقوا في سبيل الله } وسبيله : طريقه الذي شرعه لعباده وأوضحه لهم ، ومعنى ذلك : وأنفقوا في إعزاز ديني الذي شرعته لكم بجهاد عدوكم الناصبين لكم الحرب على الكفر بي ونهاهم أن يلقوا بأيديهم إلى التهلكة ، فقال { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } - أي - ولا تستسلموا للهلكة فتعطوها أزمتكم فتهلكوا ، والتارك النفقة في سبيل الله عند وجوب ذلك عليه مستسلم للهلكة بتركه أداء فرض الله عليه في ماله ؛ وذلك أن الله جل ثناؤه جعل أحد سهام الصدقات المفروضات الثمانية في سبيله فقال { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ }(التوبة: من الآية60) ، فمن ترك إنفاق ما لزمه من ذلك في سبيل الله على ما لزمه كان للهلكة مستسلما وبيديه للتهلكة ملقيا ، وكذلك الآيس من رحمة الله لذنب سلف منه ملق بيديه إلى التهلكة لأن الله قد نهى عن ذلك ، فقال : { وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُون } (يوسف: من الآية87) ، وكذلك التارك غزو المشركين وجهادهم في حال وجوب ذلك عليه في حال حاجة المسلمين إليه مضيع فرضا ملق بيده إلى التهلكة ، فإذا كانت هذه المعاني كلها يحتملها قوله { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } ولم يكن الله عز وجل خص منها شيئا دون شيء ، فالصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله نهى عن الإلقاء بأيدينا لما فيه هلاكنا والاستسلام للهلكة - وهي العذاب - بترك ما لزمنا من جائز لأحد منا الدخول في شيء يكره الله منا مما نستوجب بدخولنا فيه عذابه أن الأمر وإن كان كذلك فإن الأغلب من تأويل الآية وأنفقوا أيها المؤمنون في سبيل الله ولا تتركوا النفقة فيها فتهلكوا باستحقاقكم بترككم ذلك عذابي : كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } قال : التهلكة عذاب الله ، فيكون ذلك إعلاما منه لهم بعد أمره إياهم بالنفقة ما لمن ترك النفقة المفروضة عليه في سبيله في المعاد).[33]

القول الثامن :

التهلكة: هي أن يحمل رجل وحده على العدد الكثير من العدو.

وهو المنسوب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه.

روى ابن أبي حاتم ، قال : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، حدثني الليث ، حدثنا عبد الرحمن بن خالد بن مسافر ، عن ابن شهاب ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : أن عبد الرحمن ، والأسود بن عبد يغوث أخبراه : أنهم حاصروا دمشق فانطلق رجل من أزد شنوءة ، فأسرع في العدو وحده ليستقبل ، فعاب ذلك عليه المسلمون ، ورفعوا حديثه إلى عمرو بن العاص ، فأرسل ، فرده ، وقال له : قال الله {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة }) .[34]

القول الراجح

لاشك أن اصح خبر ورد في سبب نزول الآية هو ما رواه البخاري وغيره أنها نزلت في النفقة.

ولذلك تبنى – أصحاب القول الثاني وهم جمهور المفسرين – القول بأن التهلكة : الإمساك عن النفقة في القربات جميعها ومنها النفقة في الغزو .

وقول الطبري بإمكان حمل لفظ (التهلكة) على المعاني السبعة الأَوَل قول له وجاهته .

لكن الذي أراه راجحا : هو القول الأول : وهو أن المراد بالتهلكة : هو خصوص الإمساك عن النفقة في الغزو والجهاد في سبيل الله فضلا على الإمساك أو التقاعس عن الجهاد نفسه ، بل هو من باب أولى ، ولا أرى هذا القول يختلف كثيرا من حيث مدلوله على المراد عن القول الثاني .

ومبنى ترجيحي على الأدلة الآتية :

1- سياق الآية هو أهم ما يوضح المراد . إذ التأويل – كما نقل تعريفه الزركشي –: (صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط) .[35]

فما قبل هذه الآية مجموعة من الآيات تتحدث – ضمن ما تحمله سورة البقرة المدنية من تشريع – عن أحكام تشريعية متنوعة من اتجاه القبلة للمصلي ، وأحكام الصيام ، والقصاص ، والأهلة ، والحج ، ثم عن الجهاد حيث يقول تعالى : { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ() وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِين () فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيم () وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ() الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ

فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَّ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ مَعَ الْمُتَّقِينَ }(البقرة: 190 - 194). كل هذه الآيات كانت تتحدث عن الجهاد بالنفس ووجوب مقابلة عدوان الظالمين بقتالهم ومقارعتهم ولو كان ذلك في الأشهر الحرم . وعقب هذه الآيات كلها مباشرة جاء ت الآية – موضوع بحثنا – لتتحدث عن الجهاد بالمال ، وهو لا يقل أهمية عن الجهاد بالنفس فقال سبحانه : { وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهَّ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين } (البقرة:195) .

وهذا أسلوب قرآني مألوف في خطابه فتارة يرغب ويشجع ويحرض كما في قوله : { إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ } (الصف:4) وقوله : { بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةُ مُسَوِّمِينَ } (آل عمران:125) ، وتارة يأتي بخطاب يراد منه (الأخذ بالحزم والتأني بالحرب والاستظهار عليها بالعدة كقوله تعالى { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } وقوله تعالى {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } (لأنفال:60) ونحو ذلك في الترغيب والترهيب) .[36]

وكثيرا ما يقرن أمر الجهاد بالمال والنفس في القرآن كقوله تعالى : { إِنَّ اللهَّ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهَّ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ والإنجيل وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهَّ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (التوبة:111) .

فهذه الآية قدمت فيها الأنفس على الأموال ؛ مراعاة لعظم شأن العقد الذي يكون البدل فيه الجنة مقابل استعداد النفوس للقتال لتُقاتل وتقتل فتنال شرف الشهادة وهذا في حالة المواجهة ، لكن في حالة الاستنفار الذي يستدعي التهيؤ والخروج فان المال عدة الحرب ووسيلته التي لا غنى للمجاهد عنها ، ومع أن الله تعالى أمر بأن تعد الأمة نفسها ما استطاعت من أموال وقوة ورباط الخيل فتراه يقدم ذكره على الأنفس في نحو قوله تعالى : { انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْوَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهَّ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (التوبة:41)

وهذا من حيث الأسلوب في آية التهلكة ، وكذا من حيث التركيب فان الواو في قوله تعالى : { وأنفقوا في سبيل الله } للعطف وجملة { أنفقوا } معطوفة على { قاتلوا } ، (أي : وليكن منكم إنفاق ما في سبيله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بترك الغزو والإنفاق فيه ، فهو متعلق بمجموع المعطوف والمعطوف عليه نهيا عن ضدهما تأكيدا لهما) . ولذا فإن سبيل الله المذكور بعد : { وأنفقوا } يراد به سبيل الله نفسه المذكور بعد : { وقاتلوا }).[37]

فتبين أن الأصل في معنى التهلكة : خصوص الكف عن الغزو والإنفاق فيه ، لا عموم الإنفاق ومنه ما ينفق في الغزو ، ولا البخل ، ولا النفقة في الحرام وغير ما قيل في ذلك مما سيق عرضه ، والأصل الذي توصلنا إليه

ينسجم مع معظم الروايات التي تتحدث عن سبب نزولها مما مر ذكره في القول الأول .

فإن قيل : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فمعنى التهلكة يشمل ما ذكر .

أقول : نحن في صدد بيان الأصل في تأويل التهلكة فتبين لنا المعنى ، ولا مانع من تعديته إلى ما يصح تعديته إليه شرعا ، لكن أن يتحول إلى مفهوم بعكس مادلت عليه الآية ، أو إلى مفهوم غير منضبط بضوابط الشرع فذلك لا مساغ له في التشريع .

واطمأننت كثيرا فيما ملت إليه من ترجيح حين قرأت للشوكاني أنه جعل هذه الآية بالمعنى الذي ذكرناه أصلا ليبني عليه حكما آخر .

قال : (وأما إذا علموا بالقرائن القوية أن الكفار غالبون لهم مستظهرون عليهم فعليهم أن يتنكبوا عن قتالهم ويستكثروا من المجاهدين ويستصرخوا أهل الإسلام ، وقد استدل على ذلك بقوله عز وجل { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } وهي تقتضي ذلك بعموم لفظها ، فإن سبب نزولها : أن الأنصار لما قاموا على زرائعهم وإصلاح أموالهم وتركوا الجهاد أنزل الله في شأنهم هذه الآية – كما أخرجه أبو داود و... ، وقد تقرر في الأصول أن الإعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومعلوم أن من أقدم وهو يرى أنه مقتول أو مأسور أو مغلوب فقد ألقى بيده إلى التهلكة).[38]

2- استعمل القرآن الكريم { يهلكون } في التهلكة المراد بها التخلف عن الغزو في قوله سبحانه : { لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } (التوبة: 42) . والتهلكة والهلاك بمعنى واحد كما تقدم .

وهذه الآية توبيخ لمن تخلف عن غزوة تبوك بعدما اعتذروا بأعذار لم يكونوا صادقين فيها فيحلفون أنهم لولا تلك الأعذار لخرجوا مع المسلمين لكن الله تعالى أخبر أنهم كاذبون إنما بعدت عليهم الشقة وهي المسافة التي تقطع بمشقة فقال عنهم عز وجل { يهلكون أنفسهم } بإيقاعها في العذاب ، (وهو بدل من : {سيحلفون} ؛ لأن الحلف الكاذب إيقاع للنفس بالهلاك ، أوحال من فاعله { والله يعلم إنهم لكاذبون } في ذاك ؛ لأنهم كانوا مستطيعين الخروج) .[39]

فالقرآن – كما ترى – عبر عن التهلكة في مجال التخلف عن الغزو نفسه وهذا يؤيد ما أراه راجحا .

أما القول الأخير المروي عن عمرو بن العاص فانه وإن وصف إسناده بالجيد[40] فإنه – عندي – فيه نظر .

فأقول : لم أجد من تكلم في رجال سند الرواية من أئمة الجرح والتعديل لولا أنها رويت من طريق فيها (أبو صالح كاتب الليث) ، واسمه : عبد الله بن صالح ، أبو صالح ، كاتب الليث بن سعد بمصر، المتوفى سنة

(222هجرية) ، فهو وإن كان ممن روى لهم البخاري في صحيحة ، وأثنى عليه كثير من العلماء ، إلا أنه – فيما يبدو – لم يعب في صلاحه وتقواه عند بعضهم ، وإنما من حيثيات أخرى سأذكرها قريبا ، ومع ذلك فقد ضعفه كثير من الأئمة بألفاظ جرح قوية ، الأمر الذي يجعل الباحث المنصف يتوقف – على الأقل – عن الاحتجاج برواية تأتي من طريقه . وأسوق إليك بعض ما تكلموا فيه :

فقد نقل ابن الجوزي ، وغيره عن : ابن المديني ، قال : ضربت على حديثه وما أروي عنه شيئا .

وقال أحمد بن حنبل عنه : كان أول أمره متماسكا ، ثم أفسد في آخره .

وقال أبو علي صالح بن محمد الحافظ : كان كاتب الليث يكذب .

وقال النسائي : ليس بثقة .

وقال ابن حبان : هو منكر الحديث جدا ، يروي عن الأثبات ما ليس من حديث الثقات ، وكان في نفسه صدوقا ، وإنما وقعت المناكير في حديثه من قبل جار له كان يضع الحديث على شيخ عبد الله بن صالح ، ويكتبه بخطه شبه خط عبد الله ، ويرميه في داره بين كتبه ، فيتوهم عبد الله أنه خطه ، فيحدث به .

وقال أبو حاتم الرازي : يرى أن الأحاديث التي أنكرت عليه مما افتعل خالد ، وكان أبو صالح يصحبه وكان سليم الناحية ، وكان خالد يفتعل الأحاديث ، ويضعها في كتب الناس ولم يكن أبو صالح ممن يكذب ، كان رجلا صالحا .([41])

وهكذا ترى أنه حتى من أنصفه في تقواه يذكرلك القدح من جهة أخرى وهي ما يوهم عليه من أقرانه وجيرانه ، وهذا الإنصاف – كما ترى – لا يقاوم أقوى ألفاظ الجرح المنقولة عن النسائي وغيره .

وعلى فرض صحة الرواية فهي معارضة بمذهب السواد الأعظم من الصحابة رضي الله عنهم – إن لم نقل بإجماعهم السكوتي – على نحو ماتقدم سرده في الآثار المروية في القول الأول حين يكذب عمر من يقول : اقتحام الرجل على الكتيبة من العدو تهلكة بل يصفه بأنه ممن يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ، وما بينه أبو أيوب الأنصاري أن الآية نزلت حين هم الأنصار أن يقيموا على أموالهم فنزلت الآية تخبرهم أن التهلكة فيما هموا به وليس ما فعله الفدائي مقتحم السور ، وهكذا ما أوضحه أبو هريرة ، والبراء ، . فهؤلاء كبار الصحابة رضي الله عنهم فلم يرد أن أحدا أنكر عليهم تأويل التهلكة بالمعنى الذي ذهبوا إليه ، وهي وقائع في أزمنة متفرقة يسع فيه تروي الفقيه وتأمله فهو إذاً من الإجماع السكوتي الذي هو حجة لدى الجمهور .

على أن هناك من يرى أن هذا الأثر المروي عن عمرو بن العاص لا يعارض ما قال أبو أيوب ؛ لأنه أخبر بسبب نزولها توقيفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ولأن تأويل عمرو لا يكافئ ذلك ، ويحتمل الخفاء

عليه ولو وقف على ما وقف عليه أبو أيوب لرد تأويلها إليه .[42]

أقول أيضا : ولربما أراد عمرو رضي الله عنه أن يعلم الجيش بأن الأفضل في القتال هو أن لا يتصرف المقاتل بمفرده ؛ لأن التصرف الفردي أحيانا ولا سيما بوجود الأمير يؤخر في الظفر بالعدو على نحو مافعل بعض الرماة من الأصحاب رضي الله عنهم في اجتهادهم الفردي في غزوة أحد . وهذا احتمال وارد ؛ لأنه رواه بعضهم بلفظ : (أسرع رجل إلى العدو فعاب المسلمون عليه ورفعوه إلى عمرو بن العاص وهو على جند من الأجناد فأرسل إليه عمرو فرده وقال { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ } (الصف:4) {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } .[43]

فاستشهاد عمرو رضي الله عنه بآية الصف المرصوص – على هذه الرواية إن صحت كما قلت – تدل على أن من لوازم المحافظة على أن يبقى صف المسلمين صفا مرصوصا كما أراد الله عز وجل هو أن يطاع الأمير فيما يوجه جيشه ولا يقدم على فعل شيء من غير استئذان . وهذا أمر لاغبار عليه ، ولكن ربما كان هذا الفدائي حصلت له حالة كالتي حصلت مع أبي أيوب وغيره ففعل على نحو صنيعهم مما قد يخفى على عمرو أن فعل هذا وأمثاله ليس من قبيل التهلكة التي نهى الله عنها . والله أعلم .

لما تقدم كله : فإن الذي يبدو راجحا : أن (التهلكة) التي حذر الله تعالى منها هي الكف عن الغزو في سبيل الله والإمساك عن الإنفاق فيه .

ولم ينقل عن أئمة المسلمين سلفا وخلفا ممن عنوا بالتفسير وأسباب النزول والتأويل أنهم أولو الآية أو ذكروا سببا لنزولها بما يدل على أن معنى التهلكة هو إقتحام رجل على كتيبة العدو يعلم سلفا أنه سيقتل .

سوى الأثر الذي تقدمت روايته عن عمرو بن العاص رضي الله عنه وتمت مناقشته والاعتراض على صحة سنده ، وأنه معارض بخلافه مما صح نقله عن جماهير الصحابة والتابعين ومن بعدهم .

المطلب الثاني

حكم القتال عند عدم توازن القوى

لابد من التذكير بأن هناك فرقا بين وصف الحكم بأنه مشروع أو غير مشروع وبين نوع الحكم التكليفي الذي يتضمن سبعة أنواع – عند الحنفية – وهي : الفرض ، والإيجاب ، والتحريم ، وكراهة التحريم ، وكراهة التنزيه ، والندب ، والإباحة وخمسة أنواع عند الجمهور وهي : ما تقدم ماعدا الإيجاب ، وكراهة التحريم .

أما المشروعية : فهي تعني كون الحكم لا يدخل تحت محظور شرعي ، بمعنى : أن من يفعل ذلك له

مسوغه الشرعي فلا يؤاخذ على ما يفعل بل يطلب الثواب أو التأسي ، وقد يكون رخصة أو ندبا أو إباحة .[44]

إذا تبين لنا هذا فلنشرع بما هو شأننا من البحث :

إذا أقدم فرد من المسلمين بمهاجمة جيش كبير يفوقهم في العدة والعدد وبعلم المهاجم أنه سيقتل ، فللفقهاء في ذلك ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول

إن طلب الشهادة وفيه قوة وأخلص في نيته جاز ولاينكر عليه سواء كان في ذلك مصلحة للمسلمين أم نكاية للعدو أم لم يكن من ذلك شيء :

وهذا المذهب هو ظاهر ما سبق نقله عن : عمر ، وأبي أيوب الأنصاري ، وأبي هريره ، و البراء بن عازب – رضي الله عنهم ، وهو ما نقله ابن حزم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وهو – فيما يبدو – مذهب ابن حزم الظاهري ، وظاهر كلام الصنعاني .[45]

المذهب الثاني :

أنه مشروع ذلك بشرط أن تكون بالاقتحام مصلحة تعود للمسلمين من فتح ثغر ونحوه ، أو إيقاع نكاية أو إرهاب بالعدو أو لتجرئة المسلمين على العدو ونحو ذلك .

وهو مافهمه كثير من العلماء مما سبق نقله عن عمر ، وأبي هريرة ، وأبي أيوب الأنصاري ، والبراء بن عازب ، وروي أيضا عن البراء بن مالك رضي الله عنهم أجمعين.

ونقل ذلك عن محمد بن الحسن من الحنفية وتبعه الجصاص ، وهو قول مجموعة من فقهاء المالكية منهم: القاسم بن مخيمرة ، والقاسم بن محمد ، وعبد الملك ، وابن خويز منداد ، وابن جزي ، وذكر ابن حجر من الشافعية أنه قول الجمهور ، وهو رواية في مذهب الحنابلة وهو عمل مستحب – على هذه الرواية – ، ولهم رواية أخرى بجواز حمل الواحد على مائة بشرط أن يكون مع فرسان .[46]

فقد جاء عن محمد بن الحسن قوله : (لو حمل رجل واحد على ألف رجل من المشركين وهو وحده لم يكن بذلك بأس إذا كان يطمع في نجاة ، أو نكاية في العدو ، فإن لم يكن كذلك فهو مكروه) .[47]

ويقول ابن خويزمنداد : (فأما أن يحمل الرجل على مائة أو على جملة العسكر أو جماعة اللصوص والمحاربين والخوارج فلذلك حالتان : إن علم وغلب على ظنه أن سيقتل من حمل عليه وينجو فحسن ، وكذلك لو علم وغلب على ظنه أن يقتل ولكن سينكى نكاية ، أو سيبلي ، أو يؤثر أثرا ينتفع به المسلمون فجائز أيضا) .[48]

قال ابن حجر : (حمل الواحد على العدد الكثير من العدو صرح الجمهور أنه إذا كان لفرط شجاعته

وظنه أنه يرهب العدو بذلك أو يجرئ المسلمين عليهم أو نحو ذلك من المقاصد الصحيحة فهو حسن ، ومتى كان مجرد تهور فممنوع لاسيما إن ترتب على ذلك وهن للمسلمين) .[49] وقال ابن مفلح المقدسي الحنبلي : (وذكر شيخنا : يستحب انغماسه لمنفعته للمسلمين وإلا نهي عنه).[50]

المذهب الثالث :

عدم مشروعية ذلك الاقتحام إن علم أنه غير ناج من الهلاك :

وهو ما نقله ابن مفلح المقدسي الحنبلي عن الإمام أحمد بن حنبل ، فقد روى عنه أنه قال : (لو حمل على العدو وهو يعلم أنه لا ينجو لم يعن على قتل نفسه) .[51]

المذهب الرابع :

عدم مشروعية الاقتحام مطلقا ، وهو منقول – كما مر – عن عمرو بن العاص رضي الله عنه [52]

الأدلة ومناقشتها

استدل أصحاب كل مذهب من هذه المذاهب الأربعة بمجموعة من الأدلة سأذكر أهم ما استدل به كل مذهب ونناقشها ليتبين لنا القول الراجح :

أدلة أصحاب المذهب الأول والثاني

يمكننا الاستدلال لأصحاب المذهب الأول والثاني بأدلة واحدة مع التنبيه على ما ينفرد به أحدهما عن الآخر :

وإذا تأملنا في أدلة أصحاب القول الأول في المراد بالتهلكة في المطلب السابق نجدها بمجموعها تصلح لما احتج به أصحاب المذهب الأول القائلون بمشروعية قتال الواحد أو العدد القليل للجيش الضخم من غير شرط نية التجرئة على القتال أو إرهاب للعدو وغير ذلك من المقاصد ، وتصلح أيضا لأصحاب المذهب الثاني القائلين باشتراط ذلك ، مع أدلة أخرى سأذكر أهمها في الآتي :

الدليل الأول :

قوله تعالى { وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ }(البقرة: من الآية**195**) .

وجه الدلالة من الآية :

إن النهي الوارد في هذه الآية له وجهان : وجه أعم ، ووجه أخص :

فأما الوجه الأعم : فهو النهي عن كل ما يؤدي إلى إتلاف نفس أو مال أو هلاك في أمور الدنيا والدين من غير موجب ، فلا يحل الإقدام عليه .

وهذا مما لا خلاف فيه ؛ وذلك لأنه هدم وتقويض للحياة والضروريات الخمس ، وهي : (الدين والنفس والمال والعقل والعرض) ، وهي المقاصد الضرورية للتشريع الإسلامي .([53])

وأما المعنى الأخص : ففي الآية دلالة على مشروعية قتال العدو مهما بلغت قوته وكثر عدده مادام مخلصا في نيته وطالبا للشهادة ؛ وذلك لأن جمعا من فقهاء الصحابة رضي الله عنهم فهموا المراد بالتهلكة : ترك الغزو وأنها آمرة به ، قالوا ذلك ردا على وهم بعض من حضر حالات اقتحام رجل وحده على جيش العدو أنه من التهلكة التي نهى الله تعالى عنها ، وإليك مقتطفات من تلك الردود :

- قول أبي أيوب الأنصاري :(نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار... فأنزل الله تعالى كتابه يرد علينا ما هممنا به ... فأمرنا بالغزو... والإلقاء بالأيدي إلى التهلكة : أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد) ، ومقولته كانت بشأن إعطاء المشروعية للرجل المسلم الفدائي الذي حمل على صف الروم حتى دخل فيهم .

- قول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في اقتحام جد المغيرة جيش قيصر وسماعه من قال : ألقى بيده في التهلكة !! قال : كذبوا .. يرحمه الله ، ثم قرأ قول الله تعالى :{ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله }.

- سئل البراء رضي الله عنه : أحمل على المشركين وحدي فيقتلونني ، أ كنت ألقيت بيدي إلى التهلكة ؟ وفي رواية : الرجل يلقى ألفا من العدد فيحمل عليهم وإنما هو وحده أيكون ممن قال الله تعالى فيهم { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } ؟ فقال : ليقاتل حتى يقتل ، قال الله تعالى لنبيه { فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك }(سورة النساء ، من الآية **84**) .

- يسأل أبو هريرة رضي الله عنه : إن هشام بن عامر ألقى بيده إلى التهلكة ، فقال أبو هريرة : كلا ، ولكنه التمس هذه الآية { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ } .([54])

<u>فإن قيل</u> : يفهم من الآثار الواردة في قصة أبي أيوب ونحوها مما مر الاستدلال به أن مشروعية الهجوم مشروطة بغلبة ظن المحمول عدم الهلاك .

<u>أجيب</u> : لا دلالة فيما رويناه على هذا الاشتراط .

قال الصنعاني : (أما ظن الهلاك فلا دليل فيه ، إذ لا يعرف ما كان من ظن من حمل).([55])

هذا وإن بعض الآثار المنقولة عن الصحابة - المار ذكرها ومنها الآثار التي نقلناها عن : أبي أيوب وعمر وأبي هريرة رضي الله عنهم – قد لا يبدو فيها ما يدل على أن من حمل على العدو كان يتوقف على حمله وإلقائه على صف العدو أو اقتحامه مصلحة للمسلمين أو نكاية للعدو ؛ بدلالة توهم بعض الحاضرين أنه من التهلكة التي نهى

الله تعالى عنها ، فأزال ذلك اللبس كل من أبي أيوب وعمر وأبي هريرة بما مر من إجابة ، ولم تذكر الروايات أن أحدا أنكر عليهما تلك الإجابة فكان ذلك بمثابة الإقرار والإجماع السكوتي من الصحابة رضي الله عنهم وهو المراد في الاحتجاج ؛ لأنه سكوت في موضع الحاجة ، والقاعدة الفقهية تنص على أن : (السكوت في موضع الحاجة بيان).[56]

لكن لأصحاب المذهب الثاني أن يقولوا : هناك قرائن ، وروايات تعضد اشتراط وجود المصلحة في الحمل على العدو ، سأذكرها في ما سيأتي قريبا .

وكنت أود أن أقول شيئا في مقام الاستدلال بهذه الآية ، وهو : أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتباينون في فهم مدلولات النصوص وكنت أحفظ نماذج منها ، غير أني عثرت لابن القيم على ما أردت بيانه ، فقد تحدث في أثناء كلامه حول شمول النصوص وإغنائها عن القياس ، ثم تطرق إلى مسألتنا قائلا :

(دلالة النصوص نوعان : حقيقية ، وإضافية ، فالحقيقية : تابعة لقصد المتكلم وإرادته ، وهذه الدلالة لا تختلف ، والإضافية : تابعة لفهم السامع وإدراكه وجودة فكره ، وقريحته ، وصفاء ذهنه ، ومعرفته بالألفاظ ومراتبها ، وهذه الدلالة تختلف اختلافا متباينا بحسب السامعين في ذلك ، وقد كان أبو هريرة ، وعبد الله بن عمر أحفظ الصحابة للحديث وأكثرهم رواية له ، وكان الصديق ، وعمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت أفقه منهما) .[57]

ثم ذكر عددا من المسائل التي كانوا يفهم المراد منها بعضهم دون بعض حتى قال :

(وقد فهم من قوله تعالى { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } انغماس الرجل في العدو حتى بين أبو أيوب الأنصاري : أن هذا ليس من الإلقاء بيده إلى التهلكة بل هو من بيع الرجل نفسه ابتغاء مرضاة الله ، وأن الإلقاء بيده إلى التهلكة هو ترك الجهاد والإقبال على الدنيا وعمارتها) .... إلى آخر ما ذكر من نماذج .[58]

والذي أفهمه من كل ما نقل من الآثار والروايات – التي ذكرها البخاري وغيره – من أن هذه الآية نزلت في النفقة في سبيل الله ، وكذا ما نقله غيرهم من أنها نزلت للتحذير من البخل أو الإنفاق غير المشروع ، وحتى ما قيل إنها : اليأس من رحمة الله ؛ إنما لدفع توهم من يظن أن التهلكة في القتال ومواجهة قوة العدو مهما كثرت ، وخذ على ذلك بعض النماذج :

– فرواية ابن عباس تنفي بصراحة أن التهلكة ليست في القتال ، و إنما في النفقة : أن تمسك يدك عن النفقة في سبيل الله ، وفي رواية : ولا تستسلموا فلا تنفقوا شيئا فتهلكوا .

– سئل البراء : أ رأيت قول الله تعالى : { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } هو الرجل يتقدم فيقاتل حتى

يقتل ؟ قال : لا ولكنه الرجل يعمل بالمعاصي ثم يلقي بيده ولا يتوب .

فترى أن ابن عباس يصرح ان التهلكة لا تعني أن تكون بموضوع القتال و إنما بشيء أخص منه وهو : الاستسلام بالكف عن النفقة في سبيل الله ، وهذا يفهم منه : أن التهلكة : الكف عن مواجهة العدو الضخم والاستسلام له من باب أولى .

أما البراء : فروايته الأولى واضحة المعنى وهي ما أ جاب فيها عن سؤال (الرجل يلقى ألفا من العدو فيحمل عليهم وإنما هو وحده أيكون ممن قال الله فيهم : { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } ؟ فقال : ليقاتل حتى يقتل قال الله تعالى لنبيه : { فقاتل في سبيل الله ...) ، أما الثانية وهي ما أجاب فيها عن سؤال أيضا : (أ رأيت قول الله تعالى { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } هو الرجل يتقدم فيقاتل حتى يقتل ؟ قال : لا ، ولكنه الرجل يعمل بالمعاصي ثم يلقي بيده ولا يتوب) .([59]) فإنه أراد بها أن لا يغفل الروايات الأخرى وهي - كما ترى - لا تتعارض من حيث الواقع في شقها الأول مع الأولى ، بل أرى الأولى موضحة ومؤكدة للثانية ، لكنه في الأولى ذكر أنها في نزلت في النفقة ، وفي الثانية ذكر أنها في اليأس من مغفرة الله ورحمته ، وهكذا ينبغي أن يفهم من الروايات التي ذكرت أنها في النفقة مطلقا ؛ وذلك عملا بها جميعا بما تقدم من تأويل .

2- قوله تعالى : { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ }(البقرة:**207**) .

وجه الدلالة :

أن هذه الآية فيها شمول من يحمل على العدو وحده طلبا لمرضاة الله تعالى .

وقد سبقت رواية اقتحام الرجل البجيلي حصن العدو ، فأنكر عليه ، فرد عليهم عمر رضي الله عنه متأولا هذه الآية ، وهو أنه ممن يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله .

- يؤيد هذا ما نقلناه من الرواية التي فيها (قيل لأبي هريرة : إن هشام بن عامر – وكان يجالسه – ألقى بيده إلى التهلكة ! وأخبره خبره ، فقال أبو هريرة : كلا ولكنه التمس هذه الآية { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ ... })

فإن قيل : إن هذه الآية سبب نزولها في أمر صهيب الرومي أو في عموم المهاجرين والأنصار ؟

أجيب : بما قاله الطبري : (غير مدفوع جواز نزول آية من عند الله على رسوله – صلى الله عليه وسلم – بسبب من الأسباب ، والمعني بها كل من شمله ظاهرها) .

3- صح (عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهقوه[60] قال : " من يردهم عنا وله الجنة ؟ أو هو رفيقي في الجنة ؟ " فتقدم رجل من الأنصار

فقاتل حتى قتل ، ثم رهقوه أيضا ، فقال : " من يردهم عنا وله الجنة ؟ أو هو رفيقي في الجنة ؟ " فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ما أنصفنا أصحابنا[61] "] رواه مسلم مختصرا ،[62] وروى النسائي هذا المشهد مفصلا :

[عن جابر قال : لما كان يوم أحد ، وولى الناس ، كان النبي صلى الله عليه وسلم في اثني عشر رجلا من الأنصار ، وفيهم طلحة بن عبيد الله ، فأدركه المشركون ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال " من للقوم ؟ " قال طلحة : أنا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كما أنت " فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله ، فقال : " أنت " فقاتل حتى قتل ، ثم التفت ، فإذا هو بالمشركين ، فقال : " من للقوم ؟ " فقال طلحة : أنا . قال : " كما أنت " فقال رجل من الأنصار : أنا . فقال : " أنت " فقاتل قتال صاحبه حتى قتل ، ثم لم يزل يقول ذلك ، ويخرج إليهم رجل من الأنصار ، فيقاتل قتال من قبله حتى يقتل ، حتى بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلحة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من للقوم ؟ " فقال طلحة : أنا . فقاتل قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه ، فقال: حس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون " ثم رد الله المشركين] .[63]

وجه الدلالة من الحديث :

أن النبي صلى الله عليه وسلم حث أصحابه على قتال العدو وكان هو وأصحابه لم يتجاوزوا عشرة ممن بقي معه في أحد وان المهاجمين لاشك من تفوقهم في العدد والعدة على ما هو معروف في كتب السير ، فهذه الدعوة منه عليه الصلاة السلام لقتال العدو وعدم الاستسلام ، وهؤلاء أصحابه رضوان الله عليهم يواجه كل واحد منهم فرقة من جيش العدو بمفرده وبإذن منه صلوات الله عليه وسلامه حتى استشهد كل من كان معه باستثناء طلحة الذي أصيب بجراحات كثيرة كادت أن تقضي عليه ، فلو لم يكن هذا العمل من أعلى مراتب الشهادة لما أذن به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل إن فعل طلحة في ذلك اليوم هو الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلق عليه لقب (الشهيد الذي يمشي على وجه الأرض) .[64] وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا ذكر ذلك اليوم يقول (ذلك يوم كان كله لطلحة) .[65] وهذا كله حجة واضحة في مشروعية قتال العدو من غير اهتمام لحجم قوة المهاجم .

4- روى ابن أبي شيبة [عن معاذ بن عفراء ، قال : يا رسول الله : ما يضحك الرب من عبده ؟ قال : " غمسه يده في العدو حاسرا " قال : وألقى درعا كانت عليه ، فقاتل حتى قتل] ونقل الحافظ ابن حجر هذه الرواية عن ابن إسحاق وفيها أنه كان في غزوة بدر .[66]

وجه الدلالة

أن أقتحام هذا الصحابي معسكر الجيش ممتثلا ترغيب النبي بوعد الله عز وجل لمن يفعل ذلك الرضا وهو مايفسر به ضحك المولى سبحانه ، وفعل ذلك بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه .

5 – ما روي عن جعفر بن أبي طالب حين زاحمه القتال يوم موته اقتحم عن فرس شقراء له ثم عرقبها[67] وقاتل حتى قتل فكان أول عاقر في سبيل الله .[68]

وجه الدلالة :

أن إقدام جعفر رضي الله عنه على ذلك العمل ثابت في الروايات أنه كان ذلك بمحضر من أكابر الصحابة مثل عبد الله بن رواحة وخالد وغيرهما فلم ينكروه عليه ، وبلغ أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكره عليه ولم ينه عن مثله ،([69]) فدل على أن فعله هذا من أجل الأفعال وأعظمها في الثواب .

ومع أن ما مر من أدلة تصلح لأصحاب المذهبين : الأول والثاني ، فإنها– عند أصحاب المذهب الأول – ليس فيها مايدل على أن مشروعية حمل الواحد على الجيش الضخم مشروطة بالمصلحة المرجوة من ذلك أو تجرئة الجيش على الإقدام ؛ لشمول ألفاظها وعمومها فيما فيه منفعة أو مجرد طلب للشهادة .

لكن أصحاب المذهب الثاني يرون : أن الآثار الواردة المار ذكرها وغيرها إنما هي محمولة على إناطة الرخصة في ذلك الحمل بالمصلحة التي تعود بالنفع لعموم المسلمين وإلا فلا مساغ لفعل شيء من هذه الأعمال ؛ وذلك للآتي :

1– هي : أن من يحمل وحده على العدو ولم يطمع بنجاة في نفسه أو نكاية بالعدو فإنه سيعرض نفسه للتلف من غير منفعة للمسلمين وتلك هي التهلكة التي نهى الله تعالى عنها .

أما حجتهم بالمشروعية لمن كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية ، ولكنه يجرئ المسلمين بذلك حتى يفعلوا مثل ما فعل فيقتلون وينكون في العدو فهي :

لأنه لو كان على طمع من النكاية في العدو ولا يطمع في النجاة لا بأس في أن يحمل عليهم فكذلك إذا طمع أن ينكي غيره فيهم بحملته عليهم لا بأس بذلك أيضا ، ومرجو أن يكون فيه مأجورا .([70])

وإنما يكره له ذلك إذا كان لا منفعة فيه على وجه من الوجوه ، بأن كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية ، ولكنه مما يرهب العدو فلا بأس بذلك ؛ لأن هذا أفضل النكاية وفيه منفعة للمسلمين .

وهذا الإتجاه هو الذي ناصره محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة على هذا التفصيل ، وذكر ابن حجر فيما بعد نحوه وعزاه لجمهور الفقهاء .

فقد ذكر محمد بن الحسن – في السير الكبير – : (أن رجلا لو حمل على ألف رجل وهو وحده : لم يكن بذلك بأس : إذا كان يطمع في نجاة ، أو نكاية ، فإن كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية فإني أكره له ذلك ؛ لأنه عرض نفسه للتلف منفعة للمسلمين ، وإنما ينبغي للرجل أن يفعل هذا : إذا كان يطمع في نجاة ، أو منفعة للمسلمين ، فإن كان لا يطمع في نجاة ، ولا نكاية ولكنه يجرىء المسلمين بذلك حتى يفعلوا مثل ما فعل فيقتلون وينكون في العدو فلا بأس بذلك إن شاء الله لأنه لو كان على طمع من النكاية في العدو ولا يطمع في النجاة لم أر بأسا أن يحمل عليهم فكذلك إذا طمع أن ينكي غيره فيهم بحملته عليهم فلا بأس بذلك وأرجو أن يكون فيه مأجورا وإنما يكره له ذلك إذا كان لا منفعة فيه على وجه من الوجوه وإن كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية ولكنه مما يرهب العدو فلا بأس بذلك لأن هذا أفضل النكاية وفيه منفعة للمسلمين) .[71]

وقد أيد الجصاص الحنفي ما ذكره محمد بن الحسن هذا ، بل قال (والذي قال محمد من هذه الوجوه صحيح لا يجوز غيره ، وعلى هذه المعاني يحمل تأويل من تأول في حديث أبي أيوب أنه ألقى بيده إلى التهلكة بحمله على العدو إذ لم يكن عندهم في ذلك منفعة ، وإذا كان كذلك فلا ينبغي أن يتلف نفسه منفعة عائدة على الدين ولا على المسلمين ، فأما إذا كان في تلف نفسه منفعة عائدة على الدين فهذا مقام شريف مدح الله به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قوله { إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ }(التوبة: من الآية**111**) وقال { وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}(آل عمران:**169**) وقال { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ }(البقرة: من الآية**207**) في نظائر ذلك من الآي التي مدح الله فيها من بذل نفسه لله) .[72]

2 – نقل القرطبي عن ابن خويزمنداد المالكي أنه (لو غلب على ظنه أن يقتل ولكن سينكى نكاية أو سيبلى أو يؤثر أثرا ينتفع به المسلمون فجائز أيضا ، وقد بلغني أن عسكر المسلمين لما لقي الفرس نفرت خيل المسلمين من الفيلة ، فعمد رجل منهم فصنع فيلا من طين ، وأنس به فرسه حتى ألفه ، فلما أصبح لم ينفر فرسه من الفيل ، فحمل على الفيل الذي كان يقدمها ، فقيل له : إنه قاتلك ! ، فقال : لا ضير أن أقتل ويفتح للمسلمين).[73]

3- ما فعله البراء بن مالك – أخو أنس بن مالك – رضي الله عنهما في معركة اليمامة .

فقد ذكر المؤرخون : (لما تحصن بنو حنيفة في الحديقة ، فقد قال البراء : ألقوني عليهم في الحديقة ، فقالوا : لاتفعل ، فقال : والله لتطرحني عليهم بها ، فاحتمل حتى أشرف على الجدار فاقتحمها عليهم ، وقاتلهم وحده على الباب حتى فتحه) .[74]

فتلك حادثتان منفصلتان : الأولى : يقول فيها ذلك الفارس المجاهد (لا ضير أن أقتل وبفتح

للمسلمين) ، والثانية : كان حمل البراء على العدو فيه الفتح الذي حصل للمسلمين . ويشهد الحادثتين جمع من الصحابة رضي الله عنهم وفي ذلك الدليل الواضح على أن من حمل إنما كان للمصلحة لا لمجرد طلب الشهادة .

قال ابن تيمية رحمه الله : (فانه اذا فعل ما أمره الله به فأفضي ذلك الى قتل نفسه فهذا محسن في ذلك يحمل على الصف وحده حملا فيه منفعة للمسلمين وقد اعتقد أنه يقتل فهذا حسن ، وفي مثله أنزل الله قوله { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ}(البقرة:**207**) ومثل ما كان بعض الصحابة ينغمس فى العدو بحضرة النبى ، وقد روي الخلال باسناده عن عمر بن الخطاب ان رجلا حمل على العدو وحده فقال الناس القى بيده الى التهلكة فقال عمر لا ولكنه ممن قال الله فيه{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ }) .[75]

بل إن الحنابلة صرحوا – في إحدى الروايات السابقة – أن إنغماس الرجل وحده في العدو يكون مستحبا إن كان في ذلك منفعة تعود للمسلمين .[76]

أدلة القول الثالث :

وهو الوجه الذي نقله ابن مفلح المقدسي عن الإمام أحمد ولم أعثر له على دليل إلا ما يفهم من قوله (لو حمل على العدو وهو يعلم أنه لا ينجو لم يعن على قتل نفسه).[77]

فقوله (لم يعن على قتل نفسه) أن الدليل – عنده – هو أن ذلك من باب الإعانة على قتل الإنسان نفسه، وهي التهلكة المنهي عنها ، وأكدها في قوله سبحانه { وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً }لنساء: من الآية**29**) .

وقد سبق أن أجيب على ذلك بما قال الصنعاني : (أما ظن الهلاك فلا دليل فيه ، إذ لا يعرف ما كان من ظن من حمل)([78]) ، بل إن الغالب في عمل كهذا هو علم المهاجم سلفا أو غالب ظنه أنه لا ينجو .

أما كونه قتلا للنفس فقد تظافرت الأقوال التي رويناها عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن ذلك ليس تهلكة ولا إعانة على قتل النفس ، إنما هو من المقامات الشريفة لنيل الثواب والتقرب إلى الله عز وجل .

أدلة المذهب الرابع :

وهو المروي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه الذي يرى فيه : عدم مشروعية حمل الواحد على الجيش الضخم مطلقا .[79]

وقد نقلنا عنه الرواية التي أنكر فيها على المقتحم حصن العدو وحده ، وكانت حجته أن ذلك من التهلكة .

وقد أجبت عن هذه الرواية : أنها ضعيفة لا يحتج بها ، وعلى فرض صحتها فهي معارضة بما صح عن الصحابة رضي الله عنهم بخلافها ، أو أنها تأويل منه يخالف ما جهله من سبب نزول الآية ، ولو علم بذلك لما صار إلا إليه ، أو أراد أن يعلم الجند أفضلية العمل الجماعي .

وأضيف هنا : - بعد استقرائنا – لآراء الفقهاء – إحتمالا آخر وهو : أنه ربما عد الإقتحام من التهلكة إن خلا من المنفعة أو الفائدة ، وهذا هو أقوى الإحتمالات – إن صحت الرواية – وهو قول له أنصاره وهم جمهور الفقهاء .

المذهب الراجح

بعد استعراض آراء الفقهاء وأدلتهم فإن الذي يبدو لي أن الراجح منها هو : المذهب الثاني : وهو مشروعية إباحة حمل الواحد على جيش العدو بشرط وجود مصلحة من فتح ثغر ونحوه ، أو إيقاع نكاية ، أو إرهاب العدو ، أو لتجرئة المسلمين على عدوهم ، ونحوها ؛ وذلك للآتي :

1- لما ترجح لدينا من أن سبب نزول قوله تعالى { وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ } هو فهم الصحابة رضي الله عنهم في حوادث مختلفة يقع فيها مثل هذا العمل فيقرون بمشروعيته وتنبيههم أن التهلكة : القعود عن الجهاد والاستسلام للعدو ، ولم يقروه إلا للمنفعة الجالبة لمصلحة المسلمين مما حصل أمام أعينهم من فتح وغيره ، وهو ما نقلناه عن عمر بن الخطاب في فتح نهاوند ، وأبو أيوب الأنصاري في فتح القسطنطينية ، وأبوهريرة في فتح كابل ، والبراء بن مالك في معركة اليمامة ، وجعفربن أبي طالب في غزوة مؤتة ، وغيرها من مناسبات يحمل فيها رجل من المسلمين على جيش العدو فيفتي فقهاء الصحابة هؤلاء وغيرهم بجواز ذلك بل ويعده بعضهم مستحبا لابل ويقدم البراء نفسه على نحو من هذه الفدائية ولم ينكر عليهم أحد من الصحابة ؛ وذلك – كما قلت – للمصلحة لا لمجرد طلب الشهادة .

2- لما صح من ترغيب النبي صلى الله عليه وسلم على إقدام من هذا النوع في مناسبات مختلفة ومنها : ما حصل في غزوتي بدر ، وأحد ، وهما من أوائل وأهم الغزوات ، مما حفز ترغيبه عليه الصلاة والسلام إقدام معاذ بن عفراء في (بدر) ، وجمهرة من الصحابة في (أحد) على رأسهم طلحة بن عبيد الله أن يقوموا بأعمال فدائية حصل بسببها الفتح ، ويقر منهم ذلك العمل ويباركه ، ولم يكن ترغيبه ولا إقراره إلا لعلمه عليه الصلاة والسلام بالمصلحة العائدة على الأمة الإسلامية .

3- إذا تأملنا ما نقلناه عن أصحاب المذهب الذي أطلق المشروعية - بمجرد صحة نية المهاجم وطلبه الشهادة من غير اشتراط المصلحة – فلا يبدو لي أن مرادهم يختلف عن المذهب الذي اشترطها إلا من ظاهر الروايات

والأدلة التي نقلناها وهي قد احتج بها نفسها من اشترط المصلحة وأولوها على الجواز بوجود المنفعة ، لا بل وحتى مذهب من أطلق عدم الجواز فلا يبدو لي أن إنكاره إلا لماكان من خلوه من الفائدة .

4- ومع ذلك : فالذي أراه : أن مشروعية ذلك العمل ينبغي أن يكون ضمن جماعة ؛ لأننا لو تأملنا كل المناسبات التي حصلت فيها هذه الأعمال فإنها كانت تحصل في إطار الجهاد الجماعي ووجود أمير مطاع، ولا يصلح العمل الفردي في مثل هذه الأمور ؛ وذلك لما يحصل من فوضى ومشاكل قد تسفر عن ضرر يلحق عامة المسلمين ، ولذا نص الفقهاء على أن للمسلمين أن يؤمروا عليهم أميرا إذا أصبحوا بلا أمير ؛ استنادا لما فعله الصحابة رضي الله عنهم في غزوة مؤتة بعد استشهاد الأمراء الذين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا بعد الآخر لم يواصلوا غزوتهم إلا بعد أن أمرو عليهم خالد بن الوليد وتصويب النبي رأيهم حين بلغه.[80]

ومع هذا فلو قام أحد بعمل فردي بأن هجم على معسكر العدو أو تعرض لمجموعة من الغزاة الكفرة الحربيين المحتلين ديار المسلمين ولم يلحق الضرر بعامة المسلمين طالبا للشهادة مخلصا بعمله فلا يكون ممن ألقى بيده للتهلكة ؛ لأنه لابد أنه يقصد بعمله هذا إضعاف شوكة العدو وإرهابهم ومرجو أن يتقبله الله تعالى شهيدا إلا أننا نرى أنه ترك الأولى وهو العمل ضمن جماعة المسلمين . والله أعلم .

مناقشة شبهة

بقي أن أقول : ربما يظن بعض الناس : أن حمل الواحد على جيش العدو غير مشروع أصلا ، لما يدل عليه قول الله تعالى { الْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } (لأنفال:66) بحجة: أن الله تعالى لم يبح مواجهة العدو والثبات أمامه عند عدم التكافؤ في العدد الذي نصت عليه الآية وهو واحد أمام أكثر من اثنين من العدو .

وأجيب :

بأن هذه الآية لا تصلح دليلا على عدم جواز مهاجمة الواحد جيش العدو مهما بلغ عدده ؛ وذلك للآتي :

1- لما صح من أن سبب نزول الآية وارد في نسخ مفهوم الآية التي قبلها وهي قوله تعالى { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ }(لأنفال:65) .

فقد روى البخاري وغيره [عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت { إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين } شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم أن لا يفر واحد من عشرة ، فجاء التخفيف ، فقال : { الآن

خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين } قال : فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم] .[81]

فتبين أن المراد من الآية هو : نسخ الأمر بثبات الواحد أمام العشرة من العدو إلى الأمر بثبات الواحد أمام اثنين ، فيحرم حينئذ الفرار .[82]

قال الجصاص (فأوجب على العشرين مقاومة المائتين ، وعلى المائة مقاومة الألف ، وحظر عليهم الفرار منهم ثم قال { الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين } فصار الثاني ناسخا للأول ؛ لاستحالة اجتماعهما في حال واحدة فثبت نسخ الأول بالثاني) .[83]

وقال الشافعي : (وهذا كما قال ابن عباس إن شاء الله تعالى : مستغنى فيه بالتنزيل عن التأويل ، وقال الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ }(لأنفال:**15**) فإذا غزا المسلمون أو غزوا فتهيئوا للقتال فلقوا ضعفهم من العدو حرم عليهم أن يولوا عنهم إلا متحرفين إلى فئة) .[84]

بل إن ابن حزم الظاهري قال : بوجوب الثبات أمام العدو حين لقائه مهما بلغ عدده وعدته ، وأنكر على جمهور العلماء والمفسرين قولهم بالنسخ هنا ، فقال (هذا خطأ ؛ لأنه ليس إجماعا ، ولا فيه بيان نسخ ، ولا نسخ عندنا في هذه الآيات أصلا وإنما هي فرض البراز للمشركين وأما بعد اللقاء فلا يحل لواحد منا أن يولي دبره جميع من على وجه الأرض من المشركين إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة ... وأما نحن فلو رأينا في الآيات المذكورة ذكر إباحة فرار لقلنا به ولسلمنا لأمر ربنا ولكنا لم نجد فيها لإباحة الفرار أثرا ولا دليلا بوجه من الوجوه وإنما وجدنا فيها أننا إن صبرنا غلب المائة منا المائتين وصدق الله عز وجل فليس في ذلك ما يمنع أن يكون أقل من مائة أو أكثر من مائة يغلبون العشرة آلاف منهم وأقل وأكثر كما قال تعالى { كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِّ وَاللهُّ مَعَ الصَّابِرِينَ}(البقرة: من الآية**249**) وهذا كله إخبار عن فعل الله تعالى ونصره عز وجل لمن صبر منا ، فتلك الآية التي فيها : أن المائة منا تغلب المائتين ، وهي إخبار عن بعض ما في الآية التي فيها : أن المائة منا تغلب الألف وهاتان الآيتان معا هما إخبار عن بعض ما في الآية التي فيها { كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة } فلم يخص في هذه الآية عددا من عدد بل عم عموما تاما ... – وقال عن وجه التخفيف – هو : كنا بالآية الأولى في حرج إن لم نغزهم ونحن في عشر عددهم فنحن الآن في حرج إن لم نقصدهم إذا كان المقاتلون من الجهة المقصودة مثلينا فأقل ، فإن كانوا ثلاثة أمثالنا فصاعدا فنحن في سعة من أن لا نقصدهم ما لم ينزلوا بنا وما لم يستنفر الإمام أو أميره إلا أن نختار النهوض إليهم وهم في أضعاف عددنا ، فأي هذه الوجوه الثلاثة كان قد حرم علينا الفرار جملة ولو أنهم جميع أهل الأرض والملاقي لهم مسلم واحد فصاعدا ، فهذا هو وجه التخفيف وبهذا تتآلف الآيات المذكورة مع

قوله تعالى { وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (لأنفال:16) ومع إجماع الأمة على : أنه إذا نزل العدو ساحتنا ففرض علينا الكفاح والدفاع .. ووجه التخفيف – أيضا – عمن فيه ضعف فقط فصار هذا التخفيف إنما هو عن الضعفاء فقط كقوله تعالى { لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً}(النساء:95) .[85]

وأيا ما كان فسواء قيل في الآية نسخ أم تخفيف فالتخفيف نوع من النسخ ، فقد نقل القرطبي عن القاضي ابن الطيب قوله واستحسنه (أن الحكم إذا نسخ بعضه أو بعض أوصافه أو عدده فجاز أن يقال إنه نسخ ، لأنه حينئذ ليس بالأول بل هو غيره) .[86]لم يكن فلم تنص على عدم مشروعية الثبات أمام العدو إن بلغو أكثر من ضعف عدد المسلمين ، ولذلك قال الشافعي (فإن كان المشركون أكثر من ضعفهم لم أحب لهم أن يولوا عنهم ، ولا يستوجب السخط عندي من الله عز وعلا لو ولوا عنهم ؛ لأن الله عز وجل إنما يوجب سخطه على من ترك فرضه ، وأن فرض الله عز وجل في الجهاد إنما هو على أن يجاهد المسلمون ضعفهم من العدو ويأثم المسلمون لو أطل عدو على أحد من المسلمين وهم يقدرون على الخروج إليه بلا تضييع لماخلفهم من ثغرهم إذا كان العدو ضعفهم وأقل) .[87]

فلهذا لم تشر الآية من قريب ولا من بعيد ولم يستدل أي فقيه كان بها على عدم مشروعية مواجهة الواحد جيشا أو لا تحل مقاومة العدو إذا بلغ أكثر من الضعفين .

2- لدى استقراء الغزوات والمعارك الإسلامية في صدر الإسلام لا نجد واحدة منها فاق فيها عدد المجاهدين عدد أعدائهم بل يفوق جيش العدو فيها أكثر من ضعفين ويسجل للمسلمين النصر تلو النصر والفتح تلو الفتح ، ولم يعرف في تأريخ تلك المعارك أنهم انسحبوا من واحدة منها هربا من كثرة العدد على الرغم من علمهم برخصة الإنسحاب ، وخذ نماذج من أشهر تلك المعارك :

فغزوة بدر الكبرى بلغ عدد المسلمين فيها 314 مقابل 950 – 1000 ، وفي أحد 700 مقابل 3000 ، وفي الخندق : 3000 مقابل 12000 ، وفي مؤتة 3000 مقابل 200000 ، وفي اليمامة 13000 مقابل 40000 ، وفي إجنادين 30000 مقابل 100000 ، وفي اليرموك 36000 مقابل 240000 ، وفي القادسية 10000 مقابل 120000 ، وفي نهاوند (فتح الفتوح) 30000 مقابل 150000 ، وفي ذات الصواري (أول معركة بحرية) 200 سفينة مقابل 800 سفينة ، وفي فتح الأندلس 12000 مقابل 100000 وفي حطين 25000 منهم 12000

فارس مقابل **60000** فارس ، وفي فتح القسطنطينية **150000** مقابل **500000** .[88]

فإنك حين تقف متأملا هذه الأرقام التي لم يتحقق فيها أي توازن بالحسابات العسكرية تدرك أن هؤلاء المجاهدين على مر الأجيال المتعاقبة من عصر النبوة وما بعدها وفيهم الأئمة المجتهدون في كل عصر لم يفهموا الآية بالفهم الذي فهمه أصحاب هذه الشبهة .

وأكتفي بذكر مثال واحد لما جرى في نوع من جهاد الفاتحين في جانب من جوانب معركة القادسية :

روى ابن أبي شيبة عن أبي وائل قال : جاء سعد بن أبي وقاص حين نزل القادسية ومعه الناس ، قال : فما أدري لعلنا أن لا نزيد على سبعة آلاف أو ثمانية آلاف بين ذلك ، والمشركون ثلاثون ألفا أو نحو ذلك معهم الفيول ، قال : فلما نزلوا قالوا لنا : إنا لا نرى لكم عددا ولا نرى لكم قوة ولا سلاحا فارجعوا ، قال : قلنا ما نحن براجعين قال وجعلوا يضحكون بنبلنا ويقولون(دوك) يشبهونها بالمغازل قال :فلما أبينا عليهم قالوا ابعثوا إلينا رجلا عاقلا ، فقال المغيرة بن شعبة : أنا : فعبر إليهم.. فقال رستم للمغيرة : أخبروني ما جاء بكم من بلادكم ، فإني لا أرى لكم عددا ولا عدة ، فقال : كنا قوما في شقاء وضلالة ، فبعث الله فينا من رآه فهدانا ...)([89]) فحصل الفتح للمسلمين بذلك العدد الذي لم يره رستم قائد الفرس ولا جيشه الضخم عددا .

الخاتـــمة

كان بحثي هذا محاولة للكشف عن مفهوم التهلكة في الفقه الإسلامي الذي دل عليه قول الله تعالى { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } هل يصلح دليلا لمن ينكر مشروعية حمل الواحد على الجيش الضخم وهو ما اصطلح عليه بالعمل الفدائي أو العمليات الإنتحارية ؟

وأهم ما كشف لي المطلب الأول : أقوال ثمانية في مفهوم (التهلكة) لعلماء الأثر ، والتفسير ، وأسباب النزول ، وهي الآتي :

1- إنها نزلت تحذيرا للأمة من الانشغال بشواغل الدنيا عن الغزو والجهاد في سبيل الله أو الإنفاق لإعداد المجاهدين والمرابطين لإرهاب عدو الله وحماية بيضة الإسلام ودولته ، فإنهم إن قعدوا عن ذلك أو تقاعسوا فقد هلكوا أو مصيرهم الهلاك ، فتلك هي التهلكة التي حذر الله الناس من الإلقاء بأيديهم إليها .

2- أن التهلكة : الإمساك عن النفقة في سائر وجوه القربات وخاصة الغزو والسرايا والبعوث .

3- معناها : لا تخرج للجهاد بنفسك بغير نفقة ولا قوة فتلقي بيدك إلى التهلكة .

4- أنها نزلت تحذيرا وترهيبا من البخل أو زجرا عن الإسراف أو عن الإنفاق من الكسب الحرام .

5- معنى التهلكة المنهي عنها هي اليأس من رحمة الله من أنه لا يغفر الذنوب .

6- التهلكة : عذاب الله تعالى .

7- التهلكة تعني : كل ما تقدم ذكره من الأقوال .

8- التهلكة : هي أن يحمل رجل وحده على العدد الكثير من العدو .

ورجحت القول الأول لتناسبه مع سياق الآية ، ولسبب النزول الذي ذكرته وقلت إنه وارد في مناسبات مختلفة وقعت فيها أعمال فدائية أفتى فقهاء الصحابة بمشروعيتها داحظين شبهة من عدها من التهلكة .

وفي المطلب الثاني بحثت حكم حمل الواحد على مجموعة كبيرة من العدو فتبين أن فيه ثلاثة مذاهب :

1- إباحة هذا العمل إن أخلص المقاتل النية وطلب الشهادة .

2- مشروعيته بشرط جلب منفعة للمسلمين من فتح ثغر أو نكاية بالعدو أو للتجرئة على الإقدام ونحوه .

3- عدم مشروعية هذا العمل .

ورجحت القول الثاني ؛ لتناسبه مع سبب النزول ، ولكونه مذهب جماهير فقهاء الصحابة ، والتابعين ومن بعدهم ، ولما غلب على ظني أن من أطلق المشروعية إنما كان لوجود المصلحة ، وكذا من أنكر هذا العمل فإنه محمول على خلوه من المنفعة .

ورأيت أن الأولى أن تكون هذه الأعمال تتم ضمن جماعة المسلمين كراهة أن يكون العمل الفردي مجانبا المصلحة للأمة ، لكن لاينكر العمل الفردي إن لم يعد بالضرر على عامة المسلمين إن طلب الشهادة وأخلص النية لله تعالى .

أسأل الله تعالى أن ينفعني بما تعلمت وينفع بي ، وأن يقبل عملي خالصا لوجهه الكريم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قائمة بمصادر البحث

وهي بحسب الترتيب الهجائي بعد القرآن الكريم :

1- الأحاديث المختارة : أبو عبد الله ، محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي (ت **643**) ط**1** ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، **1410** ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهش .

2- أحكام القرآن : أبو بكر ، أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت **370**) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، **1405** ، تحقبق : محمد الصادق قمحاوي .

3- الإحكام في أصول الأحكام : أبو محمد ، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت **456**) ط**1** ، دار الحديث ، القاهرة ، **1404** .

4- الإحكام في أصول الأحكام : أبو الحسن علي بن محمد الآمدي (ت **631**) ط**1** ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، تحقيق سيد الجميلي .

5- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود) : أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي (951) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تأريخ .

6- إرشاد الفحول : محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1250) ط1 ، دار الفكر ، بيروت ، 1412 – 1992 ، تحقيق : محمد سعيد البدري .

7- الإصابة في تمييز الصحابة : أبو الفضل ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852) ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1412- 1992 تحقيق : علي محمد البجاوي .

8- أصول الشاشي : أبو علي ، أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي (ت 344) دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1402 .

9- إعلام الموقعين : أبو عبد الله ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن القيم الجوزية الدمشقي (ت 751) دار الجيل ، بيروت ، 1973 ، تحقبق : طه عبد الرؤوف سعد .

8- الأم : محمد بن إدريس الشافعي (ت 204) ط2 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1393 .

10 - الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف : أبو الحسن ، علي بن سليمان المرداوي (ت 885) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقبق : محمد حامد الفقي .

11- الأنموذج في أصول الفقه : د فاضل عبد الواحد عبد الرحمن ، مطبعة جامعة بغداد ، نشر دار الحكمة ببغداد ، 1987 .

12- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) : أبو الخير ، ناصر الدين ، عبد الله بن عمر البيضاوي ، (ت 791) دار الفكر ، بيروت 1416 – 1996 ، تحقيق : عبد القادر عرفات عشا حسونة .

13- البرهان في علوم القرآن : أبو عبد الله ، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت 794) دار المعرفة ، بيروت ، 1391 ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

14- تاريخ الطبري : أبو جعفر ، محمد بن جرير الطبري (310) ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1407 .

15- التبيان في تفسير غريب القرآن : شهاب الدين ، أحمد بن محمد الهائم المصري (ت 815) ط1 ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، القاهرة ، 1992 ، تحقيق د فتحي أنور الدابولي .

16- تحفة الأحوذي : أبو العلا ، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت 1353) دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تأريخ.

17- تعظيم قدر الصلاة : أبو عبد الله ، محمد بن نصر المروزي (ت 294) ط1 ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ،1406 تحقبق : د عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي .

18- الترغيب والترهيب : أبو محمد : عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت 656) ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1417 ، تحقبق : إبراهيم شمس الدين .

19- تفسير الجلالين : جلال الدين ، محمد بن أحمد بن إبراهيم المحلي (ت 864) فسر من أول سورة الكهف إلى سورة الناس ، ثم فسر الفاتحة ومات ، وأكمل التفسير: جلال الدين ، أبو الفضل ، عبد الرحمن ابن محمد السيوطي (ت 911) : من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء ووضع تفسير الفاتحة في آخر تفسير الجلال المحلي ملحقة به ، ط1 ، دار الحديث ، القاهرة ، بدون تأريخ .

20- تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت 774) دار الفكر ، بيروت ، 1401 .

21- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) : أبو جعفر ، محمد بن جرير الطبري (310) دار الفكر ، بيروت ، .1405

22- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) : أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (676) ط2 ، دار الشعب ، القاهرة ، 1372 ، تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني .

23- الجرح والتعديل : أبو محمد ، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي التميمي (ت 327) ط1 ، دا ر إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1952 .

24- الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) : أبو زيد ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري (ت 876) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، بدون تأريخ .

25- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الآلوسي) : أبو الثناء ، شهاب الدين ، السيد محمود أفندي الآلوسي البغدادي (ت 1270) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تأريخ .

26- الرياض النضرة : أبو جعفر ، أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري (ت 694) ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1996 ، تحقيق : عيسى عبد الله محمد مانع الحميري .

27- زاد المسير في علم التفسير : عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت 597) ط3 ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1404 .

28- الزهد والرقائق : أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي (ت181) دار الكتب العلمية ، بيروت ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .

29- سبل السلام : محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير (ت 852) ط1 ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، 1379 ، تحقيق : محمد عبد العزيز الخولي .

30- سنن ابن ماجه : أبو عبد الله ، محمد بن يزيد القزويني (ت 275) دار الفكر ، بيروت ، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، بدون تأريخ .

31- سنن أبي داود : أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت275) دار الفكر ، بيروت ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، بدون تأريخ .

32- سنن الترمذي : أبو عيسى ، محمد بن عيسى الترمذي (ت 279) دار إحياء التراثالعربي، بيروت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، بدون تأريخ .

33- سنن سعيد بن منصور : أبو عثمان ، سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني (ت 227) ط1 ، دار العصيمي ، الرياض ، 1414 ، تحقيق : د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد .

34- السنن الكبرى للبيهقي : أبو بكر ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت 458) مكتبة دار الباز بمكة المكرمة ، 1414 – 1990 ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .

35- السنن الكبرى للنسائي : أبو عبد الرحمن ، أحمد بن شعيب النسائي (ت 303) ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1411 – 1991 ، تحقيق : د عبد الغفار سليمان البنداري – سيد كسروي حسن .

36- سنن النسائي (المجتبى) : أبو عبد الرحمن ، أحمد بن شعيب النسائي (ت 303) ط2 ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، 1406 – 1986 ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة .

37- السيل الجرار : محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1250) ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1405 ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد .

38- شرح سنن ابن ماجه : أبو عبد الرحمن : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911) مطبعة كتب خانة ، كراتشي ، بدون تأريخ .

39- شرح مسلم : أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت 676) ط2 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1392 .
40- شعب الإيمان : أبو بكر ، أحمد بن الحسين البيهقي (458) ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1410 ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول .
41- صحيح ابن حبان : أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت 254) ط2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1414 – 1993 ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط .
42- صحيح البخاري : أبو عبد الله ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي (ت 256) ط3 ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، 1407 – 1987 ، تحقيق : د : مصطفى ديب البغا .
43- صحيح مسلم : أبو الحسن ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، بدون تأريخ .
44- طبقات ابن سعد (الطبقات الكبرى) أبو عبد الله ، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت 230) دار صادر ، بيروت ، بدون تأريخ ،
45- الظهور الإسلامي : فجر دائم وشروق مستمر : عبد الملك الشيباني ، دار الكتب ، صنعاء ، من إصدارات : دار المجد للطباعة والنشر ، 1996 .
46- الضعفاء والمتروكين : أبو الفرج ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت 579) ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1406 ، تحقيق : عبد الله القاضي .
47- العجاب في بيان الأسباب : أبو الفضل ، شهاب الدين ، أحمد بن علي بن حجر (ت 852) ط1 ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، 1997 ، تحقيق : د عب د الحكيم محمد الأنيس .
48- عون المعبود : أبو الطيب ، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر شمس الحق العظيم آبادي (ت 1310) ط2 دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1415 .
49- الفتاوى الكبرى : أ بو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي (ت728) مكتبة ابن تيمية ، الرياض ، تحقيق : عبد الرحمن محمد قاسم النجدي ، بدون تأريخ .
50- فتح الباري : أبو الفضل ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852) دار المعرفة ، بيروت ، 1379 ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – محب الدين الخطيب .
51- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (تفسير الشوكاني) : محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1255) دار الفكر ، بيروت ، بدون تأريخ .
52- الفروع : شمس الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي (762) ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418 ، تحقيق : أبو الزهراء حازم القاضي
53- الفصول في الأصول : أبو بكر ، أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت 370) ط1 ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت ، 1405 ، تحقيق : د عجيل جاسم النشمي .
54- فيض القدير شرح الجامع الصغير : عبد الرؤوف المناوي ، ط1 ، المكتبة التجارية ، مصر ، 1356 .
55- القاموس المحيط : مجد الدين ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817) المطبعة الميمنية ، مصر ، 1319 .

56- قواعد الفقه للمجددي : محمد عميم الإحسان المجددي البركتي ، ط1 ، دار الصدف ببلرشز ، كراتشي ، 1407 – 1987 .

57- القوانين الفقهية : محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي (741) دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تأريخ .

58- الكامل في التاريخ لابن الأثير : أبو الحسن ، علي بن الأثير ، أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت 630) المطبعة العامرة ، القاهرة ، بدون تأريخ .

59- الكامل في ضعفاء الرجال : أبو أحمد ، عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد الجرجاني (ت 356) ط3 ، دار الفكر ، بيروت 1409 – 1988 ، تحقيق : يحيى مختار غزاوي .

60- كشاف القناع : منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن أحمد بن علي بن إدريس البهوتي (ت 1051) دار الفكر ، بيروت 1402 ، تحقيق : هلال مصيلحي مصطفى هلال .

61- لباب النقول في أسباب النزول : أبو الفضل ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت 911) دار إحياء العلوم ، بيروت ، بدون تأريخ .

62- لسان العرب : جمال الدين محمد بن مكرم بن أحمد بن أبي القاسم بن حنفية بن منظور الأنصاري (ت 711) ط3 دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1419 – 1999 .

63- المبسوط : أبو بكر ، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت 483) دار المعرفة ، بيروت ، 1406 .

64- مجمع الزوائد : علي بن أبي بكر الهيثمي (ت 807) نشر دار الريان للتراث – دار الكتاب العربي ، القاهرة ، بيروت ، 1407 .

65- المحلى : أبو محمد ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي (ت 456) دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، بدون تأريخ .

66- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) : أبو البركات ، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي (ت 701) دار التراث العربي ، بيروت ، بدون تأريخ .

67- المستدرك : أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت 405) ط1 دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1411- 1990 ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .

68- مسند أحمد : أحمد بن حنبل الشيباني (ت 341) مؤسسة قرطبة، القاهرة ، بدون تأريخ .

69- مسند الطيالسي : أبو داود ، سليمان بن داود البصري الطيالسي (ت 204) دار المعرفة ، بيروت . بدون تأريخ .

70- مصنف ابن أبي شيبة : أبو بكر ، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت 235) ط1 ، مكتبة الرشد ، الرياض ، 1409 ، تحقيق : كمال يوسف الحوت .

71- معالم التنزيل : (تفسير البغوي) أبو محمد ، محي السنة وركن الدين ، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي (ت 510) ط2 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1407 – 1987 ، تحقيق : خالد العك – مروان سوار .

72- معاني القرآن : أبو جعفر ، أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوي النحاس (ت 338) ط1 ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة 1409 ، تحقيق : محمد علي الصابوني .

73- معتصر المختصر : أبو المحاسن ، يوسف بن موسى الحنفي ، عالم الكتب – مكتبة المثنى ، بيروت – القاهرة ، بدون تأريخ .

74- المعجم الأوسط : أبو القاسم ، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت 360) دار الحرمين ، القاهرة ، 1415 ، تحقيق : طارق بن عوض الله محمد ، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني .

75- المعجم الكبير : أبو القاسم ، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت 360) ط2 ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، 1404 – 1983 ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي .

76- موارد الضمآن إلى زوائد ابن أبي حبان : أبو الحسن ، علي بن أبي بكر الهيثمي (ت 807) دار الكتب العلمية ، بيروت ، تحقيق : محمد عبد الرزاق حمزة .

77- النهاية في غريب الحديث : أبو الحسن ، علي بن الأثير أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجـزري (ت 630) المكتبة الإسلامية ، الرياض . تحقيق : محمود محمد الطناجي ، بدون تأريخ .

78- نيل الأوطار : محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1255) دار الجيل ، بيروت ، 1973 .

79- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير الواحدي) : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت 468) ط1 ، دار القلم – الدار الشامية ، دمشق – بيروت ، 1415 ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي .

الهوامـــش

1- ينظر : القوانين الفقهية لابن جزي : 97 ، المغني 9 163 .

2- ينظر : لسان العرب 10 : 504 و506 مادة (هلك) ، القاموس المحيط 1 :1237 مادة (هلك) ، التبيان في تفسير غريب القرآن 1 : 22 .

3- جامع البيان (تفسير الطبري) 2 : 205 .

4- ينظر مع مصادر الهامش الآتي : أنوار التنزيل وأسرالا التأويل (تفسير البضاوي) 1 : 478 ، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) 2 : 362 ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 1 : 230 ، تفسير النسفي 1 : 95 ، تفسير أبي السعود 1 : 205 ، تفسير الجلالين 1 : 40 ، فتح الباري 8 : 185 ، السيل الجرار 4 : 529 ، العجاب في بيان الأسباب 472 وما بعدها ، لباب النقول 1 : 37 ، روح المعاني للآلوسي 2 : 77 ، وينظر مذاهب الصحابة فيما سنورده من آثار مسندة عنهم قريبا .

5- سنن أبي داود 3 : 12 رقم 2512 ، سنن الترمذي 5: 212 رقم 2972 ، صحيح ابن حبان 11: 9 رقم 4711 ، المستدرك 2 : 302 رقم 3088 ، السنن الكبرى للنسائي 6 : 299 رقم 11029 ، السنن الكبرى للبيهقي 9 : 45 رقم 35 ، مسند الطيالسي 1: 81 رقم 599 ،المعجم الكبير للطبراني 4 : 176 رقم 4060 ، جامع البيان (تفسير الطبري) 2 : 204 ، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) 2 : 360 ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 1 : 230 ، الترغيب والترهيب للمنذري 2 : 216 رقم 2153 ، موارد الضمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي 1 : 401 رقم الحديث 1167 ، العجاب 1 : 473و479 ، فتح الباري 8 : 185 ، .

6- جامع البيان (تفسير الطبري) 2 : 321 ، العجاب 1 : 480 ،

7- جامع البيان (تفسير الطبري) مصنف ابن أبي شيبة 4 : 208 و 6 :558 ، السنن الكبرى للبيهقي 4 : 208 ، فتح الباري : الصفحة السابقة ، تحفة الأحوذي 8 : 250 .

8- السنن الكبرى للبيهقي 9: 46 ، جامع البيان (تفسير الطبري) ، فتح الباري : الصفحات السابقة .

9- الزهد لابن المبارك 1 : 296 .

10- مسند أحمد 4 : 281 ، جامع البيان 2 : 203 ، تفسير ابن كثير 1 : 531 ، تحفة الأحوذي : الصفحة السابقة ، مجمع الزوائد 5 : 328 .

11- جامع البيان ، تفسير ابن كثير ، تحفة الأحوذي : الصفحات السابقة .

12- ينظر : صحيح البخاري 4 : 1642 رقم 4244 ، سنن سعيد بن منصور 2 : 710 رقم 285 ، جامع البيان 2 : 200 ،الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) 2 : 362 ، تفسير الواحدي 1 : 155 ، تفسير ابن كثير 1 : 229 ، السنن الكبرى للبيهقي 9 : 45 ، المعجم الأوسط للطبراني 2 : 202 رقم

1724 ، معالم التنزيل (تفسير البغوي) 1 : 164 ، العجاب 1 : 472 ، معاني القرآن للنحاس 1 : 110 ، تفسير أبي السعود ، تفسير الجلالين ، زاد المسير 1 : 230 ، فتح القدير 1 : 193 ، فتح الباري ، تحفة الأحوذي : الصفحات السابقة .

13- صحيح البخاري ، سنن سعيد بن منصور ، السنن الكبرى للبيهقي ، المعجم الأوسط للطبراني ، جامع البيان ، تفسير ابن كثير : الصفحات السابقة .

14- فتح الباري : الصفحة السابقة .

15- السنن الكلرى للبيهقي 9 : 45 ، جامع البيان 2: 200 ، القرطبي 2 : 362 .

16- جامع البيان 2 : 202 .

17- جامع البيان 2 : 200 – 202 ، تفسير ابن كثير 1 : 230 .

18- صحيح ابن حبان 13 : 16 رقم 5709 ، الأحاديث المختارة لابن قدامة 8 : 83 ، جامع البيان 2 : 200 – 204 ، موارد الضمآن 1 : 436 رقم 1761 ، المعجم الأوسط للطبراني 6 : 20 رقم 5671 ، مجمع الزوائد 6 : 317 .

19- جامع البيان 2 : 202 ، العجاب 1 : 482 .

20- ينظر : القرطبي : الصفحة السابقة .

21- تفسير ابن كثير 1 : 230 ، شعب الإيمان للبيهقي 7 : 441 رقم 10902 ، العجاب 1 : 476 ، تحفة الأحوذي 8 : 249 .

22- جامع البيان 2 : 201 ، العجاب 1 : 483 ، سنن سعيد بن منصور 2 : 711 رقم 286 ،

23- جامع البيان 2 : 202 ، العجاب 1 : 475 .

24- جامع البيان 2 : 201 – 202 ، العجاب 1 : 483 .

25- تفسير القرطبي 2 : 363 ، العجاب 1 : 483 – 484 .

26- ينظر : تفسير ابن كثير 1 : 230 ، العجاب 1 : 477- 478 .

27- جامع اليان 2 : 203 ، تفسير ابن كثير : الصفحة السابقة ، السنن الكبرى للبيهقي 9 : 45 ، المعجم الأوسط 6 : 20 ، العجاب : االصفحة السابقة ، مجمع الزوائد 6 : 317 ،

28- العجاب : الصفحة السابقة .

29- جامع البيان ، تفسير ابن كثير ، السنن الكبرى للبيهقي : الصفحات السابقة ، الترغيب والترهيب 2 : 311 ، شعب الإيمان 5 : 470 رقم 7093 ، العجاب 1 : 477 – 478 .

30- جامع البيان 2 : 203 – 204 ، العجاب 1 : 478 – 479 ، تفسير ابن كثير ، تحفة الأحوذي : الصفحات السابقة .

31- جامع البيان 2 : 205 .

32- ينظر : جامع البيان 2 : 204 – 205 ، تفسير النسفي 1 ، 95 ، أحكام القرآن للجصاص 1 : 327 ،الجواهر الحسان (تفسير الثعالبي) 1 : 151 ، زاد المسير لابن الجوزي 1 : 203 ، فتح القدير 1 : 93 .

33- جامع البيان : الصفحتان السلبقتان .

34- تفسير ابن كثير 1 : 230 ، العجاب 1 : 484 .

35- البرهان في علوم القرآن للزركشي 2 : 150 .

36- المصدر السابق 1 : 316 .

37- روح المعاني للآلوسي 2 : 77 .

38- السيل الجرار 4 :529 ، وينظر : نيل الأوطار 8 : 28 .

39- تفسير البيضاوي 2 : 147 .

40- ينظر : العجاب 1: 484 .

41- ينظر : الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي 2 : 127 – 128 ، الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي 4 : 206 – 207 ، الجرح والتعديل للرازي 87:5.

42- ينظر : معتصر المختصر 1 : 214 – 215 .

43- المصدر السابق 1 : 214 .

44- ينظر : الأنموذج في أصول الفقه لأستاانا الدكتور فاضل عبد الواحد : 35 – 44 .

45- ينظر : سنن أبي داود 3 : 12 رقم 2512 ، سنن الترمذي 5 : 212 رقم الحديث 2972 ، صحيح ابن حبان 11: 9 رقم 4711 ، المستدرك 2 : 302 رقم 3088 ، جامع البيان (تفسير الطبري) 2 : 321 و 202 – 204 ، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) 2 : 361 – 365 ، فتح الباري 8 : 185 – 186 ، العجاب 1 : 473 ، مصنف ابن أبي شيبة 4 : 208 و 6 :558 ، تحفة الأحوذي 8 : 250 ، السنن الكبرى للبيهقي 9 : 46 ، الزهد لابن المبارك 1 : 296 ، مسند أحمد 4 : 281 ، تفسير ابن كثير 1 : 531 ، مجمع الزوائد 5 : 328 ، المحلى7 : 294 ، سبل السلام 4 :51 .

46- ينظر : المصادر السابقة عدا المحلى ، وينظر : الكامل لابن الأثير 2 : 246 ، الفروع لابن مفلح المقدسي 6 : 189 ،الإنصاف للمرداوي 4 : 125 ، فتاوى ابن تيمية 25 : 279 ، المبسوط 24 : 154 ، أحكام القرآن (تفسير الجصاص) 1 : 327 ، عون المعبود 7 : 136 ، القوانين الفقهية : 99 ، السيل الجرار 4 : 529 ، نيل الأوطار 8 : 28 ، تعظيم قدر الصلاة 2 : 834 .

47- المبسوط : الصفحة السابقة .

48- تفسير القرطبي 2 : 363 .

49- فتح الباري : الصفحة السابقة .

50- الفروع لابن مفلح المقدسي : 6 : 189 .

51- المصدر السابق نفسه .

52- ينظر : تفسير ابن كثير 1 : 230 ، معتصر المختصر 1 : 214 .

53- ينظر : إرشاد الفحول 1 :366 .

54- تراجع هذه الأقوال بتفاصلها وهوامشها في المطلب الأول من هذا البحث في أدلة القول الأول والثاني .

55- سبل السلام 4 : 51 .

56- ينظر : أصول الشاشي : 394 ، قواعد الفقه للمجددي البركتي : 113 .

57- إعلام الموقعين 1 : 350 –351 .

58- المصدر السابق 1 : 353 .

59- تراجع هذه الأقوال وتفاصيلها مع هوامشها في المطلب الأول من هذا البحث .

60- رهقوه : - بكسر الهاء - دنو من موقعه وحاصروه . ينظر شرح مسلم 12 : 147 ، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير 2 : 283 .

61- أنصفنا أصحابنا : الرواية : - بسكون الفاء ، وفتح الباء – يقول النووي : (هكذا ضبطه جماهير العلماء من المتقدمين والمتأخرين ، ومعناه : ما أنصفت قريش الأنصار ؛ لكون القريشيين لم يخرجوا للقتال بل خرجت الأنصار واحدا بعد واحد وذكر القاضي وغيره أن بعضهم رواه ما أنصفنا – بفتح الفاء – والمراد على هذا : الذين فروا من القتال ، فإنهم لم ينصفوا ؛ لفرارهم) . ينظر : شرح مسلم للنووي 12 : 147 – 148 .

62- صحيح مسلم 3 : 1415 رقم 1789 باب غزوة أحد .

63- السن الكبرى للنسائي 6 : 158 رقم 10455 وسنن النسائي (المجتبى) 6 : 29 .

64- وفي سنده ضعف . ينظر : المستدرك 3 : 424 رقم 5612 ، سنن الترمذي 5 : 644 رقم 3739 ، مجمع الزوائد 9 : 149 ، سنن ابن ماجه 1 : 46 رقم 125 ، شرح سنن ابن ماجه 1 : 12 ، المعجم الكبير للطبراني 1 : 117 رقم 215 ، فتح الباري 7 : 362 فيض القدير 4 : 270 .

65- ينظر : تفسير ابن كثير 1 : 417 ، فتح الباري ، شرح سنن ابن ماجه ، فيض القدير : الصفحات السلبقة .

66- مصنف ابن أبي شيبة 4 : 223 ، فتح الباري 5 : 364 .

67- العرقوب – بضم العين – عصب خلف الكعبينبين مفصل القدم والسلق من الدواب ذوات الأربع ، ومن الإنسان فويق الكعب والعقر هو قطع قوائم الإنسان من نصف ساقه ، والمراد هنا أن جعفر رضي الله عنه قطع قطع قوائم فرسه حين أرهقه العدو وأيقن أنه مغلوب لئلا يظفر به العدو فيتقوى على قتال المسلمين . ينظر عون المعبود 7 : 172 .

68- معتصر المختصر 1 : 215 . وروى هذا الأثرأبو داود وغيره لكن أبا داود قال عنه : ليس بالقوي. ينظر : سنن أبي داود 3 : 230 رقم 2573 ، المستدرك 3 : 230 رقم 4932 ، مصنف ابن أبي شيبة 4 : 213 و6 : 540 و 7 : 414 .

69- ينظر مع المصار السابقة : عون المعبود 7 : 278 . طبقات ابن سعد 2 : 129 ،تاريخ الطبري 2 : 151 ، الإصابة 1 : 486 .

70- ينظر : أحكام القرآن للجصاص 1 : 327 .

71- المبسوط للسرخسي 24 :154 .

72- أحكام القرآن للجصاص 1 : 327 .

73- تفسير القرطبي 2 : 362 – 363 ، وينظر : تأريخ الطبري 2 : 414 .

74- تأريخ الطبري 2 : 279 – 282 ، الكامل لابن الأثير 2 : 246 .

75- فتاوى ابن تيمية 25 : 279 .

76- ينظر : الفروع لابن مفلح 6 : 189 .

77- المصدر السابق نفسه .

78- سبل السلام 4 : 51 .

79- ينظر القول الثامن وتفاصيله مع هوامشه في المطلب السابق .

80- ينظر : كشاف القناع 3 : 42 .

81- صحيح البخاري 4 : 1707 رقم 4376 باب الآن خفف الله عنكم ... الآية

82- ينظر : الإحكام في أصول الأحكام للآمدي 3 : 179 .

83- الفصول في الأصول للجصاص 2 : 276 .

84- الأم 4 : 169 .

85- الإحكام في أصول الأحكام – بتصرف – 4 : 488 – 491 .

86- تفسير القرطبي 8 : 45 .

87- المصدر السابق 169 – 170 .

88- ينظر : تاريخ الطبري 2: 26 و60 و93 و149 و150 و152 و 167 و309 و234 – 235 و283 ، الرياض النضرة 2 : 340 ، الظهور الإسلامي لعبد الملك الشيباني 370 .

89- مصنف ابن أبي شيبة 6 : 551 رقم 33747 .

القــات بين المصــلحة والمفـــسدة

د. عبد الناصر قاسم تعتاع *

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :فعلى الرغم من أن اليمن ليست الموطن الأصلي للقات ، إلا أنها تعد من أكثر البلدان إنتاجاً للقات ، واستهلاكاً له ، ويوماً بعد يوم تشهد أراضيها تزايداً مستمراً في زراعة القات حتى أصبحت المساحات المزروعة قاتاً تشكل نسبة كبيرة من إجمالي مساحة الأراضي الزراعية ، على حساب المزروعات الأخرى،مثل البن والعنب والفاكهة ، وغيرها .

وكان اليمني يسير برفقة القات منذ مئات السنين ، دون أن يلتفت إلى ما يمكن أن يسببه له هذا الرفيق من عاهات وآفات أخذت تستفحل مع مرور السنين والأيام ، إلى أن برز القات في العقود الأخيرة مشكلة ، بل مصيبة تقف وراء طوابير المرضى الذين يؤمون المستشفيات المحلية والعربية ، بل والعالمية ، غافلين أو متغافلين عن اليد الخفية التي تتحمل المسؤولية عن كل ما يحدث لهم سواء على مستوى صحتهم أم مجتمعهم أم ضياع ساعات أعمارهم بلا فائدة ترجى أو تذكر .

برزت هذه المشكلة وتفاقمت أكثر بعد أن حلَّ استخدام المبيدات القاتلة والبودرات المحرمة والممنوعة محل المبيدات الطبيعية مما حول هذه النبتة من عشبة مسالمة إلى وحش كاسر تتزايد شروره الصحية والاجتماعية والاقتصادية يوماً بعد يومٍ .

ظل القات قروناً طويلة محصوراً في وسط اليمن ، إلا أن وسائل النقل الحديثة تتحمل مسؤولية انتشاره والتوسع في تجارته وتعاطيه ، كل هذا دفعني إلى البحث والتنقيب ؛ طمعاً في حصر هذه المشكلة وإحصاء منافعها ومضارها لنضعها في الموضع الذي تستحقه دون زيادة أو نقصان .

ولا أزعم السبق في هذا ، فلقد سبقني الكثير من جهابذة العلماء والباحثين ، الذين كتبوا عن آثار القات الاجتماعية والاقتصادية والصحية ، لكن نادراً ما كنت أجد بحثاً يجمع بين مصالحه ومفاسده ، نظراً لتضارب الآراء حوله ، بين مؤيد ومعارض ، كما وجدت في هذه الأبحاث قلة التطرق إلى الأضرار الدينية .

---

*) أستاذ الفقه المساعد – كلية التربية النادرة – جامعة إب

قسمت هذا البحث إلى تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة :

المبحث الأول : المصلحة الحاصلة من القات ، وتناولت فيه فوائد القات الصحية والاجتماعية والاقتصادية .

المبحث الثاني : المفسدة الحاصلة من القات ، وتناولت فيه مفاسده الصحية ، والدينية ، والنفسية ، والاجتماعية، والاقتصادية .

المبحث الثالث :حكم القات ، وتناولت فيه رأي الفقهاء في القات تحليلاً أو تحريماً وأدلة كل فريق .

وضمنت الخاتمة أهم ما اشتمل عليه البحث من أفكار رئيسة وأبرز التوصيات التي تم التوصل إليها .

تمهيد:

القات:اسم لنبات أوراقه دائمة الخضرة ، ويأخذ أشكالاً عديدة من الأشجار الصغيرة والمتوسطة والكبيرة ، ولها جذوع رفيعة ومستقيمة ذات أوراق كثيفة متقابلة ، شكلها بيضاوي ومدببة في الرأس ، لونها أخضر فاتح لامع ، وتميل أوراق بعض أنواع القات إلى الاحمرار (القات المحمر) أو إلى اللون الأبيض (البياض)[1] .

والقات : نبات من الفصيلة السلسترية[2] ، يزرع لأوراقه التي تمضغ خضراء ، قليله منبه وكثيره مخدر ، موطنه الحبشة ويزرع بكثرة في اليمن ، ويسمى بشاي العرب[3].

قام بتعريف القات نباتياً عالم النبات السويدي (بيتر فور سكال) –أحد أعضاء بعثة كارستن نيبور الدانمركية الى اليمن والذي توفي في اليمن بمدينة يريم محافظة إب عام **1763**م – وأطلق عليه اسم كاثا ايدوليس وهو تابع لاسرة سلاستراسية النباتية[4].

والقات من النباتات الطبيعية ويوجد في شرق أفريقيا برياً بصورة جلية في عدد من المناطق الجبلية ، وكذلك يوجد في مدغشقر ، وأفغانستان ، وتركستان ، وأثيوبيا ، وكينيا[5].

وللقات أسماء متعددة فهو (القات) بالعربية ، و(جات) في الحبشة والصومال و(جيرا) أو (مارونجي) في كينيا[6].

وقد اختلف المؤرخون حول تاريخ دخول القات إلى اليمن فيرى البعض أن القات قد دخل قبل الإسلام مع حملة الأحباش عليها عام **525**م ،ويرى البعض الآخر أن ظهور القات في اليمن يعتبر حديثاً(بين القرن الحادي عشر والقرن السادس عشر) وأما طريقة دخوله إلى اليمن فهناك عدة أساطير منها : أن متصوفاً

حضرمياً يدعى إبراهيم بوزربين سافر إلى الحبشة حيث شاهد في إحدى جولاته قطيعاً من الماعز مستسلما لنوم عميق وفي فم كل عنزة بقايا ورق أخضر فجرب الشيخ عدة ورقات منها يوماً بعد آخر فأحس بنشوة فعمل الحضرمي على نقل هذه الأشجار إلى بلاده(7).

المبحث الأول

المصلحة الحاصلة من القات

بالرغم من المساوئ الكثيرة للقات إلا أن له فوائد بالرغم من أنها محدودة إلا أنه يجب علينا من باب الإنصاف أن نذكر مثل هذه الفوائد .

المصلحة فيه من الناحية الطبية

قيل إن القات يمكن أن يستخدم لعلاج بعض الأمراض لكن بدون سند علمي صحيح ومن هذه الأمراض [8]:

السمنة والسكري : فالشائع عند مستخدمي القات أنه يخفض مستوى السكر في الدم ويمنع الإصابة بالسكري . أما بخصوص تخفيف الوزن فإن نسبة **59**٪ يعتقدون بتأثيره على ذلك ، ومن الناحية العلمية فالقات يفقد الشهية وبالتالي تخفيف الوزن .

القات منشط للقدرة الذهنية : إن الايمفيتامين يستخدم كمنشط للقدرة الذهنية وكمنشط عام للجسم ، وتأثيره يكون له فائدة على الصبر على الأعمال المضجرة وهذا ما يحدثه القات فهو يرفع الحالة المعنوية ولكن لا يرفع القدرة الذكائية نفسها.

ويذكره البعض كنبات طبي وأنه نوع من المخدرات المنبهة ، وقد صنف مكتب المخدرات **D.E.A** القات في الجدول الرابع للمواد المخدرة كمنبه عام **1988**م لاحتوائه على مادة الكاثيون [9]. وكذلك يستخدم منقوعه في علاج الهستيريا والصرع ، وأوراقه المجففة تباع بالأسواق الأرتيرية لاستعمالها على شكل منقوع يمنع الإجهاد والنوم ، والجوع ، وكذلك يستخدم كوصفة طبية لخلل الأعصاب خاصة في الأمراض العصبية عند النساء [10].

كما أفاد بعض من يعانون من قرحة في المعدة بأن القات يخفف الآلام الناتجة عنها ولعل ذلك عائد إلى أن أوراق القات تخفض الحموضة في المعدة [11].

ومن فوائد القات أن له تأثيراً في تهدئة الألم، ويستخدمه البعض في حالات الألم المحدودة ومنها تهدئة ألم

الأسنان [12].

وفي كتاب (دحض الشبهات حول القات) بعض فوائد القات منها[13]:

1. يعد القات منعشاً للروح والنفس والعقل .
2. يعد القات وسيلة لزيادة الفهم وإبعاد الهموم والأتعاب التي تصيب الإنسان .
3. يساعد القات على إنجاز الأعمال ذات المجهود البدني أو الفكري .
4. يعد علاجاً ضد السمنة للذي يريد تخفيف وزنه .
5. يضعف الباءة للذي لا يستطيع الزواج فهو ينفعه .

المصلحة فيه من الناحية الاجتماعية

يعد الكثير من مستعملي القات أن له دوراً اجتماعياً ونفسياً كبيراً ؛ فبواسطة جلسات القات سواء أكانت للذكور أم للإناث يجدون فيه تقوية وتعزيزاً للعلاقات الاجتماعية ، خاصة المجموعات الصغيرة، من اللقاء الطويل والذي يستمر لساعات مما يشجع - ومن خلال المواد المنشطة التي يحتوي عليها الكاثينون - على الاسترسال في الكلام والأحاديث والتنفيس عن المشاعر وتبادل النصائح ، وتداول الآراء حول المشاكل والقضايا التي تواجه كل مستعمل للقات ومحاول إيجاد الحلول المناسبة لهذه المشاكل وهذا يعد نوعاً من العلاج النفسي الجماع [14].

ومن فوائد استعمال القات [15]:

1. إزالة الكسل والرغبة في النوم .
2. المساعدة على إنجاز بعض أعمال المنزل بالنسبة للمرأة .
3. الهروب من الواقع الممل والفراغ .
4. تكوين أصدقاء جدد .

وفي مجالس القات تدور الأحاديث حول الأدب والسياسة وحول مشاكل الساعة ويكون للأدب النصيب الأوفر .

فقد تفنن الشعراء والأدباء في وصف القات وتأثيره ومنهم عبد الله بن يحي شرف الدين [16]المتوفى عام

973هـ قال :

أدر غصـــــون يواقيـــــت القـــــات زبرجـــــــديات أوراق وريقـــــــات
يجلـــــو تناولـــــه قلبـــــي ورؤيتـــــه طـــــرفي وتحلـــــو بـــــه حـــــالي وأوقـــــاتي

وقال الشاعر الشعبي صالح محمد الأشول شاعر قضاء النادرة [17]:

قـــــم شـــــد خيلـــــك وســـــافر النـــــــادرة هـــــــي جميلـــــــة
شاتســـــــــــتريح في رباهـــــــــا جـــــــو الربيـــــــع في هواهـــــــا
لا بـــــــد لـــــــك ماتراهـــــــا مالـــــك مـــــن الوصـــــل حيلـــــة
القـــــــات مجنـــــــاه ذلحـــــــين نصـــــــــــدره بـــــــــــالملايين
محـــــــلى الســـــــمر في الـــــــدواوين تعـــــــال نســـــــمر قليلـــــــة

وقد حرص الشعراء الشعبيون على عدم ضياع جلسات القات سدى فتراهم يسجلون في دفاتر خاصة بأشعارهم كلما تطرق لهم من قصائد في أذهانهم وقت التخزين .

المصلحة فيه من الناحية الاقتصادية

مع وجود الآثار السلبية الكثيرة للقات فإن لها إيجابية اقتصادية فقد حقق القات فوائد اقتصادية على المستوى الفردي أو الجماعي؛ ذلك أن القات قد حقق تزايداً في الناتج المحلي .

وبانتشار القات فقد انتشرت وازدهرت صناعات أخرى جديدة كالمياه المعدنية والمشروبات الغازية والأكياس البلاستيكية وغيرها .

فزيادة الإقبال على القات أدت إلى ارتفاع سعره وبالتالي زيادة الربح والدخل للمزارع فأصبح هذا الدخل يشكل مصدر سيولة ولهذه السيولة أهميتها في الريف وتكمن هذه الأهمية بإقبال الفلاحين على شراء المولدات والحراثات والسيارات فضلاً عن ظاهرة التوجه الاستهلاكي العام السائد [18].

وبهذا التغير للريف نجد أن فيه إعادة توزيع الدخل والثروة على نحو ينتقل جزء من القوة الشرائية من المدينة إلى الريف والذي يؤدي إلى انتعاش الريف اليمني من الناحية العمرانية والسكن والطرق والكهرباء والتعليم ووسائل النقل وغيرها، وكذلك المساعدة في الاستقرار السياسي والاجتماعي، وخاصة في ظروف التسعينات

المتمثلة في إزالة الدعم عن السلع الأساسية ورفع أسعار الطاقة والجرعات المتتالية التي تم تنفيذها ، كل تلك الصدمات الاقتصادية والسعرية قد أسهمت في الدخول المتولدة من القات في امتصاص آثارها السلبية ، دون حدوث أية اضطرابات اجتماعية وسياسية تذكر [19].

المبحث الثاني :
المفسدة الحاصلة من القات مفاسد القات الطبية

أولاً : الضرر على الفم [20]

إن عملية تعاطي القات تبدأ أول ما تبدأ بالفم لذلك نجد أن هناك عدة آثار على الفم منها :

1. تقرحات اللثة الذي سببه مضغ القات بدون غسل جيد وكون القات معالجاً بالمبيدات .
2. زيادة سمك الغشاء المبطن للخد بسبب الخزن لفترات طويلة.
3. جفاف الفم .
4. اضطراب بسيط في عمل مفصل الفك؛ وذلك بسبب استخدامه المستمر لساعات طويلة.

ثانياً : تأثير القات على الجهاز الهضمي[21] .

نظراً لتركيبة القات المعقدة فهو يتسبب في أضرار واضطرابات في الجهاز الهضمي ومن هذه الأضرار :

1. الإمساك.
2. البواسير.
3. فقدان الشهية .
4. الالتهابات في المعدة .
5. سوء التغذية .
6. قرحة الاثني عشر.

ثالثاً : تأثير القات على القلب والأوعية الدموية[22] .

عملية استعمال القات لها الأثر الواضح على القلب فمتعاطوه يشعرون باضطراب في نبضات القلب ؛ وقد وجد كثير من المرضى وخاصة مرضى القلب يتركون مضغ القات عند إصابتهم بالأمراض لأنهم يشعرون مباشرة بتأثير القات.

رابعاً : الضرر الجنسي :

القات في البداية يوقظ الرغبة الجنسية بقوة ومع ذلك فإن مدمني مضغ القات يفقدون كل رغبة في النساء ويقذفون المني دون الجماع الجنسي.

التأثير على القدرة الجنسية (الانتصاب) لدى الرجل شيء متعارف عليه لدى مستعملي القات بإفراط وقد عرف هذا التأثير من زمن مبكر ، لذلك اعتبره الصوفيون من مميزات القات ، ويبرز هذا التأثير ممن يستخدمونه باستمرار في سن الخامسة والثلاثين أو الأربعين فلا يتمكنون من إرضاء زوجاتهم [23].

وفي دراسة علمية أجريت سنة **1983**م وجد أن **61**٪ من الذكور يذكرون أن القات مهبط للجنس وبالذات الأداء الجنسي بينما قال **18.8**٪ فقط من الذكور أن القات يحسن الأداء .

أما في الإناث فحوالي **75**٪ يذكرن أن هناك زيادة في الرغبة والأداء الجنسي .

وهكذا نجد أن الرأي الغالب أن القات يضعف العملية الجنسية عند الذكور ، ويعتمد أثر القات على العملية الجنسية على عدة عوامل منها : نوع القات ، فترة التعاطي ، عمر المتعاطي ، صحة المتعاطي [24].

على الرغم من اختلافات أنواع القات والكميات المتناولة منه فإنه يؤدي إلى اختلافات في مفعول القات إلا أن الغالبية من ماضغي القات يؤكدون ظاهرة التقلب الجنسي والأكثرية يشعرون بأن القات يسبب فتوراً جنسياً عاماً . ومن جانب آخر سجلت كثير من البحوث أن القات يؤدي إلى نقص في عدد الحيوانات المنوية وحركتها[25] .

وجد أن بعض المواد الكيميائية الموجودة في مكونات القات تقلل من إنتاج الحيوانات المنوية والتي تنتج في أنابيب الخصيتين ، وأن سبب التدفق اللا إرادي للحيوانات المنوية نتيجة تأثير مادة الكاثينون على الحبل الشوكي، وكذلك يسبب القات قلة كمية الحيوانات المنوية وتشويه عدد كبير منها مما يفقدها وظيفتها البيولوجية[26].

إن مضغ القات الذي يصاحبه غالباً الإفراط في التدخين ويتبعه أحياناً عند البعض تعاطي الكحول – لاريب – سوف يسبب عدم المقدرة على ممارسة الجنس آجلاً أم عاجلاً [27].

خامساً : أضرار القات على الحامل والمرضع

الحمل والرضاعة عندما يكونان طبيعيين فإنهما يعكسان جودة الرعاية الصحية في البلاد . وتعتبر دول العالم الثالث ومنها اليمن من أكثر الدول معاناة من سوء الحمل والرضاعة وهناك عوامل كثيرة في المجتمعات المختلفة تؤثر على الحمل والرضاعة وفي اليمن يتميز القات بسطوته على جميع مناحي الحياة وعلى الأخص احتمال

تأثيره على الحمل والرضاعة .

وجميع النتائج التي أجريت على الفئران والخنازير تدل على أن القات لديه صفات مثيرة للتشوهات الخلقية والسمية على الأجنة [28].

تشير نتائج عدد من الدراسات إلى أن للقات عدداً من الآثار السلبية على صحة الفرد عامة والمرأة الحامل خاصة ؛ فالنساء اللواتي يتزوجن في سن صغيرة ويتناولن القات يكن أكثر عرضة للوفاة المرتبطة بالولادة . فالقات يؤدي إلى فقدان الشهية ، وقلة النوم ، مما يزيد ولادة طفل ضعيف الوزن يظل يعاني من سوء التغذية في طفولته ومن ثم يغدو أضعف من المعتاد عند سن الرشد [29].

إن مواد القات وبالأخص القلوية منها، والتي لها شبه كبير بمواد الإمفيتامين الدوائية من حيث التركيب والفعل بإمكانها اجتياز حاجز المشيمة إلى الجنين وهي تستخدم أيضاً لإقلال الشهية وتخفيف الوزن، فهذه المواد يشار إليها بإصبع الاتهام في القيام بتشويه الأجنة .

وهناك أضرار غير مباشرة للقات ، وهي تعتبر أشد ضرراً كسوء التغذية فهو أثناء فترة الحمل يؤثر سلباً في النمو الطبيعي للكائن البشري ويؤدي إلى حدوث آفات خلقية والإجهاض المبكر والعقم .

ويلجأ اليوم الكثير من مزارعي القات إلى استعمال المبيدات لرش أغصان القات والمقادير البسيطة التي تتناولها الأم الحامل المتعودة على مضغ القات باستمرار قد تتراكم في جسمها وتقود إلى آثار قد تكون عواقبها وخيمة على صحة الأم وجنينها . وجميع الجلسات لا تخلو سماؤها من سحب دخان التبغ فالأم يتعرض جنينها لأثر التدخين الضار كحدوث الولادة المبكرة ، وبطء نمو الجنين أو انخفاض وزنه [30].

والأم المرضع تنصح بالابتعاد عن القات لأنه إحدى المواد التي تقلل من إدرار اللبن عند المرضع [31].

مفاسد القات الدينية

إن الدين الإسلامي حريص على سلامة الفرد والمجتمع ، لذلك نجد أن الأحكام الشرعية إما أن تكون الحكمة من تشريعها جلب مصلحة لهذا الفرد أو درء مفسدة عنه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : (لا ضرر ولا ضرار)[32] .والحديث صحيح [33].

والشريعة الإسلامية جاءت بالمحافظة على المصالح الضرورية للناس وهذه المصالح هي : الدين ، والنفس ، والعرض ، والمال ، والعقل ، والدليل على أن الشريعة جاءت محافظة على هذه الضرورات الخمس أنها حدت حدوداً لها فالذي يريد الاعتداء على هذا الدين فالله شرع الجهاد محافظة عليه ، والذي يريد الاعتداء على النفس فالله شرع القصاص ، والذي يريد الاعتداء على العرض شرع الله حد الزنا، والذي يريد الاعتداء على المال

شرع الله حد السرقة ، وهكذا .

ولا شك أن لمضغ القات أضراراً بليغة على الدين والنفس والعرض والمال والعقل .

فكم من واجبات دينية يتركها أو يهملها ماضغ القات كتركه الصلاة أو تأخيرها عن موعدها أو معصية والديه وعدم البر بهما أو قطع لصلة الرحم ، وكم من معاص يقترفها المخزن أثناء تعاطيه القات كالتدخين والخوض في أعراض الناس وقد قال تعالى : ({أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ} [34]

أليس في كل هذا ضرر بالدين ؟

وكم من الأعراض العضوية والنفسية التي تصيب متعاطي القات أليس في هذا ضرر على النفس والعقل ؟

وكم من الليالي يقضيها المتعاطي في السهر بعيداً عن زوجته وأولاده مما يتسبب في ضياع حقوق الزوجة والأولاد ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول:(...ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته،فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه،ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[35]. أليس فيه ضرر على العرض والنسل ؟

كم من المبالغ يصرفها متعاطي هذه النبتة ؟ ، وأسرته بأمس الحاجة إلى هذا المال .أليس في ذلك ضرر على المال ؟ .

ألا يلحق القات الضرر المباشر بهذه الضرورات الخمس التي حرص الإسلام على الحفاظ عليها ؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم :(لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيما فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه،وعن جسمه فيما أبلاه).وقال حديث حسن صحيح .[36]

مفاسد القات النفسية

إن التأثير المنشط للقات على الجهاز العصبي ناجم عن الكاثينون المادة الفعالة الرئيسة في ورقة القات الطازجة ، وهذا التأثير يكون في البداية فقط،ولكن بعد الساعات الثلاث الأولى يحل محل النشاط الآتي :

1. انفصام الشخصية وخاصة لمن يتناول صباحاً ومساءً .
2. اضطرابات في المزاج .
3. قلق واكتئاب .

4. بعد الانتهاء يشعر المتعاطي بالأرق ، وقلة الرغبة في النوم ،وألم في الرأس ، وأحياناًسرعة الانفعال والاندفاع غير الموزون في التصرفات خاصة لدى الأفراد الذين لديهم ظروف أسرية غير مستقرة ، وهؤلاء ينصح أن يبتعدوا عن القات.[37]

مفاسد القات الاجتماعية

تلعب جلسات القات اليوم دوراً مهماً في حياة كل اليمنيين؛ فالقات يشكل اليوم قيمة اجتماعية كبيرة فيا ترى ماهو الأثر الاجتماعي للقات بالنسبة للرجل والمرأة والأسرة ؟

بالنسبة للرجل :

فالموظف ذو الدخل المحدود ماذا يفعل إذا أراد أن يأكل ويلبس ويسكن هو وعائلته بالإضافة إلى القات كيف سيحصل على كل هذا! ؟ إذن قد يضطر إلى عمل المخالفات القانونية كالسرقة والرشوة حتى يحصل على ما يريد وللأسف هذا هو الواقع الموجود في البلدان التي تنتج هذه النبتة وبالتالي أدى إلى تدهور القيم الأخلاقية للأفراد .

والفرد غير القادر على تربية أسرته وتناول القات نجده يحاول الهجرة للخارج بعيداً عن القات ، وهذا بدوره يؤدي إلى نقص العمالة في البلاد.

بالنسبة للمرأة :

مثل هذه المجالس تعمل على تكريس الفروق الاجتماعية داخل المجتمع النسوي في اليمن هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فالمرأة بحضورها مجلس القات تصبح أسيرة لعادات سيئة غير تعاطي القات كالتدخين والشيشة وإهدارها لوقتها بما لا يعود عليها ولا على أسرتها بالنفع والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (... والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم...)الحديث [38].

بالنسبة للأسرة :

من خلال تمهيدنا لهذا البحث عرفنا أن الدول التي ينتشر فيها القات في الغالب هي دول نامية أي أن أغلب أفرادها محدودو الدخل ، فعندما يستهلك رب الأسرة من هذا الدخل المحدود ما الذي يبقى ليصرف في الاحتياجات الضرورية للأسرة ؟ فهو يستنزف دخل الأسرة .

وخروج رب الأسرة لمضغ القات لساعات طويلة يومياً عن البيت ماذا تكون نتيجته ؟ والطامة الكبرى عندما تخرج ربة البيت كذلك ، فما هو مصير بقية أفراد الأسرة الذين يتركون بدون رعاية ولا رقيب ولا توجيه .

إن استعمال القات يعمل على تفكك الأسرة وانحلالها فكثيراً ما تحدث المشاكل ما بين الزوج والزوجة

بسبب القات ، وذلك عندما ترى الزوجة أن زوجها يشبع رغباته الشخصية على حساب أولاده والحاجات الضرورية للبيت مما يؤدي إلى تفكك الحياة الاجتماعية ثم الطلاق . فأين نحن من هديه صلى الله عليه وسلم عندما قال :(... والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم ... الحديث) [39].

مفاسد القات الاقتصادية

ترك القات آثاراً عميقة على جميع اقتصاديات اليمن ولقد تأثرت الزراعة أكثر من غيرها حيث إن تخصيص الأراضي الزراعية الخصبة ، والجهد المبذول في إنتاج هذا النبات يعيق تطوير الزراعة في محاصيل أخرى والبلاد في أمس الحاجة لها؛ فارتفاع أسعار القات جعل كثيراً من المزارعين يبتعدون عن زراعة البن والعنب والفاكهة والخضراوات وعادة ما يبرر المزارع اليمني اقتلاعه لشجرة البن وزراعة القات مكانها بأن إيراد شجرة البن السنوي **60**ريال يمني فقط-طبعاً هذه دراسة قديمة- بينما شجرة القات قرابة **1000**ريال يمني سنوياً [40].

و من أخطر الآثار الاقتصادية الضارة المترتبة على التوسع في زراعة القات ما يتعلق باستنزاف المياه الجوفية وتناقص الاحتياطات من المياه الجوفية فيصل حجم المياه التي يتم استهلاكها في زراعة القات حوالي **55**٪ من إجمالي استهلاك المياه ، وهي نسبة كبيرة تهدد مستقبل احتياطي المياه الجوفية في مناطق المرتفعات المتوسطة والشمالية [41].

كذلك عملية مضغ القات تؤدي إلى انخفاض إنتاجية الاقتصاد ، ويتمثل ذلك في إضاعة ملايين من ساعات العمل التي كان يمكن استغلالها في عملية الإنتاج وخلق قيمة مضافة [42].

إن هجرة السكان اليمنيين في سن العمل إلى خارج بلدهم يؤدي لأخطار كبيرة أقل ما فيها أنه يحرم اليمن من سواعد أبنائها التي يمكن الاعتماد عليها في تنمية المجتمع وتطويره [43].

ومن الآثار السيئة للقات اقتصادياً [44]:

1. زيادة الواردات الزراعية وشراؤها بالعملة الصعبة .
2. إهدار دخل الفرد والأسرة .
3. زيادة أسعار السلع الأخرى .
4. قلة الادخار والاستثمار .

ومما يجب ملاحظته على مساوئ القات كثرة مخلفات القات وخاصة الأكياس البلاستيكية التي تضر ضرراً كبيراً بالبيئة ، والمنظر العام للمدن ،وكذلك تعثر سير المركبات والمشاة في أماكن تواجد القات ، ويتبع ذلك ضجيج ومضايقات كثيرة للمواطنين والسكان وحركة المرور .

المبحث الثالث :
حكم القات وفيه مطلبان :

القات من النباتات التي تصنف ضمن المنبهات والمنشطات ، وعند تعاطيه يشعر المتعاطي بالنشوة وتتقد الحواس ثم تهبط الطاقة الفعلية ويتبع ذلك ضعف التركيز واختلال الإدراك ثم الكسل والخمول وفقدان الشهية والوهن .

ويعتبر القات من أعقد المشكلات الفقهية التي واجهت الفقهاء فبعض الفقهاء من وقف غير قادر على البت لا بالتحريم ولا بالتحليل ومن هؤلاء العلامة أحمد بن حجر الهيثمي الذي كتب رسالة عن القات سماها: (تحذير الثقات عن أكل الكفتة والقات) ويقول في رسالته :والحاصل أني وإن لم أجزم بتحريمه على الإطلاق لما علمت مما قررته ووضحته وبينته وبرهنت عليه بالأدلة العقلية والنقلية ، لكني أرى أن لا ينبغي لذي مروءة أو دين أو ورع أو زهد أو تطلع إلى كمال من الكمالات أن يستعمله لأنه من الشبهات لاحتماله الحل والحرمة على السواء... فيكون من الشبهات التي يتأكد اجتنابها لقوله صلى الله عليه وسلم(ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه) [45] [46] ومنهم من يرى تحريم القات تحريماً قاطعاً ويرى البعض الآخر بأنه حلال ، لذلك سنتناول في هذا المبحث مطلبين الأول : من قال بإباحته وأدلتهم ، والثاني : من قال بتحريمه وأدلتهم .

المطلـــب الأول
القائلون بإباحته وأدلتهم

الملاحظ أن معظم فقهاء اليمن باختلاف مذاهبهم كانوا يدافعون عن القات ، وأنه غير محرم ويقفون ضد الفتاوى التي كانت تظهر بين وقت وآخر خارج اليمن وبالرغم من اختلاف المذهبين المنتشرين في اليمن الزيدية والشافعية حول بعض القضايا الفقهية فإنهم يتفقون على أن القات غير محرم حتى وإن كان له بعض المضار لكنها لا تخل بالعقيدة [47].

ومن المبيحين له:[48]

الشيخ علي بن عمر الشاذلي [49].

العلامة عبد الرحمن بن زياد المقصري المتوفيسنة**970**[50][51].

العلامة جمال الدين بن كبن الطبري المتوفيسنة**842**هـ [52].

العلامة أحمد بن عمر المزجد المتوفى سنة**931**هـ[53][54].

العلامة أحمد بن الطيب بن شمس الدين الطبنداوي [55][56].

العلامة يحي بن الحسين بن قاسم بن محمد [57][58].

الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني [59][60] .

شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني [61][62].

القاضي يحي لطف الفسيل [63].

القاضي محمد بن يحي المطهر [64][65].

أدلتهم في إباحته والرد عليها[66] :

1. قال تعالى : {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ} [67]

فالتحليل والتحريم من غير دليل يستند إليه أمر خطير.

القائلون بتحريم القات يستندون إلى أدلة شرعية ويسترشدون بالآيات الكريمة والقواعد الفقهية المعتبرة .

2. قال تعالى : {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً }[68] فهو دليل على إباحة القات عملاً بالقاعدة الفقهية : (إن الأصل في الأشياء الإباحة) .

القات لا يدخل في دائرة الآية والقاعدة الشرعية إذ أن مجال إعمالهما خاص بالأشياء التي لا يحدث منها الضرر وقد استعرضنا الأضرار الجسيمة الخاصة والعامة التي تترتب على استعمال القات وهذا معترف به حتى عند المبيحين له.

3. يحدث لآكله روحنة وطيب وقت ، وتقوية على الأعمال ، وإعانة على السهر ، والتقوي على طاعة الله ، وهو وسيلة إلى الدقة في العمل والتفنن في القول والإبداع في الصنع.

هذه الأحاسيس والمشاعر كلها يمكن تحصيلها من أشياء أخرى لا شك في إباحتها كالشاي والقهوة وغيرها من المنبهات ، كما أن المسلم مكلف بأداء واجباته في كل الأحوال ولنا في السلف الصالح خير مثال فقد فتحوا الدنيا وارتقوا العروش وكانوا يؤدوا واجباتهم على خير صفة وأكمل وجه بدون الحاجة إلى ما يثير النشاط . ومن المعروف أنه لا يجوز أن نستخدم المفسدة لنتوصل بها إلى المصلحة لأن (درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة) .

4. استعمال القات يؤدي إلى قلة شهوة النكاح لمن لا يستطيع النكاح .ألا يوجد غير القات لتخفيف شهوة النكاح وفي الهدي النبوي الوسيلة الناجعة لذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم :(يا معشر الشباب من

استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)[69].

5. اليمنيون يتعاطون القات منذ مئات السنيين وبينهم كبار الفقهاء والعلماء ، ولو كان فيه حرمة لأنكروه وأعلنوا تحريمه ولكنهم رأوه حلالاً حسب الأصل في الأشياء ، وأن الله سبحانه لم يحرمه لا نصاً ولا إيماءً فقد قال تعالى : {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ } [70] .

يقول العلامة يوسف بن يونس المقري : ظهر القات في زمن فقهاء لا يجسرون على تحريم ولا تحليل ولو ظهر في زمن الفقهاء المتقدمين لحرموه فسكوت الفقهاء في هذه الحالة ليس حجة [71].

6. لم يجد أهل اليمن في القات أنه يغير العقل أو البدن بل إن الذي يتعاطاه يعلم ما يقول ويفهم ما يقال له، بل هو وسيلة إلى زيادة الفهم واستجماع الفكر وإنعاش النفس لاستحضار ما قد تنسيه الهموم والمتاعب .

الذي ثبت بالتجربة أن القات يمسخ الخلقة ويغير الحال المعتدلة في الخلق والخلقة ومتعاطيه تركبه الهموم والغموم وسوء الأخلاق .

7. القات منبه مثل الشاي والقهوة ، ولو أن في اليمن كله شخصاً يقول : إن في القات سكراً سالباً للحس والإدراك لعده الناس مجنونا أو مفترياً فالقات منعش للروح والنفس والعقل ، والمخدرات منهكات للعقل والحس والإدراك وكثير ممن يتناول القات مدة ثم يتركه لايدمن عليه.

لا نريد أن نقيس القات على الخمر في السكر ولكن يمكن قياسه على الخمر بجامع الضرر الذي يحققه كل منهما على صحة الإنسان وعقله وماله ودينه والقاعدة الشرعية : لا ضرر ولا ضرار .

8. من المعلوم أصوليا وفقهياً أن الأحكام المترتبة على علم الحاكم أقوى من المترتبة على رواية الغير ، وكثير من الثقات جربوا القات وتأكدوا من أنه لا يحصل منه تفتير ولا تخدير .

من الثقات أيضا من جرب القات وخبره وأكد على حصول التفتير والتخدير بسببه والمعروف أن القات يحدث حرارة في الجسد ثم تنكسر هذه الحرارة وهذا هو الإفتار بعينه .

9. للقات فوائد اجتماعية فأرباب المهن والشركات يجتمعون ويتدارسون أحوال مجتمعاتهم بدلاً من النوم وإهدار الأوقات التي لا تعود بفائدة .

لا بأس بقليل من النوم وقت القيلولة ليستعيد الجسم نشاطه وحيويته فيتم تدارس أحوال المجتمع وغيرها بشيء من الدقة والتركيز دون الحاجة إلى القات أو غيره من المضرات ولو استغل الوقت الذي يبحث فيه عن القات كل يوم لعرفنا قيمة الوقت المهدور.

10. للقات فوائد اقتصادية خاصة على الريف إذ تعيش عليه أغلب الأسر .

ما نسبة المستفيدين اقتصادياً إلى العدد الكلي للسكان !؟ وهذا ما أدى إلى وجود عجز كبير في الناتج المحلي من المنتجات الزراعية وزيادة الواردات من السلع الزراعية .

المطلب الثاني
القائلون بتحريمه وأدلتهم

ذهب بعض العلماء إلى تحريم القات منهم [72]:

1. **العلامة العراقي إبراهيم بن عبد الرحمن الكركي [73].**
2. **العلامة حمزة بن عبد الله الناشري [74][75].**
3. **عالم المدينة المنورة الشيخ محمد حياة السندي [76] .**
4. **عالم نجد اليمن الحسين المهلا [77].**
5. **العلامة علوي بن أحمد السقاف [78].**
6. **الفقيه أبو بكر بن ابراهيم المقري الحرازي الشافعي [79].**
7. **الإمام يحي شرف الدين بن شمس الدين [80][81].**
8. **سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة سابقاً [82] .**

أدلتهم في تحريمه[83] :

أصحاب هذا الاتجاه يقولون : **القات أكله وزراعته وبيعه وشراؤه حرام بدليل الآتي :**

1. **قال تعالى : (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ) [84] فكل خبيث حرام سواء في المأكل والمشرب والنكاح، ولو جئنا نقارن بين شجرة القات وبين المأكولات الطيبة النافعة الأخرى التي أحلها الله لوجدنا أن الضرر في القات أغلب من منافعه .**
2. **قال تعالى : (وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) [85] (وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) [86] وتعاطي القات يؤدي بالإنسان إلى الهلاك عاجلاً أم آجلاً . فالمرء يتسبب بقتل نفسه ؛ والإنسان لا يملك حياته إنما هي ملك لله فلا يجوز استعمالها في غير طاعة الله .**
3. **قال تعالى:({وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا} {إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} [87] وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال وكثرة**

السؤال وإضاعة المال [88]. وقد نهانا الله عن التبذير ، وبذر المال : فرقه إسرافا[89] .وقد قرن المبذرين بالشياطين .

4. قال صلى الله عليه وسلم : (لا ضرر ولا ضرار)[90] فكل شيء يضر بالنفس أو الغير فهو محرم والقات – باعتراف الجميع – مضر بصحة الإنسان . والنفع يناسب التحليل والضرر يناسب التحريم .
5. نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر[91] .هذا الحديث ضعيف[92]لا يستدل به.
6. أنه يضيع الوقت في عبث فارغ لافائدة ترجى من ورائه .
7. أنه سبب في البعد عن ذكر الله وعبادته .
8. أنه محطم للقوة البدنية والعقلية والنفسية .

واستعرضوا غير هذا من أدلة التحريم كثير .

وأقول :

إن الله تعالى ما شرع حكماً إلا وفيه مصلحة للعباد ، وهذه المصلحة إما أن تكون بدرء مفسدة أو جلب مصلحة . وأحكام الله في القرآن نوعان :

الأول : الأحكام التفصيلية ، وهي قليلة كالمواريث ، والعقوبات .

الثاني : الأحكام المجملة وهي ذكر القواعد و المبادئ العامة للتشريع ، والتي تكون أساس التشريع ، وتفريع الأحكام . والحكمة من ذلك أن مجيئها على هذا النحو يجعلها تتسع لما يستجد من الحوادث ، فلا تضيق بشيء أبداً. والمستعرض لمصالح القات ومفاسده يجد أن مفاسده ومضاره تطغى على محاسنه ومصالحه ، ودرء المفسدة مقدمة على جلب المصلحة ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : ((لا ضرر ولا ضرار))[93]، وقد أثبتت التجارب والأبحاث : أن القات هو الضرر بعينه ، فتحريمه لغيره يترجح على تحليله ، والله أعلم .

خاتمة:

القات في اليمن محور أساس تدور حوله معظم المعاملات والعلاقات ، ولذلك تدخلت وتشعبت ثقافته في المجتمع اليمني ، وسيطرت على مضامين النشاطات الاجتماعية ، وجميع نواحي الحياة اليمنية ، وبسبب ذلك كله أصبحت عادة مضغ القات مشكلة ذات جذور عميقة وجوانب متشعبة لا تقتصر على فئة أو طبقة دون غيرها بل تحولت من عادة لتصبح تقليداً اجتماعياً لتنظيم العلاقات الاجتماعية بين الناس، ومسألة حدوث أي تغير في هذه العادة والحد منها يرتبط بالفئات الفاعلة القادرة على التغيير ، وبوجود الرغبة الحقيقية في التغيير ، وهذا ليس بالأمر الهين بل يتطلب بعداً في النظر، ودراسات شاملة ، وسياسة تتوخى المرونة والحذر ... ومن هنا كان هذا البحث بمثابة توعية لمتعاطي القات ، وتبصيراً له بمفاسده الكثيرة التي تضيع بجانبها مصالحه القليلة .

التوصيات :

1. إن القات أصبح الآن منتشر وبشكل كبير لم يعد ينفع معه نصح المزارعين الجشعين الطامعين بالإغراء المادي المتزايد ، وإرشادهم إلى حماية المواطن لم يعد مقبولاً ، وبالتالي لم يبق سوى تحذير الناس وإرشادهم إلى الإقلاع أو الحد من هذا الخطر ، بل والمساعدة الفاعلة في مقاومته وأن هذا هو السبيل الناجح إلى حماية أرضهم ومجتمعهم من هذا الخطر الذي تتزايد شروره وتتفاقم حدته يوماً بعد يوم.

2. أن تتحمل وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية التوعية العلمية الصحيحة الهادفة إلى المحافظة على صحة الإنسان والبيئة والأرض ، والمشاركة في مقاومة هذا الخطر الذي يهدد الإنسان والأرض والصحة والمال .

3. وضع القوانين الصارمة التي تمنع من انتشار القات أو التوسع في زراعته أو تعاطيه في الدوائر الرسمية والمؤسسات الحكومية ، والمنع من تهريبه إلى الدول المجاورة طمعاً في تحقيق المكاسب المادية والتي ينتج عنها زيادة سعره على المواطن اليمني .

4. أن تقوم الجهات المسئولة بدعم المشاريع الزراعية الأخرى غير القات ، وتشجيع المزارعين عن طريق تقديم المساعدات والمعونات المادية والإرشادية .

5. العمل على تنشيط التوعية الدينية في المساجد والمدارس والجامعات .

6. رعاية الشباب من كلا الجنسين عن طريق إنشاء النوادي الرياضية والثقافية ملأً لأوقات الفراغ ودرءاً لمفاسده.

وأخيراً : أدعو كل من يهمه أمر هذا البلد الخير من مسئولين وقياديين ومواطنين ومقيمين إلى العمل على تخليصه من هذا الخطر الداهم والشرر المتفاقم حتى يكون بلداً طيباً يخرج نباته بإذن ربه ، وحتى يكون يمناً سعيداً بصحة أبنائه وأرضه ومجتمعه واقتصاده .

الهوامش

(1) – ينظر : الموسوعة اليمنية :مؤسسة العفيف الثقافية ، (3 / 2305) .

(2) – تحتوي هذه الفصيلة على حوالي (40) جنساً و (400) نوعاً ، وهي موزعة في جميع أنحاء العالم ومنها نباتات سامة وأخرى طبية . Revri,R.,1983.Catha edulis . Forsk, 148-152.

وانظر : أثر القات على وظائف الكبد والكلى ...ص15-16 .

(3) – المعجم الوسيط : مجموعة مؤلفين ، مادة (قات) ، 2/ 765 .

(4) – ينظر : الاضطرابات العصابية لدى متعاطي القات وغير المتعاطين في البيئة اليمنية ، ص40.القات في اليمن :د/ عباس فاضل السعدي ص5 .

(5) – القات : د/ حمد المرزوقي ، د/ أحمد نبيل أبو خطوة ، ص14 .

(6) – ينظر : دراسة استطلاعية لظاهرة القات في بعض الأقطار العربية :جامعة الدول العربية ، ص8.

(7) – ينظر : في التراث الشعبي اليمني : حسين صالح با صديق ، ص81 .الموسوعة اليمنية :(3/ 2308).القات في حياة اليمن واليمانيين : ص54–55

(8) – ينظر : القات والطب :د/ محمد عوض جبير ، ص51–60 ،ينظر : دراسة تأثير المستخلصات النباتية للقات والشاي الأخضر على فعالية أنزيمي ACHE و MAO في لأمصال مرضى السكري والكآبة :رسالة دكتوراه مقدمة من الطالب : منصور محسن محمد السدح ،ص9–10.

(9) – Muses , Charles Cathaedulis p.3.

(10) – ينظر : القات : د/ حمد المرزوقي، د/ أحمد نبيل أبو خطوة،ص48–49 .

(11) – ينظر : القات السلوى والبلوى : محمد أحمد الرعدي ، ص58 ، القات في اليمن :عباس فاضل السعدي ، ص55.

(12) – ينظر : أثر القات :محمد عوض سعيد باجبير ، ص51.

(13) – ينظر:دحض الشبهات حول القات:يحي لطف الفسيل : ص 6 ، 7 ، 14 .

(14) – ينظر : دراسة استطلاعية لظاهرة القات في بعض الأقطار العربية ، ص74.

(15) – ينظر المرأة والقات في اليمن : د / بلقيس ابراهيم الحضراني ، القات (نظرة متكاملة لمحاور القات وآثاره) : أ . د / أحمد محمد الحضراني ، ص94–95.

(16) – عبد الله بن يحي بن شرف الدين : أديب له شعر، من أعيان صنعاء في اليمن ، صنف الدراري المشرقات في بواهر المخلوقات ، منظومة في وصف صنعاء وضواحيها (430) بيتاً . الأعلام (4/ 145).

(17) – انظر: ديوان وادي بنا : للشاعر محمد الذهباني ، مطابع القلم – تعز ، 1970م

(18) – ينظر : بعض الملامح الاقتصادية للجمهورية العربية اليمنية : أحمد حبيب رسول (م11 / 97) ، ينظر: الخطة الخمسية الاولى (76/ 77م–80/ 81م)تحليل الوضع الراهن ، الكتاب الثاني ، ص25 .

(19) – ينظر : فنون الأدب الشعبي في اليمن : عبد الله البردوني ، ص300.

(20) – ينظر : القات في الطب والشرع : ص37–40.

(21) – ينظر : القات في حياة اليمن واليمانيين : ، ص211 ، القات والطب : د/ محمد عوض باجبير ، ص44 .

(22) – ينظر : القات والعقم وانفصام الشخصية : ص60 ، ينظر : القات والطب : ص46 .

(23) – ينظر : دراسات يمنية : د / عباس فاضل السعدي ، ص104.

(24) – ينظر : آثار القات على أجهزة الجسم : أ.د / أحمد محمد الحضراني ، القات (نظرة متكاملة لمحاور القات وآثاره) ص231 .

(25) – ينظر : القات والطب : ص30 .

(26) – ينظر : القات بين الطب والشرع : ص22 .

(27) – ينظر : القات والعقم : ص26 ،القات وآثاره السلبية على الصحة وخاصة عند الأطفال : د/ عباس علي زبارة ، د/ معتصم صبري ، ينظر : القات (الظاهرة –المشكلة والآثار) ص105 .

(28) – ينظر : القات والطب : ص32–34 ، ينظر : أثر القات : محمد عوض سعيد باجبير ص37.

(29) – ينظر : المرأة اليمنية ومجالس القات : نجاة محمد صائم خليل ، ص105–106.

(30) – ينظر : القات والعقم : ص40–42.

(31) – ينظر : مجلة اللانست الطبية : ص533 .

(32) – سنن ابن ماجة : باب ما بنى في حقه ما يضر جاره ، حديث رقم :2341 ، ص335 . سنن البيهقي الكبرى ،حديث رقم 11166،باب لا ضرر وضرار، (6/ 69) .

(33) – انظر : السلسلة الصحيحة للألباني ، حديث رقم 1712، ص304.

(34) – سورة الحجرات : آية (12)

(35) – صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، حديث رقم:1829 كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل،(3/ 1459)

(36) – سنن الترمذي : باب في القيامة ، حديث رقم : 2417 ، ص544–545 . والمعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، حديث رقم : 7576 ، (7 / 307) .

(37) – ينظر : النور : العدد 132 ، ربيع الثاني ، 1423هـ ، 6/ 2002م ، ص13، أضرار القات في الجمهورية اليمنية : ص19–20 ، ينظر : القات والعقم : ص27–27 .

(38) – صحيح مسلم : حديث رقم : 1829 ، كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل....، (3/ 1459) .

(39) – صحيح مسلم : حديث رقم : 1829 ، كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل....،(3/ 1459) .

(40) – ينظر : التخصص الاقتصادي للزراعة بالجمهورية العربية اليمنية : عادل ابراهيم هندي ، ص52 .

(41) – ينظر : الموسوعة اليمنية :(3 / 2311) .

(42) – ينظر : القات بين الطب والشرع : ص34–36 .

(43) – ينظر : – مشكلة الهجرة في الجمهورية العربية اليمنية : أبو بكر السقاف ، العدد الرابع ، ص64 .

(44) – ينظر : الجوانب الاقتصادية لظاهرة القات في اليمن:د/ علي علي الزبيدي،القات(نظرة متكاملة لمحاور القات وآثاره): ص137 .

(45) – صحيح البخاري:باب فضل من استبرأ لدينه ، حديث رقم 52 ،(1/ 28).

(46) – ينظر : ثلاث رسائل في القات : عبد الله الحبشي ، ص33.

(47) – ينظر : القات في الأدب اليمني والفقه الإسلامي:أحمد المعلمي، ص153.

(48) – ينظر: موقف الفقهاء من القات د/ عبد المؤمن شجاع الدين ص24–25.

(49) – علي بن عمر بن إبراهيم القرشي الصوفي الشاذلي ، متصوف يمني ولد سنة 755هـ ، بالقرشية السفلى من وادي رمع في زبيد ، له كتاب : العنوان في الاحتراز من مكايد النسوان ، وتوفى بالمخا سنة 828هـ ، انظر : الأعلام للزركلي : (4/ 316) .

(50) – تنبيه ذوي الإفهام بأن الأصل في الأشجار الإباحة وليست من قسيم الإحرام : عبد الله بن علي العمودي الصديقي ، من كتاب القات في الأدب اليمني والفقه الإسلامي للمعلمي ، ص136 ، 144 .

(51) – عبد الرحمن بن عبد الكريم بن إبراهيم ، ابن زياد الغيثي المقصري – نسبته إلى المقاصرة من بطون عك بن عدنان – أبو الضياء: فقيه شافعي من أهل زبيد مولداً ووفاة ، وكف بصره سنة 964هـ ، واستمر في تدريسه ، له (الفتاوى) ونحو ثلاثين رسالة مخطوطة من عبادات ومعاملات انظر : الأعلام للزركلي ، (3/ 311).

(52) – ينظر: تحذير الثقات عن أكل الكفتة والقات . تحقيق / عبد الله محمد الحبشي ص26.

(53) – أحمد بن عمر بن محمد السيفي المرادي المذحجي الزبيدي ، صفي الدين المعروف بالمزجد ، قاض من فقهاء الشافعية بتهامة اليمن . مولده ووفاته في زبيد ، ولي قضاء عدن ثم قضاء بلده . له في فقه الشافعية (تجريد الزوائد وتقريب الفوائد) انظر : الأعلام للزركلي ، (1/ 188) .

(54) – ينظر: تحذير الثقات عن أكل الكفتة والقات . تحقيق / عبد الله محمد الحبشي ص26.

(55) – البكري الصديقي الشافعي (شهاب الدين) فقيه أديب ولد بعد 870هـ تقريباً وتوفي سنة 948هـ ، من مؤلفاته : فتاوى مشهورة عليها الاعتماد بزبيد ، شرح التنبيه ، حاشية على العباب ، انظر : معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة ، (1/ 256) .

(56) – تحذير الثقات عن أكل الكفتة والقات : ابن حجر الهيثمي ، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، ص26 .

(57) – الإمام المحدث المؤرخ يحي بن الحسين بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد الحسن اليمني الصنعاني ، ولد سنة 1035هـ ، من مؤلفاته : أنباء الزمن في تاريخ اليمن ، البيان لما خفي من القرآن ، العطايا السنية ، توفي سنة 1100هـ وقيل 1099هـ . انظر : الأعلام للزركلي ، (8/ 143) .

(58) – ينظر:المستخرجات البيانات على تحليل الاشياء المستعملات من القهوة والطباق والقات : يحي بن الحسين بن القاسم بن محمد ، تحقيق : عبد الله الحبشي ، ص60–62 .

(59) – الإمام الكبير المجتهد محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الأمير الحسن اليمني الكحلاني الصنعاني ، ولد سنة 1099هـ ، بكحلان ، من مصنفاته : سبل السلام ، والتنوير شرح الجامع الصغير ، وتوضيح الأفكار وغيرها توفى سنة 1182هـ .انظر البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : محمد بن علي الشوكاني ، (2/ 133–139) .

(60) – ينظر:القات في الأدب اليمني والفقه الإسلامي:أحمد المعلمي ، ص125 .

(61) – هو القاضي الحافظ الناقد محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن الشوكاني الخولاني ثم الصنعاني ، ولد عام 1173هـ ، بهجرة شوكان من بلاد خولان ، ونشأ بصنعاء ، من مصنفاته : نيل الأوطار ، وفتح القدير ، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة وإرشاد الفحول ، وغيرها ، توفي سنة 1250هـ . انظر البدر الطالع له (2/ 214–225) ، الأعلام للزركلي (6/ 298) .

(62) – ينظر:فتوى الإمام الشوكاني:القات في الأدب اليمني والفقه الإسلامي،ص117.

(63) – ينظر : دحض الشبهات حول القات ، ص6 .

(64) – عالم فقيه معاصر مولده بشهارة عام 1341هـ ، وبها نشأ يتيماً ، من مؤلفاته : أحكام الأحوال الشخصية من فقه الشريعة الإسلامية ، نظم قواعد الإعراب ، انظر : أعلام المؤلفين الزيدية : عبد السلام بن عباس الوجيه ، رقم الترجمة (1094) ص1022 .

(65) – ينظر : القات في الأدب اليمني والفقه الإسلامي : للمعلمي ، ص126 .

(66) – ينظر :موقف الفقهاء من القات:د/ عبد المؤمن شجاع الدين،ص26–38.

(67) – سورة النحل : آية (116) .

(68) –سورة البقرة : آية (29).

(69) – صحيح مسلم :كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه.. حديث رقم 1400، (2/ 1018).

(70) – سورة الأنعام : آية (119).

(71) – ينظر:ثلاث رسائل في القات : عبد الله الحبشي ،ص28 .

(72) – ينظر : موقف الفقهاء من القات : ص 39–40 ، ينظر : القات في الأدب اليمني والفقه الإسلامي :ص101–102 ، 135–136 .

(73) – إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل الكركي أبو الوفاء ، برهان الدين ، قاض من فقهاء الحنفية ، أصله من الكرك في شرقي الأردن ، ولد سنة 835هـ بالقاهرة من كتبه : فيض المولى الكريم ، حاشية على توضيح ابن هشام ، توفي سنة 922هـ ، انظر الأعلام للزركلي ، (1/ 46) .

(74) – حمزة بن عبد الله بن محمد الناشري أبو العباس اليمني الشافعي ، تقي الدين . ولد بنخل وادي زبيد سنة 833هـ، من كتبه:انتهاز الفرص في الصيد والقنص،والبستان الزاهر في علماء آل ناشر،وألفية في غريب القرآن وغيرها،توفي سنة 926هـ،انظر:الأعلام للزركلي ، (2/ 278) .

(75) – ينظر:تحذير الثقات للهيثمي ، مرجع سابق ، ص28 .

(76) – محمد حياة بن إبراهيم السندي المدني : عالم بالحديث . مولده في السند ، وإقامته ووفاته في المدينة المنورة . له (شرح الترغيب والترهيب للمنذري) و(مقدمة في العقائد) وفاته 1163هـ . انظر الإعلام للزركلي : (6/ 111) .

(77) – ينظر:تنبيه ذوي الإفهام للصديقي ، مرجع سابق ، ص135.

(78) – علوي بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف الشافعي المكي ، نقيب السادة العلويين بمكة وأحد علمائها ، ولد سنة 1255هـ بمكة ، وهاجر إلى الحج سنة 1311هـ ، وأقان بها إلى سنة 1327هـ ، وعاد إلى مكة فاستمر إلى أن توفي سنة 1335هـ ، له من المؤلفات : ترشيح المستفيدين والفوائد المكية ومصطفى العلوم وغير ذلك ، انظر الإعلام للزركلي : (4 / 249) .

(79) – ينظر:القات في الأدب اليمني ، مرجع سابق ، ص 101 .

(80) – ابن الأمام المهدي أحمد بن يحي الحسن العلوي الإمام المتوكل على الله من أئمة الزيدية في اليمن ومن فقهائهم وشعرائهم ، ولد سنة 877هـ ، له كتب منها : الأثمار في فقه الزيدية اختصر فيه الأزهار ، والرسالة الصادعة ، والقصص الحق في مدح خير الخلق ، توفي سنة 965هـ ، انظر الأعلام للزركلي : (8/ 150) .

(81) – ينظر: الرسالة المانعة له ، تحقيق الحبشي .

(82) – ينظر:فتوى في حكم أكل القات له ، مرجع سابق ، ص5 .

(83) – ينظر:تحذير أهل الإيمان من تعاطي القات والشمة والدخان : أبي نصر محمد بن عبد الله الإمام ، ص5–19.

(84) – سورة الأعراف : آية (157).

(85) – سورة البقرة : آية (195).

(86) – سورة النساء : آية (29).

(87) – سورة الإسراء : آية (26–27).

(88) – صحيح ابن خزيمة : محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري ، حديث رقم : 742، 1/ 365 .

(89) – انظر : المعجم الوسيط : مجموعة مؤلفين ، باب الباء ، مادة :(بذر) ، ص45.

(90) – سنن البيهقي الكبرى : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ،باب : لا ضرر ولا ضرار ، حديث رقم : 11166 ، 6/ 69.

(91) – سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني ،باب النهي عن المسكر ، حديث رقم 3686 ، 3/ 329.

(92) –انظر : السلسلة الصحيحة للألباني : حديث رقم 4732 ، (10/ 278–279).

المراجع الأجنبية

Revri,R.,Catha edulis Forsk , geographical dispersal ,botanical , International Conference on khat , by international Council on Alcohol and Addiction, 17-21 January 1983 .

Muses , Charles Cathay edulis the sacred plant of ancient. Egypt copy right 1997-1998 Klaus Ternary.

فهرس المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم .
2. أثر القات: محمد عوض سعيد با جبير ، ط1 ، 1998م ، مركز عبادي ، اليمن –صنعاء .
3. أضرار القات في الجمهورية اليمنية : حمود منصور ، ط1 ، 1988م، دار الفكر المعاصر ، بيروت.
4. الأعلام للزركلي ، دار العلم – الملايين – بيروت ، ط6 ، 1984م .
5. أعلام المؤلفين الزيدية : عبد السلام بن عباس الوجيه ، ط1 ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، 1999م .
6. الاضطرابات العصابية لدى متعاطي القات وغير المتعاطين في البيئة اليمنية ، رسالة ماجستير مقدمة من الطالب / محمد علي أحمد نعمان، جامعة صنعاء، ديسمبر ،1996م .
7. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : محمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة بيروت .
8. بعض الملامح الاقتصادية للجمهورية العربية اليمنية : أحمد حبيب رسول ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، كانون الأول ، 1980م .
9. التخصص الاقتصادي للزراعة بالجمهورية العربية اليمنية : عادل إبراهيم هندي ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، 1979.
10. تنبيه ذوي الإفهام بأن الأصل في الأشجار الإباحة وليست من قسيم الإحرام : عبد الله بن علي العمودي الصديقي ، من كتاب القات في الأدب اليمني والفقه الإسلامي للمعلمي .
11. تحذير الثقات عن أكل الكفتة والقات : ابن حجر الهيثمي، تحقيق عبد الله محمد الحبشي.
12. تحذير أهل الإيمان من تعاطي القات والشمة والدخان : أبي نصر محمد بن عبد الله الإمام ، دار طيبة – الرياض ، ط1 ، 2005م .
13. الجوانب الاقتصادية لظاهرة القات في اليمن : د/ علي علي الزبيدي ،القات (نظرة متكاملة لمحاور القات وآثاره) .
14. الخطة الخمسية الأولى (76/ 77م-80/ 81م)تحليل الوضع الراهن ، الكتاب الثاني ، الجمهورية اليمنية ، رئاسة مجلس الوزراء ، الجهاز المركزي للتخطيط ، مطبعة دار الكتب ، دمشق .
15. دحض الشبهات حول القات : يحي لطف الفسيل : 1986م.
16. دراسات يمنية : د / عباس فاضل السعدي ،العدد 12 ، صنعاء ،1983م.
17. دراسة استطلاعية لظاهرة القات في بعض الأقطار العربية : جامعة الدول العربية ، الخرطوم – سبتمبر ، 1983م .
18. دراسة تأثير المستخلصات النباتية للقات والشاي الأخضر على فعالية أنزيمي ACHE و MAO في لأمصال مرضى السكري والكآبة :رسالة دكتوراه مقدمة من الطالب : منصور محسن محمد السدح ، الجامعة المستنصرية ، 2003م .
19. ديوان وادي بنا : للشاعر محمد الذهباني ، مطابع القلم – تعز ، 1970م
20. السلسلة الصحيحة : محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض ، ط1 ، 2004م .
21. سنن ابن ماجة :أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني ، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض ، ط1 ، 1999م .
22. سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني ، دار الفكر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد.
23. سنن البيهقي الكبرى : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، مكتبة دار الباز ، مكة ، 1994م ، تحقيق : محمد عطا .
24. سنن الترمذي :أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي ، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض ، ط1 ، 1996م .
25. صحيح ابن خزيمة : محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري ، المكتب الإسلامي – بيروت – 1970م ، تحقيق : د/ محمد مصطفى الأعظمي ،باب التهليل والثناء على الله بعد السلام.
26. صحيح البخاري :محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، دار ابن كثير – اليمامة ، 1987م ، ط3 ،تحقيق د/ مصطفى ديب البغا .
27. صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

28. فنون الأدب الشعبي في اليمن : عبد الله البردوني ، صنعاء .
29. في التراث الشعبي اليمني : حسين صالح با صديق ، مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء ، ط1 ، 1993 .
30. القات : د/ حمد المرزوقي ، د/ أحمد نبيل أبو خطوة ،ط1 ، 1987م ، جدة – السعودية .
31. القات بين الطب والشرع : مجموعة مؤلفين ، إدارة العلاقات العامة والإعلام ، جامعة العلوم والتكنولوجيا ، اليمن .
32. القات السلوى والبلوى : محمد أحمد الرعدي ، مؤسسة العفيف الثقافية ، سلسلة الكتاب الثقافي ، -4- .
33. القات (الظاهرة -المشكلة والآثار) مؤسسة العفيف الثقافية ، سلسلة الكتاب الثقافي (13) ، ط1 . 1997م ، صنعاء .
34. القات في الأدب اليمني والفقه الإسلامي : أحمد المعلمي ، بيروت ، 1988م.
35. القات في حياة اليمن واليمانيين : تقرير منظمة الصحة العالمية.
36. القات في حياة اليمن واليمانيين : د/ عبد العزيز المقالح ، بيروت ، 1981م .
37. القات : نظرة متكاملة لمحاور القات وآثاره : أ.د / أحمد محمد الحضراني ، مطابع الكتاب المدرسي ، وزارة التربية والتعليم ، اليمن .
38. ،القات وآثاره السلبية على الصحة وخاصة عند الأطفال : د/ عباس علي زبارة ، د/ معتصم صبري .
39. القات والطب: د/ محمد عوض جبير ، ط1 ، 1996م ، مركز عبادي .
40. القات والعقم وانفصام الشخصية : د / ناصر عبد الله عوض ، دار ميرزا للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، 1993م .
41. مجلة اللانست الطبية : 5مارس ، 1988م .
42. المرأة والقات في اليمن : د / بلقيس إبراهيم الحضراني ، القات (نظرة متكاملة لمحاور القات وآثاره) : أ . د / أحمد محمد الحضراني ، مطابع الكتاب المدرسي ، وزارة التربية والتعليم ، اليمن.
43. المرأة اليمنية ومجالس القات : نجاة محمد صائم خليل ، ط 1 ، 1998م .
44. – المستخرجات البيانات على تحليل الأشياء المستعملات من القهوة والطباق والقات : يحي بن الحسين بن القاسم بن محمد ، تحقيق : عبد الله الحبشي .
45. مشكلة الهجرة في الجمهورية العربية اليمنية : أبو بكر السقاف ، مجلة دراسات يمنية ، صنعاء ، العدد الرابع ، يوليو 1980م.
46. المعجم الأوسط : أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، دار الحرمين ، القاهرة ، 1415هـ ، تحقيق : طارق بن عوض الله ، عبد المحسن الحسيني.
47. النور : العدد 132 ، ربيع الثاني ، 1423هـ ، 6/ 2002م ،
48. معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة ، مكتبة المثنى – بيروت – دار الإحياء للتراث العربي.
49. المعجم الوسيط : مجموعة مؤلفين ، المكتبة الإسلامية(93) ، استانبول ، تركيا ، ط2 ، 1972م.
50. الموسوعة اليمنية :مؤسسة العفيف الثقافية ،صنعاء – الجمهورية اليمنية ، ط2 ، 2003م .
51. موقف الفقهاء من القات : د/ عبد المؤمن شجاع الدين ، مؤسسة الثورة للصحافة ، 2000م .

عقد الاستصناع في الفقه الإسلامي

د. عمر الجيلاني الأمين حماد *

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا الكريم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد : فإن الصناعة إذا استغلت في الخير حرفة فاضلة ، لأنها تخرج للناس ما ينتفعون به في كل مجال من مجالات الحياة .

وكفاها مدحاً أن الله تعالى أثنى على نفسه بها ، فقال- بعد أن ذكر خلق الجبال " صنع الله الذي أتقن كل شيء " [1] وأمر بها نبيه نوحاً عليه السلام فقال " واصنع الفلك بأعيننا ووحينا " [2] وأخبرا أن نوحاً فعل الصناعة التي أمر بها فقال " ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا من " [3] وحمد نفسه على أن علم بعض رسله بعض الصنائع النافعة ، فقال في حق داود عليه السلام " وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون " [4] وفي حق سليمان " يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور " [5] وقد كتبت في هذا الموضوع " عقد الاستصناع " لإحيائه إذ إنه غير معروف للكثيرين ، ولأهميته ، ولما يترتب عليه من مصالح كبيرة في تنشيط التجارة والصناعة والزراعة ، وقد قسمت بحثي هذا علي ثلاثة فصول ، وخاتمة شملت أهم النتائج .

---

*) أستاذ مساعد- كلية التربية سيئون – جامعة حضرموت

الفصل الأول : مفهوم الاستصناع وتكييفه شرعاً

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول : تعريف الاستصناع

المطلب الأول : تعريف الاستصناع لغةً :

الاستصناع طلب الصنعة ، وقد جاء في لسان العرب : " أن الاستصناع من صنع يصنع صنعاً .... يقال اصطنع فلان خاتماً إذا سأل رجلاً يصنع له خاتماً ... وأمر أن يصنع له كما تقول اكتتب أي أمر أن يكتب له ، والطاء بدل من تاء الافتعال لأجل الصاد ، وأستصنع الشيء دعا إلى صنعه ... والصناعة حرفة الصانع وعمله الصنعة ، والصناعة ما تستصنع من أمر رجل ، ورجل صنع اليدين ... أي صانع حاذق[6] ، وقد ورد لفظ صنع ومشتقاته في القرآن الكريم عشرين مرة للدلالة على معانٍ مختلفة ، منها المادية والمعنوية : " كصناعة السفن والآلات ، وصناعة الذنوب ، وصناعة السحر[7] .

المطلب الثاني : التعريف الاصطلاحي لعقد الاستصناع :

الاستصناع هو عقد مع صانع علي عمل شئ معيّن في الذمة : أي العقد علي شراء ما سيصنعه الصانع ، وتكون العين والعمل من الصانع ، فإذا كانت العين من المستصنع لا من الصانع فإن العقد يكون إجارة لا استصناعاً .

الاستصناع في اصطلاح الفقهاء : أن يطلب انسان من أخر شيئاً لم يصنع بعد ، ليصنع له طبق مواصفات محددة ، بمواد من عند الصانع مقابل عوض محدد ، ويقبل الصانع ذلك .

الاستصناع بيع موصوف بالذمة : وهو طلب العمل في شئ خاص علي وجه مخصوص[8] .

شرح التعريف : إذن الاستصناع أن يطلب المحتاج للصنعة من الصانع أن يصنع له شئ بمادة خام من عند الصانع ، كأن يطلب من الخياط أن يصنع له ثوباً والقماش من الصانع ، أو يطلب من مقاول البناء أن يبني له بيتاً بمواصفات محددة ، والمواد علي حساب المقاول ، سواء طلب بناءه جزئياً ، كما لو طلب انجاز بناء الهيكل فقط (العظم) أو مع التشطيبات كلها علي أن يدفع الثمن عند التعاقد أو بعد التسليم ، أو عند أجل معين .

التعريف المختار : عقد الاستصناع : (عقدٌ يشتري به شئ مما يصنع صنعاً ، يلتزم البائع بتقديمه مصنوعاً ، بمواد منه ، بأوصاف معينة ، وبثمن محدد ، يدفع عند التعاقد ، أو بعد التسليم ، أو عند أجل معين) .

وعليه أبين بعض الصور التي لم تدخل في الاستصناع عند الفقهاء أجماعاً :-

- الصانع قد يصنع الأشياء لحساب نفسه ثم يعرض ما صنعه منها للبيع ، لا يعد ذلك استصناعاً

- وقد يتعاقد الصانع مع المشتري بطريق السلم ، بأن يبيعه شيئاً موصوفاً في الذمة دون أن يشترط كونه من صنعته ، ويضرب للتسليم أجلاً ، ويقبض الثمن مقدماً لا يعد ذلك استصناعاً .
- وقد يأتيه المحتاج للصنعة بالمواد الخام ، ويطلب أن يصنعها له شيئاً محدداً ، كأن يحضر له قماش ويطلب عمله ثوباً مقابل أجر معلوم ، فذلك إجارة لا استصناعاً .
- لا يجب في عقد الاستصناع تعجيل الثمن ، كما لا يدخل فيه أيضاً صناعة الأشياء التي لم يجري فيها التعامل ، كما ينبغي أن يكون الشئ المصنوع مما يصنع صنعاً ، بالتالي لا تدخل الأشياء الموزونة والمزروعة والعددية والمتقاربة .

المبحث الثاني : مدى مشروعية عقد الاستصناع :

اختلف الفقهاء حول جواز الاستصناع باعتباره عقداً مستقلاً بذاته ، فذهب الجمهور منهم إلى عدم جوازه كعقد مستقل ، وذهب الحنفية ـ عدا زفر منهم ـ إلى جواز الاستصناع كعقدٍ مستقل بذاته وفيما يلي تفصيل رأي الفريقين ووجه ما استدل به كل فريق منهم .

المطلب الأول : مذهب الجمهور : ذهب الجمهور من الفقهاء إلى عدم جواز عقد الاستصناع كعقد مستقل بذاته، لأنه بمقتضى القياس ألا يجوز الاستصناع ، لأنه بيع لمعدوم ، وبيع المعدوم لا يجوز لنهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع ما ليس عند الإنسان ، ولما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الغرر " [9] ووجه الاستدلال بهذا الحديث : أن بيع المعدوم يدخل تحت بيع الغرر المنهي عنه ، والشيء المصنوع يكون معدوماً حال التعاقد فيدخل تحت الغرر المنهي عنه .

وبالتالي يصح الاستصناع عند المالكية والشافعية والحنابلة ، على أساس عقد السلم أي تحت عقد السلم وعرف الناس ويشترط فيه ما يشترط في السلم .

المطلب الثاني : مذهب الحنفية : ذهب فقهاء الحنفية ـ عدا زفر منهم ـ إلى أن الاستصناع جائز شرعاً باعتباره عقداً مستقلاً بذاته ، واستدلوا على ذلك بما يلي :

أولاً : أدلتهم من السنة : من الأحاديث التي استدلوا بها ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم " اصطنع خاتماً من ذهب وجعل فصه في بطن كفه إذا لبسه ، فاصطنع الناس خواتيم من ذهب فرقى المنبر فحمد الله واثنا عليه فقال . إني كنت اصطنعته وإني لا ألبسه فنبذه فنبذ الناس " [10] وبما أخرجه البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال " بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى امرأة أن مري غلامك النجار يعمل لي أعواداً أجلس عليهن " [11] .

ثانياً : الإجماع : ويقصد به الإجماع العملي أو الفعلي من الفقهاء على التعامل بالاستصناع من غير نكير من أحد منهم ، قال الزيلعي : " وصح الاستصناع في نحو خف ، وطست للإجماع الثابت بالتعامل من لدن النبي صلى الله عليه وسلم

إلى يومنا هذا ،وهو من أقوى الحجج ، وقد استصنع النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً ومنبراً . وقال محمد ، الاستصناع جائز بإجماع المسلمين " [12] .

ثالثاً : الاستحسان : وقد استدل به الجمهور من الحنفية ، على جواز الاستصناع ، فقالوا : يجوز الاستصناع استحساناً لأن القياس عدم جوازه لأنه بيع المعدوم ، وهذا ما صرح به فقهاؤهم ، حيث جاء في تبيين الحقائق " والاستصناع جائز استحساناً والقياس أن لا يجوز لأنه بيع المعدوم وهو منهي عنه ، ولكن ترك العمل به بما ذكرنا ، والقياس يترك بمثله كدخول الحمام ، والاحتجام بأجرة وطلبه شربة ماء من السقيا بفلس كل ذلك جائز للتعامل ، وإن كان القياس يأباه للجهالة[13].

الترجيح : إن الأوضاع المتعارف عليها في الاستصناع لا تصلح مع جعله سلماً ، كما ذهب إليه غير الحنفية ، لأن المعتاد للناس عدم الالتزام بتعجيل الثمن ، ولأنهم في الغالب يطلبون كون الصنعة من عمل الصانع نفسه ، وذلك يفسد به السلم ، فلو شرط في السلم أن تكون المواد المشتراه من إنتاج الزارع نفسه أو عمل الصانع نفسه أو عمل صانع معين ، فسد السلم ، ولأن في الاستصناع خيار الرؤية على القاعدة العامة في بيع الغائب ، كما بينه أئمة الحنفية بخلاف السلم فليس فيه خيار الرؤية ، وعليه فإن الباحث يرى أن الاستصناع جائز شرعاً عقداً مستقلاً بذاته لما في ذلك من التيسير على الناس في معاملاتهم ورفع الحرج والضيق عنهم ، ولما فيه من جلب المصالح للمسلمين ودرء المفاسد عنهم ، وتلك من أهم القواعد في الشريعة الإسلامية ومن أهم مقاصد الشرع في بناء الكثير من الأحكام .

المبحث الثالث : التكييف الشرعي لعقد الاستصناع عند الحنفية :

اختلف الفقهاء من الحنفية حول تكييف عقد الاستصناع هل هو عقد أم وعد ؟ وهل هو بيع أم إجارة ، وهل المعقود عليه في هذا العقد هو العمل أم العين ؟ .

ولذلك فقد خصصت هذا المبحث للإجابة على تلك التساؤلات ، بالإضافة إلى توضيح الفرق بين الاستصناع وعقد السلم ، وذلك كما يلي :

المطلب الأول : الاستصناع بين البيع والوعد بالبيع :

اختلف فقهاء الحنفية حول كون الاستصناع عقداً من عقود البيع ، أو مواعدة بالبيع ، فذهب الجمهور منهم إلى أن الاستصناع عقد بيع وليس مواعدة بالبيع إلا أنه يختلف عن البيع المطلق في إثبات خيار الرؤية في العقد ، واشتراط العمل على الصانع ، وعدم وجوب تعجيل الثمن ، [14] وذهب بعضهم ، إلى أن الاستصناع وعد بالبيع وليس عقداً ، لكنه عند الفراغ من العمل ينعقد بيعاً بالتعاطي ، [15] وقد استدل كل فريق منهم بما يؤيد ما ذهب إليه ، وفيما يلي دليل كل فريق منهم ووجه ما ذهب إليه .

أولاً : الجمهور ، ووجه ما استدلوا به :

1 / إن الاستصناع لا يجوز إلا فيما فيه تعامل بين الناس فقط ، ولا يجوز فيما لا تعامل فيه بين الناس في حين أن الوعد يكون فيما أحله الله ، سواء جرى فيه التعامل بين الناس أو لم يجر .

2 / إن الاستصناع قد أُجرى فيه القياس ، وثبت بالاستحسان ، وهو من الأدلة المختلف فيها وذلك بخلاف الوعد ، فقد ثبتت مشروعيته بالكتاب والسنة والإجماع فمن وعد أحد فإنه يجب عليه الوفاء بذلك الوعد إن لم يكن معصية .

3 / اتفاق الفقهاء الأحناف على إطلاق كلمة شراء على الشيء المستصنع ، وذلك عند كلامهم عن إثبات خيار الرؤية في المستصنع بقولهم فإذا راه فله الخيار لأنه اشترى شيئاً لم يره ، فقولهم عليه اشترى دليل على أنه عقد فالشراء لا يكون بالوعد .

4 / إن الصانع يملك الدراهم بقبضها ، وهذا دليل على كونه عقد ، لأن الملك لا يحصل بالمواعدة

5 / إن الصانع في الاستصناع يجبر على عمله بخلاف المواعد فلا يجبر على ما وعد به إلا من باب الوفاء بالوعد إن استطاع ذلك .

6 / إن الاستصناع يجري فيه التقاضي ، والتقاضي إنما يثبت في الواجب بالعقود لا بالموعد ، فإذا وعد شخص آخر فأخلف، فإن ذلك لا يؤدي إلى الذهاب للقضاء وإقامة الدعوى وإن كان يأثم بعدم الوفاء بما وعد به " [16] .

ثانياً : أدلة القائلين بان الاستصناع وعد :

1 / إن المستصنع له الحق في عدم تقبل المصنوع الذي يأتي له من الصانع ، وله أن يرجع عما استصنعه قبل تمامه ورؤيته ، وهذا علامة أنه وعد لا عقد ، لهذا قال بعض الفقهاء من أصحاب هذا الرأي : إن الخيار ثابت لكل من الصانع والمستصنع .

2 / إن الصانع يحق له أن لا يعمل ، ولذلك كان ارتباطه مع المستصنع هو ارتباط وعد لا عقد لأن كل ما لا يلزم الإنسان مع الالتزام به يكون وعداً لا عقداً بخلاف السلم فإنه مجبر بما التزم به.[17]

الترجيح : بعد هذا البيان لأدلة الفريقين ، فإن الباحث يرى بأن الرأي الراجح ما ذهب إليه جمهور الحنفية من أن الاستصناع عقد من عقود البيع مستقل بذاته وليس وعداً بالبيع ، وذلك لقوة أدلتهم ، وضعف أدلة المخالفين ولأن الاستصناع لو كان وعداً لما وقع الخلاف حول مشروعيته بين فقهاء المذاهب الإسلامية ، وذلك لأن الوعد مشروع بالكتاب والسنة والإجماع.

المطلب الثاني : المعقود عليه في الاستصناع بين العمل والعين :

اختلف الفقهاء حول المعقود عليه في عقد الاستصناع هل هو العمل أم العين ، فذهب الجمهور من فقهاء الحنفية : إلى أن المعقود عليه هو العين دون العمل واستدلوا على ذلك بان الصانع لو صنع تلك العين المتعاقد

على صناعتها قبل العقد ، وجاء بها بعده ، فأخذها المستصنع ، فإن ذلك جائز سواء كانت تلك العين من صناعته أو من صناعة غيره ، وكذلك إذا صنعه الصانع بعد العقد ثم باعه من غير المستصنع قبل أن يراه ، فإن ذلك جائز ، ولو كان المعقود عليه هو العمل لما جاز ، كما أن الشارع قد أثبت خيار الرؤية ، وهذا الخيار لا يثبت إلا في العين فكان دليلاً على أن المعقود عليه هو المستصنع وليس العمل . (18)

وخالف في ذلك فقهاء الحنفية ، فذهبوا إلى أن المعقود عليه في عقد الاستصناع هو العمل ، واستدلوا على ذلك بأن الاستصناع استفعال من الصنع ، فتسمية العقد به دليل على أنه هو المعقود عليه . (19)

والذي يراه الباحث راجحاً ، هو أن المعقود عليه في عقد الاستصناع كلاً من العين والعمل ، وذلك لكي يتميز عن غيره من العقود كالبيع المطلق الذي يكون المعقود عليه فيه هو العين ، والإجارة التي يكون المعقود عليه فيها هو العمل ، ولا يعني ذلك أن يكون ذلك العمل من عمل الصانع نفسه ، بل يجوز أن يكون من عمل غيره ما دام ذلك المصنوع مطابقاً المواصفات المشروطة التي اتفق عليها المتعاقدان عند ابرام العقد .

المطلب الثالث : الاستصناع بين البيع والإجارة :

اختلف الفقهاء حول تكييف عقد الاستصناع ، هل هو بيع محض أو إجارة محضة ، فذهبت طائفة منهم إلى أن الاستصناع بيع وليس إجارة ، إلا أنه يفارق البيع في بعض الوجوه كاشتراط العمل والصنع وهو ما لا يشترط في البيع المطلق ، وثبوت خيار الرؤية بدون شرط ، بينما لا يثبت هذا الخيار في البيع المطلق إلا إذا اشترط حال العقد ، وعدم وجوب تعجيل الثمن ، بينما يجب ذلك في البيع إذا كانت السلعة غير موجودة حال العقد وإلا كان من باب بيع الدين بالدين ، وهو يشبه الإجارة من جهة أن في الاستصناع طلب الصنع وهو العمل فأشبه الإجارة ، ولذلك فهو يبطل بموت أحد المتعاقدين (20) وذهب البعض منهم إلى أن الاستصناع إجارة محضة ، لأن العمل المطلوب يكون من الصانع ، ولأن العقد يبطل بموت أحد المتعاقدين أو كلاهما ، وقياساً على عمل الصباغ الذي هو الصبغ في العين يصبغها وذلك إجارة محضة ومثله الاستصناع .

وذهب بعضهم إلى أن الاستصناع إجارة ابتداءً وبيع انتهاء أولا يصير بيعاً إلا قبل التسليم بوقت يسير، بدليل أنه إذا مات الصانع بطل العقد ولا يستوفي المصنوع من تركته (21) .

والذي يتبين للباحث هو رجحان الرأي القائل بأن الاستصناع بيع لا إجارة ، لأن حقيقته بيع المصنوع المطلوب قبل صنعه ، فهو نوع من البيوع مطلوب فيه العمل من البائع ، فلا يمكن أن يكون إجارة وإن كان فيه شبه بها من جهة كون الصنعة التي هي العمل المطلوب من الصانع ، فلو كان الاستصناع إجارة ، لكانت المادة الخام من المستصنع سواء سلمها هو للصانع أو اشتراها منه ، أو وكله بشرائها ، ولضمن المستصنع أجرة الصانع في حالة

بطلان العقد بهلاك المصنوع قبل تسليمه بدون إرادة الصانع أو جنايته ولكن الذين رأو أن إجارة لا يقولون بضمان المستصنع للمصنوع إذا ما هلك في يد الصانع ، بدون تقصير منه و لا تعدٍ فالاتفاق قائم على أن المصنوع من ضمان الصانع حتى يسلمه للمستصنع .

المطلب الرابع : الفرق بين الاستصناع والسلم :

من خلال النظر في عقدي السلم والاستصناع نجد أموراً يتفق فيها الاستصناع مع السلم ، كما أن هناك أموراً يختلف فيها الاستصناع مع السلم وذلك كما يلي :

1 / العلم بقدر المعقود عليه ، ونوعه ، وجنسه ، وصفته في كلا العقدين .

2 / المبيع في كلا العقدين معدوماً حساً ، موجوداً حكماً .

3 / لا يجوز اشتمال كلا العقدين على علة الربا كإسلام البر في البر ، أو استصناع أشكال مصنوعة من الذهب برأسمال أو ثمن من الذهب ، إلا أن يكون يداً بيد سواء بسواء .

4 / كلاهما من عقود البيع في الفقه الإسلامي [22] .

ثانياً : أوجه الاختلاف بين الاستصناع والسلم : [23]

1 / يجب تعجيل كل الثمن في عقد السلم ، بينما لا يلزم تعجيل الثمن في عقد الاستصناع ، فيجوز أن يكون عاجلاً، ويجوز أن يكون آجلاً أو مقسطاً .

2 / الاستصناع محصور في مجال الإنتاج الصناعي ، وفيما اعتاد الناس على استصناعه ، بينما السلم يشمل مختلف القطاعات الاقتصادية ويتعداها إلى المنافع والخدمات .

3 / عقد السلم لازم منذ انعقاده ، وحتى انتهائه ، بينما عقد الاستصناع غير لازم ولذلك يثبت فيه خيار الرؤية للمستصنع ، منذ ابتدائه وحتى انتهائه ، عند جمهور الفقهاء من الحنفية سواء أكان المصنوع مطابقاً للمواصفات المتفق عليها أم لم يكن كذلك .

4 / يجوز السلم في كل ما يمكن وصفه وضبطه سواء أجرى به التعامل أم لم يجر فيه التعامل ، أما الاستصناع فضابطه أنه لا يصح إلا في ما يجري فيه التعامل .

5 / السلم عند جمهور الفقهاء يشترط فيه الأجل ـ بينما الاستصناع عند الحنفية لا يشترط فيه الأجل .

المبحث الرابع : الحكمة من مشروعية الاستصناع وأهميته ومدى الحاجة إليه :

إن الحكمة من مشروعية عقد الاستصناع هي مدى الحاجة الماسة إليه ، لأن الإنسان لا بد أن يحتاج في حياته إلى سلعة مصنوعة بأوصاف خاصة ، ومن النادر أن يجدها في الأسواق ، وذلك كالاحتياج إلى الخف أو

الحذاء الذي يوافق قدمه ، أو الخاتم الذي يوافق أصبعه ، وكالاحتياج لسيارة أو الأثاث بمواصفات خاصة ، فالناس في حاجة ماسة للحصول على المنتجات الصناعية باختلاف أنواعها ، كما أن الناس يختلفون فيما يحتاجون إليه ، فالرجل العادي يحتاج إلى بناء منزله ، وصاحب المصنع يحتاج إلى الآلات والمعدات اللازمة لمصنعه ، وشركات الطيران قد تحتاج إلى استبدال طائراتها القديمة بطائرات جديدة ، ومعظم تلك السلع لا تتوفر في الأسواق ، وذلك بسبب خصوصية مواصفاتها واختلاف الناس في أذواقهم وحاجاتهم ، وقد يكون السبب في عدم وجودها جاهزة في الأسواق هو ارتفاع ثمنها ، فإذا ما تأخر شراؤها فإن البائع سيتأثر من جراء ذلك وقد تلحقه الخسارة ، ويتعطل عن العمل بسبب انتظاره نفادها فإذا وجد مشتر لها قبل صنعها فإن الأمر يختلف ، ولذلك فقد شرع الاستصناع لدفع الحاجة ورفع الحرج . (24)

أما أهمية عقد الاستصناع ومدى الحاجة إليه فتبرز في أن هذا العقد يتمتع بالعديد من المزايا التي لا توجد في غيره من عقود البيع ، وهي :

1 / إن في التعامل بعقد الاستصناع رفقاً بكل من الصانع والمستصنع ، فالرفق بالصانع يتمثل في كون ما يصنعه جرى بيعه مسبقاً ، وتحقق أنه ربح فيه ، وعرف مقدار ربحه ، فهو يعمل على هدى وبصيرة ، وأما من جهة المستصنع ، فإنه يستطيع أن يضع الشروط ويحدد المواصفات التي يرغب فيها ، وتلائم حاجته وذوقه فبالاستصناع يحصل على ما يريده بالضبط .

2 / إن التعامل به فيه الكثير من التيسير على المسلمين ، وذلك لأنه لا يشترط فيه تسليم الثمن ولا المثمن ، فهو تكملة لجانبين مهمين هما عقد السلم الذي لا يشترط فيه وجود المسلم فيه ، ولكن يجب تسليم الثمن في المجلس ، وعقد البيع الآجل الذي لا يشترط فيه تسليم الثمن ولكن لا بد فيه من وجود المبيع وتسليمه إلى المشتري ، وهذا قد لا يسد كل الحاجات التي تتغير وتتطور من زمن لآخر ، كما أن الإجارة على العمل لا تسد الحاجات ، لذلك أباح الإسلام عقد الاستصناع لتكتمل به الجوانب الثلاثة .

3 / إن التعامل بعقد الاستصناع وتفعيله يساهم بشكل مباشر في تحقيق الاكتفاء الذاتي والأمن الاقتصادي ، وخاصة مع إتباع الأساليب الإنتاجية الحديثة في مجال الصناعة والتي من شأنها أن تؤدي إلى زيادة الإنتاج الصناعي من حيث كميته وكيفيته وتنوعه . (25)

وبهذا يتبين لنا مدى أهمية عقد الاستصناع ، وماله من آثار إيجابية في الحياة الاقتصادية العامة عقداً تمويلياً استثمارياً يعتمد عليه في تمويل المشروعات الصناعية الكبرى ، دون اللجوء إلى الاقتراض الربوي ، وبالتالي تحقيق الأرباح المجزية دون الوقوع في أي شكل من أشكال المحظورات الشرعية .

الفصل الثاني : أركان عقد الاستصناع وشروطه

لما كان الاستصناع عقداً من عقود البيع ـ فإن أركانه هي نفس الأركان العامة للبيع ، وإن كانت هناك بعض الاستثناءات سنذكرها في موضعها من خلال الحديث عن تلك الأركان في المباحث الآتية :

– الفرع الأول : تعريف الصيغة في اللغة : (صاغ) الشئ من باب قال) (فهو صائغ) و (وصواغ) و (صياغ) أيضاً في لغة أهل العرب . (26)

والصيغة في الاصطلاح الفقهي يقصد بها ، ما يصدر عن العاقدين دالاً على إنشاء العقد من قول ، أو فعل ، أو إشارة ، أو كتابة فهي مجموع الإيجاب والقبول الدالين على الرضا. (27)

وهكذا فإن الإيجاب والقبول هما العنصران اللذان تتكون منهما صيغة العقد ، فهما الدليل والعلامة على الأمر الباطني وهو الرضاء والمعبران عنه .

والإيجاب في اللغة هو " الإيقاع يقال " وجب البيع يجب جبه ، وأوجبته أوقعته ، والقبول مصدر قبل قبولاً . (28)

والإيجاب اصطلاحاً هو أول كلام يصدر من أحد العاقدين ، لأجل إنشاء التصرف وبه يوجب ويثبت التصرف ، أما القبول فهو في الاصطلاح : ثاني الكلام يصدر من أحد العاقدين لأجل إنشاء التصرف وبه يتم العقد . (29)

– الفرع الثاني : شروط الصيغة : اشترط الفقهاء لصيغة العقد شروط وهي كالآتي :

1 / اتصال الإيجاب بالقبول : ويقصد بهذا الشرط صدور القبول بعد الإيجاب في مجلس العقد دون أن يفصل بينهما فاصل ، واختلف الفقهاء في هذا الفاصل : فذهب الجمهور إلى جواز تراخي القبول عن الإيجاب وتأخره عنه فليس بالضرورة أن يصدر القبول فوراً ما دام في المجلس (30) وذهبت الشافعية إلى ضرورة صدور القبول عقب الإيجاب مباشرة ، فإذا وجد الفاصل لا ينعقد العقد ، لأن ذلك يعد مانعاً من تلاقي القبول مع الإيجاب (31)

2 / موافقة القبول للإيجاب : وذلك بأن يكون كلاً من الإيجاب والقبول متوافقين ، فإن كان القبول مخالفاً للإيجاب، كأن يقول : بعتك بعشرة ، فيقول الآخر : قبلت بخمسة فإن العقد لا ينعقد (32) ، فإن قال : بعتك بعشرة ، وقال الآخر : قبلت بخمسة عشر فإن العقد يقع صحيحاً لوجود الموافقة الضمنية ، ولا تلزم الخمسة الزائدة إلا بقبولها من البائع في مجلس العقد (33) .

3 / أن لا يرجع الموجب قبل قبول الآخر ، وذلك لأن العقد غير ملزم بصدور الإيجاب وحده ، فبرجوع الموجب يكون الموجب قد سحب إيجابه ، فإذا ورد القبول بعد ذلك كان وارداً على غير إيجاب فلم يتحقق اتفاق الإرادتين . (34)

4 / أن يكون كلاً من الإيجاب والقبول بصيغة الماضي : اتفق الفقهاء على أن يكون كلاً من الإيجاب والقبول بصيغة الماضي ، وعلى عدم انعقاده بصيغة الاستفهام [35] واختلفوا حول انعقاده بصيغة المضارع أو الأمر ، فذهب الجمهور إلى انعقاده بصيغة المضارع أو الأمر [36] وخالف في ذلك الأحناف والحنابلة ، حيث ذهب الأحناف إلى عدم انعقاده بصيغة الأمر وإلى صحة انعقاده بصيغة المضارع والماضي [37] بينما ذهب الحنابلة إلى عدم انعقاده بصيغة المضارع وإلى صحة انعقاده بصيغة الماضي والأمر ، [38]

المطلب الثاني : الوسائل المعبرة عن الصيغة :

الفرع الأول ، انعقاد صيغة الاستصناع بوسيلة النطق والكتابة :

أولاً : انعقاد صيغة الاستصناع بوسيلة اللفظ :

ينعقد الاستصناع بالألفاظ المعبرة عن إرادة المتعاقدين ، فاللفظ من أكثر الوسائل المعبرة عن الإرادة الصريحة للمتعاقدين ، ومن أكثر الوسائل استخداماً ، ويصح بأي لغة أو لهجة يفهمها المتعاقدين ، سواء كان باللغة العربية ، أو غيرها من اللغات التي يفهمها المتعاقدين . [39]

ثانياً : انعقاد صيغة الاستصناع بواسطة الكتابة :

يجوز أن ينعقد الاستصناع بواسطة الكتابة ، سواء كان العاقدان قادرين على النطق أم لا ، لأنها من جملة الوسائل المعبرة عن الرضا وتوافق العاقدين ويثبت للمكتوب إليه خيار المجلس ما دام في مجلس القبول ، ويمتد خيار الكاتب إلى أن ينقطع خيار المكتوب إليه . [40]

الفرع الثاني : انعقاد الاستصناع بواسطة الإشارة أو المعاطاة :

أولاً : انعقاده بواسطة الإشارة : ينعقد الاستصناع بواسطة الإشارة من الحركات كهز الرأس ، أو الإيماء بالشفتين أو الحاجبين ، أو العينين أو اليدين ، ويشترط في الإشارة أن تكون مفهومة للطرف الآخر ، وقد فسر الإمام القرطبي قوله تعالى (قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً) [41] (بأن الرمز هو الإشارة فالرمز في اللغة : الإيماء بالشفتين وقد يستعمل في الإيماء بالحاجبين والعينين واليدين ، وأصله الحركة وهذه الآية دليل على أن الإشارة تنزل منزلة الكلام ... وهو قول عامة الفقهاء . [42]

ثانياً : انعقاده بواسطة المعاطاة : المعاطاة تقتضي أن يدفع المشتري الثمن ويأخذ المبيع ، وذلك غير ممكن في عقد الاستصناع لتأخر تسليم المبيع فيه ، أما البيع المطلق فالمعاطاة ممكنة فيه لوجود الثمن والمثمن حال العقد ، لهذا ذهب الجمهور من فقهاء المالكية والحنفية والحنابلة والزيدية إلى صحة البيع بالمعاطاة . [43] وذهب الشافعية إلى أن البيع بالمعاطاة لا ينعقد ، وفي رواية أخرى أنه ينعقد في المحقرات فقط كرطل خبز وغيره مما يعتاد فيه المعاطاة. [44]

الفرع الثالث : انعقاد صيغة الاستصناع بوسائل الاتصال الحديثة :

سبق الكلام عن صحة انعقاد الاستصناع بوسيلة المراسلة أو الكتابة ، وذلك لتحقق التوافق بين إرادة المتعاقدين الغائبين بأبدانهما عن مجلس العقد الحاضرين بعبارتيهما ، وذلك بالربط بينهما بالاتصال الحكمي في مجلس العقد الذي هو عبارة عن الزمان والمكان ، اللذين يتم فيهما الإيجاب والقبول ، وإذا نظرنا إلى التعاقد بالهاتف أو الفاكس ، أو الانترنت فسنجد أن المتعاقدين غائبان بأبدانهما عن المجلس ، ولكنهما حاضران بعبارتيهما ـ فيصح تعاقدهما بتلك الوسائل قياساً على صحة انعقاده بوسيلة الكتابة والمراسلة ، والتعاقد بين غائبين يجوز في عقد السلم والذي يجب فيه تعجيل ثمن المسلم فيه . [45] فمن باب أولى أن يصح ذلك في عقد الاستصناع وذلك لعدم وجوب تعجيل دفع رأس المال فيه .

المبحث الثاني : العاقدان وما يتعلق بهما من شروط :

ويقصد بالعاقدين البائع والمشتري وفي عقد الاستصناع ، الصانع الذي يقوم بالعمل والمستصنع الذي يطلب العمل بصفة معينة ، فالعاقدان هما الأساس في تكوين العقد ونشأته وعلى عبارتيهما تترتب آثار العقد وأحكامه ، وقد اتفق الفقهاء على صحة البيع من كل عاقل بالغ مطلق التصرف ، وعلى عدم صحة بيع المجنون والصبي وغير المميز . [46] واختلفوا في بعض الفروع الداخلة تحت مطلق الأهلية والولاية كبيع المكره ، والصبي المميز ، وبيع الفضولي والمحجور عليه ، وسنتكلم بإيجاز عن الخلاف حول تلك الأمور الفرعية فيما يلي :

أولاً : الصبي المميز والسفيه والمعتوه : اختلف الفقهاء حول انعقاد بيع كل من الصبي المميز والسفيه والمعتوه الذي يعقل البيع والشراء ، فذهب المالكية والحنفية إلى صحة البيع من الصبي المميز والمحجور عليه كالسفيه والمعتوه الذي يعقل البيع والشراء إلا أن بيعهم لا يلزم إلا إذا أجازه الولي [47] . وذهب الحنابلة إلى صحة البيع من الصبي المميز والسفيه والمعتوه ، الذي يعقل التصرفات ، ولكنهم اشترطوا الإذن السابق للعقد من قبل الولي وما لم يحصل ذلك الإذن فإن العقد يقع باطلاً . [48]

وخالف في ذلك الشافعية ، فذهبوا إلى عدم جواز بيع الصبي المميز أو السفيه والمعتوه ، سواء أذن لهم الولي بإنشاء العقد أم لم يأذن . [49]

ثانياً : بيع المكره : سبق الحديث أن البيع هو الرضا ، وأن المعبر عنه هو الإيجاب والقبول والإكراه عكس الرضا ، ولذلك فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى عدم جواز بيع المكره ، لعدم وجود الرضا القائم عليه العقد ، وأنه يقع فاسداً، لا يحصل به الملك سواء اتصل به القبض أم لم يتصل [50] وخالف في ذلك الحنفية فذهبوا إلى نفوذ بيع المكره ، مع اعترافهم بفساده ، وثبوت الملك به إذا اتصل به القبض وإلا فلا ، وأثبتوا للمكره حق الرجوع في ذلك البيع. [51]

ثالثاً : بيع الفضولي : الفضولي هو الذي يتصرف تصرفاً لا شأن له به ، وليست له ولاية إصداره كمن يبيع ملك غيره ، أو يرهنه أو يؤجره بدون إذن منه أو ولاية عليه [52] وقد اختلف الفقهاء حول صحة العقد من الفضولي ، فذهب الجمهور منهم إلى انعقاد ما يجريه الفضولي من بيع ، ولكنه يتوقف على المالك أو صاحب الشأن في ذلك التصرف ، فإن أجازه انعقد ذلك البيع ، وإن لم يجزه المالك أو صاحب الشأن ، فإنه لا ينعقد [53] واستدلوا على مذهبهم هذا بحديث عروة البارقي " أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه ديناراً يشتري له شاة فاشترى له شاتين فباع احداهما بدينار فأتي النبي صلى الله عليه وسلم بدينار وشاة ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ، قال : فكان لو اشترى التراب لربح فيه " [54]

وذهب الشافعية إلى عدم جواز تصرف الفضولي بالبيع والشراء ، وأنه باطل سواء أجازه المالك أم لا ، وإذا أراد صاحب الشأن إنفاذه فعليه تجديد العقد . [55] أما الحنابلة فقد ذهبوا في الرواية الأولى عنهم ، إلى عدم صحة تصرف الفضولي لغيره ببيع أو شراء ، واستثنوا من ذلك إذا ما اشترى الفضولي لشخص لم يسمه ـ فإنه يصح سواء نقد الثمن من مال الغير أم لا ، لأن ذمته قابلة للتصرف ويتوقف ذلك على إجازة المشتري ، فإن أجازه المشتري له ، وإلا لزم الفضولي وتحمل مسؤولية تصرفه ، وروى عن أحمد صحة تصرف الفضولي بكل حال مع توقف ذلك على إجازة المالك وصاحب الشأن والرواية الأولى أصح . [56] .

والذي يراه الباحث هو صحة بيع الفضولي ، إذا أجازه صاحب الشأن أو المالك وكان في ذلك العقد مصلحة للطرفين ، لأنه صلى الله عليه وسلم قد أجاز هذا العقد في حديث عروة البارقي ، ولأن عقد الفضولي كالعقد المقترن بخيار الشرط ، لا يلزم ولا تترتب عليه آثاره إلا بعد موافقة صاحب الشأن .

المبحث الثالث : المعقود عليه في عقد الاستصناع وما يتعلق به من شروط :

المعقود عليه في عقد الاستصناع هو المصنوع ، والعمل ، والثمن ، وقد اشترط الفقهاء للمعقود عليه في هذا العقد عدد من الشروط بعضها يدخل تحت الشروط العامة للبيع وبعض منها يختص بها عقد الاستصناع دون غيره من عقود البيع ، وسنذكرها فيما يلي :

1 / بيان جنس المصنوع ونوعه وقدره وصفاته : جاء في بدائع الضائع ما نصه : (وأما شرائط جوازه فمنها : بيان جنس المصنوع ، ونوعه ، وقدره ، وصفته لأنه مبيع فلا بد أن يكون معلوماً ....) [57] بيان جنس المصنوع يكون ببيان المطلوب صنعه ، وذكر اسمه كلباس أو إناء ، أو سيارة ، أو غير ذلك من الأجناس التي يجوز استصناعها ، أما بيان نوع المصنوع فيكون بذكر الصنف والمادة التي يصنع منها ، كسيارة من الحديد المقاوم للصدأ ، صالحة للمناطق الحارة ، مخصصة للشحن أو للركاب ، ونحو ذلك من الصفات ، وأما بيان الصفة

والقدر ، فيكون بذكر الأوصاف التي تميزه عن غيره ، وتخرجه عن الجهالة ، كسيارة موديل كذا ، بثمن مقدر بالعملة التي يتفق عليها العاقدان ، وغير ذلك من الصفات التي يجب ذكرها وتحديدها في الشيء المطلوب صنعه مما يحول دون التنازع عند تسليم المصنوع. [58] .

2 / أن يكون المراد صنعه مما يجري فيه التعامل والمقصود بهذا الشرط هو أن الاستصناع لا يكون إلا في سلع اعتاد الناس على استصناعها ، ولا يجوز الاستصناع عند فقهاء الحنفية ، فيما لا يدخل تحت مجال التعامل بين الناس ، وقد ذكر فقهاء الحنفية أمثلة لبعض ما اعتاد الناس استصناعه في عصرهم قال الكاساني " ..... وأن يكون مما فيه للناس تعامل كالقلنسوة والخف والآنية ، ونحوها ، فلا يجوز فيما لا تعامل لهم فيه ، كما إذا أمر حائكاً يحوك له ثوباً بغزل نفسه ، ونحو ذلك مما لا تعامل فيه ، لأن جوازه ثبت على خلاف القياس ، وذلك بتعامل الناس ، فيختص بما لهم فيه تعامل ، ويبقى الأمر فيما وراء ذلك موكولاً للقياس " [59] .

3 / اشتراط عدم ذكر الأجل في عقد الاستصناع : فإن حدد فيه أجل لتسليم المصنوع ، انقلب العقد سلماً عند أبي حنيفة ، حتى تشترط فيه شروط السلم ، مثل قبض البدل في المجلس ، وأنه لا خيار لأحد العاقدين إذا سلم الصانع المصنوع على الوجه الذي اشترط عليه في العقد ، ودليله : أن العاقد إذا حدد أجلاً فقد أتي بمعنى السلم، والعبرة في العقود لمعانيها لا لصور الألفاظ . ولهذا إذا حدد أجل فيما لا يجوز الاستصناع فيه كأن يستصنع حائكاً أو خياطاً لينسج له أو يخيط قميصاً بغزل نفسه ينقلب العقد سلماً ، كما أن التأجيل يختص بالديون ، لأنه وضع لتأخير المطالبة وتأخير المطالبة ، إنما يكون في عقد فيه مطالبة وليس ذلك إلا في السلم إذ لا دين في الاستصناع. [60]

وقال الصاحبان : ليس هذا بشرط ، والعقد استصناع على كل حال حدد فيه أجل أو لم يحدد [61] واستدلوا على رأيهم هذا بما يلي :

1 / إن العرف والعادة جارية بضرب الأجل في الاستصناع ، وإنما جاز للتعامل فالقصد به تعجيل العمل لا تأخير المطالبة من المستصنع، فلا يخرج به هذا عن كونه استصناعاً، بينما القصد من السلم تأخير المطالبة ، ولذلك شرط فيه التأجيل .

2 / إن اللفظ حقيقة في الاستصناع ، فيحمل على حقيقته ، فذكر الاستصناع يقتضي أن لا يكون إلا عقد استصناع ، لأن اللفظ حقيقة وهو ممكن العمل . أما ذكر الأجل فيقتضي أن يكون سلماً لكنه ليس بمحكم فيه ، بل يحتمل أن يكون استصناعاً ويحمل على التعجيل وبهذا الاحتمال يكون الأجل من مقتضيات الاستصناع وليس خاصاً بالسلم [62] .

الترجيح : الذي يراه الباحث راجحاً هو ما ذهب إليه الصاحبان ومن وافقهما ، وذلك لأن كثير من الصناعات في عصرنا الحاضر تحتاج إلى الأجل ، حتى يستكمل صنعها ، بل إن الأجل قد يكون ضرورياً لمنع الجهالة المفضية إلى المنازعة فقد يتقاعس الصانع ، أو يتكاسل عن صناعة السلعة المطلوبة منه ، والمستصنع يطالبه بسرعة تجهيزها وإكمال ذلك المصنوع المتعاقد عليه وليس هناك ما يرجعان إليه في تحديد المدة التي قد تستغرقها صناعة تلك السلعة ، ولذلك فإن تحديد الأجل هنا ضروري للالتزام به والاحتكام إليه ، وهو ما ذهب إليه مجمع الفقه الإسلامي [63] لقربه من المقاصد العامة للشريعة الإسلامية .

3 / الشرط الثالث من شروط المعقود عليه في عقد الاستصناع : أن تكون المواد المستخدمة في السلعة المصنوعة من الصانع ، فإذا كانت تلك المواد من المستصنع فإن العقد يكون إجارة لا استصناعاً . [64]

4 / أن يكون المعقود عليه موجوداً يستطاع تسليمه وإذا نظرنا إلى عقد الاستصناع وجدنا أن السلعة المتعاقد على استصناعها معدومة حساً ، لكنها موجودة حكماً ، فقد جاء في البدائع ما نصه (... ولأن المعقود عليه وهو المستصنع ، وإن كان معدوماً حقيقة لكنه ، جعل موجوداً شرعاً حتى جاز العقد استحساناً) [65]

وجاء في البحر الرائق (وحين لزم جوازه علمنا أن الشارع اعتبر فيه المعدوم موجوداً وهو كثير في الشرع : كطهارة صاحب العذر ، وتسمية الذابح إذا نسيها والرهن بالدين الموعود ، وقراءة المأموم) [66]

5 / أن يكون المعقود عليه مملوكاً : وذلك بان يكون البيع مملوكاً لمن يقع عليه العقد له فإن باشر العقد بنفسه فليكن له ، وإن باشره لغيره فليكن بولاية أو وكالة ، ويصح بيع ما لم ير المتعاقدان ، كما في عقد الاستصناع ـ إن ذكر جنسه ووصفه ، لأن العبرة في ذلك هي القدرة على التسليم وهي موجودة في الاستصناع كما ذكرنا [67]

6 / أن يكون البدلان مالاً مقوماً : وبما أن الاستصناع من عقود البيع ، فلا بد أن يكون فيه كل من الثمن والمصنوع من الأموال المتقومة ، والمال المتقوم يستعمل في معنيين الأول منهما " بمعنى ما يباح الانتفاع به ، فلا يجوز بيع الخمر أو استصناعه " والثاني " بمعنى المال المحرز ، فالسمك في البحر غير متقوم وإذا اصطيد صار متقوماً بالإحراز " [68] .

الفصل الثالث : الآثار المترتبة على عقد الاستصناع

وفيه ثلاثة : مباحث

المبحث الأول : مدى لزوم عقد الاستصناع :

هو عقد غير لازم قبل الصنع ، وبعد الفراغ من الصنع ، ولكل من العاقدين الخيار في إمضاء العقد أو فسخه و العدول قبل رؤية المستصنع للشيء المصنوع ، فلو باع الصانع المصنوع قبل أن يراه المستصنع جاز لأن

العقد غير لازم ، والمعقود عليه ليس هو عين المصنوع ، وإنما مثله في الذمة .

فإذا جاء الصانع بالشيء المصنوع إلى المستصنع فقد سقط خياره ، لأنه رضي بكونه للمستصنع ، حيث جاء به إليه ، وحينئذ إذا رآه المستصنع فله الخيار : إن شاء أخذه ، وإن شاء تركه ، ويفسخ العقد عند أبي حنيفة ، ومحمد لأنه اشترى شيئاً لم يره فكان له خيار الرؤية ، بخلاف الصانع فهو بائع ما لم يره فلا خيار له .

وقال أبو يوسف : العقد لازم إذا رأى المستصنع المصنوع ، ولا خيار له ، إذا جاء موافقاً للطلب والشرط ، لأنه مبيع بمنزلة المسلم فيه فليس له خيار الرؤية ، لدفع الضرر عن الصانع في فساد المواد المصنوعة التي صنعها وفقاً لطلب المستصنع ، وربما لا يرغب غيره في شرائه على تلك الصفة ، ورد عليه بأن ضرر المستصنع بإبطال الخيار له أكثر من ضرر الصانع إذ لا يتعذر عليه بيع المصنوع على أية حال . (69)

وفي تقديرنا أن رأى أبو يوسف هذا هو الرأي السديد منعاً لوقوع المنازعات بين المتعاقدين ، ودفعاً للضرر عن الصانع ، إذ أن أغراض الناس تختلف باختلاف الشيء المصنوع حجماً ونوعاً وكيفية ، ولأن هذا الرأي يتفق مع مبدأ القوة الملزمة للعقود بصفة عامة في الشريعة ويتناسب مع الظروف الحديثة التي يتفق فيها على صناعة أشياء خطيرة وغالية الثمن جداً كالسفن والطائرات وخطوط السكك الحديدية والجسور والمباني الضخمة ، فلا يعقل أن يكون عقد الاستصناع فيها غير لازم ، وأيضاً بالإضافة إلى الضرر الذي يصيب الصانع إذا عدل المستصنع عن قبول المصنوع له ، وربما يتقاعس القادرون على الصناعة في هذه المجالات عن تلبية حاجات الناس خوف هذه الأضرار ، وهذا أيضاً ينعكس على النشاط الصناعي فيصيبه بالشلل ، ولكن من ناحية أخرى نرى أنه لا بد من قصر هذا الحكم على الحالات التي يحصل بها للصانع ضرر جسيم ، أما في الأحوال المعتادة والمصنوعات اليسيرة كالحذاء والثوب ونحو ذلك ، فينبغي أن يبقى خيار الرؤية حقاً للمستصنع على القاعدة العامة في البيوع وخاصة حيث يتمكن الصانع من بيع المصنوع بيسر وسهولة .

المبحث الثاني : الخيار في عقد الاستصناع

الخيار هو طلب خير الأمرين ، إما إمضاء عقد الاستصناع أو فسخه وسوف أتكلم عن ذلك في المطلبين التاليين كما يلي :

المطلب الأول : ثبوت خيار الرؤية في عقد الاستصناع :

خيار الرؤية هو ما يثبت لأحد العاقدين عند رؤية محل العقد ، من فسخ العقد أو إمضاءه وثبوت هذا الخيار لسبب عدم رؤية المحل عند إنشاء العقد أو قبله ، ويثبت هذا الخيار في عقد الاستصناع للمستصنع مطلقاً ، وذلك بعد رؤيته للسلعة المصنوعة ، سواء أكانت تلك السلعة مطابقة للمواصفات والشروط المتفق عليها ، أم لم

تكن مطابقة ، وهذا هو الصحيح عند الجمهور من فقهاء الحنفية [70] ويرى أبو يوسف في الرواية الأخرى عنه أن للمستصنع الخيار إذا رأى المصنوع وكان مخالفاً للمواصفات المتفق عليها ، وليس له حق الخيار إذا رأى المصنوع وكان مطابقاً للمواصفات المتفق عليها ، لأن في إثبات الخيار في هذه الحالة إضراراً بالصانع . [71] أما ما يتعلق بإثبات الخيار للصانع ، فإن فقهاء الحنفية قد اتفقوا على أنه لا خيار للصانع بعد إحضار المصنوع إلى المستصنع ورؤيته له ، ولذلك فإنه لا يحق له بيعه من غير المستصنع بعد إحضاره ، لأنه قد أسقط خياره بإحضاره للمصنوع.[72]

المطلب الثاني : ثبوت خيار العيب في عقد الاستصناع :

الفرع الأول : تعريفه وحكمه : ويقصد بهذا الخيار ، ما يثبت للعاقدين من حق فسخ العقد ، بسبب ما وجدا من عيب في محل العقد تنقص به قيمته المالية في عرف التجار ، كمن اشترى أو استصنع ثوباً أبيض ، فوجد أن لون الخيوط التي طرز بها ذلك الثوب سوداء ، أو أن الثوب لا يستر الجسم ، فله الحق في فسخ العقد ورد ذلك الثوب إلا إذا رضي به بما فيه من عيب وذلك لأن السلامة من العيوب من مقتضيات العقد . [73]

وقد اتفق الفقهاء على ثبوت خيار العيب ، لمن وجد عيباً في المبيع ، وأن له الحق في فسخ العقد ، وأخذ رأس ماله . [74]

وبما أن الاستصناع عقد من عقود البيع المستقلة بذاتها عند الحنفية الذين يتفقون مع عامة الفقهاء في المذاهب الإسلامية ، على ثبوت خيار العيب في البيع ، فإن هذا الخيار يثبت في عقد الاستصناع ، كما يثبت في غيره من عقود البيع .

الفرع الثاني : وقت ثبوت خيار العيب :

أما وقت ثبوت هذا الخيار ، فإنه يثبت متى علم المشتري بالمبيع عيباً لم يكن عالماً به عند العقد ، ويثبت له هذا الخيار ، وإن لم يشترط سلامته من ذلك العيب ، فهذا الخيار يثبت بالشرط دلالة ، لأن السلامة من العيوب شرط ضمني في العقد ، ولذا صار0 كالمشروط نصاً . [75] إلا أن الفقهاء اختلفوا في الرد بالعيب بعد العلم به هل يثبت على الفور بمجرد العلم به ، أم أنه لا يثبت إلا على التراخي ؟ فذهب فقهاء الحنفية إلى أن خيار الرد بالعيب يكون على التراخي ، فإن علم بالعيب وأخر الرد ، فإن حقه في الخيار لا يبطل حتى يوجد منه ما يدل على الرضاء[76].

وذهب المالكية والشافعية إلى أن الرد بالعيب يثبت على الفور ، فلا يجوز تأخيره أكثر من ثلاثة أيام ، وإلا سقط حق الرد [77] .

والرأي الراجح في نظر الباحث ما ذهب إليه الأحناف من أن الرد بالعيب يثبت على التراخي، فهو المناسب لعقد الاستصناع ، لأن بعض الآلات والمعدات التي يجري استصناعها لا تكتشف عيوبها إلا بعد فترة من تشغيلها واستعمالها ، وقد يتطلب ذلك أكثر من ثلاثة أيام حتى يتم شحنها وإعادتها إلى صانعها ، بل أن المباني والمنازل التي تبنى عن طريق عقد الاستصناع لا تكتشف العيوب فيها إلا بعد فترة تتراوح ما بين خمس سنوات إلى عشر ، ولذا كان رأي الحنفية هو الأنسب لعقد الاستصناع لما فيه من التخفيف على الناس ورفع الحرج عنهم .

الفرع الثالث : شروط ثبوت خيار العيب :

ويشترط لثبوت خيار العيب ما يلي :

1 / أن يكون العيب مؤثراً في قيمة المبيع ، بنقص ثمنه في عرف التجار نقصاً يفوت به غرض صحيح .

2 / أن يكون البيع تحت ضمان البائع ، وقت حدوث العيب ، وذلك بأن يكون العيب قديماً في السلعة المباعة ، قبل انتقالها إلى ملك المشتري ، ودخولها تحت ضمانه فإذا انتقلت السلعة إلى ملك المشتري وحدث العيب فيها بعد ذلك فلا يثبت له خيار العيب ، لأنها قد دخلت تحت ضمانه .

3 / أن يكون المشتري غير عالماً بالعيب حال العقد ، وأن لا يرضى به حين القبض ، فإذا كان عالماً به حين العقد أو قبل القبض فلا خيار له ، وذلك لتمام الرضا بالعين المبيعة التي لم يشرع الخيار إلا لفقدان الرضا بها .

4/ أن يبقى العيب إلى أن يتم الفسخ بسببه ، فإن زال العيب قبل الفسخ فلا خيار فإن عاد العيب بذلك السبب نفسه ثبت الخيار [78]

الفرع الرابع : مسقطات الرد بالعيب :

ويسقط خيار الرد بالعيب ، إذا وجد سبب من الأسباب الآتية :

1 / الرضا بالعيب بعد العلم به ، وذلك لأن الرضا يعد دليلاً على أن السلامة للمحل من ذلك العيب غير مطلوبة، ويمكن التعبير عن هذا الرضا صراحة كقوله أنا راضٍ بهذا المبيع على ما فيه من عيوب ،أو دلالة كالتصرف فيه باستهلاكه أو بيعه أو غير ذلك من التصرفات المشروعة.

2 / هلاك المعقود عليه قبل القبض في يد البائع ، وذلك لفوات المحل .

3 / أن يطرأ على محل العقد عيب ، وهو في يد المشتري ، كان يكون المبيع معيباً ، ثم يحدث له عيباً آخر ، وهو تحت ضمان المشتري وفي ملكه ، إذ ليس من المقبول أن يخرج المبيع من ملك البائع بعيب واحد ، ثم يرجع إليه بعيبين، ولذلك كان على المشتري أخذ الأرش عن العيب الأول ، وليس له حق الرد لتعذره مع حدوث العيب الثاني .

4 / زيادة المحل في يد المشتري زيادة متصلة غير متولدة منه كإجراء المستصنع بعض التحسينات على السيارة أو الآلة المستصنعة ، أما الزيادة المنفصلة غير المتولدة كاستثمار تلك السلعة المصنوعة ، فإنها لا تمنع الرد ، قياساً على كسب العبد المعيب ، فهي للمشتري في مقابلة ضمانه ، لأنه لو هلك ذلك المبيع في يد المشتري ـ لكان ضامناً لها سواء هلكت بفعله أم بفعل غيره .

5 / تصرف المشتري في المبيع تصرفاً يخرجه عن ملكه وهو غير عالم بعيبه وذلك ببيعه أو هبته ، أو وقفه ، فإن عاد إليه فأراد رده بالعيب الأول فليس له رده (79) .

وفي هذا الشرط نظر لتنافيه مع الحكمة التي شرع من أجلها خيار العيب ، وهي رفع الضرر لعدم الرضا بذلك المبيع، فالمشتري هنا لم يعلم بذلك العيب إلا بعد أن باع تلك السلعة ، التي أرجعت إليه بسبب ذلك . ولذلك فإن الباحث يرى في هذه المسألة أن الخيار لا يسقط ، ما دام قد رجع ذلك المبيع أو المصنوع المعيب إلى ملكه، وهو قادر على رده ، وأن بيعه له مع عدم علمه بعيبه لا يعد دليلاً على الرضا بذلك العيب .

المبحث الثالث : انتهاء عقد الاستصناع :

إذا انعقد الاستصناع مستوفياً لشروطه وأركانه ، وقام كل من المتعاقدين بالوفاء بما التزم به كانت نهايته إيجابية ، وقد تكون نهايته سلبية نتيجة لظروف طارئة قد تكون خارجة عن إرادة المتعاقدين ، وقد تكون من صنع أحدهما ، وسوف أتناول في هذا المبحث النهائة الإيجابية والسلبية لهذا العقد . وذلك في مطلبين .

المطلب الأول : النهاية الإيجابية لعقد الاستصناع :

وسوف أتكلم في هذا المبحث في ثلاثة فروع : يخصص الأول منها لذكر الأمور التي ترجع إلى الصانع ، والثاني منها إلى ذكر الأمور التي ترجع إلى المستصنع ، أما الثالث فسيكون لبيان وجهة نظر الحنفية في موت أحد المتعاقدين وأثر ذلك في عقد الاستصناع ، وبيان الرأي الراجح في ذلك :

الفرع الأول : الأمور التي ترجع إلى الصانع وهي :

1 / إتمام المادة الخام ـ التي تكون من عند الصانع ـ وتشكيلها طبقاً للمواصفات المتفق عليها بينه وبين المستصنع .

2 / تسليم المطلوب صنعه إلى المستصنع .

3 / استلام الثمن المتفق عليه بينهما .

الفرع الثاني : الأمور التي ترجع إلى المستصنع :

ذكر الفقهاء الأمور التي يجب أن يقوم بها المستصنع كي ينتهي عقد الاستصناع نهاية إيجابية وهي :

1 / إعطاء الصانع مواصفات السلعة المطلوب صنعها عند التعاقد .

2 / استلام المطلوب صنعه .

3 / دفع الثمن المحدد للصانع في الموعد الذي اتفقا عليه ، سواء أكان قبل الصنع ، أو بعده ، أو كان على التقسيط .

الفرع الثالث : موت أحد المتعاقدين وأثره على عقد الاستصناع :

يرى فقهاء الحنفية أن موت أحد المتعاقدين يعد منهياً لعقد الاستصناع ، وسندهم في ذلك القياس ، قياس الاستصناع على الإجارة ، بجامع الشبه بينهما ، حيث أن الاستصناع يبدأ وكأنه إجارة ، لأن الصانع عندما يحول المادة المطلوب صنعها يكون عمله هذا من قبيل المنفعة التي يقدمها للمستصنع ، فهو عامل من هذه الجهة قبل التسليم ، فإذا ما تم صنع تلك المادة فإنه يسلمها للمستصنع ويأخذ الثمن المتفق عليه الذي هو عبارة عن قيمة المادة الخام وأجرة الصنع ، وبهذا ينتهي بالبيع ، ولكن إذا مات الصانع فكأنه لا زال في مرحلة الإجارة والإجارة عند الحنفية تبطل بموت العامل [80] .

ولكن الباحث هنا لا يسلم ببطلان الاستصناع بموت أحد المتعاقدين وذلك للأسباب الآتية :

أولاً : إن الاستصناع ليس كالإجارة من كل وجه ، ولذلك فإن قياسه عليها لا يصح لأن ذلك قياسٌ مع الفارق ، فالمعقود عليه في الإجارة هو العمل فقط ، بينما المعقود عليه في الاستصناع هو العين والعمل معاً ، وحتى الحنفية أنفسهم قد أثبتوا للاستصناع أحكاماً تختلف عن أحكام الإجارة ، كخيار الرؤية وعدم اللزوم .

ثانياً : لو افترضنا صحة قياس الاستصناع على الإجارة ، فإن الإجارة لا تبطل بموت أحد العاقدين ، عند كل من المالكية والشافعية والحنابلة ، وذلك لأن الميت قد أوجب بذلك حقاً لم يكن له فسخه في حياته إلا بإيفاء حقه ، فينتقل هذا الحق إلى الورثة مثله مثل الرهن ، فإذا مات الراهن وهو عند المرتهن ، فإنه ينتقل إلى وارثه ، ولا يملك ذلك الوارث فسخه إلا بإيفاء الغريم حقه ، فكل من الرهن والإجارة قد أوجب الميت فيهما حقاً لا يمكن فسخه بغير عذر إلا باستيفاء ذلك الحق . [81]

المطلب الثاني : النهاية السلبية لعقد الاستصناع :

قد تستجد بعض الأمور أو الظروف بعد إنشاء العقد ، وقد تحول دون تحقيق ما اتفق عليه العاقدان في هذا العقد ، وعدم استفادتهما الفائدة المرجوة منه ، وذلك كفسخ العقد قبل إتمامه وإكماله ، وقد أطلق الباحث على ذلك اسم النهاية السلبية ، وهذه المستجدات قد تكون نتيجة لظروف قاهرة خارجة عن إرادة المتعاقدين ، وقد تكون أموراً مصطنعة بفعل أحد المتعاقدين ، وتفصيل ذلك فيما يلي :

الفرع الأول : الظروف القاهرة وأثرها على عقد الاستصناع :

والظروف القاهرة مثل نشوب حريق بالمصنع يأتي على كل ما فيه ، أو اندلاع حرب تمنع الصانع من

استيراد المواد الخام ، أو غرق السفينة التي تقوم بنقل المواد الخام ، أو حدوث زلزال ، وغير ذلك من الطوارئ سواء كانت مكتسبة من غير العاقدين أم سماوية .

فإذا ما طرأت تلك الظروف القاهرة بعد انعقاد الاستصناع ، وحالت دون إتمام ما تم التعاقد عليه ، فإن المستصنع بالخيار بين الانتظار أو فسخ العقد [82] ويمكن للمستصنع أن يتحمل ما يستطيعه من الخسارة ، التي أصابت الصانع ، وذلك من باب التعاون والمواساة وفعل الخير ، وانطلاقاً من استحباب وضع الجوائح ، وعدم اقتصار ذلك الاستحباب على البائع الصانع ، بل أن ذلك يتعداه إلى المشتري المستصنع ، لما فيه من تفريج لكرب ذلك الصانع الذي أصابه الضرر بتلك الجائحة ، وجبر مصابه ، والوقوف معه في محنته ، وهذا ما أمر به الإسلام ودعا إليه ، فالمسلم لأخيه المسلم كالبنيان مؤازرة ومساندة [83] .

الفرع الثاني : الظروف المصطنعة :

المراد بالظروف المصطنعة ، ما كان من صنع المتعاقدين كمماطلة الصانع في صنع السلعة المطلوبة منه ، مما يؤدي إلى تفويت مصلحة المستصنع وإلحاق الضرر به ، وقد تكون المماطلة من المستصنع إذا ما تأخر عن دفع أقساط الثمن المتفق عليها في وقتها المحدد ، فما الحكم الشرعي في تلك الظروف ، وما الإجراءات التي يمكن اتخاذها ضد الممتنع المماطل في هذا العقد ؟ .

لقد وضعت الشريعة الإسلامية العديد من الإجراءات الكفيلة بمنع مثل هذه التصرفات فشرعت التعزير بمختلف أنواعه ، كالحبس والتعويض بفرض الغرامة على ما فات من المنافع ، كما شرعت الحجر على أموال المماطل وممتلكاته وبيعها لصالح غريمه المتضرر ، وغير ذلك من الإجراءات الكفيلة بدفع الضرر عن العاقدين ، والمحافظة على حقوق العاقدين [84] .

الخاتمة والنتائج

بعد أن تم البحث عن هذا الموضوع بحمد الله ، فقد توصل الباحث إلى النتائج الآتية :

1 / الاستصناع من عقود البيع المشروعة ، وهو شراء ما سيصنع قبل صنعه ، ويجوز فيه تقديم الثمن ، أو تأخيره ، أو تقسيطه .

2 / الاستصناع عند الجمهور من الفقهاء ، هو الاستصناع عند الحنفية إلا أنهم جعلوه نوعاً من السلم وأوجبوا فيه دفع ثمن السلعة المستصنعة في مجلس العقد .

3 / المبيع في كل من الاستصناع والسلم ثابت في الذمة ، إلا أن الثمن في عقد السلم يجب دفعه كاملاً في مجلس العقد ، بينما لا يشترط تعجيل الثمن في عقد الاستصناع ، إذ يجوز تقديمه أو تأخيره أو تقسيطه ، وبهذا يتميز

عقد الاستصناع عن عقد السلم .

4 / يحتل عقد الاستصناع أهمية كبيرة في عصرنا الحاضر فبه تنشط التجارة والصناعة .

5 / المعقود عليه في عقد الاستصناع هو العين والعمل ، بناء على ما ترجح للباحث من أقوال الفقهاء ، وذلك لكي يتميز هذا العقد عن غيره من العقود .

6 / يصح التعاقد في الاستصناع بواسطة الوسائل الحديثة كالهاتف والفاكس ، والانترنت ونحو ذلك من الوسائل التي يمكن بواسطتها التعبير عن إرادة المتعاقدين في الإيجاب والقبول.

7 / لا يشترط في عقد الاستصناع أن يكون العمل من عمل الصانع نفسه ، بل يجوز أن يكون من عمل غيره ، ما دام ذلك المصنوع مطابقاً للمواصفات المشروطة في العقد .

8 / يجب أن تكون المادة الخام الداخلة في صناعة المصنوع من عند الصانع ، ويفسد عقد الاستصناع إذا قام المستصنع بتوفير المادة الخام .

9 / يرجح للباحث القول بلزوم عقد الاستصناع منذ إنشائه وانعقاده حتى يتم تسليم المصنوع للمستصنع مطابقاً للمواصفات والشروط التي نص عليها العقد ، وعدم جواز فسخه إلا بموافقة الطرفين ، لما في ذلك من الحفاظ على مصالح المتعاقدين في هذا العقد .

10 / إذا جاء الصانع بالمستصنع مخالفاً للشروط كان للمستصنع الخيار في قبول المصنوع ، أو إرجاعه وأخذ رأس ماله .

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم :

1. سورة النحل الآية 88
2. سورة هود الآية 37
3. سورة هود الآية 38
4. سورة الأنبياء الآية 80
5. سورة سبأ الآية 13
6. لسان العرب لأبن منظور ، مادة صنع ، ج 8 ص 209 ، دار الفكر بيروت .
7. أنظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، المتوفي سنة 1968م، باب الصاد،ص320 وما بعدها، مؤسسة جمال للنشر بيروت
8. بدائع الصنائع ، علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني ، ج 5 ص 2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، فتح القدير الشيخ الإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد ج 5 ص 354 ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، الفتاوي الهندية ، للعلامة الهمام مولانا الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ج 4 ص 504 ، الطبعة الثانية سنه 1310هـ ، الفواكه الدواني ، أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي ، ج 22 ص 102 ، المتوفى سنه 1225هـ ، دار الفكر بيروت ، الأم للشافعي (محمد بن إدريس الشافعي) ج 3 ص 123 – 126 ، دار المعرفة بيروت لبنان ، الروض المربع ، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي ، ج 2 ص 133 ، المتوفى سنه 1051هـ ، دار الفكر بيروت .

9. صحيح مسلم ، الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، ج 3 حديث رقم 3276 ص 1153 ، دار الفكر بيروت
10. صحيح البخاري ، للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، حديث رقم 5536 ص 2205 ، تحقيق محمد علي قطب ، المطبعة العصرية ، بيروت لبنان ، 1991م .
11. المرجع السابق ، ج 1 ، ص115
12. تبيين الحقائق ، لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي ، ج 4 ص 123 ، دار الكتب الإسلامي القاهرة .
13. المرجع السابق نفسه .
14. أنظر المبسوط ، مرجع سابق ج 11 ص 139 ، وكذلك تبيين الحقائق ، مرجع سابق .ج 4 ص 124 ، وأنظر الدر المختار مرجع سابق ج 4 ص 225.
15. أنظر المصدر نفسه .
16. أنظر تبيين الحقائق ، مرجع سابق ، ج 4 ص123 .
17. أنظر المصدر السابق نفسه .
18. أنظر المبسوط ، مرجع سابق ج 11 ص139 ، وكذلك تبيين الحقائق ، مرجع سابق ، ج4 ص124 وأنظر الدر المختار مرجع سابق ، ج4 ص225 .
19. أنظر المراجع السابقة والصفحة .
20. انظر فتح القدير ، كمال الدين محمد بن عبدالواحد السيواسي السكندري المعروف بـإبن الهمام الحنفي ، ج 4 ص 124، مصطفى الحلبي ، القاهرة ، وكذلك المبسوط ، مرجع سابق ، ج11 ص 140 ، وانظر تبيين الحقائق مرجع سابق ج 4 ص 124 ، وكذلك البحر الرائق ، مرجع سابق ، ج 4 ص 124 ، وكذلك البحر الرائق مرجع سابق ، ج 6 ص 185 .
21. أنظر المصادر السابقة نفسها .
22. بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، للإمام القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ، ج 2 ص 163 – 165 ، المتوفى سنه 595 هـ ، طبعة جديد منقحة ومصححة ، بإشراف مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
23. أنظر المصدر السابق .
24. أنظر بدائع الصنائع ، لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني ، المتوفي سنة 587 هـ ، ج 5 ص 109 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الثانية 1986 م ، وكذلك تبيين الحقائق ، مرجع سابق ج 4 ص 123 .
25. انظر عقد الاستصناع ، أو عقد المقاولة في الفقه الإسلامي ، دراسة مقارنة ، كاسب عبد الكريم ، ص 104 رسالة ماجستير ، المعهد العالي للصناعة – السعودية 1979م .
26. مختار الصحاح ، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ص 156 باب الصاد ، طبعة مدققة 1992م طبع في لبنان .
27. مغني المحتاج إلي معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، للشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني ، علي متن منهاج الطالبين للإمام أبي زكريا يحي بن شرف النوني ، ج 2 ص 4 ، 5 ، إشراف صدقي محمد جميل العطار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
28. المطلع على أبواب المقنع، أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي المتوفي سنة 570، ص227 تحقيق محمد بشير الأدبي، المكتب الإسلامي 1981م .
29. أنظر مجلة الأحكام العدلية ، وضعها لجنة من علماء الدولة العثمانية برئاسة أحمد جودة باشا ، مادة : (101 ـ 102) ص 29 مصطفى البابي الحلبي .
30. أنظر السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ، محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق ابراهيم زايد ، ج 3 ص 11 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، وكذلك أنظر بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، لأبي الوليد محمد بن احمد بن احمد بن رشد القرطبي ، ج 2ص 128، دار المعرفة ، بيروت الثامنة 1986م .
31. أنظر روضة الطالبين ، وعمدة المفتين ،لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، ج 3 ص 340 ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان 1985 م .
32. مطالب أولى النهى، مصطفى السيوطي المتوفي سنة 243 هـ ، ج 3 ص 4 المكتب الإسلامي دمشق 1961 م
33. أنظر حاشية ابن عابدين، لمحمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الشهير بابن عابدين المتوفى سنة 1252هـ ج4ص11، 402 مصطفى البابي الحلبي مصر.
34. انظر مواهب الجليل ، لشرح مختصر خليل ، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالحطاب ، ج 4 ص 240 ، مكتبة النجاح طرابلس–ليبيا .

35. أنظر بداية المجتهد ، مرجع سابق ، ج 2 ص 128 .

36. أنظر المصدر السابق نفسه .

37. أنظر تحفة الفقهاء ، علاء الدين السمرقندي ، ج 2 ص 29 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

38. أنظر كشاف القناع : منصور بن يونس بن ادريس البهوتي ، ج 3 ص 148 ، مطبعة الحكومة السعودية ، مكة المكرمة 1394 هـ .

39. أنظر البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، مرجع سابق ج 5 ص 2279 ، وكذلك حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ، (أبو السعود الدسوقي) ج 3 ص 7 دار الفكر بيروت ، لبنان.

40. أنظر المراجع السابقة نفسها .

41. سورة آل عمران الآية 41 .

42. الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبدالله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي ، المتوفي سنة 671 هـ ج 4 ص 61 ، تحقيق محمد ابراهيم الحفناوي ، دار الحديث القاهرة الثانية سنة 1996 م .

43. أنظر جواهر العقود ، للسيوطي ، وكذلك السيل الجرار ، مرجع سابق ج 3 ص11، وأنظر الفواكه الدواني ، مرجع سابق ج 2 ص 109 ، وكذلك حاشية بن عابدين ، مرجع سابق ج 4 ص 527 .

44. روضة الطالبين ، مرجع سابق ج 3 ص 337 .

45. أنظر بدائع الصنائع ، مرجع سابق ج 5 ص 1138 ، وكذلك المغنى ، لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن احمد بن قدامة ، ج 4 ص 7 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، وأنظر عقد السلم وعقد الاستصناع ، مطهر سيف احمد رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى 1993 م.

46. أنظر كفاية الأخيار ، تقي الدين أبي بكر بن محمد الحسيني الدمشقي الشافعي ، ص 232 ، تحقيق : علي عبدالحميد بلطجي ، دار الخير ، دمشق الأولى 1994 م ، وكذلك جواهر العقود ، مرجع سابق ، ج 1 ص 49

47. أنظر بدائع الصنائع ، مرجع سابق ، ج 5 ص 149 ، وكذلك الفواكه الدواني ، مرجع سابق ، ج 2 ص 73 .

48. أنظر كشاف القناع ، مرجع سابق ج3 ص 152 .

49. أنظر كفاية الأخيار ، مرجع سابق ، ص 232 .

50. أنظر جواهر العقود ، مرجع سابق ج 1 ص 49 ، وكذلك القوانين الفقهية ، لمحمد بن أحمد بن جزى الكلبي الغرناطي ، المتوفي سنة 741 هـ ص 163 ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1982 م ، وأنظر الكافي في فقه الإمام احمد بن حنبل ، عبدالله بن قدامة المقدسي ج 2 ص 243 ، المكتب الإسلامي بيروت .

51. أنظر بدائع الصنائع ، مرجع سابق ، ج 5 ص 149 ، وما بعدها .

52. أنظر بداية المجتهد ، مرجع سابق ، ج 2 ص 129 ،

53. أنظر البحر الرائق، مرجع سابق ج6ص160 ، وكذلك بداية المجتهد ، مرجع سابق ، ج 2ص129، وانظر السيل الجرار ، مرجع سابق ج3 ص10 .

54. فتح البارى صحيح البخاري ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ج 6 ص 632 ، كتاب المناقب باب 28 ، حديث رقم 3642 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

55. أنظر نهاية الزين ، لأبي عبدالمعطي محمد بن عمر بن علي بن نووي الجاوي ، ص 225 ، دار الفكر بيروت الأولى .

56. أنظر الفروع ، لأبي عبدالله محمد بن مفلح المقدس ، المتوفي سنة 762 ج 4 ص 273، تحقيق أبو الزهراء حازم القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت الأولى 1418هـ وكذلك المحرر في الفقه في مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، لمجد الدن أبي البركات ج 1 ص 310 .

57. بدائع الصنائع ، مرجع سابق ، ج 5 ص 209 .

58. أنظر المبسوط ، مرجع سابق ج 11 ص125 ، وكذلك البحر الزخار ، مرجع سابق ج 4 ص 399 ، وكذلك أنظر المغنى ، مرجع سابق ج 4 ص 313 ، والمجموع شرح المهذب، ليحيى بن شرف النووي ، ج 12 ص 1212 مكتبة الإرشاد ، جدة ، السعودية ط 1 ، وانظر أيضاً مواهب الجليل مرجع سابق ج 4 ص 513 .

59. بدائع الصنائع ، مرجع سابق ج 5 ص 210 .
60. أنظر المرجع السابق ، وكذلك البحر الرائق ، مرجع سابق ج ص 1185 .
61. نفس المراجع السابقة .
62. أنظر المصادر السابقة ، وكذلك تبيين الحقائق ، مرجع سابق ج 4 ص 124 .
63. أنظر فتاوى الاستصناع والمقاولات والسلم ، مجموعة دلة البركة ، شركة البركة للإستثمار والتنمية ، جمع وفهرست احمد محي الدن احمد ص 13 مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة الفقه الإسلامي قرار رقم 27 / 3 / 7 المؤتمر السابع 9 / 5/ 1992 م جدة الأولى 1998 م .
64. أنظر شرح فتح القدير ، مرجع سابق ، ج 7 ص 110 ، وكذلك المبسوط ، مرجع سابق ج 11 ص 140 .
65. البدائع ، مرجع سابق ، ج 5 ص 210 .
66. البحر الرائق ، مرجع سابق ج 6 ص 185 .
67. أنظر نهاية الزين ، مرجع سابق ، ص 222 .
68. أنظر مجلة الأحكام العدلية ، مرجع سابق ، مادة 127 ص 31 ، أنظر تحقيق المراد ، خليل كيكلدي العلائي المتوفي سنة 761 هـ ص 206 ، تحقيق ابراهيم محمد السفلفيتي ، دار الكتب الثقافية الكويت .
69. المبسوط ، مرجع سابق ج 12 ص 139 ، فتح القدير مرجع سابق ، ج 5 ص 256 بدائع الصنائع ، مرجع سابق ، ج 5 ص 3 ، 210 ، رد المحتار مرجع سابق ، ج 4 ص 223 .
70. نظر بدائع الصنائع ، مرجع سابق ج 5 ص 210 .
71. انظر المصدر السابق .
72. أنظر المبسوط للسرخسي ، مرجع سابق ، ج 11 ، ص 139 .
73. انظر أحكام المعاملات الشرعية ، علي الخفيف ، ج 379 ص430، دار الفكر العربي ، القاهرة ، الأولى ، 1996م
74. أنظر شرح منتهى الإرادات ، مرجع سابق ج 2 ص 92 ، وكذلك حواش الشرواني ج 5 ص 5 ، دار الفكر بيروت ، وانظر بدائع الصنائع ، مرجع سابق ، ج 5 ص 286 ، وكذلك حاشية العدوي ، علي الصعيد العدوي المالكي ، تحقيق ، يوسف الشيخ محمد البقاعي ج 2 ص 139 ، دار الفكر بيروت 1412 هـ ، وشرح الأزهار ، لأبن مفتاح ، ج 3 ص 195 ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، الطبعة الثانية 1357هـ .
75. أنظر جواهر العقود ، مرجع سابق ج1 ص 99 .
76. أنظر بدائع الصنائع ، مرجع سابق ، ج 5 ص 280 .
77. أنظر روضة الطالبين ، مرجع سابق ج 3 ص 476 .
78. أنظر بدائع الصنائع ، مرجع سابق ج 5 ص 280 وما بعدها ، وكذلك جواهر العقود ، مرجع سابق ج 11 ص 99 ، وأنظر أحكام المعاملات الشرعية ، مرجع سابق ص 389 .
79. أنظر بدائع الصنائع ، مرجع سابق ج 5 ص 280 ، وما بعدها ، وكذلك جواهر العقود مرجع سابق ج 11 ص 99 ، وأنظر أحكام المعاملات الشرعية ، مرجع سابق ص 389 .
80. أنظر تبيين الحقائق ، مرجع سابق ، ج 4 ص124 ، وكذلك شرح القدير ، مرجع سابق ، ج 7 ص110
81. أنظر الأم ، مرجع سابق ، ج 4 ص30 .
82. أنظر البحر الرائق ، مرجع سابق ،ج 6 ص172 ، أنظر شرح الكبير ، أحمد الدردير ، تحقيق محمد عليش ، ج 3 ص114 ، دار الفكر بيروت .
83. أنظر المغني ، مرجع سابق ، ج6 ص30 ، وكذلك بدائع الصنائع ، ج4 ص197 .
84. أنظر الإقناع ، محمد الشربيني الخطيب ، تحقيق مكتبة البحوث والدراسات بدار الفكر ، ج22 ص 302 ، دار الفكر بيروت ، وكذلك الفروع لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي المتوفى سنة 722هـ ، تحقيق ابو الزهراء ، حازم القاضي ج 4 ص224 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الأولى 1413هـ .

أسماء الأعلام عند اليمنيين في العصر الحديث

دراسة في البنية والدلالة

د.عبدالله محمد سعيد عبدالله *

مدخل :

حظيت أسماء الأعلام العربية قديماً وحديثاً باهتمام ، وكتب في ذلك تآليف عدة ، فمن القديم كتاب " اشتقاق الأسماء " لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي "ت 216هـ" . و كتاب " الاشتقاق " لأبي علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب " ت 206هـ" ، وكتاب " الاشتقاق " لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط"ت 215هـ" ، وهما كتابان مفقودان 1، و " الاشتقاق" لابن دريد " ت321هـ" .

وتزخر كتب المعاجم بأسماء أعلام عربية كثيرة ، وباشتقاقاتها ، ودلالاتها ، ومن ذلك معاجم " جمهرة اللغة " لابن دريد "ت 321هـ" ، و " لسان العرب " لابن منظور " ت 711هـ"، و " القاموس المحيط " للفيروز أبادي "ت 816هـ" ، و " تاج العروس " للزبيدي "ت120هـ". كما كتب عاطف مدكور " الأعلام الجاهلية دراسة في البنية اللغوية " .وكتاب " الأعلام العربية " للدكتور إبراهيم السامرائي .

غير أن أسماء أعلام أهل اليمن وإن كان قد عرض لبعضها في المصادر القديمة إلا أن هذا العرض يظل ناقصا إذ لم يستقص إلا اليسير منها ، خاصة تلك الأسماء المنحدرة عن اللغات اليمنية القديمة إلا من إشارات قليلة في كتابات د. إبراهيم الصلوي : " ألفاظ يمانية عند الهمداني ونشوان ..... و " أعلام يمانية قديمة مركبة " ، أما الأعلام الحديثة فلم تلق الاهتمام حتى الآن إلا ما عرض له الأستاذ مطهر بن علي الارياني في كتابه " المعجم اليمني " .

وتظل الأسماء اليمنية بحاجة لهذا الاهتمام للسبب السالف ذكره ، ولأمرين آخرين ، الأول : أن أسماء الأعلام عند اليمنيين تتميز عن أسماء الأعلام في باقي البلاد العربية في أنها احتضنت كثيراً من الأعلام التاريخية اليمنية القديمة والإسلامية التي لم يعد يسمى بها إلا في اليمن ، أو أن هذه الأسماء

---

*) أستاذ مساعد – كلية الآداب – جامعة تعز

أكثر شيوعاً في اليمن مقارنة بباقي البلاد العربية . كما إن تـأثر أسـماء الأعـلام عنـد اليمنيـين بالأسـماء المعربـة أو الدخيلة من لغات أخرى قليل جداً ، وهذه الأسماء دخلت في وقت متأخر .

والثاني : أن هذه الأعلام تتميز بأسماء كثيرة تخص أهل اليمن ، وهي تثير التعجب مـن حيـث مادتهـا الاشـتقاقية ، أومن حيث حقولها الدلالية .

ومما يدفع إلى الكتابة عن أسماء الأعلام لمجتمع من المجتمعات أن هذه الأسـماء قـد تسـاعد في كشـف بعض خبايا التاريخ ، وبعض قضايا الحاضر ، وستساعد على تفسيرها سواء كانت عقائدية أو مذهبية أو اجتماعية أو نفسية أو أخلاقية أو ثقافية وفكرية ، ومن خلال اختلاف هذه الأعلام في بنيتها ودلالتها يمكن أن نؤرخ لجوانب من هذه القضايا في مجتمع ما من المجتمعات . وستظل قدرة المؤرخ أو الباحث أو اللغـوي وغـيرهم ناقصـة مـا لم تأخذ في حسبانها دراسة أسماء الأعلام وهذا البحث يحاول أن يمهد الطريق للوصول إلى جزء من هذه الغاية.

وهذا البحث يعرض لدراسة أسماء الأعلام في اليمن في العصر الحديث ، دراسة وصفية من حيث أنواع أبنيتها وحقولها الدلالية والاجتماعية . وسينقسم إلى ثلاثة أقسام ، هي :

1 – أسماء الأعلام عند اليمنيين من حيث البنية .

2 – أسماء الأعلام عند اليمنيين من حيث الدلالة .

3 – أسماء يمنية ذات دلالة خاصة .

القسم الأول:أسماء الأعلام عد اليمنيين من حيث البنية :

تنقسم أسماء الأعلام عند اليمنيين من حيث البنية إلى أسماء مفردة وهي تلك الأسماء التي تأتي كلمة واحدة ، والأسماء المفردة عند اليمنيين منها ما هو مرتجل ومنها ما هو مشتق ، وأسماء مركبة وهي الأسماء التي تأتي مركبة من كلمتين ، وغالباً ما تكون الأسماء المركبة عند اليمنيين مركبة تركيباً إضافياً ، وفي العربية تأتي مركبة مـن كلمتين فأكثر ، لكنها مركبة تركيباً ، مزجياً ، أو إسنادياً ، أو إضافياً [2].

أولاً : أسماء الأعلام المفردة :

وهي الأسماء التي تأتي كلمة واحدة ، وهي عند اليمنيين أنواع :

أ- أسماء منقولة عن المصادر :

وهي الأسماء التي نقلت من الدلالة على المصادر إلى الدلالة على الأعلام ، وقد اختار اليمنيون عدداً من المصادر للتسمية بها للذكور وللإناث ، منها ما سمي به من قديم ، ومنها ما هو مستحدث ، ومن ذلك :

1 ـ أسماء منقولة عن المصادر الثلاثية : ومن التسميات القديمة للرجال : شرف ، سعد ، عِوض " بالكسر "[3]، أما للنساء فقد سموا بـ : نور ، رحمة ، حُسْن4 ، مُلْك5 ، أمان ، يسر ، شفاء ، نجاة ، نعمة ، دولة ، بهجة [6].

ومن التسميات المستحدثة "وهي التسميات التي أشاعها التعليم والثقافة والإعلام ، للرجال: فتح، رشاد ، مَعْد ، صلاح . وللنساء : أمل ، وفاء ، حَنَان ، رَجَاء ، نَجَاح ، هِبَة ، هدى ، رضا ، ختام ، صفاء[7] ، هديل[8] ، ذكرى ، فكرة ، نهلة[9] ، متاب[10] .

2 – أسماء منقولة عن المصادر غير الثلاثية :

يلاحظ أن الرجال لم يسموا ـ حسب علمي ـ بمصادر غير ثلاثية لا قديماً ولا حديثاً إلا نادراً ، وكذا النساء قديماً ، وإنما استحدثت الآن التسمية بالمصادر غير الثلاثية ، وهي مصادر الثلاثي المزيد ، مثل : امتياز ، افتكار ، ابتسام ، انتظار ، ابتهال ، انشراح ، انطلاق ، تغريد . أو مصادر رباعية مثل : إشفاق ، إلهام ، إشراق ، إقبال ، إحسان ، إسلام .

ورغم أن المصادر لا تدل بذاتها على تذكير أو تأنيث ، فإن انصراف بعض المصادر لتكون اسماً للمذكر أو اسماً للمؤنث سببه شيوع الاستعمال ، وسيطرة العرف الاجتماعي . ولا نعدم بعض المصادر التي سمي بها الذكور والإناث معاً ، من نحو : إحسان ، ضياء ، كمال ، يسر ، رضا ، إقبال ، تصحيح....

والملاحظ أن اليمنيين حديثاً قد أكثروا كثرة مفرطة من التسمية بالمصادر لعاملين : خفتها وجرس حروفها ، وجدتها وسأَم الناس مما أكثروا من استعماله من الأسماء .

ومن طريف التسميات بالمصادر عند اليمنيين إضافة ياء إلى المصدر ،مثل : خيري ، صبري ، فهمي ، فتحي ، صدقي ، نوري ..... والمؤنث : خيرية ، صبرية ، فهمية ، فتحية ، صدقية ، نورية ، روحية ، لامية ، مُلكية..... وإضافة هذه الياء إلى المصدر غير معروف عند العرب باعتباره علماً ، ولكن المتأخرين أخذوه عن الأتراك الذين تسموا بأسماء عربية منقولة عن المصادر ، لكنهم ذهبوا يضيفون إليها " ياء " النسبة ـ على ما يبدو ـ ، دون أن يقصدوا النسبة بها ، ولكن لتصير علماً ، ثم أخذها العرب عن الأتراك . ورغم أن الأتراك عاشوا في اليمن فترات طويلة ، لكن اليمنيين لم يأخذوا عنهم تسمياتهم هذه حينها ، حتى إذا خرج الأتراك من اليمن ، ورحل اليمنيون إلى دول مصر والشام والعراق ، ووجدوا هذه الأسماء أمامهم ، ثم سمعوها من وسائل الإعلام ، فإذا بهم يفرطون في استعمالها إفراطاً كبيراً .

ومن المصادر العربية التي هاجرت إلى بلاد الأتراك ، وتسموا بها ، ثم أخذها عنهم العرب ، وأخذها اليمنيون عن العرب حديثاً ، لا عن الأتراك ، بعد أن غير فيها الأتراك بعض التغيير المصادر المختومة بتاء التأنيث ،

من مثل : عزة ، مدحة ، بهجة ، ألفة ، مروءة ، دولة .... حتى إذا عادت إلينا بعد هجرتها ، وقد صارت يوقف عليها بالتاء وصلاً ، ووقفاً فإذا هي : عزت ، مدحت (للمذكر) ، وألفت ، ميرفت (للمؤنث) .

ب- الأسماء المنقولة عن الأسماء المشتقة :

1- أسماء منقولة عن اسم الفاعل :

تكثر عند اليمنيين الأسماء المنقولة عن اسم الفاعل كثرة ملفتة – المشتقة من الثلاثي خاصة ـ وقد سموا به قديماً ، وأفرطوا في التسمية به حديثاً ، فمن التسميات القديمة من الثلاثي عند الرجال[11] : قايد ، حازم ، غالب ، صالح ، ناشر ، هاشم ، راجح ، غانم ، هايل ، فارع ، فازع ، ناصر ، وازع ، شايف ، طارش . ومنه عند النساء : فائق[12] ، فاطمة ، ناعمة[13] ، حالية[14] ، آمنة . ومن التسميات الحديثة من اسم الفاعل الثلاثي للرجال : خالد (مناطق المخلاف و العدين وشرعب تسمي بهذا الاسم من قديم) نادر، ياسر، هاني ، كارم ، حارث . راوية[15] ، عائشة ، فائزة ، غانية[16] ، عائدة ، رانية[17] ، فاتن .

ومن غير الثلاثي للرجال قديماً : مصلح ، مفرِّح ، مُكْرِد ، مدهش . وللنساء : مخجِلة[18] ، منيرة[19] ، مغيرة[20] ، مغنية[21] ، وللنساء حديثاً : مشيرة[22] .

ومن الملاحظ هنا أن الأسماء المنقولة عن اسم الفاعل من غير الثلاثي تستعمل عند الكبار ، وتكاد تختفي بين الشباب ، ربما لثقلها وطولها ، ولكثرة ما استعملت في السابق ، رغم حسن معانيها .

2- أسماء منقولة عن صيغ المبالغة :

وكما كثرت الأسماء المنقولة من اسم الفاعل المستعملة عند اليمنيين ، كثرت أيضاً التسمية بالأسماء المنقولة عن صيغ المبالغة ، ومن ذلك :

- على وزن " فعّال " : ومما استعمل في تسمية الرجال[23] : شدّاد ، هزاع ، بجّاش ، عبّاس ، غلاب ، دمّاج، عسّاج ، سلام ، جسَّار ، غنّام ، حسّان ، قَنّاف ، دحّان ، رسام ، صدّام . وهي تسميات تنتشر بكثرة بين الكبار ، وتكاد تختفي بين الشباب والصغار ، ربما لكثرة ما استعملت ، ومن الحديث : " بسّام"..
- على وزن" فعيل ": وهي تسميات مستحدثة في الأغلب الأعم ، فمما سمي به الذكور قديماً : علي ، سعيد . ومن الحديث : أنيس[24] ، حليم ، تقي ، رشيد ، شفيق ، رفيق ، نجيب ، عفيف . ومما سميت به الإناث قديماً : أنيسة ، تقية ، لطيفة ، جليلة ، سكينة ، حليمة ، رضِيّة (بتخفيف الياء) . ومن الحديث : شفيقة ، نجيبة ، رفيقة ، أميرة ، رشيدة .
- على وزن " فعول " : وهي تسميات مستحدثة أيضاً ، مثل : رءوف ، رءوفة .

4 ـ أسماء منقولة عن صيغة المبالغة بزيادة ألف ونون:

مما استعمل قديماً على هذا الوزن : فرحان ، سلطان ، سفيان ، عثمان ، لقمان ، حميدان . ومما استعمل حديثاً : نشوان ، عدنان ، وجدان ، مروان ، صفوان . أما النساء فلم تتسم ـ في حدود علمي ـ باسم على هذا الوزن . ومما جاء على هذا الوزن ولكن ليس للمبالغة : غيلان ، شمسان ، قحطان ، ردمان، عقلان[25] .

5 – أسماء منقولة عن الصفة الشبهة :

فمما سمي به الرجال قديماً : طاهر ، سعيد . وحديثاً : جميل ، شفيق ، كريم ، عزيز ، رفيق ، نجيب ، حسيب ، نبيل . ومن المؤنث قديماً : سعيدة . وحديثاً : جميلة ، شفيقة ، عزيزة ، رفيقة ، نجيبة ، حسيبة . والملاحظ أن استعمال هذا الوزن قديماً كان محدوداً في حين انتسر حديثاً انتشاراً كبيراً ، ويبدو أن سبب ذلك خفته وجرسه ، ثم الدلالة الحميدة التي تحملها هذه الأسماء .

6 – المنقولة عن اسم المفعول:

–من الثلاثي على وزن " مفعول " : سمى اليمنيون باسم المفعول من الثلاثي على وزن " مفعول " كثيراً عند الذكور ، ويقل قلة ملفتة في الإناث ، ومن ذلك على وزن مفعول : محمود ، منصور ، مسعود ، مهيوب ، محفوظ ، مبخوت[26] . والإناث : محمودة ، مسعودة ، ميمونة[27] .

ـ على وزن " فعيل " بمعنى مفعول : سعيد ، وهيب ، أمين ، سليم ، تميم . ومن النساء : نعيم ، خديجة ، حبيبة ، صفية (بتخفيف الياء) ، نميم [28] .

ـ من غير الثلاثي : للرجال : مطهر ، مبارك ، مثنى " من الأسماء القديمة " . و مختار ، معاذ "من الأسماء الحديثة " . وللنساء : مُخلَص[29] ، مُحصَنة[30] . وتقل صيغ اسم المفعول من غير الثلاثي مقارنة بصيغه من الثلاثي .

7 – أسماء منقولة عن صيغة اسم التفضيل :

تكثر التسمية عند اليمنيين الآن بالأسماء المنقولة عن اسم التفضيل للرجال والنساء ، في حين تكاد تختفي عند القدماء ، فمما يحضرنا من القديم : أنعم . ومن الجديد الكثير : أنور ، أكرم ، أيمن ، أشرف ، حسناء ، شيماء ، غيداء[31] ، نجلاء[32] ، أروى...

8 – أسماء منقولة عن الصيغ الفعلية :

الأسماء المستحدثة المنقولة عن الصيغ الفعلية قليلة ، وهي صيغ تتداخل مع صيغة التفضيل ، وهي في الأغلب صيغ للفعل الماضي مثل : أحمد ، أنور ، أسعد ، أكرم ، أشرف ، أنعم .

وللمؤنث : أروى ، هاجِر (بصيغة الأمر) ، و (هاجر) : اسم فاعل من الفعل (هجر) ، و(هاجر) : صفة مشبهة بمعنى : نقي . واستخدم من صيغ المضارع : يحي .

ج- أسماء منقولة عن صيغ الجموع :

سمى اليمنيون بصيغ الجموع الذكور والإناث ، في القديم وتكثر هذه الصيغ بين الأعلام المؤنثة المستحدثة ، فمن القديم : ذياب[33] (للذكور) . ونعائم[34] ، جواهر ، زهر[35] ، ورد (للإناث) .

ومن المستحدث : رياض (للذكور) . وللإناث : أسماء[36] ، أماني ، منى[37] ، بشائر ، أنهار ، تهاني ، أحلام ، أفراح ، أشواق ، أطلال ، فواكه ، عواطف .

والملاحظ أن استعمال صيغ الجموع أسماء للإناث كان أكثر منها للذكور .

د - أسماء منقولة عن صيغ التصغير:

يستعمل اليمنيون بعض صيغ التصغير أسماء أعلام للذكور والإناث قديماً وحديثاً ، وهي صيغ كثيرة ، فمن القديم : سُهيل[38] ، حُميد ، عُبيد ، كُليب ، قُحيم[39] ، حُسين ، حصين ، رُبيِّع ، خويلد ، ربيعة ، رقية . وحديثاً كثرت أيضاً صيغ التصغير للإناث ، مثل : سمية ، رفيدة ، جويرية ، سهيلة ، وللمذكر : شعيب ، صهيب .

ويغلب على الظن أن اليمنيين وهم يختارون هذه الأسماء المصغرة لم يكن يعنيهم أنها مصغرة ، فيبحثون فيها عن دلالة التصغير والتحبب ، بل يغلب على الظن أنهم لم يكونوا يدركون دلالة التصغير فيها ، لقلة صيغ التصغير في لهجاتهم40 ، وإنما كان يعنيهم فيها هو ما تحمله من إرث تاريخي ، أو ما تتصف به من جدة ، ووقع جميل على السمع ، ويؤكد هذا أننا نرى أن هذه الأسماء تلاصق أصحابها حتى الكبر فتظل مصغرة ، وأيضا ما نراه من اختفاء وجود أسماء مصغرة تطلق على الأطفال الصغار حتى إذا فارقوا حياة الطفولة كانت لهم أسماؤهم المكبرة[41] كما هو العهد عند كثير من العرب قديماً وحديثاً ، كما إن اليمنيين لا يعرفون في لهجاتهم بعض الأسماء المكبرة لهذه الأسماء المصغرة المستعملة في مجتمعهم ، لأن هذه المعرفة قد تستدعي المقارنة بين ما هو مكبر وبين ما هو مصغر ، وهذا ما لم يحدث ـ على ما يبدو ـ .

هـ - أسماء منقولة عن أسماء الأعيان :

1 -أسماء منقولة عن أسماء النبات :

وهي أسماء للمؤنث ومن ذلك : خَوْزَران[42] ، سفرجل ، ليمون ، تفاح ، تفاحة ، زبيبة[43] ، جوز ، عَنْبة44 ، ورد ، وردة ، خزام[45] ، زهر ، زهرة ، فاكهة ، ومن الأسماء المستحدثة : سوسن (وقد يسمى بـ " سوزان ") ، نسرين ، ياسمين ، رندة[46] ، ريحانة[47] ، نرجس ، وقد يسمى بـ "طلحة "[48] .

2-أسماء منقولة عن أسماء عن الجماد : ومن ذلك : غيلان[49] ، سهل[50] ، سهيل ، سفيان[51]، رملة[52] . ومن الأسماء المستحدثة : بلال[53]، صفوان[54] ، جعفر[55] ، صخر ، مروان[56] ، وللنساء :عفراء[57]، صفاء ، قرطلة[58]، سهيلة ، مروة .

3 ـ أسماء منقولة عن أسماء الحلي : ومن ذلك : لول (مخففة من لؤلؤ) ، جوهرة ، جواهر ، ياقوت[59] . درّة .

4 ـ أسماء المنقولة عن أسماء الملابس والسلاح :

ومن ذلك : حزام ، طربوش ، سيف ، سنان ، يلاحظ أن النساء لا يتسمين بأسماء السلاح .

5 ـ عن الكواكب والنجوم والنار :

ومن ذلك : هلال ، نجيم ، قابوس[60] ، وللنساء : شمس ، قمر ، كوكب ، هذا في القديم . أما في الحديث فقد سموا : طارق[61] ، بدر ، شهاب[62] ، ثريا[63] .

6 ـ أسماء منقولة عن أسماء المكان :

وهي في الغالب أسماء دول أو قارات أو مدن ، مثل : رياض [64] ، حصين ، روضة ، آسيا ،أفريقيا ، ليبيا ، هند ، تونس ، أفغان ، روسيا ، تيرانا[65]، نزوى[66] . وقد اختيرت هذه الأسماء إما لجدتها ، أو لدوافع سياسية أو لغرابتها .

7 ـ أسماء منقولة عن أسماء الروائح والأطعمة :

مسك[67] ، عبير[68] ، نسيم[69] ، نسمة ، نسائم ، شُهد[70] ، زعفران[71] ، والملاحظ أن هذه الأسماء كلها للنساء ، ودلالة هذا لا تخفى .

8 ـ أسماء منقولة عن أسماء الحيوان :

من الأسماء التي سمى اليمنيون بها رجالهم قديماً : كليب ، حيدر[72] ، حنش[73] ، ذياب ، سرحان[74]، ومن المستحدث : بكر ، أسامة ، حمزة ، فهد ، حذيفة[75]، مازن[76] ، عنتر[77] ، هيثم[78] . ومما سميت به النساء قديماً : حمامة ، غزال ، خولة[79] . ومن المستحدث : ريم[80] (وقد يُمد : ريما) ، مها[81] ، عفراء[82] . والملاحظ أن أسماء الرجال المأخوذة عن عالم الحيوان كانت للوحوش الكاسرة ، أما أسماء النساء هنا فهي لحيوانات لطيفة وجميلة ومسالمة من وجهة نظرهم .

9 ـ أسماء منقولة عن أسماء الزمان :

محرم ، رجب ، ربيع ، خميس ، من أسماء الرجال ، ومن أسماء النساء : جمعة ، ضحى ، هذا في القديم ،

أما في الحديث : سمر ، سحر .

10 ـ أسماء منقولة عن أسماء العدد :

لا يبعد أن تكون التسميات بـ : خميس ، ربيع ، وللنساء : ربيعة ، مأخوذة من العدد على وزن (فعيل) ، وهو وزن لتصغير العدد معروف في العربية[83] .

11 ـ أسماء منقولة عن أسماء الألوان :

سمى اليمنيون أعلامهم بأسماء الألوان ، ولعل دلالة اللون لم تكن في حسابهم ، وهم يسمون بها ، وإنما دفعهم إلى اختيار ذلك ما في الاسم من جدة ، أو دلالة تاريخية ، أو جرس ، ومن هذه الأسماء : وردة ، ورد ، في القديم ، ومن الحديث : مشعل[84] ، صهيب[85] ، سمراء .

12 ـ أسماء منقولة عن أسماء أعجمية :

استعمل اليمنيون أسماء أعجمية بعضها من الإرث التاريخي العربي ، وهي أسماء قرآنية ، وهذا ما دعاهم للتسمية بها ، مثل : إسماعيل ، إبراهيم ، إسحاق ، مريم . ومن المستحدث : يعقوب ، رولا ، ماريا ، ماري، شيرين ، أليزبت ، دينا ، روسيا ، أفريقيا ، ويبدو أن الذي دفع للتسمية بهذه الأسماء جدتها ، أو وقعها في الأذن ، لكننا نجد أيضاً أسماء دفع إلى اختيارها الانتماء السياسي أحياناً ، مثل : تيرانا ، مادلين ، أليزبت ، ومن أعجب ما سمى به البعض : (حنش) ، بيجن ، شارون ، ـ لشدة بغضه لهما ـ والتسمية بأبغض الأ سماء وأخسها معروف عند العرب دفعاً للحسد[86] .

ثانياً ـ أسماء الأعلام المركبة :

وهي الأسماء التي تركبت من كلمتين ، وتأتي عند اليمنيين في الأغلب الأعم مركبة من المضاف والمضاف إليه ، وتكثر عندهم كثرة كبيرة ، فمن أسماء الذكور يضاف (عبد) بكثرة إلى (لفظ الجلالة : الله) ، ثم إلى (الرحمن) ، ثم إلى (ضمير الغائب : عبده) ، ثم تتقارب باقي الأسماء الحسنى من حيث مرات الإضافة ، فيضاف إلى : الرءوف ، التواب ، الباري ، الرزاق ، الحق ، الحكيم ، اللطيف ، الودود ، الواسع ، الرحيم ، الوهاب، الكريم ، الجبار ، القدوس ، غير أنها في عدد مرات التسمية بها لاتصل جميعها إلى عدد حالات التسمية بإضافة (الرحمن) ، ثم هذه جميعها لا تصل إلى عدد المسمين بإضافة لفظ الجلالة (الله) .

ولا تستعمل جميع أسماء الله الحسنى ، خاصة تلك الأسماء الخاصة بصفات الشدة ، والغضب ، والانتقام ، مثل : الضار ، المنتقم ، أو الأسماء التي تكثر حروفها مثل : المهين ، المصوّر ، و أحياناً أهملت لشيوع الصفة في غير الله ، مثل : النافع . ومما يضاف إلى أسماء الله الحسنى التسمية بـ : لطف الله ، لطف الباري .

كما يسمي الذكور بالمضاف إلى كلمة (الدين) ، مثل : نور الدين ، شمس الدين ، صلاح الدين ، عز الدين ، شرف الدين ، حميد الدين ، جمال الدين ، شهاب الدين ، ومن المضاف الذي يستعمل للمذكر (حِفْظ الله)، وإن كان محصوراً في مناطق قليلة دون غيرها .

وكما كانت الإضافة في أسماء الذكور ، كانت في أسماء الإناث ، ومن ذلك الإضافة إلى (أَمَة) ، فيقال : أمة الله ، أمة الرحمن ، أمة الخبير ، أمة الحق ، أمة الوهاب ، أمة الرزاق ، أمة الملك ، أمة الكريم ، أمة الحكيم ، أما غير ذلك من أسماء الله الحسنى فنادراً ما تضاف إلى (أمة) ، وجميع هذه الأسماء قديمة ، وإن كانت التسمية بها تضيق وتتسع بحسب حال المجتمع في قوة التمذهب وضعفه ،

ومن الأسماء المضافة التي تسمى بها الإناث الإضافة إلى (أم) فيقال : أم الخير ، أم كلثوم أم هاني ، وهي تسميات مدنية .

ورغم أن التسمية بالمركب الإسنادي عند اليمنيين تكاد تختفي ، غير أننا لا نعدم عدداً من الأسماء ذات التركيب الإسنادي المكون للجملة الفعلية ، فمما وجد من تسميات المذكر (حَكمَ الله) ، وتسمى الأنثى (زال الهم) ، والتسمية بالجار والمجرور تكاد تختفي تماماً، لكننا لا نعدم واحداً منها ، وهي التسمية بـ (على الله) ، وهو اسم مركب من حرف الجر (على) ولفظ الجلالة (الله) .

ومن الأسماء المركبة التي تسمى بها الإناث (بلقيس) ، وهو اسم قديم مما كان يسمي به اليمنيون إناثهم من عهود سبأ وحمير ، والى اليوم ، ثم نقله عنهم العرب ، والذي يبدو أن هذا الاسم مركب من (حرف الجر " الباء " + لفظ الجلالة " إيل " + لفظ " قيس " وهو إله من آلهة العرب القدماء) ، وكثراً ما تحذف الهمزة من لفظ " إيل " وقد تحذف الياء ، مثل : إسماعيل ، جبريل ، وهذا ما يبدو أنه حدث للهمزة والياء في بلقيس . والذي يشجع على مثل هذا التفسير أن العرب واليمنيين خاصة سموا بـ (شرجبيل) وهو مركب على ما يبدو من (الفعل " شرح " + حرف " الباء " + لفظ الجلالة " ايل ")[87] .

القسم الثاني : أسماء الأعلام عند اليمنيين من حيث الدلالة :

الآباء والأمهات – والقائمون على المواليد عموماً – إذا رزقوا بمولود ، ذكراً كان أو أنثى ، فأول ما يعمدون إليه هو اختيارهم لاسم يلصقونه بهذا المولود ، وما يختارونه من الأسماء إنما يعبر عندهم عن دلالة خاصة يحملها الاسم المختار ، فقد تكون هذه الدلالة تاريخية أو دينية ، كما قد تكون الأسماء المختارة دالة على التملح ، والتحمل ، والتلطف ، وقد تكون أسماء دالة على القوة ، والغلبة ، أو الجسارة ، والهيبة ، إلى دلالات أخرى متنوعة نعرض لها فيما يأتي :

1 ـ الأسماء ذات الدلالة الدينية :

وهي الأسماء التي ارتبطت بأسماء الله الحسنى ، أو ارتبطت بكلمة الدين ، أو هي أسماء الأنبياء الذين وردت أسماؤهم في القران الكريم ، أو أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن أكثر هذه الأسماء اختياراً (عبدا لله) لأن فيها صفة الإله ، و (عبد الرحمن) لأن فيها صفة الرحمن ، والتسمية بهذين الاسمين هو امتثال لقول النبي صلى الله عليه وسلم " خير الأسماء : عبدا لله ، وعبد الرحمن " ، وتكثر التسمية بـ (عبده) ، لأن الضمير فيه يعود على الله سبحانه وتعالى ، ويبدو أن الاقتصار على الضمير هو من تأثيرات الصوفية ، لأن بعض هؤلاء يبدلون لفظ الجلالة (الله) بالضمير (هو) في أذكارهم ، ومن أسماء الله الحسنى التي يضيفها اليمنيون إلى أسماءهم تلك الأسماء المتعلقة بمعنى الرحمة ، والعطف ، والقدرة ، والعزة ، والعطاء ، والهداية ، وإن كان انتشار التسمية بها أقل من التسمية بـ عبدا لله ، وعبد الرحمن ، ومن أمثلة هذه الأسماء : عبد الرحيم ، عبد الرؤوف ، عبد الودود ، عبد اللطيف ، لطف الله ، لطف الباري ، عبد القادر ، عبد الباري ، عبد الحميد ، عبد الملك ، عبد الحق ، عبد العزيز ، عبد القدوس ، عبد الجبار ، عبد الرزاق ، عبد الوهاب ، عبد الواسع ، عبد الهادي ، عبد الكريم ، عبد الوكيل ، على الله .

ومن أسماء النبي صلى الله عليه وسلم يسمي اليمنيون به ، ويكثرون من استعماله اسم (محمد) و (أحمد) ، وهي أكثر ما يسمى بها من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، كما يسمون بـ : محمود ، حميد ، حامد ، مصطفي ، ومن أسماء الأنبياء التي يسمون بها : إسماعيل ، إبراهيم ، نوح ، يحي ، صالح ، ويسمون وإن قليلاً : موسى ، عيسى ، إدريس ، سليمان ، داؤد ، وقد كثرت هذه الأسماء نوعاً ما في الفترة الأخيرة ، ومن الأسماء المرتبطة بالدين استعمال مصادر ذات دلالة مرتبطة بالمعرفة ، أو الصلاح ، أو الحسن ،أو الفخر ، مضافة إلى كلمة (الدين) ، مثل : نور الدين ، صلاح الدين ، حميد الدين ، شمس الدين ، جمال الدين ، عز الدين ، تاج الدين ، فخر الدين ، شرف الدين ، ولم تكن هذه الأسماء المضافة إلى الدين أعلاماً في العصور الأولى ، وإنما كانت تصدر بها الأعلام الحقيقية على شاكلة الألقاب88 . وقد يستغنى في التسمية عن المضاف ، وهو لفظ (الدين) ، تخفيفاً واختصاراً ، فيقال : شرف ، صلاح ، حميد ، وقد تلحق بعضها الياء ـ في تهامة خاصة ـ ، فيقال : عزي ، فخري ، نوري ، نجمي ، وفي اليمن ـ خاصة في المناطق الشمالية ـ يطلق على من كان اسمه (عبد الله) اسم (فخري) ، وقد تعرف (الفخري) ، وعلى من كان اسمه (محمد) اسم (عزي) ، أو (العزي) ، وعلى من كان اسمه (أحمد) اسم (الصفي) ، وعلى من كان اسمه (عبد الرحمن) اسم (الوجيه) ، وعلى من كان اسمه (علي) اسم (الضياء) ، وعلى باقي الأسماء اسم (الجمالي). ويبدو أن اليمنيين قد أخذوا هذا الاسم المختصر الذي تلحقه الياء عن الأتراك الذين ذهبوا

يضيفون (ياء) إلى المصادر89 . كما إن مما يحذف فيه المضاف إليه أسماء الله الحسنى من مثل : لطف الباري ، أمة الله ، أمة الرزاق ، فيقال : لطف ، وأمة . وهذا الاسم الأخير من أسماء النساء المركبة تركيباً إضافياً ، مثل : أمة الله ، أمة الكريم ، أمة الحق ، أمة الملك ، أمة الوهاب ، أمة الرزاق ، ومن الأسماء القرآنية التي استعملها اليمنيون (مريم).

الأسماء ذات الدلالة التاريخية :

تحضر الأسماء التاريخية في أعلام اليمنيون حضوراً كبيراً ، وأغلبها أسماء الصحابة الكرام ، وأكثرها حضوراً اسم : علي ، سعيد ،عثمان ، ثابت ، عباس ، زيد ، خالد ، قاسم ، سعد ، مالك ، حسن ، حسين ، وتقل : أبو بكر ، عمر ، سفيان ، سلمان ، مسعود ،عامر ، سنان ،

ومن أسماء النساء تكثر أسماء مثل : فاطمة ، عائشة (تدعى عَيْشة) ، خديجة ، صفية ، زينب ، خولة ، جويرية ، رملة ، ميمونة ، وفي الفترة الأخير انتشرت أسماء الصحابة بين اليمنيين انتشاراً كبيراً ، فاكثروا من التسمية بأسماء الخلفاء الأربعاء ، والعشرة المبشرين بالجنة كما سموا بـ :

صهيب ، مصعب ، بلال ، حمزة ، عمار ، خباب ، حارث ، جعفر ، عبادة ، عمرو ، حبيب ،

البراء ، عمير ، أسيد ، جابر ، أسامة ، عمران ، عباد .... وغير ذلك .

ومن النساء أصلحوا اسم (عائشة) ، وسموا بـ : نسيبة ، سمية ، شيماء ، أميمة ، سلمى ، ليلى ، ومن الأسماء التاريخية التي يسمي بها اليمنيون أسماء أئمة ، وعلماء ، وقادة ، وزعماء ، سمعوا بهم ، أو مروا في حياتهم ، أو أسماء شخصيات أعجبوا بها ، أو يسمون بأسماء آبائهم ، وأجدادهم ، وبهذا الاعتبار يمكن أن تنظر إلى هذه الأسماء على أنها تاريخية ، وهي في الغالب لا تخرج عن تلك التسميات المنتشرة بينهم ، غير أنه يحضر من أسماء الزعماء والقادة اسم : ناصر ، عبد الناصر ، عامر ، إبراهيم ، عيسى ، معمر ، عبد الفتاح ، صدام .

3 – أسماء دالة على القوة والغلبة :

تبدو دلالة القوة ، والغلبة ، والعزة ، والجسارة ، والهيبة ، واضحة جداً في أسماء اليمنيين فهم يختارون من ألفاظ هذه الصفات : غالب ، عبد الناصر ، شداد ، غلاّب ، جسار ، غنام ، قناف ، دحان ، دماج ، عباس ، غانم ، طارش ، فارع ، منّاع ، وهذا المذهب في اختيار الأسماء الدالة على الغلبة والنصر لا يخص اليمنيين وحدهم ، إنما هو مذهب عربي قديم ومستمر إلى اليوم ، وقد أشار إلى ذلك ابن دريد في كتاب الاشتقاق بقوله : " واعلم أن للعرب مذهب في تسمية أبنائها فمنها ما كان تفاؤلاً على أعدائها نحو : غالب ، غلاّب ، ظالم ، عارم ، منازل ، مقاتل ، معارك "90 .

4 – أسماء دالة على العزة والرفعة والسمو :

مثل : شرف ، هائل ، راجح ، ناشر ، نايف ، قائد ، حازم ، فارع ، وازع ، فائق ، جليلة ، أميرة .

5 – أسماء دالة على التملح والتحمل والتلطف والنعومة :

و تغلب على أسماء النساء مثل : هلال ، بدر ، بدرية ، نور (للمر أة) ، جميل ، جميلة ، نورية ، حسن ، حسين ، حسان ، حُسن ، ضياء ، إشفاق ، انشراح ، فاتن ، غانية ، مخجلة ، منيرة ، مغنية ، حالية ، لطيفة ، نعيم ، رانية ، سارة ، سهيل ، سهيلة ، مها ، ريم ، نميم ، حسناء ، غيداء ، لمياء ، هيفاء ، شمس ، كوكب ، قمر ، ثريا ، ياسمين ، نسرين ، سوسن ، تاج ، لول ، جواهر ، ياقوت ، عبير ، نسيم ، نقطة .

6 – أسماء دالة على التلذذ :

وتغلب على أسماء النساء ـ ويمكن أن نسلك في هذه الأسماء تسميات مثل : سفرجل ، ليمون ، تفاح ، زبيبة ، جوز ، عَنْبة ، ورد ، زهرة ، فاكهة .

7 – أسماء دالة على التفاؤل ، والنجاة ، والسلامة ، وطلب الخير : مثل : سالم ، ناجي ، عامر ، فائز ، فواز ، نايف ، أمين ، سليم ، صلاح ، ياسر ، هاني ، مصلِح ، مفرِّح ، طاهر ، نجاة ، أمان ، يسر ، شفاء ، نعمة ، نجاح ، أمل ، هدى ، إقبال ، رجاء ، ميمونة ، عافية .

وهذا الذي صنعه اليمنيون لم يقتصر عليهم وحدهم بل هو مذهب قديم للعرب في اختيار أسماء لأبنائهم دالة على التفاؤل ، والنجاة ، والسلامة[٩١] ، ومستمر إلى الآن ، واليمنيون في هذا ساروا على سنن العرب ، ومذهبهم حين اختاروا لأبنائهم أسماء مثل : سهل ، سالم ، سليم ، سعد ، سعيد ، سعدة ، أسعد ، تفاؤلا بالسلامة و النجاة .

8 – أسماء ذات دلالة أخلاقية حسنة : مثل : صادق ، رحمة ، وفاء ، صفاء ، عفاف ، عفيفة ، تقية ، مخلَص ، محصَنة ، صفية ، شفيق ، شفيقة ، رشيد ، رشيدة ، رَفيد ، رُفَيدة (بالتصغير) ، رؤوف ، رؤوفة ، أنيس ، أنيسة ، ورود ، سكينة (بفتح السين وضمها).

9– أسماء دالة على الفرح ، والسرور : مثل : فرحان ، مفرِّح ، نشوان ، وجدان ، وجدي ، فَنّة ، سعيد .

وأخيراً يمكن أن نسلك التقسيم السابق لأسماء الجواهر والأعيان بصورة من الصور إلى التقسيم الدلالي ، لأن التسمية باسم شيء ما إنما هو إشارة إلى معناه .

والذي يبدو أن اليمنيين حين يختارون أسماءهم في عصرنا الحاضر لا يستدعون في هذه الأسماء دلالتها المعجمية دائماً إلا في الأسماء الدينية ، مثل : عبد الله ، عبد الرحمن ، محمد ، أحمد ، محمود ، أمة الله ، أمة الرزاق ،

ولكن الذي يستهويهم في ذلك هو الإرث التاريخي لهذه الأسماء ، مثل : عمر ، أبو بكر ، علي ، عثمان ، معاذ ، صهيب ، عمرو ، سعد ، حمزة ، زيد ، عائشة ، حفصة ، سمية ، أو مواقف البطولة والزعامة لشخصيات مسماة بذلك مثل : صلاح الدين ، سيف ، جمال ، ناصر ، أو محبة في تخليد ذكرى الآباء و الأجداد والأقارب ، أو المتوفين من غيرهم من الأحبة ، وأكثر من ذلك سبباً في الاختيار هو جدة هذه الأسماء ، وعدم ابتذالها بكثرة الاستعمال ، أو بارتباطها بشخصيات أعطتها معناً منفراً : أخلاقياً ، أو اجتماعياً ، أو بطولياً .

ومما يستهويهم ـ أيضاً ـ لاختيار أسمائهم رقة هذه الأسماء ، وجمالها ، وصغر بنائها ، ووقع جرسها في السمع ، خاصة في أسماء النساء ، من مثل : نوفل ، بكر ، أسامة ، إدريس ، طارق ، عادل ، خالد ، جلال ، خليل ، ايمن ، أنور ، عارف ، نسرين ، سوسن ، شيماء .

وفي المقابل نجد أسماء تختفي مثل : بجَّاش ، طارِش ، جسَّار ، هزَّاع ، وازِع ، مكرِد ، سرحان ، كليب ، ذياب ، حيدر ، قناف ، هذا في أسماء الرجال ، أما في النساء فتختفي أسماء ، مثل : خوزران ، محصنة ، قرطلة ، سفرجل ، عَنْبة ، عَيْشة ، غزال ، حمامة ، والسبب يعود إما إلى غرابة هذه الأسماء ، وعدم إدراك دلالتها ، أو يعود إلى ثقلها ، أو ابتذالها ، في حين تكثر التسميات بالأسماء الجديدة ، والتاريخية ، والرقيقة ،وصغيرة البناء ، وذات الوقع الجميل في السمع ، وقد مر بنا فيما سبق الكثير من هذا .

كما ينبغي أن نشير أليه أن " معجم " الأسماء اليمنية كان إلى ما قبل أربعين سنة محدوداً ، فقيراً بالأسماء من حيث عددها ، ثم اتسع اتساعاً كبيراً إلى أضعاف كثيرة الآن ، ويعود السبب في ذلك إلى اتساع رقعة التعلم ، والثقافة ، والمنافسة العقائدية والسياسية ، والتأثر بوسائل الإعلام ، والاتصال بالشعوب العربية الأخرى ، مما رفد معجم الأسماء اليمنية بأضعاف ما كان فيه .

القسم الثالث: أسماء يمنية ذات دلالة خاصة :

بجَّاش :

اسم ينتشر كثيراً في محافظة تعز خاصة في مناطق الحجرية ، ويطلق على الرجال بصيغة المبالغة على وزن (فعّال) ، وهو من الفعل (بَجَش) (يَبْجِش) والمصدر (بَجْش) ، بمعنى : كشف شيئاً مغطى ، وبجش البئر : كشف غطاءه ، وبجش الجرح : فتحه ، والـ (بجَّاش) هو الذي يكثر من البجش والكشف ، فهو يكشف المجاهيل والمغاليق ، كما تنفتح على يديه كثير من وجوه الخير ، فهو على هذا مقصد حاجة الناس ، وكاشف مصادرها ، وأماكنها .

و لفظ (بجش) غير موجود في المعاجم العربية ، ويبدو أن (الشين) مبدلة من (السين) في (بجس)

بمعنى (فجر) ، و (انبجس) : تفجر. قال في (العين) : البجس : انشقاق في قربة أو حجر أو أرض ينبع منه الماء ، قال تعالى : " فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً "[92] . ورجل منبجس : كثير خيره . وذهبت باقي المعاجم إلى أن معنى (بجس) : شق ، و(انبجست) تفجرت[93] . والمعاني متقاربة .

مَبْخُوت :

اسم ينتشر كثيراً في المناطق الشمالية والشرقية من اليمن ، وفي تهامة ، ويطلق على الرجال ، وهو بصيغة اسم المفعول من الفعل (بخت) (يبخت) ، والمصدر (بخت) ، ومعناه في لهجات اليمن ـ كما في العربية الفصحى ـ : الحظ ، والجد[94] ، والمبخوت على هذا : هو المجدود والمحظوظ[95] .

جَسّار :

اسم ينتشر كثيراً في اليمن ، ويطلق على الرجال ، وهوبصيغة المبالغة (فعَّال) من الفعل (جَسَر ـ) (يجسر) ، والمصدر (جَسْر) ، وهو في لهجات اليمن بمعناه في العربية الفصحى : فـ(جَسَر) بمعنى : أقدم (يجسُر) بالضم (جسارة) و (تجاسر)96 ، وللمبالغة (جسور) وهو المقدام الشجاع الجريء97 . فالجسار على هذا : هو الشجاع كثير الإقدام والاقتحام الذي يخيف الآخرين .

حسان :

اسم ينتشر كثيراً في مختلف مناطق اليمن ، ويطلق على الرجال ، ويغلب على الظن أنه على وزن (فَعْلان) فيه (ان) زائدتان ، فهو من (الحَس) وهو القتل . وهو كذلك في العربية الفصحى[98]. فمعناه على هذا هو الذي (يحس) الأعداء ويقتلهم ، ومنه قوله تعالى : (إذ تحسُّونهم بإذنه)[99]: أي تقتلونهم ، و (الحس) في اللهجات اليمنية أيضا بمعنى : الدق والسحق . كما قد يكون على وزن (فَعّال) على صيغة المبالغة ، فهو على هذا من (الحُسن) ، وهو كذلك في الفصحى[100] .

دَبْوَان :

اسم ينتشر كثيراً في مناطق شرعب ، والتعزية ، والمخلاف ، والعدين من محافظتي تعز وإب، وقد يكون فيه (ان) أي (الألف) و (النون) زائدتين للمبالغة ، وقد يكون علامة التعريف في لغة النقوش اليمنية القديمة[101] لحقت الجذر (دبو) لتعريفه ، ثم تحجرتا لتصيرا معا اسماً يسمى به الرجال ، ومعناه كثير الدّب والسعي والحركة والهمة ، وهو في العربية الفصحى مضعف الباء (دَبّ)[102]. لا يمنع أن تكون لهجات اليمن فكت الإدغام ، وعوضت عن الباء الثانية (بالواو) ، وهذا التعويض (بالواو) معروف في اللهجة في مثل (حكّل) تصير (حَكْوَل) ، وهو عرف سائد في العربية الفصحى حين تبدل أحد الصوتين المضعفين في الكلمة بأحد الحروف المائعة

، مثل[103] : (انظر : في فقه اللغة :

دحان :

اسم يطلق على الرجال في كثير من مناطق اليمن ، وهو على صيغة المبالغة (فعّال) من الفعل (دَحن) (يَدْحن) ، والمصدر (دَحْن) ويعني : الدفع ، ويقال للطاقة والقوة الكامنة في جسم الإنسان (دَحْن) فيقال : فلان معه دحن .والـ(دحّان) هو القوى القادر على دفع الأعداء ، والبلايا ، والشرور . ولم يبق في الاستعمال غير كلمتي (دحّان) و(دَحْن) . غير أني سمعت امرأة تسأل وتدعو لمن يتفضل عليها بقولها : دَحَن عنكم البلاء . فهي تدعو الله أن يدفع عمن يعطيها صدقة البلاء ، ومما يقوي كون (دَحَن) بمعني (دفع) أنها تشبه في صوتين من أصواتها الأصول كلمة (دَحَر) في الفصحى بمعني (دفع)[104]. ومثلها دَحَض . وكثيراً ما تتقارب معاني الكلمات إذا تشابهت في بعض أصواتها مثل قطع ، قطم ، قطر ، قطف ، بمعني القطع[105] .

ومثلها في العربية الفصحى ـ أيضاً ـ : دَكَمه : دفعه دفعاً شديداً[106]. ويبدو أن النون في اللهجة مبدلة في الفصحى (ميماً)في حين جاءت في مادة (د ح ن) في المعاجم العربية في معان أخري بعيدة[107] .

دَمّاج :

صيغة مبالغة على وزن (فعّال) من الفعل (دمج) ، ومعناه : الذي يحسن إحكام الأشياء والأمور وربطها بعضها ببعض ، وطريق مدموج : حسن الرصف . وفي العربية الفصحى : (دمج) الشيء دخل في غيره واستحكم فيه[108]. ودمج الشعر ضفره ، ودمج الحبل : فتله[109] ، ويكثر (دماج) في أسماء اليمنيين خاصة في مناطق شرعب ، والمخلاف ، والعدين ، وإب ، وبه سميت قبيلة كبيرة في صعدة هي (دمّاج) نسبة إلى أحد جدودها ، ومنها فرع في النجد الأحمر بمديرية السياني بمحافظة إب ، ولم يسم به العرب .

مدهش :

اسم فاعل من الفعل الرباعي (أَدْهَش) ، وهو الذي يأتي بالأمور الجليلة المحيرة التي تذهب بالعقول من الدّهْشة ، وتنتشر التسمية به في محافظتي تعز وإب ، والمعنى هو نفسه في العربية الفصحى[110].

دايل :

من أسماء الرجال في شرعب ، والتعزية من محافظة تعز ، وهو على صيغة اسم الفاعل من الفعل (دال) (يدول) ، ولم تعد اللهجات اليمنية تستعمل غير الاسم (دايل) ، ومعناه من الصولة ، والغلبة ، فهو على هذا : الذي يصول على أعدائه ويغلبهم . وفي الفصحى : الدائل في الحرب : الغالب[111].

ربيش :

على وزن (فعيل) بمعنى (فاعل) . والفعل (ربش) ، واسم الفاعل (الرابش) ، و (المرابش) وهو الذي تبدو منه الاعمال العظيمة المحيِّرة التي تصيب خصومة بحيرة في عقولهم فَيُرْبَشون ، ويَرْتبِشون ، فهم (مَرابيش) ، على وزن مفاعيل ، والواحد (مَرْبوش) ،وقد يسمي به ، فيقال : (مربوش) وهو المتحير المرتبك الذي أصيب بلوثة في عقله . ولذلك سمي (ربيش) ، لأنه يبالغ في إصابة خصومه بـ(الربشة) ، والعربية لم تستعمل هذا اللفظ في هذا المعنى[112] .

ردمان :

من أسماء الرجال في كثير من مناطق اليمن ، وهو على وزن (فعلان) ويبدو أن (ردمان) مركبة من المصدر (ردم) + (ان) وهي علامة التعريف في لغة النقوش اليمنية القديمة ، ثم تحجرت العلامة والمصدر ، وصارتا علماً واحداً ، يسمى به الرجال (ردمان) . و(الردم) في اللغة العربية الفصحى : الحجز ، وكذا السد[113] ، ومنه قوله تعالى (فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً)[114] . وبهذا يكون معنى (ردمان) : هو الذي يحجز بين أعدائه وبين أهله ووطنه ، ويقف سداً منيعاً أمام الأعداء .

رزاز :

اسم يطلق على الرجال في مناطق شرعب ، والمخلاف ، والعدين من محافظة تعز .وهو على صيغة المبالغة (فعّال) ، وهو من الفعل (رَزَّ) (يرزُّ) ، ولم يعودا مستعملين في اللهجات اليمنية الحديثة ، وبقاء الاسم فيها قد يكون دليلاً على استعماله مع مشتقاته في القديم . وفي العربية الفصحى : رزت الجرادة : غرزت ذنبها في الأرض لتبيض ، و (رزّ) الرجل طعنه[115] . وعلى هذا يكون الـ(رزاز) : هو الرجل الذي يبالغ في طعناته الأعداء دون خوف أو وجل .

رَسّام :

اسم يطلق على الرجال في مناطق شرعب ، وشمير من محافظة تعز ، وهو على صيغة المبالغة (فعّال) من الفعل (رَسَم) (يرسِم) ، والمصدر (رَسْم) و (رَسْمة) ، و(الرسْمة) في لهجات محافظة تعز : ما يجمع ويضغط من الأغصان القوية والأحجار والرمل في مجاري السيول ، وفي جوانبها ، وقد تضاف الأخشاب لتشكل حاجزاً للحماية . والفعل (رسم) معناه : وَضع هذه الأغصان بعضها على بعض وضغطها ، ولا يبعد أن تكون حق (الرّسامة) منها وهي أجرة السجان ، وكأنها اشتقت من الأصل نفسه لتدل على السجن ، والحبس ، والقيد ، والمعنى ليس بعيداً والـ(رسّام) صيغة مبالغة من هذا ، غير أن دلالته لا تعنى هذا المعنى البسيط ، ولكن (الرسام) هو الذي يهزم أعداءه ، ويكثر من أخذهم أسرى ، فيقيدهم ، ويحبسهم ، وفي العربية الفصحى لا نجد هذه المعاني

لـ(رسم) ، ولكننا نجد بعضها للفظ آخر هو (رَزَم) الشيء بمعنى : جمعه . و(الرِّزمة) من الثياب وقد (رزَّمها ترزيماً) : إذا شدها و (رزماً)[116] ، ويقال أيضاً بالفتح (الرَّزمة) : ما شد من الثياب ، والضرب الشديد[117]، ولا يبعد أن يكون معنى الضرب داخلاً في معنى (رسّام) ، فهو الذي يضرب أعداءه ضرباً شديداً ، ثم يرزم بعضهم على بعض موثقين ، إذا أخذهم أسرى . والملاحظ هنا أن اللهجات اليمنية أبدلت (الزاي) في (رزم) فصارت (سيناً) (رسام) ، وهذا أمر مألوف في اللهجات العربية .

رَاوِح :

اسم ينتشر في مناطق الحجرية ، وصبر من محافظة تعز ، وهو على صيغة اسم الفاعل من الفعل (روح) (يروح) الذي لم يلحقه الإعلال ، وهذا من خصائص اللهجات اليمنية من عدم إعلال بعض الأفعال ، من مثل : (جوع) (يجوع) ، واسم الفاعل منه (جاوع) ، وقد يكون معنى (راوح) : الذي له رائحة طيبة تفوح فيمن حوله، أو هو الذي يشبه الريح الشديدة التي تقتلع الأشجار وتدمرها[118]،فهو يشبهها في اقتلاع أعدائه وتدميرهم .

شداد :

اسم على وزن (فعّال) على صيغة المبالغة ، قد يكون من الفعل (شدّ) (يُشدُّ) وهو الذي يعضد غيره، ويقويه إن كان معه ، أو الذي يوثق غيره إن كان عليه . والعربية الفصحى تعرف هذا المعنى[119]، وفي القاموس المحيط الشَّدّة : الحملة في الحرب[120] . والشداد : القوي الغلاّب[121] ، وينتشر هذا الاسم في شرعب والمخلاف ، والتعزية .

شمسان :

يبدو أن هذا الاسم هو (شمس) ، لصقت به (ان) في آخره ، وهي علامة التعريف في اللغة اليمنية القديمة ، وهو اسم يطلق على الرجال ، أما النساء فيسمون الواحدة منهن (شمس) من غير (ان) ، وقد تحجرت (ان) هذه مع الاسم قبلها في كثير من الألفاظ اليمنية الحديثة ، وصارتا معاً علماً لكثير من الأشخاص مثل : شمسان ، عقلان ، ولا يمنع أن يكون (عمران) منها ، ومثلها من أسماء الأماكن : (عزان) اسم يطلق على الحصن المنيع ، وقد يندثر الحصن ، ويبقى الاسم علما على مكان الحصن ، أو البلد الذي نشأ حول الحصن ، ومثلها (غمدان) ، وهو قصر صنعاء العظيم ، ومثلها ـ أيضاً ـ عَيْبَان ، مَطَرَان ، سَمَدان ، غَيْمان ، رَيدان ، بَعْدان ، وهي أسماء جبال شهيرة في اليمن ، يقع الأول غرب مدينة صنعاء ، ومطران جبل قدس ، وسمدان جبل دُبَع في محافظة تعز، وغيمان ، وريدان، وبعدان في محافظة إب، ولا يبعد أن يكون اسم مدينة (نجران) منها، وفيها (ان) الدالة على التعريف أيضاً ، لكنها فقدت دلالتها على التعريف كما فقدت هذه الدلالة الأسماء السابقة وصارتا علماً واحداً.

شوعي ، (شائع) :

من أسماء الرجال في كثير من مناطق شمال تهامة في اليمن ، وهو اسم مشتق من الفعل الثلاثي (شاع) (يشوع) ، وإذا كانت التسمية بـ(يشوع) تكثر في النقوش اليمنية القديمة ، فإن اللهجات اليمنية الحديثة والعربية الفصحى لم تعد تستعمل الفعل الثلاثي ، لكنها تستعمل الفعل الرباعي (شايع) (يشايع) ، والمصدر (مشايعة) ، واسم الفاعل (مشايع) ، بمعنى : المناصر ، والمرافق ، والمماثل . و(الشّواعة) في اللهجات اليمنية وهي جمع (شوعي): هم المرافقون والمناصرون ، وكذا المرافقون الذين يشيعون العروس إلى بيت زوجها ، واحدهم (شوعي) في بعض اللهجات اليمنية ، واتخذه بعضهم اسماً بمعناه ، والياء فيه للدلالة على الواحد ، كما في اللهجات اليمنية ، مثل : (مَعْلَمي) واحد المتعلمين ، و(دَرَسي) واحد الدارسين . وفي العربية الفصحى الشيعة : القوم الذين يجتمعون على الأمر .. والشيعة : أتباع الرجل وأنصاره .. والمشايعة المتابعة والمطاوعة ، والمشيَّع : الشجاع[122] . و (ش و ع) في لغة النقوش اليمنية القديمة تعني : التابع ، والنصير[123] . وعلى فهذا فتسمية اليمنيين لبعضهم (شايع) و(شوعي) إنما يريدون معنى الشجاعة ، والاجتماع ، والمتابعة ، والمطاوعة ،والنصرة . ولا يمنع أن تكون (شوعي) و (شايع) من (شوَع) . و (الشوَع) : انتشار الشعر ، وتفرقه ، كأنه شوك[124]. وعلى هذا يكون المعنى هي الصورة التي تثير الكراهة ، والاشمئزاز . رغبة في دفع العين الحاسدة .

صدام :

اسم على وزن (فَعّال) على صيغة المبالغة ، والفعل منه (صدم) (يصدم) ،وهو الذي يلقى خصومه فيدفعهم ويضربهم بصلابة عند المواجهة دون أن يتزحزح عن مكانه ، وهو (صدّام) سواء كانت المواجهة سجالاً بالحجج ، أو كانت عراكاً بالجسد ، أو كانت قتالاً بالسلاح ، وينتشر هذا الاسم في مناطق : شرعب ، والمخلاف ، والتعزية ، وهو اسم قديم وكثير الاستعمال فيها . وفي العربية الفصحى : (الصِدام) : ضرب الصلب بمثله .. والدفع[125] .

طربوش :

هو هذه الطاقية الحمراء في الغالب ، التي كان يضعها الأتراك على رؤوسهم ،نقلها اليمنيون إلى أسمائهم ، فأطلقوا هذا الاسم على كثير من الأشخاص ، وأكثر ما ينتشر هذا الاسم في مناطق الحجرية ، بل يكاد يقتصر عليها .

طارش :

اسم يطلق على الرجال ، على وزن اسم الفاعل من الفعل الثلاثي (طَرَش) ، وفي لهجات تعز – في

الحجرية خصوصاً – اختفى الفعل (طرش) ، واستعمل (طارَش) (يُطارش) بمعنى : أفزع وفجع وأرعب ، وهو (مُطارِش) ، والمفعول (مطارَش) ، وكان القياس يقتضي استعمال اسم الفاعل من الرباعي ، لكنهم عدلوا عنه إلى المشتق من الثلاثي . ويبدو أن هذا الاسم اشتق من (الطرش) وهو الصمم والغفلة[126] ، فكأن الذي سمى باسم (طارش) يوقع بأعدائه من الرعب والفجيعة ما يجعلهم مضطربين نفسياً متحيرين ضائعين ، في حين أنه لا يبالي بما يلقاه هو من المخاطر .

عَسَّاج :

اسم يطلق على الرجال بصيغة المبالغة على وزن (فَعَّال) من الفعل الثلاثي (عَسَج) ، ومعناه في لهجات مناطق تعز : سرعة الجذب وشدته ، و الـ(عَسّاج) هو الذي يكثر من الجذب اليه ، ولم يرد هذا المعنى لمادة (عسج) في المعاجم العربية ، وإذا افترضنا وقوع إبدال في أصوات الكلمة ، فقد يكون أصلها (عـزَج) ، يقال : (عزج) الأرض بالمسحاة : إذا قلبها[127] ، فيقترب معناها من سرعة الشد ، وقوته .

عقلان :

قد يكون هذا الاسم هو (عَقْل) المعروف في الفصحى ، ثم لحقت بآخره علامة التعريف (ان) في لغة النقوش اليمنية القديمة ، وقد تحجرت كلمة (عقل) مع كلمة التعريف (ان) فصارتا علماً يطلق على الرجال على هذه الصيغة (عقلان) ، ومثله – كما مر سابقاً – شمسان ، غمدان في التسمية ، ولا تدل (ان) هنا على تثنية ، وإنما تدل الصيغة جميعها على امتلاك حامله لوصف العاقل ، بل هو العقل بعينه ، ولا يبعد أن تكون (ان) في (عقلان) زائدتين للمبالغة ، غير أنه يضعف هذا الرأي أن هذه التسمية لم تعرف إلا في اليمن ، فهي أقرب إلى أن تكون ميراثاً لهجياً يمنياً من أن تكون ميراثاً فصحياً ، إذ لو كانت كذلك لعرفها العرب خارج اليمن .

غَرْسان :

يشبه هذا الاسم سابقه من حيث التركيب ، فهو على ما يبدو مركب من المصدر (غَرْس) المعروف في الفصحى ، ولحقت به علامة التعريف (ان) في لغة النقوش اليمن القديم ، وقد تحجر المصدر (غَرْس) وأداة التعريف (ان) فصارتا (غَرْسان) علماً يسمى به الرجال ، ولا يبعد أن يكون قد جئ بـ(ان) للمبالغة فتصير دلالة هذا الاسم إشارة إلى كثرة الغرس .

غلاب :

اسم للرجال ، ينتشر في مناطق اليمن خاصة شمال وشمال غرب محافظة تعز ، وفي محافظة إب ، وهو بصيغة المبالغة (فعّال) من الفعل (غَلَب) (يغلب) ، والـ(غلاب) في لهجات اليمن كما هو في العربية الفصحى

بمعنى كثير الغلبة والقهر لغيره .

غَنّام :

اسم من أ سماء الرجال ، وأكثر ما ينتشر في منطقة (شرعب) بمحافظة تعز ، وفي مناطق أخرى حولها، وهو بصيغة المبالغة (فعّال) من الفعل (غَنم) (يَغْنَم) ، ومعناه : كثير الحصول على الغنائم . والمعنى نفسه في العربية الفصحى .

فرحان :

اسم يطلق على الرجال ينتشر كثيراً في مناطق شرعب ، والمخلاف ، والعدين ، وهو على وزن (فعلان) ، فيه الألف والنون زائدتان للمبالغة ، دلالة على كثرة الفرح . والعربية الفصحى تعرف هذا اللفظ وصفاً للفرح ، واليمنيون استعملوه اسم علم ، كما سمى به بعض العرب الآن .

فارع :

اسم من أسماء الرجال ، يكثر التسمية به في محافظتي تعز وإب ، وهو على وزن (فاعل) ولا يستعمل فعله الثلاثي بمعناه ، وإنما يستعمل في بعض المناطق خاصة المناطق الغربية من محافظة تعز الفعل (فَرّع) بمعنى : علّى و ذهب في مشيه صاعداً ، ويوجد أكثر من مكان في اليمن يسمى (الفَرْع) ، منها (فَرْع العدين) ، وسمي كذلك لأنه أعلى ما في العدين من الجبال المشرفة على سفوحها . وفي العربية الفصحى : (فرّع) صعد ، و(الفارع) : المرتفع ، والفارع : المرتفع العالي الهنّيء الحسن ، و(فَرْع) كل شئ : أعلاه ، ويقال (فارع) الطول[128] . و (ف ر ع) في لغة النقوش اليمنية القديمة تعني : جزء أعلى ، قمة (البناء)[129] . وعلى هذا يكون اسم (فارع) دالاً على هذا الارتفاع والعلو ، لكنه ليس علو القامة ، وإنما علو الهمة والمكانة والقدر .

فازع :

اسم يطلق على الرجال في بعض مناطق الحجرية من محافظة تعز ، وهو على وزن اسم الفاعل ، وهو من الفعل (فزِع) ، غير أن اللهجات اليمنية لا تعرف الفعل (فزع) إلا في أوساط بعض المثقين ، وأما الباقون فيستعملون مكانه الفعل (فجع) ، و (فَزّ) ، ولكن بقاء لفظ (فازع) على ألسنة اليمنيين قد يكون دليلاً على أن باقي مشتقات هذا اللفظ كانت تستعمل يوماً ، و (فازع) اسم دلالته واضحة على معنى القيام بإفراغ الآخرين ، فإذا كان العرب يسمون أبناءهم لأعدائهم[130] ، فمعنى (فازع) : أنه الذي يثير في أعدائه الخوف ويرعبهم . وهذا المعنى هو نفسه في العربية الفصحى .

قرطلة :

اسم من أسماء النساء في بعض مناطق الحجرية ، ولا يعرف اليمنيون معناه ، ويبدو أن بعضهم اختاره اسماً لبعض نسائهم لغرابته وجدته يوم سمعوا به ، وربما يكون جرس حروفه أيضاً عاملاً إضافياً لإطلاقه اسماً للمرأة . والعربية الفصحى تستعمل (قِرْطلة) ـ بكسر القاف ـ بمعنى : عدل حمار ، و (قِرطالة) ـ بالكسر أيضاً : البردعة131 . ولا يبعد أن تكون (قَرْطَلَة) في لهجات اليمن التي تفتح القاف والطاء بفتحة قصيرة هي (قِرطالة) في الفصحى ـ بكسر القاف ، وبفتح الطاء فتحة طويلة .

قَنّاف :

اسم يطلق على الرجال في المناطق الشمالية من اليمن ، وهو على صيغة المبالغة (فعّال) ، من الفعل (قنف) (يقنُف) ، ومعناه في لهجات اليمن : كثير الكبْر والاستعلاء . وفي العربية الفصحى : (القناف) : هومن صار ذا جيش ، واجتمع له رأيه وأمره .. و (قنعه) بالسيف : قطعه . ولاندري من أيهما أخذ المعنى وإن كان المعنى في الفصحى هو المقصود أقرب إلى ذائقة اليمنيين .

مُكرِد :

اسم يطلق على الرجال في مناطق الحجرية من محافظة تعز ، وهو على صيغة اسم الفاعل (مفعل) ، من الفعل الرباعي (أكرد) (يكرد) ، فهو (مكرد) والمصدر (كرْد) و (مكاردة) ، وفي اللهجات اليمنية (كارد) (يكارد) بمعنى طارد ، و(المكاردة) المطاردة .وفي العربية الفصحى : (الكرد) : السوق[132]. وفي اللسان (الكرد : الطرد ، والمكاردة : المطاردة .. وخص بعضهم الكرد : بسوق العدو[133] . ولكن اللهجات اليمنية تجعل الكرْد في كل طرد . وعلى هذا يكون معنى (مكرد) : الشجاع الذي يقوم بمطاردة غيره ، أو بمطاردة العدو إذا فر وهرب.

مناع :

اسم يسمى به الرجال ، وينتشر في كثير من المناطق اليمنية ، وهو بصيغة المبالغة (فعّال) من الفعل الثلاثي (مَنَع) (يمنع) ، ومعناه العزيز الذي يمنع حِماه وعرضه من العدو ،فلا يجترئ أحد عليه . و (المناع) في العربية الفصحى الممتنع الذي لا يخلص إليه .

ناشر :

من الاسماء التي يسمى بها الرجال في كثير من مناطق اليمن ، وهو على صيغة اسم الفاعل من الفعل (نَشَر) (ينَشَر) ، والمصدر (نَشْر) ، وهو بمعنى : ذَهب ـ خاصة إذا كان ذهابه آخر النهار ،. وفي العربية الفصحى: (نَشَر) الخبر : أذاعه .. و (انتشر) الخبر : ذاع .. وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يخرج في سفر إلا قال حين ينهض من جلوسه : اللهم بك انتشرت .أي ابتدأت سفري134 . ومعنى الذهاب والسير في هذا واضح ، فالناشر

إذن هو الذي يكثر الذهاب والأسفار ولو ليلاً .

نايف :

من الأسماء التي تطلق على الرجال في كثير من مناطق اليمن ، وهو على صيغة اسم الفاعل من الفعل (ناف) (ينوف) ، واللهجات اليمنية لا تستعمل صيغة الفعل ، وإنما استعملت من الأسماء : (نايف) اسم فاعل من الثلاثي ، و(منيف) اسم فاعل من الرباعي ، وقد يكون بقاء هذين الاسمين في الاستعمال دليل على أن لهجات اليمن كانت تستعمل باقي المشتقات منهما ، والـ(نائف) و (المنيف) هو العالي المشرف من علوه على غيره، وهو كذلك في العربية[135]، ويوجد مناطق جبلية كثيرة في اليمن تسمى قممها العالية بجبل (منيف) ، وقد يكون عليه حصن ، فيسمى الحصن حصن منيف ، ومنه حصن في الحجرية ، وحصن في جبل صبر في تعز ، وحصن في لحج . و (منيف) في مأرب قبيلة .

هَزّاع :

اسم من أسماء الرجال ، على صيغة المبالغة (فَعّال) ، من الفعل (هَـزَع) (يَهْـزَع) ، ولم تعد لهجات اليمن تستعمل من مشتقات هذه الصيغة غير الاسم (هزاع) ، وفي العربية الفصحى : (هزع) : أسرع . وهزع : دق عنقه .. وهزّعت الشيء : مزقته ، و (الهيزعة) : الخوف والجلبة في القتال . والـ (هزّاع) : الأسد يكثر كسر الفرائس[136] . وعلى هذا يكون معنى (هزّاع) الذي يسرع إلى خصمه فيدق عتقه ، أو إلى أعدائه فيكسرهم ويفرق جمعهم ، ودلالة الاسم (هزّاع) للمبالغة في إظهار القوة والشجاعة والفتك واضحة ، على أن هذا (الهزع) ـ غالباً ـ لا يكون إلا ليلاً ، لأن (الهزيع) في الفصحى : هو القطعة من الليل[137] .

مَهْيُوب :

من أسماء الرجال التي تنتشر في كثير من مناطق اليمن ، على صيغة اسم المفعول من الفعل الثلاثي الأجوف (هاب) (يهاب) ، ولهجات اليمن تصوغ اسم المفعول من الفعل الأجوف على مثال الصحيح (مهيوب)[138] ، وهي لغة تميم ـ أيضاً[139] ـ ، ولغة فاشية في العرب قديماً[140]، وحديثاً[141] . و (مهيوب) معناه في اللهجات اليمنية وكذلك في العربية الفصحى: ذو المهابة ، والمخافة ، والجلال . والمهيب : الأسد[142] . فهذا رجل يوقع الرعب ، والخوف ، في القلوب فيُهاب ، ويُجل .

وازع :

من أسماء الرجال التي تنتشر في مناطق الحجرية من محافظة تعز ، على صيغة اسم الفاعل من الفعل (وَزَع) (يَوْزع) واللهجات اليمنية لا تعل صيغة (وعد) وأخواتها في المضارع . والـ (وازع) في لغة النقوش

اليمنية القديمة هو لقب لقائد عسكري . ويبدو أنه الذي يقوم بجمع الجنود ، ويكون له السلطان عليهم ، فهو مقدمهم ، وآمرهم . والمعنى نفسه في العربية الفصحى ، ففي القاموس المحيط : الوازع : الذي يدير أمور الجيش[143] . و (و ز ع) في لغة النقوش اليمنية القديمة : لقب قائد عسكري ، أو قبلي[144] مسيطر . وفي لهجات الحجرية اليوم (الوازع) : هو الآمر بالشيء . و (مَوزَع) : اسم مكان يقع غرب اليمن ، و (الوازعية) : قبائل تسكن جنوب غرب اليمن ، ويبدو أن دورها قديماً كان يقوم على جمع الجيوش في موزع ، وقيادتها للفتوح باتجاه الحبشة[145] ، وقال في اللسان : رجل وازع : صالح للتقدم على الجيش ، وتدبير أمورهم ، وترتيب صفوفهم في القتال[146] .وعلى هذا يكون الوازع في اللهجات اليمنية هو الآمر المسيطر ، عسكرياً كان ، أو غيره .

خاتمـــــة:

أسماء الأعلام اليمنية في العصر الحديث جديرة بالاهتمام ، فهي من حيث البنية توزعت في صيغ من المصادر ، واسم الفاعل ، وصيغ المبالغة ، والصفة المشبهة ، واسم المفعول ، وأفعل التفضيل ، وبعض الصيغ الفعلية ، وصيغ الجموع ، وصيغ التصغير. وتغلب الصيغ الاشتقاقية في أعلام النساء .

وتوزعت من حيث الحقول الدلالية على أسماء ذات دلالة دينية وتاريخية ، وأسماء دالة على القوة والغلبة ـ وكثرت في أسماء الرجال خاصة ـ وأسماء دالة على التجمل ، والتملح ، والتلذذ ـ وتكثر في أسماء النساء خاصة ـ واشترك الرجال والنساء في الأسماء ذات الدلالة على التفاؤل والنجاة والسلامة والفرح والسرور وأسماء الجواهر والأعيان .

ويغلب على أسماء الأعلام عند اليمنيين في العصر الحديث أن تكون مفردة في الأغلب الأعم، لكننا لا نعدم صيغاً مركبة تركيباً إضافياً ـ وهي الأكثر ـ وبعض الصيغ المركبة تركيباً إسنادياً فعلياً ، أو تركيباً مزجياً ، أو على صورة الجار والمجرور.

وكان معجم أسماء الأعلام عند اليمنيين حتى منتصف القرن الماضي فقيراً من حيث العدد ويغلب عليه الأسماء ذات الدلالة الدينية والتاريخية ، لكنه وبتأثير التعليم والإعلام والاتصال بالدول العربية الأخرى اتسع اتساعاً كبيراً خاصة في أعلام النساء .

ومن العوامل التي جعلت اليمنيين يختارون أسماء أعلامهم إضافة إلى العامل الديني والتاريخي، جِدة هذه الأسماء في البنية والدلالة ، أو جرس موسيقاها ، أو غرابتها ، في الوقت الذي تغيب عنهم في كثير من الأحيان دلالتها اللغوية ، خاصة في تلك الأسماء التي ورثوها عن لغاتهم اليمنية القديمة .

مراجع البحث:

1. أساس البلاغة : جار الله الزمخشري ، تحقيق عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
2. أسماء الأعلام السامية ..دراسة لغوية مقارنة في البنية والدلالة : د.عمر صابر عبد الجليل، دار الثقافة العربية، القاهرة ، 1977 م .
3. الاشتقاق : ابن دريد الأزدي ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانكي ، القاهرة .1958 م .
4. اشتقاق الأسماء : أبو سعيد عبدالملك بن سعيد الأصمعي ، ت رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي ، مكتبة الخانكي ، القاهرة ،1400 هـ ، 1980 م .
5. الأعلام الجاهلية ..دراسة في البنية اللغوية : د. عاطف مدكور ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1988 .
6. الأعلام العربية ..بحث في أسماء الناس : د. إبراهيم السامرائي ، دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ، 1990 م .
7. أعلام يمانية قديمة مركبة (دراسة في دلالتها اللغوية والدينية) : د. إبراهيم الصلوي ، مجلة ريدان ، العدد 6 ، عدن ، 1994 م .
8. ألفاظ يمانية عند الهمداني ونشوان ... : د. إبراهيم الصلوي ، رسالة دكتوراه (بالألمانية) 1987 م .
9. تاج العروس من جواهر القاموس : محمد المرتضى الزبيدي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت . 1306 هـ .
10. جمهرة اللغة : ابن دريد الأزدي ، دار صادر ، بيروت لبنان .
11. جمهرة أنساب العرب : أبو محمد علي بن سعيد بن حزم ، ت عبد السلام هارون ، دار المعارف ، ط2 ، القاهرة ، 1986 م .
12. الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني ، ت محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، ط2 ، بيروت .
13. دراسات في فقه اللغة : د. صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، ط13 ، بيروت ، 1986 م .
14. شرح ابن عقيل : محمد بن عبد الله العقيلي ، ت محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، ط11 ، القاهرة ، 1963 م .
15. شرح التصريح : الشيخ خالد الأزهري ، ت محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1421 هـ ، 2000 م .
16. شرح شافية ابن الحاجب : رضي الدين الاستربادي ، محمد الزفزاف وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1402 هـ .
17. شرح المفصل : موفق الدين بن يعيش ، المطبعة المنيرية ، القاهرة .
18. الصوت والدلالة في اللهجات اليمنية القديمة والمعاصرة وأصولها في اللغات السامية : د. عبد الوهاب راوح ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، رسالة ماجستير .
19. فصول في فقه اللغة : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانكي ، القاهرة ، 1408 هـ ، 1987 م .

20. في أصول اللهجات اليمنية القديمة : د. علي محمد غالب ، مجلة التاريخ والآثار ، العددان 2 – 3 ، صنعاء ، 1994 م .

21. القاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، مكتبة دار الحياة ، بيروت .

22. الكتاب :سيبويه ، ت عبد السلام هارون ، مكتبة الخانكي ، ط3 ، القاهرة ، 1988 م .

23. لسان العرب : ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

24. اللهجات العربية الغربية القديمة : حاييم رابين ، ترجمة د. عبد الرحمن أيوب ، مطبوعات جامعة الكويت ، 1986 م .

25. لهجات قبائل المخلاف .. دراسة وصفية تاريخية في الأبنية والتراكيب : د. عبد الله محمد سعيد ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، رسالة دكتوراه ، 2001 م .

26. لهجة ذمار .. صوتية وصفية : د. عباس السوسوة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، رسالة ماجستير ، 1984 م .

27. اللهجة العوذلية واللغة الفصحى .. دراسة تقابلية : د. أحمد الضريبي ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، رسالة دكتوراه ، 1998 م .

28. لهجة منطقة الوازعية .. دراسة دلالية لغوية : د. عبد الله محمد سعيد ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، رسالة ماجستير ، 1997م.

29. اللهجة اليمنية وخصائصها في كتب التراث : د. علي محمد غالب المخلافي ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء . رسالة ماجستير ، 1987 م .

30. مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر الرازي ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، 1404 هـ ، 1984 م .

31. مختارات من النقوش اليمنية القديمة : د. محمود الغول وآخرون ، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ، تونس ، 1985 م .

32. المزهر في علوم اللغة : جلال الدين السيوطي ، ت محمد أبي الفضل إبراهيم وآخرين ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1987 م .

33. المعجم السبئي : أ.ف.ل. بيستون وآخرين ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1982 م .

34. المعجم اليمني في اللغة والتراث : مطهر بن علي الإرياني ، دار الفكر ، ط1 ، دمشق ، 1996 م .

35. المقتضب : محمد بن يزيد المبرد ، ت عبد الخالق عظيمة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 1968 م .

36. الموسوعة اليمنية : أحمد جابر عفيف وآخرون ، مؤسسة العفيف الثقافية ، ط1 ، صنعاء ، 1412 هـ .

37. همع الهوامع : حلال الدين السيوطي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

الهوامش

1 ـ ينظر : أسماء الأعلام السامية : ص 4 .

2 – انظر : شرح ابن عقيل 1 / 124 ، همع الهوامع : 2 / 152 .

3 – العِوض في العربية : البدل (اللسان : 7 / 92 ، القاموس المحيط : 597) .

4 ـ الحسن : ضد القبح (مختار الصحاح : 136 .

5 ـ الملك : السلطان والعظمة (اللسان : 10 / 492) .

6 ـ في باقي البلاد العربية يتسمون بالصيغة التركية لهذين الاسمين الأخيرين (بهجت) للمذكر ، و (دولت) للمؤنث ، أما اليمنيون فقد سموا بهما المؤنث بصيغتيهما العربية .

7 ـ الصفاء : ضد الكدر (القاموس المحيط : 197) .

8 ـ الهديل : صوت الحمام ، يقال : هدل ، يهدِل ، هديلاً (اللسان : 11 / 691 ، مختار الصحاح : 69) .

9 ـ النهَل ـ بالفتح ـ : الشرب الأول (اللسان : 11 / 682 ، مختار الصحاح 682) . والنهلة : اسم المرة منه ، ولم ترد في المعاجم .

10 ـ المتاب : التوبة (اللسان : 1 / 233 ، القاموس المحيط : 71) .

11 – تنظر دلالة الأسماء الغريبة هذه في القسم الثالث من هذا البحث .

12 ـ الفائقة : التي تفوق غيرها جمالاً (اللسان : 10 / 316 ، القاموس المحيط : 847) .

13 ـ الناعمة : هي الحسنة العيش والغذاء ، المترفة .. اللينة (اللسان : 12 / 580) .

14 ـ الحالية : في المعاجم العربية : هي التي صارت ذات حُلي (القاموس المحيط : 1174 ، مختار الصحاح : 153) . لكن يبدو أن أهل اليمن أخذوا الاسم من الحلو والحلاوة ، لا من الحلي ، وعلى هذا يكون معنى الحلية : هي التي تستطاب ، وتستخف ، تستحلى (ينظر : اللسان : 14 / 195) .

15 ـ الراوية : في الفصحى : السحاب يحمل الماء ، والإبل التي يستقى عليها ، والمزادة (اللسان : 14 / 346) ، وأهل اليمن يستعملون صيغة (راوية) اسم فاعل ، واسم مفعول . وهي هنا اسم مفعول ، أي هي التي امتلأت رواءً .

16 ـ الغانية : الجارية التي غنيت بزوجها ، أو التي غنيت بحسنها (مختار الصحاح : 483) أو التي غنيت بعفتها (القاموس المحيط : 1211) .

17 ـ الرانية : التي تديم النظر ، مع سكون الطرف (اللسان : 14 / 339 ، مختار الصحاح : 259) . ويبدو أن (رانية) بمعنى اسم المفعول ، لا اسم الفاعل ، فهي إذن : التي تديم النظر إليها ، وتُسكِن الطرف عليها ، وتلهي وتشغل القلب بها من حسنها (ينظر قريباً من هذا المعنى في (اللسان 14 / 339 ، القاموس المحيط : 1186) .

18 ـ المخجلة : التي يخجل من جمالها الفاتن أمام جمالهن المتواضع (ينظر : مختار الصحاح : 170) .

19 ـ التي أنار جمالها فيما حولها .

20 ـ التي تغار غيرها من جمالها .

21 ـ المغنية : التي تغني زوجها بجمالها (ينظر : القاموس المحيط : 1211) .

22 ـ المشيرة : التي يشار إليها من جمالها .

23 – تنظر دلالة الأسماء الغريبة هنا في القسم الثالث من هذا .البحث .

24 ـ الأنيس : الذي يطرد الوحشة عمن يكون معه ، ويدخل الأنس (ينظر : القاموس المحيط : 492) .

25 – تنظر علة زيادة (الألف) و(النون) في مثل هذه الأسماء في القسم الثالث من هذا البحث .

26 ـ المبخوت : اسم مفعول من الفعل (بخت) بمعنى : الجد ، والحظ (ينظر : القاموس المحيط : 149) .

27 ـ الميمون : من كان مباركاً على قومه (اللسان : 13 / 458 ، مختار الصحاح : 744) .

28 ـ النميم : الخط الرقيق ، وضد الغليظ أو الثخين (ينظر اللسان : 12 / 592 – 593) .

29 ـ المخلص : التي خلص جمالها من كل شائبة ، أو دنس (ينظر : اللسان : 7 / 26) .

30 ـ المحصنة : كل امرأة عفيفة فهي محصنة (مختار الصحاح : 141) .

31 ـ الغيداء : الناعمة (مختار الصحاح : 486) والمتثنية ليناً (اللسان : 3 / 328 ، القاموس المحيط : 290) .

32 ـ النجلاء : واسعة العينين (اللسان : 11 / 647 ، مختار الصحاح : 647) .

33 ـ ذياب : جمع ذئب . واليمنيون يسهلون الهمزة في مثل هذا الموضع إلى (ياء) (ينظر : لهجة منطقة الوازعية : 31) ، وفي العربية (الـذيب) يهمـز ، ويلـين وأصله الهمز (القاموس المحيط : 91 ، مختار الصحاح : 218) .

34 ـ النعائم : أربعة كواكب ، وهي منزلة من منازل القمر (اللسان : 12 / 586) .

35 ـ زهر : جمع زهرة (اللسان : 4 / 334) . والورد : جمع وردة .

36 ـ ذهب المبرد إلى أنها جمع اسم ، وذهب سيبويه إلى أنه اسم مشتق من الوسامة (اللسان : 12 / 637) .

37 ـ أماني : جمع أمنية . و (منى) : جمع منية (مختار الصحاح : 637) .

38 ـ سهيل : تصغير (سهل) ، ونجم يماني عند طلوعه تنضج الفواكه ، وينتهي القيظ (القاموس المحيط : 935) .

39 ـ القحيم : تصغير (قُحم) ، وهو الذي يقتحم المصاعب ، والمخاطر . وقد يكون تصغير (قَحم) ، فيكون بمعنى : الكبير في السـن (القـاموس المحـيط : 1057) .

40 ـ ينظر : لهجات قبائل المخلاف : 137 .

41 ـ الأعلام العربية : 8 .

42 ـ هي الخيزران .

43 ـ واحدة الزبيب .

44 ـ يطلق اليمنيون في محافظة تعز اسم (عُنْبَة) على شجرتي (المانجو) و (الباباي) ، وثمرتهما .

45 ـ جمع (خزامى) ، وهي من أطيب أنواع النبات رائحة (اللسان : 12 / 276) .

46 ـ الرند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية ، وربما سموا العود (رنداً) (القاموس المحيط : 271 ، مختار الصحاح : 258) .

47 ـ نبات طيب الرائحة (اللسان : 3 / 458 ، القاموس المحيط : 214) .

48 ـ الطلح : شجر عظام من شجر العِضاة ، الواحدة طلحة (مختار الصحاح :395) .

49 ـ الغيل : الشجر الكثير الملتف ، والماء الذي يجري على وجه الأرض (اللسان : 11 / 511) .

50 ـ السهل : الأرض السهلة الواسعة المطمئنة (ينظر : القاموس المحيط : 935) .

51 ـ هو فعلان من السافي ، وهو ما سفته الرياح من تراب وغيره (اللسان : 14 / 389) .

52 ـ واحدة الرمال (مختار الصحاح : 257) .

53 ـ البلال : هو الماء (القاموس المحيط : 891) .

54 ـ هو الحجارة العريضة الملساء (اللسان : 14 / 464 ، مختار الصحاح : 366) .

55 ـ النهر الصغير (القاموس المحيط : 343) وفي اللسان (4 / 142) : هو النهر عامة .

56 ـ هو فعلان من المروة ، وهي حجارة النار التي يقتدح بها (القاموس المحيط: 1224، مختار الصحاح : 622) .

57 ـ أرض بيضاء لم توطأ (اللسان : 4 / 585 ، القاموس : 412) .

58 ـ قَرطلة : في العربية (القِرطالة) : البرذعة (مختار الصحاح : 530) .

59 ـ فارسي معرب ، الواحدة (ياقوتة) والجمع (يواقيت) (اللسان : 2 / 109) .

60 ـ من القبس : وهو الشهاب من النار ، وهو الرجل الجميل الوجه الحسن اللون (القاموس : 522) .

61 ـ هو النجم الذي يقال له : كوكب الصبح (القاموس المحيط : 832 ، مختار الصحاح : 391) .

62 ـ الشهاب : شعلة من نار ساطعة (القاموس : 349) .

63 ـ هي كواكب سميت كذلك لكثرة كواكبها مع صغر محلها ، وهي بالتصغير ، وسميت المرأة بها كناية عن غزارة خيرها (اللسان : 14 / 112) .

64 ـ جمع روضة (مختار الصحاح : 263) .

65 ـ عاصمة دولة ألبانيا .

66 ـ مدينة عمانية .

67 ـ المسك : من الطيب فارسي معرب ، وكانت العرب تسميه المشموم (ينظر :القاموس المحيط : 877) .

68 ـ العبير : رائحة الزهر . وفي اللسان : العبير : نوع من الطيب يجمع من أخلاط (اللسان :4 / 531) .

69 ـ الريح الطيبة (مختار الصحاح : 623) .

70 ـ الشهد ، بفتح الشين ، وضمها : العسل (اللسان : 3 / 243 ، القاموس : 349) .

71 ـ طيب يصبغ به (اللسان : 4 / 324) .

72 ـ الأسد (القاموس المحيط : 349)

73 ـ الأفعى (مختار الصحاح : 158)

74 ـ السِرحان بالكسر : الذئب (اللسان : 2 / 481) .

75 ـ تصغير (حذفة) وهو طائر يشبه الأوز (القاموس المحيط : 737) .

76 ـ المازن : بيض النمل (اللسان : 13 / 406) .

77 ـ نوع من الذباب أزرق اللون (القاموس : 415) ، والعنتر : الشجاع (اللسان : 4 / 610) .

78 ـ الهيثم : فرخ النسر ، أو العقاب (اللسان : 12 / 600 ، القاموس المحيط : 1076 ، مختار الصحاح : 690) .

79 ـ الخولة : الظبية (اللسان : 11 / 226 ، القاموس : 916) .

80 ـ جمع (ريم) ، وهي الظبية الخالصة البياض (القاموس المحيط : 1029) .

81 ـ جمع (مهاة) ، وهي البقرة الوحشية (مختار الصحاح : 639) .

82 ـ العفراء : الماعز البيضاء (اللسان : 4 / 585) .

83 ـ اللسان : 2 / 125 ، 8 / 1 ، 9 / 330 .

84 ـ المشعل : بياض يكون في ناصية الفرس ، وذنبه . والمكان الذي توقد فيه النار ، والقنديل (اللسان : 11 / 353 ، القاموس المحيط : 937) .

85 ـ الأصهب :بياض يعلوه صفرة (القاموس : 112) ، وفي اللسان : بياض تخالطه حمرة (1 / 532) .

86 ـ فصول في فقه اللغة : 350 .

87 ـ ينظر : لهجة منطقة الوازعية : 38 ، عن د. إبراهيم الصلوي .

88 ـ ينظر : الأعلام العربية : 78 .

89 ـ ينظر : عنوان (الأعلام المنقولة عن المصادر) من هذا البحث فيما سبق .

90 ـ الاشتقاق : لابن دريد : ص5 – 6 .

91 ـ الاشتقاق : لابن دريد : ص 5 – 6 .

92 ـ سورة الأعراف : 159 .

93 ـ أساس البلاغة : 15 ، القاموس المحيط : 492 .

94 ـ ينظر : مختار الصحاح : 42 .

95 ـ ينظر : القاموس المحيط : 149 .

96 ـ ينظر : مختار الصحاح : 103 .

97 ـ القاموس المحيط : 342 .

98 ـ ينظر : اللسان 13/ 117 ، مختار الصحاح : 137 .

99 ـ سورة ال عمران : 152 .

100 ـ ينظر : اللسان 13/ 117 ، مختار الصحاح :137 .

101 ـ مختارات من النقوش اليمنية القديمة : 76 .

102 ـ مختار الصحاح : 197 .

103 ـ ينظر : فصول في فقه اللغة : 305 – 306 .

104 ـ ينظر : اللسان 4/ 278 ، القاموس المحيط : 365 ، مختار الصحاح : 199 .

105 ـ ينظر : فصول في فقه اللغة : 299 .

106 ـ اللسان 12/ 196 ، القاموس المحيط : 1020 .

107 ـ ينظر: اللسان 13/ 149 .

108 ـ ينظر : القاموس المحيط : 186 ، مختار الصحاح :210 .

109 ـ اللسان : 2/ 275 .

110 ـ ينظر : القاموس المحيط : 549 .

111 ـ ينظر : اللسان : 11 / 252 .

112 ـ ينظر : القاموس المحيط : 550 .

113 ـ القاموس المحيط : 1026 .

114 ـ سورة الكهف : 95 .

115 ـ اللسان : 5 / 353 ، القاموس المحيط : 474 .

116 ـ ينظر : اللسان 12/ 239 ، مختار الصحاح :241 .

117 ـ القاموس المحيط : 1026 .

118 ـ ينظر : اللسان 2/ 456 .

119 ـ ينظر : اللسان : 3/ 233 : مختار الصحاح : 332.

120 ـ القاموس المحيط : 277 .

121 ـ اللسان : 3/ 233 .

122 ـ القاموس المحيط : 678 .

123 ـ مختارات من النقوش اليمنية القديمة : 381 .

124 ـ اللسان :8 / 187 .

125 ـ القاموس المحيط : 1040 .

126 ـ ينظر : القاموس المحيط : 551 .

127 ـ اللسان : 2 / 323 .

128 ـ اللسان : 8 / 246 – 247 .

129 ـ مختارات من النقوش اليمنية القديمة : 392 ، المعجم السبئي : 46 .

130 ـ الأعلام العربية : 82 .

131 ـ مختار الصحاح : 530 .

132 ـ القاموس المحيط : 298 .

133 ـ اللسان : 3 / 379 .

134 ـ اللسان : 5 / 208 .

135 ـ اللسان : 9 / 342 .

136 ـ القاموس المحيط : 715 .

137 ـ القاموس المحيط : 715 .

138 ـ لهجات قبائل المخلاف : 131 .

139 ـ الخصائص : 1 / 260 ، شرح المفصل : 10/ 80 ، شرح التصريح : 1/ 395 .

140 ـ الكتاب : 4/ 348 ، المقتضب : 3/ 23 ، شرح الشافية : 3/ 149 .

141 ـ اللهجات العربية الغربية القديمة : 289 .

142 ـ ينظر : القاموس المحيط : 147 .

143 ـ القاموس المحيط : 711 .

144 ـ مختارات من النقوش اليمنية القديمة : 408 ، المعجم السبئي : 167 .

145 ـ لهجة منطقة الوازعية : 22 .

146 ـ اللسان : 8 / 390 – 391 .

النظـــرية الأدبيـــة عنـــد المقـــالح

مقدمات دواوين الشعر أنموذجاً

د. أحمد قاسم علي أسحم *

ملخص البحث

يهـدف البحـث إلى اسـتنباط نظريـة المقـالح الأدبيـة، مـن مقـدمات دواويـن الشـعر التـي كتبهـا المقالح، وقـد توصـل البحـث إلى أن المقـالح يفـرق بـين مصـطلحين: المقدمـة بوصـفها نمطـاً كتابيـاً إرشـادياً ، والإشارة بوصـفها شـهادة أو إجـازة للشـاعر ،كـما أولى المقـالح عنايـة خاصـة لعنـاوين الـدواوين والقصـائد، وأكـد عـلى أهميـة تحليلهـا للوصـول إلى دلالات فنيـة مدهشـة ، كـما توصـل البحـث إلى مفهـوم الشـعر لـدى المقالح ومصدره وماهيتـه ووظيفتـه ، ومفهـوم الشـاعر ، واتضـح أن لديـه مقياسـا في تصـنيف الشـعراء ،يقـوم على تصنيفهم بإحدى وسيلتين :فنيـة وهـي الغالبـة وزمنيـة، كـما حـاول تفسـير الإبـداع والإجابـة عـلى سـؤال ما الذي يدفع القارئ إلى تـذوق الشـعر، كـما توصـل البحـث إلى مفهـوم المقـالح للحركـة الأدبيـة في اليـمن في العصر الحـديث والمعـاصر، وأسـباب تعثرهـا، وأنـواع الشـعر في الحركـة الأدبيـة اليمنيـة الحديثـة ،مـن حيـث لغتـه إلى فصـيح وعـامي ومـن حيـث حداثتـه إلى تقليـدي وجديـد وأجـد، ومـن حيـث الحجـم إلى قصـيدة طويلة وقصيدة صغيرة ، ومن حيث الموضوع إلى قصيدة واقعية وسياسية وذات مناسبة وغنائية .

تعد هذه الدراسة محاولة للوصول إلى النظرية الأدبية عند المقالح من خـلال مقـدمات دواويـن الشـعر المعاصر، التي كتبها في فترات زمنية مختلفة ؛ وبذلك تهدف الدراسة للإجابة عن السؤال الأتي :

ما النظرية الأدبية في مقدمات دواوين الشعر التي كتبها المقالح؟

تقوم النظرية الأدبية عند المقالح في مقدمات الدواوين الشعرية على مجموعة من القضايا الأدبية والفنيـة المبثوثة هنا وهناك وهي ما يأتي :

1- مفهوم المقالح للمقدمة :

اتضح لي أن المقالح لـه مفهوم خاص للمقدمة؛ فليست المقدمة عنده شهادة للشاعر أو إجازة لقول الشعر كـما قـد يظن البعض ، وإنما هي نمط كتابي إرشادي وتشجيعي للشاعر ، لا تمنحه في أغلب الأحيان الإجـازة الشـعرية إذا

---

*) أستاذ الأدب والنقد المساعد - جامعة تعز

جاز لنا استخدام مصطلحات الفقهاء ؛ وهذا الكلام أو المفهوم قد استنتجناه من قوله في مقدمة ديوان عبد الوهاب المقالح: " هذه ليست مقدمة ولا تشبه المقدمات، وإنما هي شهادة شاهد عيان تابع ميلاد هذه الموهبة ثم أدرك حضورها في الساحة الأدبية وقرأ بمحبة واعتزاز كل حرف جادت به شعراً كان أو نثرا"[1].

إذن فهناك ما يسمى بالمقدمة ولها خصائصها وسماتها عنده، وهناك ما يسمى بالشهادة أو الإجازة الشعرية من مثل هذه المقدمة، التي كتبها لديوان عبد الوهاب المقالح، فهي شهادة، ولذلك ترى أنه وضع عنواناً لها هو " إشارات " حتى يميزها عما يسمى بـ " المقدمة " ، والإشارة في اللغة: الدليل والبرهان والبينة والشهادة ، وفي اصطلاح المقالح – كما تبين لنا من الاقتباس – يعنى بها الشهادة ، ولعلنا نستطيع أن نعرف الفارق بين المقدمة وهذه الشهادة في الآتي:

1- في المقدمات – كما سوف نرى – يستخدم غالباً أسلوب التعريض ، أما هنا فهو واضح تماماً ، وواثق من موهبة الشاعر، يقول عن الديوان: " فهو محاولة جريئة لاقتحام مدينة الشعر بدلاً من المرور بمحاذاتها"[2].

2- المقدمة عند المقالح هي إرشاد للقارئ إلى الديوان ، ومحاولة فك الغموض عن صاحبه، وعن النصوص ، يقول في مقدمة ديوان محمد عبده غانم: " هل أستطيع أن أزعم بأنني بالرغم من ترددي وربما بفضل هذا التردد قد وضعت في يد القارئ مفتاحاً يمنياً يستطيع به أن يدخل إلى الديوان دون أن تختلط عليه الأمور أو يشعر بالغربة؟ "[3].

والخلاصة أن المقالح يريد بالمقدمة نمطاً كتابياً تشجيعياً وإرشادياً، أو إشارة فتكون شهادة أو إجازة للشاعر.

2- أهمية العنوان:

يحاول الناقد أن يدرس كل شيء في النص ليصل إلى أفكار النص ، فهو باحث بالدرجة الأولى يقول لانسون: " إنه لأمر دقيق أن نعرف العمل الأدبي "[4] ، والعنوان يعد أول ما يجب أن يتعرف عليه الناقد حتى يكون على بصيرة تامة بموضوعه ، ومن ثم يكون " تحليل العنوان له أهمية بالغة لما له – من حيث هو نص صغير – من وظائف شكلية جمالية ودلالية تعد مدخلاً لنص كبير، ... "[5] .

ويقول أحمد أمين: " الناقد الحق هو الذي يزاول عمله بمعرفة عن موضوعه "[6] وبالرجوع إلى المقدمات لنرى المقالح كيف يهتم بالعنوان الذي يعد الخطوة الأولى من خطوات فهم النص ، نجده يهتم بذلك وربما كان يشكل لديه أهمية عظمى في فهم النص ودلالته ، يقول في مقدمة ديوان الشاعر عبد الرحمن قاضي: " من خلال عناوين الدواوين السابقة للشاعر عبد الرحمن القاضي ، يمكن للقارئ أن يتبين نوعية الهموم والقضايا التي أثقلت صدر الشاعر وسعى إلى التعبير عنها في كل ما كتبه من قصائد ، وسيلاحظ القارئ أن الثورة اليمنية أو

الوحدة اليمنية، كانتا في محل الصدارة من شعره ، ثم يأتي بعدهما الاهتمام بالوحدة العربية وبالقضايا التي يعاني منها العرب والمسلمون في كل مكان ، ومن هنا فقد كانت قصائده استجابة عفوية صادقة للظروف التاريخية والموضوعية التي واكبها منذ بداياته الشعرية "[7] . فهو في هذا المقطع يبين لنا أهمية فهم العنوان ، وكأنه في نظره مفتاح الديوان ومفتاح القصائد كلها ؛ فاستقراء العناوين يصل بالناقد إلى نتائج مثمرة ومدهشة ، بل يستطيع بموجبها تفسير أسلوب الشاعر الفني من حيث الوضوح والغموض والإبهام والتعقيد ، وغير ذلك مما يمت بصلة إلى سمات الأسلوب ، كما فعل هو نفسه في المقطع الذي اقتبسناه آنفاً.

ومن ثم تكون أهمية العنوان في رؤيته تكمن في الوصول إلى دلالات النص الأدبي وتفسير أسلوب الشاعر ورؤيته الفنية.

3- مفهوم الشعر:

تطرق الكثير من الدارسين إلى مفهوم الشعر منذ سقراط وأفلاطون وأرسطو إلى اليوم ، وفي المقدمات نجد عدة مفهومات للشعر أتى بها المقالح ، من خلال تجربته الشعرية أولاً ، ومن خلال اطلاعه على مفهوم الشعر عبر التاريخ الأدبي ثانياً ، وأحب أن أقرر هنا – بأن المقالح كان يحاول أن يلخص رؤيته تجاه الديوان الذي يقدم لـه من خلال المفهوم ؛ فإذا كان الديوان يهتم بالغموض مثلا ، ويعده سمة أساسية للشعر ، كان المقالح يسير في مفهومه للشعر بالاتجاه نفسه، مبرزا أهمية السمة ، هذا – بالطبع – إذا كانت السمة إيجابية ، وهكذا ولنضرب مثلاً بقوله في تعريف الشعر في مقدمته لديوان " محاولات **1** " للشاعر سند عبد الله: " الشعر الحقيقي الطالع من روح الشاعر ومن فرادة تجربته الحارقة هو التعبير الروحي الصادق عن الكائنات البشرية كلها مهما أوغل في الغموض أو ارتدى صوت الذات المفرد "[8]، فهذا المفهوم يتناسب وما يتميز به الديوان من غموض وذاتية ، ولكن هل معنى ذلك أن المقالح ليس لـه مفهوم محدد للشعر؟ كلا.. فنحن إذا تناولنا المفهومات التي وضعها في مقدماته لتوصلنا إلى مفهوم خاص به؛ فمن المفاهيم التي وجدت في المقدمات ما يأتي:

فهو تارة يعرفه بأنه " التعبير الأصيل عن النفس "[9] وتارة يعرفه بقوله: " الشعر ضوء والشعر تعبير متوهج عن وجدان نقي "[10]، ويعرفه أيضاً " هو صوت ضمير الشعب "[11] كما يعرفه بقوله: " هو الحزن النابت في ضلوع البشر "[12]، وتارة يقول " الشعر في جوهره لا في شكله في طاقاته الإيحائية في المعنى الذي يحرص الشاعر على إيصاله إلى القارئ "[13]، كما يعرفه بقوله: " الشعر رؤى لعالم جديد ومحاولة للنفاذ خلال الحلم مما هو كائن إلى ما ينبغي أن يكون"[14] .

وبالنظر إلى هذه التعاريف نجد أن المقالح يركز في مفهوماته الشائعة ، على عدة سمات وخصائص

أبرزها: الأصالة ، والوجدان ، والمضمون الفكري ، والإيحاء ، والرؤيا... وكأن الشعر في رؤيته النقدية يجب أن يتسم بهذه السمات الخمس ، وهي – فعلاً – السمات الحقيقية للشعر الحقيقي .. فيجب أن يتسم الشعر بالأصالة؛ بأن يكون الشعر" متميزاً بالجودة والابتكار "[15] ومعنى ذلك أن الأصالة مرتبطة بالفرد " فهي تبدو في سلوكه حين يبتكر بالفعل إنتاجاً جديداً "[16] كما ينبغي أن يكون الشعر الأصيل نابضاً بالعاطفة النقية ، التي تؤدي إلى سمو الإنسان ، ومن ثم سمو مجتمعه ، فالمقالح في مفهومه للشعر لا يريد أن يتحول إلى آهات فارغة جوفاء ، وإنما يكون ذا عاطفة وتأثير اجتماعي ، وهو في ذلك حسب مفهومه السابق يسير مع لامارتين،الذي يرى أن الشعر "هو الصدى الحقيقي العميق الصادق لأدق انطباعات النفس"[17]، وهو ما أطلق عليه في مفهومه السابق " بالوجدان النقي " لأن هناك أدباً يثير لذة حسية.. وهناك أدباً أرقى يثير شعوراً أخلاقياً " ، وقد أوضح ذلك في مفهوم آخر مركزاً على المضمون الاجتماعي ، وهذا الجانب هو الذي يكون به الإنتاج أصيلاً. يقول الدكتور عبد الحليم محمود السيد " لكي يكون الإنتاج أصيلاً هو أن يكون مناسباً للهدف أو الوظيفة التي سيؤديها العمل المبتكر " ، وهذه الوظيفة الاجتماعية ركز عليها المقالح كثيرا في مقدماته ، كما سوف نرى ذلك في مبحث " وظيفة الشعر".

ويركز في مفهوم آخر على " الإيحاء " وهذه السمة تعد أساسية في الشعر ، وهي السمة التي تفرق بين الشعر وغيره ، ويأتي الإيحاء غالباً من التصوير الفني المبتكر ، الذي يعده المقالح في كتابه " عمالقة عند مطلع القرن " جوهر الشعر يقول: " الصورة الفنية هي الجوهر الثابت والدائم في الشعر"[18] ويقول أيضاً : " الشعر في أحد تعاريفه المعاصرة هو التفكير بالصورة "[19] فليست الصورة إلا طريق الشعر وأسلوبه غير المباشر ، " وهي بناء لغوي موحٍ تتجسد من خلاله رؤية الشاعر "[2] وقوة الشعر – أساساً – تتمثل في الإيحاء بالأفكار عن طريق الصور "[21] كما يأتي الإيحاء أيضاً من استخدام الرمز الفني ، لأنه أسلوب ثري الإيحاء وطريقة غير مباشرة لإعطاء المعنى.

ويعد مفهوم الرؤيا من أهم المفاهيم التي أتى بها ؛ فالرؤيا مفهوم حديث ، وكلمة الرؤيا للشعر قريبة من كلمة " الحلم " وهي بطبيعتها قفزة خارج المفهومات السائدة[22] ، ولعل أدونيس كان من أبرز المنادين بأن الشعر الجديد هو رؤيا[23] ويعنى بالرؤيا وسيلة الشاعر في اكتشاف وتخيل عالم يسمو بالإنسان إلى الأفضل ، لا وجود له في الحاضر، كما قال المقالح نفسه في مفهومه السابق ، فيكون الشعر ذو الرؤيا كما قال الشاعر الفرنسي رينه شار " الكشف عن عالم يظل أبداً في حاجة إلى الكشف "[24]، ومن ثم اتسم الشعر المعاصر بالغموض والعمق لاعتماده على الرؤيا ، يقول أدونيس: " الشعر الجديد باعتباره كشفاً ورؤيا غامض متردد لا منطقي"[25]، وابتعد الشعر عن أن يكون عملاً سطحياً عادياً مباشراً يصف أمراً موجوداً بحسب مفهوم " الرؤية " ، الذي يتميز به

الشعر التقليدي.

وإذن فمن مجموع التعاريف التي سردناها ، وهي مفاهيم جزئية للشعر أتى بها المقالح بحسب الصفة الغالبة على الديوان الذي يقدم له ؛ فمن مجموعها يكون مفهوم المقالح للشعر الحقيقي، وهو الشعر المتسم بالصفات الخمس السابقة ، ونلاحظ أنها متماسكة ومتكاملة وليست متضادة ولا متباينة ؛ فالشعر يتطلب الأصالة وهي الجدة والابتكار والإبداع ، وتتطلب الأصالة أن يكون الإبداع نابعاً من وجدان متوقد وعاطفة ملتاعة ، ثم لابد أن تكون تلك العاطفة عاطفة نقية ذات هدف مصحوبة بمضمون فكري ؛ إذ إن " المرء لا يكتب لنفسه وإلا كان ذلك أروع فشل "[26] يعيشه المبدع ثم لا بد لكل ذلك من أسلوب موحٍ ، ويتوج المفهوم بالرؤيا وهي التطلع إلى عالم أفضل ، فليس الشعر عملاً تسجيلياً لواقع موجود تسجيلاً حرفياً بحسب مفهوم الرؤية .

4- مصدر الشعر:

أول من تحدث عن مصدر الشعر هو أفلاطون في محاورات " أيون " التي تدور بين سقراط والمنشد " أيون " ، والسؤال الذي طُرح في إحدى المحاورات هو: هل مصدر الشعر الفن أو الإلهام ؟[27] ، وظل هذا التساؤل منذ أفلاطون إلى العصر الحديث ذا إجابتين .. الأولى تقول إن المصدر الحقيقي للشعر هو الإلهام ، والثانية.. تقول إن المصدر هو الفن المعبر عن الواقع بطريقة غير حرفية.

فما وجهة نظر المقالح في هذا الموضوع ؟

يقول في مقدمة " ديوان اليمن " لسليمان العيسى ، وهو يتحدث عن تجربة الشاعر العيسى " عندما كان في طريقه إلى صنعاء في أول زيارة له إلى اليمن ، كان سليمان العيسى يحدث نفسه كما تقول كلمات المقدمة أن الفطرة الأولى ما تزال هناك ، وأنه بمجيئه إلى هذا البلد سيصافح هذه الفطرة، ويعود معها إلى طفولته، والفطرة والطفولة هما الشعر– بالدرجة الأولى – وراء الإلهام والإبداع "[28]. و يقول المقالح في مقدمة " ديوان الزبيري ": "إن المحتوى ومضمون العمل الأدبي ثم القالب أو النظام أو الشكل الفني هي الأشياء التي من خلالها يتم التأثير "[29].

وبالعودة إلى النصيين السابقين يتبين لنا أنه يذكر في مقدمة الشاعر العيسى أن مصدر الشعر الإلهام ، ولا يقف عند الإلهام فقط ، وإنما يعطف عليه الإبداع بمعنى أن الإلهام درجة سابقة لوجود الإبداع ، الذي هو التشكيل الشعري المؤثر ، ويرى بناء على رؤية العيسى أن استعداد الإنسان الطبيعي ، وقدرته على الغوص بمشاعره في البراءة والطفولة ، هو الذي يقدم له الإلهام الشعري ، وفي نص المقدمة لديوان الزبيري نرى أنه يعطي الأولية للتشكيل الفني ، الذي يحتاج إلى ثقافة أدبية قوية لصياغته.. ومن هنا يكون مصدر الشعر في رؤيته النقدية،هو

الإلهام والثقافة الأدبية الفنية معاً، ويؤيد كلامنا هذا قوله هو نفسه في كتاب " البدايات الجنوبية " حيث يقول ما معناه.. " الاستعداد الذهني أو الموهبة قد حاول القدماء وصفها بالوحي تارة وبالإلهام تارة أخرى ، وهي حقيقة ثابتة لا يمكن إنكارها و عدمها عند الشخص يفسر حرمان الكثيرين من قول الشعر ، فليس كل من يجيد نظم الأوزان أو ضبط القواعد شاعراً مهما بلغ علمه ، فالموهبة حقيقة ثابتة وهي كالذكاء تماماً قيمة نسبية "[3]. فهو في هذا المقطع يرى أن مصدر الشعر هو الإلهام الذي أسماه " الموهبة "، ولكنه بعد ذلك يقول: " والعناية الخاصة بالشعر وتدريسه تؤكد أن عالم الشعر المدهش الجميل ليس من صنع الموهبة وحدها ولكنه من صنع العلم أيضاً "[31]، ثم يقول مؤكداً ذلك " فالموهبة التي لا تستكمل شروط وجودها من خلال الثقافة الواسعة وامتلاك الأدوات الفنية، لا تقدر على مواجهة الحياة ، ولا تستطيع أن تترك بصماتها في وجه العصر " ، فهذا إقرار منه بأهمية مصدر الفن والثقافة حتى يستطع الشاعر إتقان الشعر.

ومن ثم يرى المقالح أن مصدر الشعر الفني إنما يكمن في الإلهام الذي أسماه الموهبة والاستعداد للإبداع والثقافة والاطلاع على أدوات الفن وبدون أحدهما لا يكون الشعر شعراً.

5- وظيفة الشعر :

هل للشعر وظيفة ؟ سؤال مطروح منذ الإغريق، وكان أفلاطون في محاوراته أول من طرق هذا الباب ؛ فقد رفض الشعر ، لأنه يقوم على المحاكاة ، ومن ثم فإن جميع أنواع المحاكاة الشعرية في رؤيته تفسد أفهام السامعين[32]، لأنه نظر إلى الشعر بأنه وسيلة سلبية ، تؤدي إلى تقهقر الإنسان. بينما رأى أرسطو أن المأساة وهي من الشعر، تحدث تطهيراً غير ضار، بل تطهيراً مفيداً[33]، وقارنه بالتاريخ فرأى أنه أكثر فلسفة وأبدع من التاريخ وأكبر منه قيمة ؛ لأن الشعر يضطلع بالحقيقة العامة ، بينما يضطلع التاريخ بالحقيقة الخاصة[34]. وجاء بعدهما بزمن لونجينوس وأقر ما ذهب إليه أرسطو من أن الشعر يحقق نوعاً من المتعة الفذة[35]، وفسر ذلك بقوله: إن الأدب العظيم هو الذي يهز القارئ ويثيره لا مرة واحدة بل تكراراً[36]. وفي القرن السادس عشر الميلادي ينشر سدني مقالاً:" الدفاع عن الشعر " فيراه أكثر فائدة من حيث التعليم الأخلاقي من الفلسفة والتاريخ"[37]، وهو بذلك يساير أرسطو أيضاً.

وإذا حاولنا دراسة وظيفة الشعر دراسة عميقة ، فإننا سوف نطلع بثلاثة اتجاهات مختلفة، إزاء ذلك ، الاتجاه الأول يزعم ألاّ وظيفة له وأنه مثبط للإرادة الإنسانية ، والثاني يرى أن له وظيفة، وهي وظيفة فنية خالصة، وهي إثارة اللذة فقط ، والثالث يرى أن وظيفته هي إصلاح الحياة وكشفها؛ فأين رؤية المقالح من هذه الاتجاهات؟

الحقيقة أن المقالح في مقدماته يرى بصورة كبيرة أن الفن للمجتمع، وإن كان في بعض المقدمات قد رأى غير ذلك كما سنرى.

ففي مقدمة ديوان المطاع يقول " أهمية الكلمة الشعرية في دورها الفعال في حياة الشعوب وفي تقرير مصائرها.. "[38] فهو يجعل من الشعر أداة فعالة في توجيه الشعوب ، وهو بذلك في رؤيته لا يقل عن أداة للمعرفة والكشف والمساعدة على تنمية الشعب نفسه. بكلمة أخرى أنه مقوم من مقومات البناء الحضاري. وهو ما عبر عنه في مقدمة ديوان الشاعر سحلول حيث قال : " الشعر يجسد عند الناس ذروة تجربتهم الحياتية وذروة تطلعاتهم الإنسانية "[39]، وأكد في نفس المقدمة أن شعر سحلول " فضح كثيراً من المحسوبين على الثورة "[4].

وفي مقدمة ديوانه نفسه نرى الشعر مخلّصاً للإنسان يقول: " الشعر قد صار المخلص الوحيد القادر على صد العدوان الخارجي والداخلي على السواء ، وإن ذلك الرفيق الغامض – حتى في عنفوان عموديته – وسيلة غنائية وخطابية جيدة، لطرد أشباح الغربة والخوف "[41]، ويقول في مقدمة ديوانه أيضاً " الشعر عندنا – نحن أبناءهم وأحفادهم – حلم بتغيير اليمن والقصيدة والعالم "[42] وهي رؤية تجعل من الشعر وسيلة إنقاذ للإنسان ، وهي رؤية تعصب لها الكثير من الدارسين منهم ماثيو آرنولد حيث يقول: " الشعر في مقدوره أن ينقذنا لأنه وسيلة من الوسائل التي يمكننا بها أن نتغلب على الفوضى "[43]، ويقول في موضع آخر " سيكشف البشر شيئاً فشيئاً أنهم مضطرون للرجوع إلى الشعر ليفسر الحياة لنا وليغذينا ويعيننا "[44]، ففي الكثير من المقدمات يرى المقالح أن الشعر في خدمة المجتمع وأنه وسيلة وأداة تفجير الطاقات الكامنة في الإنسان لخدمة المجتمع وإصلاحه وبنائه .

ولكنه في بعض المقدمات يسلك سلوكاً آخر فهو في مقدمة خالد الشامي يرى أن الشعر: " ملاذ الروح ومصدر المحافظة على البراءة "[45]، وفي مقدمة سحلول يقول " الشعر أكثر الفنون تعبيراً عن الوجدان البشري " [46]، وبالرغم أن الرؤية المستعجلة تظن أن الرجل بميل إلى أصحاب الفن للفن في هذين المثالين فإن الواقع غير ذلك بكثير؛ فالمقالح في المقام الأول يرى أن الشعر بجماله وتأثيره هو القادر على حمل المضامين الاجتماعية، ولو لم يكن ملاذاً لروح الإنسان ومعبراً عن وجدانه، لما قدر على إصلاح الفساد يقول :" الشعر لا بد أن يكون توصيلاً جمالياً لموضوع ما، لقضية ما ، لمشاعر ما " [47]، ويفسر هذا القول بقوله :" وإذا كانت وظيفة الشعر هي محاولة توليد المشاركة الوجدانية بين الشاعر والقارئ، فإن إيجاد هذه المشاركة يتوقف أولاً وأخيراً على اختيار الموضوع، وعلى اختيار أسلوب التعبير عنه ، وما يجعل كثيراً من الشعر يسقط ولا يحرك ساكناً في النفس أو الوجدان، أن الشاعر قد يجيد اختيار الموضوع ولا يجيد أسلوب التعبير عنه، أو العكس كأن يجيد التعبير عن

موضوع لا معنى له، أو لا موضوع له، أو أن يسيء الاختيار فيهما معاً، وهنا يكون الفشل في كتابة القصيدة"[48]. فالمقالح يرى ضرورة تكاتف الإبداع مع الموضوع، ويشترط أن يكون الموضوع ذا قيمة ومعنى، وليس ذلك الموضوع في رؤيته إلا الموضوع الذي يستهدف بناء المجتمع؛ خصوصاً في عصر كعصرنا، وقد سبق أستاذنا الدكتور ثابت بداري إلى التقرير بأن المقالح يسعى في رؤيته حول وظيفة الأدب إلى أنها وظيفة اجتماعية بالدرجة الأولى[49].

ونخلص من كل ذلك إلى أن المقالح يرى الوظيفة الاجتماعية للشعر، ولكن بشرط الإبداع الفني؛ إذ بدون الإبداع الفني لا يكون للقضية أي تأثير.

6- مفهوم الشاعر:

اختلف الدارسون حول مفهوم الشاعر؛ فهل هو المجنون كما نعته أفلاطون؟[5] أو هو العبقري كما نعته غيره ، أو هو في منزلة بين المنزلتين؟[51] هذه الأسئلة هي مجمل نظرة الدارسين إلى الشاعر؛ فما وجهة نظر المقالح حول الشاعر من خلال مقدمات الدواوين الشعرية؟

وجدنا كلاماً كثيراً حول الشاعر ،ولكن قبل أن نسردها نود أن نقرر أن المقالح ينظر إلى الشاعر من رؤية معاصرة بحتة، فهو لا ينظر إلى الشاعر بوصفه محاكياً لأشياء في الواقع دون انفعال كالشاعر الكلاسيكي الذي لا يعنى بتطابق حياته وشعره[52]، ولا يعنى بالشاعر ذلك الهائم المنفصل عن واقعه ، وإنما يراه رؤية معاصرة تجعل من شعره صورة من شخصيته وعواطفه وأحلامه وعصره ، وهذا ما سوف تؤكده لنا المعلومات المقتبسة من مقدماته.

يقول في مقدمة ديوان الشاعر المطاع: " الشاعر الحقيقي ضمير عصره وصوت أمته "[53] ويقول في مقدمة مطهر الإرياني: " الشاعر الحقيقي هو ذلك الذي يخلق لغته "[54].

فمن خلال هذين المفهومين يتبين أن الشاعر في رؤية المقالح إنسان مبتكر، يعبر عن عصره، ويؤكد ذلك قوله: " الشاعر هو الذي يصنع الشعر، وليس الشعر وقوالبه هي التي تصنع الشاعر "[55]. فالشاعر إنسان مبتكر لا يأتيه الشعر من مكان آخر، و إنما لديه " قدرة على الكشف وإدراك المتغير "[56] وتلك القدرة هي ما أسماها بالموهبة كما اتضح ذلك من خلال مبحث " مصدر الشعر "[57].

المهم في رؤية المقالح حول الشاعر هو أن الشاعر بتلك القدرة التي تضمن له الابتكار والإبداع يكون قادراً على " إدراك المتغير وتتركز رؤيته في القادم الأجد "[58]؛ فالشاعر الحقيقي في رؤيته هو الساعي دائما نحو الأجد في التعبير، فهو بمعنى آخر يميل إلى التمرد على المألوف، و قضية التمرد هذه هي ناتجة من رؤيته المعاصرة

للشاعر ؛لأن الحركة المعاصرة في الشعر العربي تستند إلى التمرد على الذهنية التقليدية وعلى المفهوم القديم للشعر العربي[59].

يقول المقالح: " والشعراء المبدعون العظام في كل العصور، وفي كل اللغات، هم هؤلاء الذين يكتشفون دورهم بأنفسهم، وبما يمتلكونه من طاقات خلاقة، وتميزهم يأتي من أنهم لا ينصاعون للتعليمات ولا يستجيبون للنصائح، وتمردهم هذا – وهو تمرد واع – هو السبب في نجاحهم "[6]، وقد يتسرع من يقرأ هذا فيظن أن المقالح يدعو إلى الفوضى، التي اقترفها الشعراء الداديون في العقد الثاني من القرن العشرين، حين أعلنوا الثورة والتمرد ضد الفن وقواعده وقيمه، ولم تكن لهم غاية إيجابية إلا عرض ما هو سخيف[61]، نرى المقالح يسرع ويستدرك الأمر بقوله " باستثناء الاحترام البالغ للغة ولقواعدها ؛ فهم أحرار لا يخضعون لمجموعة المحرمات الفنية، التي من شأنها إعاقتهم "[62]. وهو بذلك يحتم على الشاعر ضرورة اكتساب اللغة وقواعدها والثقافة الأدبية؛ لأن الإبداع في نظره يقوم أساساً على الموهبة والثقافة الأدبية واللغوية، وهو أمر فصلنا فيه الحديث فيما سبق ؛ فضلاً عن شرط اللغة والثقافة الأدبية يشترط المقالح شرطاً آخر للشاعر الحقيقي، لا يقل أهمية عن ذلك يقول: " صفاء الأرواح بالنسبة للشعر بالغ الأهمية من وجهة نظري على الأقل ؛ فالأرواح المظلمة تضيق بالشعر وبالفن وبالجمال"[63]، وهذه الرؤية صحيحة إلى حد ما ؛ لأن الشعر أساساً فن جميل يظهر جوهر الإنسان الحقيقي، والإنسان الحقيقي هو خيّر بطبعه فعلاقته بالحياة والجمال والخير وطيدة جداً، لذلك كان من الضروري بمكان أن يكون المعبر عن الإنسان إنساناً كامل الإنسانية.

وعلى ذلك يكون الشاعر في رؤية المقالح إنساناً مبتكراً ذا عبقرية، يمتلك أدواته اللازمة للإبداع عاكساً بها شخصيته ومجتمعه بطريقة إبداعية مدهشة.

7- تصنيف الشعراء:

عمد المقالح في مقدماته إلى تصنيف الشعراء بإحدى وسيلتين ،الوسيلة الأولى هي وسيلة التصنيف الفني وهي الغالبة ، والوسيلة الثانية هي وسيلة التصنيف بحسب الجيل، لم يلتفت إلى غير هذين التصنيفين في مقدماته في الأغلب الأعم بل نقد بعض التصنيفات ، ووصف أصحابها بالحيرة، ونعتها بعدم الموضوعية [64]، وسرد أمثلة منها؛ فرأى أن بعضهم قد صنف الشعراء اليمنيين إلى شعراء مشهورين وبراعم واعدة ، أو إلى شعراء درسوا في الخارج وشعراء تلقوا تعليمهم داخل الوطن ، أو إلى شعراء ثائرين ، وأنصاف ثائرين ، وغير ثائرين[65]. وحين نزعم أن المقالح كان أقرب إلى التقسيم الفني نعني ما نقول ، فالرجل قد وضع مسوغات اختيار هذا التصنيف بقوله: " ولكيلا أقع فيما وقع فيه الإخوة الدارسون السابقون ، ولكي أكون قريباً من مواقع النقد

المعاصر ، وبعد معايشة طويلة لشعرنا وشعرائنا في اليمن؛ فقد لاحظت أنه مع شيء من التجوز، يمكن تقسيم هؤلاء الشعراء – فنياً – إلى مدارس أربع: المدرسة الكلاسيكية التقليدية ، والمدرسة الكلاسيكية الجديدة ، والمدرسة الرومانتيكية المحافظة ، والمدرسة الحديثة "[66].

ومع ذلك فالتقسيم الفني قد استعمله المقالح عندما كان يتحدث عن شعر الشاعر أو الشعر اليمني المعاصر، وكان يميل إلى التقسيم إلى أجيال عندما يتحدث عن الشاعر نفسه. وقبل أن نسرد الأدلة على ذلك من مقدماته أود أن أتحدث عن مفهومه للمدرسة الفنية ومفهومه للجيل..

فالمدرسة تقوم على نمط واحد وخصائص معينة وشعراؤها يكادون أن يكونوا متجانسين، فكل مدرسة تضم مجموعة من الشعراء الذين يجسدون رؤية المدرسة[67] .أما مفهوم الجيل فهو يضم طائفة من الشعراء لا تجانس بينهم، يقول المقالح : " القصيدة التسعينية تجمع بين الغث والسمين "[68] فكل شاعر له مميزات خاصة قد يصنف شعره إزاء المدرسة الكلاسيكية أو الرومانتيكية أوفي غيرهما ، وقد يكون شاعرا مبدعا أو غير ذلك.

ولنعد إلى ما بدأنا الحديث عنه، فقد زعمنا أن المقالح إذا تحدث عن شعر الشاعر صنفه في مذهب فني، وإذا تحدث عن الشاعر صنفه في تقسيم جيلي، وأحيانا في تصنيف فكري، كما يتضح لنا من الأدلة التالية:

يقول متحدثاً عن ديوان الشاعر مطهر الإرياني: " والديوان بهذا المحتوى الخصب الثري يدفع عن نفسه فكرة الفوقية أو البرج عاجية التي تصورها بعضهم " [69] فهو يصنف شعر مطهر الإرياني ضمن المدرسة الكلاسيكية الجديدة ، التي تجمع بين الإبداع والتقليد، ويقول في مقدمة ديوان الزبيري :" وللكلاسيكية الجديدة في الشعر العربي المعاصر رواد في كل قطر، والزبيري رائد هذا الاتجاه في شعرنا اليمني الحديث... وهو جدير بتلك المكانة، فقد كان شعره بحق شعر الصحوة الوطنية والفنية " [7] فالزبيري لم ينل هذه المنزلة والريادة إلا لأن شعره يحمل الرؤية الكلاسيكية الجديدة. ويقول في مقدمة الشاعر قاضي: " ونظراً لارتباط هذه القصائد بالجماهير وقضاياها، فقد حرص الشاعر أن يظل قريباً من المتلقي، وألاّ يرهق مشاعر هذا المتلقى بما يسمى بالاستخدام الخاص باللغة... ولذلك فقد جاءت أشعاره كلها ملتزمة بالنظام البيتي وفي إطار ما سمي بالكلاسيكية الحديثة.."[71] فهو ينظر إلى شعر الشاعر وسماته الغالبة عليه ، ومن ثم يدخله ضمن الكلاسيكية الحديثة.

أما حين يتحدث عن الشاعر بصورة خاصة، فهو يصنفه ضمن الجيل؛ جاء في مقدمة ديوان الوريث " إسماعيل الوريث شاعر من اليمن واحد من جيل السبعينيات في الشعر العربي الحديث"[72] ونراه في مقدمة العزي مصّوعي يصنفه مع الحضراني والمروني فيما يسميه " جيل الرواد "[73]، وفي مقدمة ديوان الشامي يقول: " وخالد الشامي واحد من شعراء الموجة الشعرية الشابة "[74]، ويقول في مقدمة ديوان أبي طالب " تعود أولى

قصائد هذا الديوان كتابة.. إلى بداية العقد 1991م، وهـــذا يعنـي- وفقـاً لتقسـيم الشـعراء إلـــى أجيـال - أن إبراهيم مـــن شعراء التسعينيات"[75].

وقد يعمد إلى التصنيف الفكري، يقول في مقدمة ديوان البريهي: " من المؤكد أن الشاعر فيصل البريهي اقترب قليلاً أو كثيراً من شعر المتصوفة "[76].

وهكذا تتلخص رؤية المقالح في تصنيف الشعراء إلى عدة اتجاهات: الاتجاه الغالب هـو الاتجـاه الفنـي وهو التقسيم إلى مدارس فنية، ثم نجد تقسيما بحسب الجيل الزمني ، ثم تقسيماً بحسب السن إلى رواد وشبان ، ثم تصنيفياً بحسب المضامين الفكرية وهو أقلها.

8- تفسير الإبداع:

ما الذي يجعل الإنسان يشعر بالإبداع؟ لماذا يتذوق الإنسان الجمال والفن؟ سؤال مطـروح والنـاس في اختلاف حول الإجابة عليه ، ولكن ما يهمنا هو موقف المقالح من ذلك.

نرى المقالح من خلال مقدماته أنه يرجع سر الإبداع وتفسيره إلى بضعة أشـياء فنيـة مهمـة، أولى هـذه الأدوات اللغة يقول : " ولا يبقى أمام الشاعر سوى اللجوء إلى لغة شعرية، تحاول أن تكون شفافة ومكثفة، تختزل الإشارات المباشرة من الواقع، وتعطي معناها المطلوب للقارئ في أقل قدر من الكلمات، مع المحافظة على قدر غير قليل من العذوبة الموسيقية، التي تجعل القارئ يخترق الجو الأليف للقصيدة وهو مصحوب بإيقاعها المتوهج " [77] فاللغة الشعرية هنا لا تقتصر في معناها على أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أحوالهم ، وإنما يتعـدى مفهومهـا إلى عوالم أخرى؛ فهي هنا بمعناها الواسع " الذي يتضمن المفردة والصورة والحركـة والإيقـاع والتركيـب والشـكل "[78] وبالتالي فهناك فرق كبير بين اللغة الشعرية في رؤية المقالح واللغة العادية، ومن قبله فرق " كوين " بيـنهما، وذلك بأن اللغة العادية أكثر تحديداً أو تخصيصاً، بينما اللغة الشعرية لغـة خاصة ، مـجازية، مركبة[79]. فمثل هـذه اللغة هي التي تؤثر في القارئ ، أو كما قال عبد الملك مرتاض: " اللغة الإبداعية نسج يبهر ويسحر "[8]

الشيء الثاني الذي عوّل عليه المقالح في تفسير الإبداع هو التجربة الشعرية بأفكارها ووجدانها، يقـول: " إن مسألة اللغة في القصيدة تتصل مباشرة بالتجربة، وفي الوقت نفسه فإن المعنى يخلق لغتـه ويضـعها في إطارهـا المحدد دون مبالغة أو تبسيط "[81] ،في هذه الفقرة يحاول المقالح أن يربط بين اللغة الشـعرية والتجربـة الشـعورية؛ فالتشكيل اللغوي لا يأتي في نظره من خارج التجربة بل من ذاتها ، " فالأدب وسيلة للتعبير عن التجربة الإنسانية التي مرت بالإنسان أو أحسها أو شعر بها، وهو يرجع في ذلك التعبير إلى ذات نفسه "[82] فتأكيد المقالح على أهمية التجربة ؛لأنها التي تضمن حياة النص، ومن ثم تأثر القارئ به، يقول الدكتور العشماوي "[83] اللغة في الشعر خلق

فني تتحول فيه اللغة إلى رموز تصور حالة الأديب الباطنية، وتعبر عن تجربته... فهي مشبعة بالتجربة قادرة بحكم صياغتها أن تحمل رؤية الشاعر للوجود " .

الشيء الثالث التجاوز، بمعنى أن يكون الشاعر في شعره وإبداعه متجاوزاً المألوف يقول : " يبدو ألاّ سبيل إلى الحفاظ على هذا الفن الجميل، والعمل على رفده بالتوليد والابتكار، إلا بمزيد من الكتابة الشعرية المتجاوزة، وبالمزيد من الشعراء الذين يخترقون بالهاجس العفوي والمدهش كل سائد ومكرور "[84]، فالتجاوز والتمرد على الأنماط السائدة هو ما يلفت ويدهش، و المقالح يؤكد دائماً على هذه السمة، حتى يمتلك الإبداع القدرة على النفاذ إلى المتلقى ويستولي على إعجابه، يقول: " إن سر الإعجاب بالأنغام البكاري التي يضم هذا الديوان أكبر قدر منها، يعود في واقع الأمر إلى البراءة وروح التمرد والطموح "[85]

الشيء الرابع: حسن التنسيق بين الشكل والمضمون ، يقول المقالح في مقدمة ديوانه: " وقد استطاع كل عصر أن يتميز بإيقاعه ، وأن يستخدم وسائل التعبير الفنية الخاصة به ، والمعبرة عنه- انحطاطاً وارتفاعاً – ومن هذا التميز ينبع الوعي الفني في اختيار التشكيل والإيقاع سواء في القصيدة أو المعمار أو الموسيقى ...وهما أي التشكيل والإيقاع يكتسبان ملامحهما من الإحساس، من الزمن المتغير، ومن استيعاب أبعاد الواقع ومضامينه ، فالشكل الجديد يتشكل في ذروة تشكل المعنى الجديد"[86]، فالذي يجعل الإبداع ناقصاً وغير مؤثر، أن يكون الشكل مناقضاً للمضمون، وبدون هذا التناسق سيكون الإبداع مدعاة للسخرية لا للإعجاب، وإذن فالتجديد يحب أن يكون شكلاً ومضموناً، يقول محمد مندور: " عندما يدعي بعضنا التجديد لا يعدو في الحقيقة التطريز على ثوب خلق حتى أصبحنا أشبه بمن يرقص بالسلاسل "[87].

الشيء الخامس: القدرة على التوظيف للرموز، يقول المقالح في مقدمة ديوان العيسى: "
استطاع الشاعر سليمان العيسى أن يجيد توظيفها (أي قصة وضاح اليمن) وأن يجعل من اليمن و ربما من الوطن العربي وضاحاً آخر، يتضافر التخلف والطغيان والعدوان الخارجي على دفنه حيا..."[88] ،فما الذي جعل هذه الحكاية العادية بهذا الثراء الإبداعي؟ لا شك أن السر يكمن في القدرة على التوظيف للرمز واستغلال إمكانياته الإيحائية، والشاعر المبدع هو الذي يتعامل مع هذه الرموز تعاملاً شعرياً فيستغل فيها خاصة الامتلاء بالمغزى[89]، وهذا ما وفق إليه سليمان العيسى ، وأعجب به المقالح وحث الشعراء عليه .

ولكي يكون الإبداع مثيراً ومدهشاً يضع أمامنا المقالح شروطاً من أهمها الحرية، التي يتعدى مفهومها عنده إلى مرتبة الإبداع نفسه، يقول: " الحرية والإبداع صنوان متلازمان كالصوت والصدى أو كالضوء والظل ، وإن حرية المبدع لا تقف عند حدود حقه في التعبير فقط، وإنما تمتد إلى حقه في اختيار الأسلوب الذي يعبر به

ويتلاءم مع الذائقة الجديدة "[9] وتتجلى الحرية في مفهوم المقالح من خلال النص السابق بمعنى إضافي هو الرفض والتمرد على الأشكال التقليدية واعتماد الشاعر على نفسه، وقد كان شعار فكتور هوجو " الحرية في الفن " أي اعتماد الشاعر على عبقريته[91] .

ويجب لحسن الإبداع الصبر والأناة، يقول المقالح مبيناً سر الإبداع عند الشاعر خالد الشامي: " إن خالداً شاعر جاد صبور يتأنى في كتابة قصائده كما يتأنى في نشرها " ويقول : " وحين يكتب الشعراء قصائدهم فإنهم قد لا يدركون أثناء استغراقهم في الكتابة، أنهم يحفرونها في ضمائر الناس، وإن هذه القصائد المحفورة في الضمائر ،هي أبقى من تلك النقوش المحفورة في الصخور، وأنها تغدو أكثر حياة وتحريكاً للمشاعر "[92] فهو يركز على ضرورة التأني والاستغراق في الكتابة وعدم الاستعجال في النشر لتأتي الثمار ناضجة .

إذن فالمقالح يرى أن هناك أشياءً فنية تسهم في جعل الإبداع قادراً على التأثير على القارئ ،هذه الأشياء هي اللغة الشعرية، والتجربة الشعرية، وتجاوز الأنماط المألوفة ، وحسن التنسيق ، والقدرة على توظيف الرموز والأساطير، والحرية والصبر والأناة ،وهذه الأشياء الفنية متكاملة وبها يتم تذوق الإبداع كما قال المقالح :" وتبدو عظمة هذا الشاعر كما يتجلى ضعف ذلك الآخر بقدر ما تتركه المادة الشعرية التي احتفظ بها في ذلك الوعاء (الشكل الفني)، وبمقدار الاهتزازات أو الرعشات الفنية التي تسجلها في نفس المتلقي عند السماع أو القراءة "[93].

9- الحركة الشعرية المعاصرة في اليمن:

مفهوم المقالح للحركة الشعرية المعاصرة في اليمن مفهوم واسع يضم ثلاثة التيارات الشعرية يقول في مقدمة ديوان " الحزن الذي لم يمت " للشاعر أحمد المأخذي :" الحركة الشعرية المعاصرة في اليمن توقفت عند ملامح ثلاثة شعراء وهم أولاً : الشاعر التقليدي ، ثانياً : الشاعر العمودي المعاصر ، ثالثاً : الشاعر الجديد ، والشاعران الأخيران : العمودي المعاصر والجديد هما النموذج السائد في حركة الشعر المعاصر في اليمن حتى الآن"[94] فمصطلح " المعاصر " في مفهومه ينطبق أكثر على القصيدة العمودية ذات المضمون العصري، والقصيدة الجديدة ذات النمط التفعيلي. ونلاحظ أن المقالح يستخدم مصطلح " المعاصرة " بمفهومه التاريخي الزمني وهو أن تستوعب الحركة كل ما ظهر خلال جيل واحد [95] .

وأهم فكرة تناولها المقالح في هذا الموضوع هي فكرة أسباب تعثر الحركة الشعرية المعاصرة في اليمن التي تبرز في التالي :-

1- ضعف التأثير: يرى المقالح أن علامة الشعر التأثير، فإذا انعدمت هذه السمة انعدم الشعر يقول :" لم أنفعل إلا

قليلاً جداً مع نماذج قليلة من شعرنا الفصيح "[96] وانعدام هذا التأثير أو الشاعرية بمعنى أدق ، يعود في رؤيته إلى " جفاف التعبير وانعدام التصوير الفني "[97].

2- التطفل على ميدان الشعر : يقول المقالح موضحاً أثر التطفل على تعثر الحركة المعاصرة بقوله :" ولعل الزحام الآن على أبواب مدينة الشعر يبدو على أشده وأكثر من أي عصر مضى ، فقد اتسعت دائرة المثقفين باللغة والآداب وتمكنت أقسام اللغة العربية في الجامعات من استقطاب العشرات بل المئات من عشاق اللغة العربية وبين المتزاحمين شبان وكهول وشيوخ ، ولكن المدينة الشعرية لا تقبل بين حين وآخر إلا العدد القليل من الموهوبين ذوي الطاقات الإبداعية الخلاقة والقادرة على اختراق هذا الزحام والوصول إلى حيث يقف الشعراء يتأملون ويكتبون " [98] ويرى أن الحل يكمن في اكتساب الشاعر الموهبة أولاً ثم اللغة[99].

3- قلة الثقافة والاطلاع ،يقول :" وتكشف القصائد ذات البناء البيتي " العمودي " في هذا الديوان كما تكشف قصائده المنتمية إلى نظام التفعيلة أن شعراءنا الشبان بحاجة إلى مزيد من التعرف على كل ما تطرحه الساحة العربية من إبداع شعري، ومن مغامرات في حقل الكتابة الإبداعية كحاجتهم إلى مزيد من التعلق بالتراث والحوار مع النصوص الكبيرة والكثيرة التي امتلأت بها ساحات المدن العربية ومكتباتها في عصور الازدهار " [10] .

4- ازدواجية اللغة : وهي مشكلة من المشكلات التي لها تأثير على الإبداع ، و المقالح ينظر إليها بوصفها وسيلة لتفسير الركاكة والضعف الشعري في القديم والحديث يقول :" ولو كانت هذه المعادلة الصعبة قد حلت من قرون لما وقع أدبنا العربي فيما وقع فيه من سقوط وانحطاط في عصور الظلام عندما كان الشاعر يفكر ويحيا بلغة ، ثم يكتب أشعاره ويؤلف رسائله بلغة أخرى ، تماماً كما يفعل اليوم كثير من الذين لا يجيدون حفظ اللغات الأجنبية عندما يجبرون على الكلام أو الكتابة، إذ نراهم يرتبون الكلمات في أفواههم أو على الورق بلغتهم الأصلية أولاً ، ثم يرمونها على المستمع أو القارئ فتخرج باهتة لا حياة فيها ولا حرارة "[101].

ومع ذلك فيمكن التخلص من هذه المشكلة باكتساب اللغة اكتساباً صحيحاً، وهو ما يؤكد المقالح عليه في مواطن أخرى [102] ، والذي يقصده المقالح ألاّ تعيش العربية لغة هامشية في حياة الشاعر وعلى كل فالأمر يعود إلى قدرة الشاعر وإلى نصيبه من الإبداع والابتكار ولذلك قال أدونيس " الشاعر الجديد ينتشل الكلمات من الغدير الذي غرقت فيه ينسلها كلمة كلمة من نسيجها القديم ، يخيطها كلمة كلمة في نسيج جديد ، إذ يفعل ذلك يفرغها من شحنتها القديمة – من دلالاتها وتداعياتها يملؤها بشحنة جديدة " [103]

5- الواقع المزري يقول المقالح :" في اليمن شعر كثير ، وفي اليمن شعراء كثيرون ولكن القليل من هذا الشعر هو الذي يستحق أن يدعى كذلك والقليل من هؤلاء الشعراء هم الذين عاشوا ويعيشون عصرهم أو جانباً من

عصرهم نتيجة للأوضاع السيئة التي تردى فيها هذا القطر " السعيد " حيث تجمدت عليه حركة الزمن وتوقف أبناؤه عن السير حتى إلى الخلف وأجدبت الساحة اليمنية على كل المستويات الثقافية والاجتماعية والسياسية المختلفة "[104]. ولذلك نرى المقالح يفسر قلة الإبداع بانحطاط الواقع يقول " في هذا المناخ المأزوم المعتكر تبدو الاتجاهات الإبداعية القليلة والنادرة التي تستحق أن تحتفي بها أرواحنا وعقولنا وكأنها قادمة من زمن آخر غير الزمن الذي نعيش دورته الجافة الذي لا يمكن – عبر تجربة محسوسة معاشة أن يكون زمناً لأي شكل من الأشكال الإبداع الأدبي والفني " [105]، وعلى ذلك فالإبداع في رؤيته صورة انعكاسية للواقع ، فإذا كان الواقع متخلفاً فالإبداع يأتي صورة له، وكذلك إذا كان الواقع متطوراً كان الإبداع صورة منه ،وقد تحدث في كتابه " أزمة القصيدة العربية" عن سر التغير التشكيلي للقصيدة العربية المعاصرة ورده إلى التغيير الذي طرأ على الواقع[106].

6- الاغتراب عن العصر .. فبعد الشاعر عن التعبير عن عصره ،والاشتغال بموضوعات أخرى لا علاقة لها بأحزان الناس ومشاكلهم سبب من أسباب التعثر يقول :" وفي بلادنا كما في بقية الأقطار العربية الأخرى ما أقل الشعراء الذين تنبهوا إلى ضرورة أن تصل أشعارهم إلى تلك الملايين المعزولة بالأمية "[107] ولذالك نراه يتحدث عن المبدع وما يجب عليه بقوله " يتوجب عليه كذلك أن يكون مستوعباً لجماليات الفن الشعري ، وأن يحاسب نفسه ويتفادى أن يفلت من عصره ، ليكون تعبيراً عن أي عصر مضى أو سوف يأتي " [108].

7- ضعف ثقافة القارئ .. لا تتم عملية الإبداع إلا بأركانها الثلاثة المبدع والنص والقارئ، وبالتالي فالقارئ له أهمية كبرى في نظر المقالح ؛إذ إن الإبداع ما هو في الحقيقة إلا من أجله، ولكن المشكلة أن هذا القارئ لعدم امتلاكه لأدوات الفهم لا يقدر على تذوق هذا الإبداع ،الأمر الذي يشكل عقبة لأداء في سبيل تقدم الحركة الشعرية المعاصرة يقول :" ولعل التدني في مستويات التلقي لدى القارئ في بلادنا تقف حائطاً منيعاً في وجه التغيير الشامل والخلوص إلى تبني الأساليب الحديثة ، وهذا التدني هو الذي يقف وراء الاستمرار في التوفيق بين القديم والجديد عبر هذا النوع من الصياغة الشعرية التي ما تزال ترضي ضمير القارئ ووجدانه "[109]، ومن بين أسباب ذلك الأمية المتفشية بين الناس :" الأمية في القرون المتأخرة قد استأثرت بالسواد الأعظم من أبناء الأمة العربية فأبعدتهم عن قراءة الشعر والاحتفاء بدواوين الشعراء والاستمتاع بهذا الفن الجميل "[110]. ويضع الحل بقوله في ديوانه: " وينبغي أن لا يفزع كاتب الجديد أو الشاعر الجديد من مظاهر الدهشة البادية على بعض الوجوه ومن علامات القلق الناطقة في بعض الكتابات ، فالقارئ العام يستقبل كل يوم – بقدر عظيم من الحيرة والاستغراب – أنماطاً أدبية وفنية غير مألوفة ، وهو لا يكف عن إبداء استغرابه وأحياناً سخطه من رواج بعض الأشكال الأدبية "[111].

8- الدعوات الهدامة.. وهي تلك الدعوات التي يلقيها أصحابها حول قضية انتهاء الشعر، فقد أسهمت بنصيب

في تعثر الشعر وميل بعض الشعراء إلى فنون أخرى كالرواية ؛ فمن خلال تساؤل المقالح في مقدمة ديوان المحجري يتضح لنا أن المقالح يعد ذلك من العقبات أمام تطور الشعر يقول: " هل الشعر كائن قديم مل الإنسان صحبته ؟ وتحدد عن طريق الذائقة الجديدة الزمن الذي يدنو معه أجله ؟ " [112] " . و يورد تلك الدعوات ثم يتصدى لها بالحجج في قوله: " والحديث عن نهاية الشعر أكذوبة لا تقل إفكا وخداعاً عن تلك الأكذوبة (الفكرية) التي أطلقها (فوكوياما) عن نهاية التاريخ ، فالشعر يجري في وجدان البشر كما تجري الدماء في العروق "[113]. ويصف الشعر أنه طائر الفينيق ذلك الطائر الذي لا يموت كما في الأسطورة [114] .

9- المقاييس الذاتية والأحكام المتسرعة في النقد الأدبي.. يعد المقالح هذا السبب أحد الأسباب التي أدت إلى التعثر يقول : " إن المقاييس الذاتية والأحكام المتسرعة في النقد الأدبي الذي بدأ يسود حياتنا الأدبية في العقدين الأخيرين من هذا القرن الذي أوشك على التوديع كادت – بتناقضاتها الحادة – تلحق الضرر بالشعر والشعراء ، ولعل الكثير من تلك المقاييس والأحكام تعمل – بسوء نية – على إفساد العلاقة الأزلية القائمة بين الإنسان والشعر ، ولكن ومهما حدث ويحدث فإن الشعر – هذا الفن الأسطوري الأبدي سيظل قادراً على البقاء ، حاملاً للبشرية من المفاجئات ما تتوقع ومالا تتوقع "[115].

وعلى ذلك يكون المقالح قد أصاب المحز في معرفة الأسباب التي أدت إلى ضعف الحركة الشعرية المعاصرة .

10- أنواع الشعر:

وجدنا في مقدمات المقالح أن الشعر ينقسم في رؤيته إلى فصيح وعامي، هذا من حيث لغته، وينقسم من حيث الجدة وعدمها إلى تقليدي وجديد وأجد ، وينقسم من حيث الحجم إلى قصيدة طويلة وقصيدة صغيرة، وينقسم من حيث الموضوع إلى قصيدة واقعية وسياسية وذات مناسبة ، ثم هناك ما يصلح لأن يغنى، وهناك ما لا يصلح للأغنية .

فهذا مجمل ما لمسناه في مقدماته من أنواع الشعر المعاصر في اليمن في رؤية المقالح . والآن نناقش موقفه من هذه الأنواع ، وسوف نركز على الأنواع التي لم نتحدث عنها من قبل رغبة في عدم التكرار، وهذه الأنواع هي: الشعر العامي ، والشعر الشعبي ، وشعر الأغنية، والشعر السياسي ، وشعر المناسبات ، ولنبدأ بالحديث عن شعر العامية والشعر الشعبي ..

أ- الشعر العامي والشعبي: يفرق علماء ودارسو الشعر الشعبي بينه وبين الشعر العامي، بأن الأول يكون مشاعاً بالرواية الشفوية غالباً، ومجهول المؤلف، وقد يكون باللغة الفصيحة أو باللغة العامية، وهو- في الأصل – من

موضوعات مصطلح " Folklore "[116] .

أما الشعر العامي فهو معلوم المؤلف، وباللغة العامية، وهو ما يهتم به كثيراً المقالح في مقدماته، ولكن المقالح يستعمل المصطلحين معا .. فهل يقصد بمصطلح " الشعر الشعبي " ما نعنيه بحسب اصطلاح علماء الفولكلور ؟ من المؤكد أنه لا يعني ذلك وإنما يعني به الشعر العامي، وهو عنده " شعبي" لصفة واحدة " وهي أنه يعبر عن الشعب ويصور آماله ويبرز كفاحه "[117] وهذا ما تؤكده مقدماته يقول :" فالحقيقة أن علي صبرة إذا كان قد هجر شعر الفصحى وتخلى عنه كلية إلى الشعر الشعبي، فهو إنما هجر الشعر إلى الشعر "[118] وقبل هذا يقول :" ثار الطالب مرة أخرى وفر إلى شعر العامية الأرحب أوزاناً والأوسع جمهوراً "[119] فالمصطلحان من وجهة نظر المقالح مصطلح واحد ، وهو في ذلك لا يصدر عن جهل بالفرق بين الأدب العامي والأدب الشعبي؛ وإنما يناقش القضية بشيء من التوسع والفهم والإدراك لمعنى المصطلحين في مقدمة ديوان مطهر الإرياني يقول :" لماذا نسمي الأدب المكتوب بالعامية أدباً شعبياً ؟ " فيرى أولاً أن الأدب الشعبي لا علاقة له أصلا بمصطلح الفولكلور؛ لأن الفولكلور علم خاص بالتقاليد والعادات والمعتقدات الخرافية غير المعروف القائل[12] فإذن هو يصدر في تقريره أن الشعر العامي هو الشعر الشعبي من رؤية منهجية تحليلية ،وإن كان يرى أن هناك فرقاً بينهما من حيث إن الشعر الشعبي أشمل وأعم من الشعر العامي؛لأنه يضم الشعر الذي كتب بالفصحى والشعر الذي كتب بالعامية يقول :" أما الآن فقد أصبح الأدب كله للشعب ومن الشعب فما نكتبه بالفصحى من أشعار وروايات وقصص ومسرحيات كل ذلك عن الشعب ولمختلف طبقاته وفئاته، فلماذا لا يكون حائزاً على صفة الشعبية كهذا الذي يكتب بالعامي ؟ "[121].

إذن فالشعر العامي هو الشعر الشعبي وهو المعلوم المؤلف فإذا لم يكن معلوم المؤلف فالراجح أن المقالح يدرجه ضمن الفولكلور الشعبي، كما يظهر من خلال كلامه: " وإذا كانت بعض المأثورات والحكايات الشعبية غير المعروفة القائل ، تدخل ضمن هذا العلم فذلك لأنها أصبحت جزءاً من التقاليد والعادات الفكرية والروحية"[122] .

فما موقفه – الآن – من الشعر العامي ؟

يرى أن الشعر العامي شعر حقيقي بل ربما فاق الشعر الفصيح في التأثير يقول :" وأشهد – وهذا عن تجربة شخصية – أنني انفعلت كثيراً لنماذج كثيرة من شعرنا الشعبي في اليمن ، ولم أنفعل إلا قليلاً جداً مع نماذج قليلة من شعرنا الفصيح ، لماذا ؟ لا أدري "[123] ، ومع ذلك فإنه يقرر أن السبب يرجع إلى قوة التأثير وجمال التصوير وبساطة الألفاظ[124].

ب- شعر الأغنية:

عالج المقالح قضية الأغنية اليمنية من حيث النشأة والسمات في بعض مقدماته .وهو يربط مفهومها بمفهوم الشعر العامي غالبا، يقول عن المفهوم والنشأة: " وبالنسبة لنا في هذه البلاد فإن عدداً من الشعراء المبدعين كانوا قد استجابوا لهذه الضرورة منذ وقت مبكر كما فعل ابن فليته في القرن السابع الهجري والعيدروس في القرن الثامن الهجري وابن شرف الدين والعانسي والآنسي وغيرهم من شعراء القرن التاسع والثاني عشر الهجري، ولبعض هؤلاء الذين وردت أسماؤهم في هذه الإشارات ديوانان أحدهما بالفصحى والآخر بالعامية وما من واحد منهم إلا وقد تفوقت عاميته على فصحاه، وكانت قصائدهم منذ ذلك الحين وما تزال على كل لسان "[125].

ويوضح علاقة الأغنية اليمنية بالشعر العامي خاصة بقوله :" وحسن باحارثة ابن هذه الأرض البديعة والفنان الذي اكتشف طريقه إلى كتابة القصيدة الشعبية بصبر وحب كبير يستطيع أن يضيف إلى هذا الرصيد التاريخي والمعاصر وأن تكون غنائيته المنشورة في هذا الكتاب وأغنيته الكاملة تعبيراً عن حنين الإنسان ".

ويعد الأغنية وسيلة الشعر العامي للانتشار والذيوع[126] بل إن الأغنية اليمنية ما قامت إلا على أكتاف الشعر العامي، فكثير من الفنانين قد اعتمدوا على الأغنية التراثية التي يعود تاريخها إلى أكثر من سبعة قرون[127] وتلك – في الأساس – من الشعر العامي. ويرى المقالح بأن فن الأغنية فن صعب لا يقدر عليه إلا من هو أعلى من شاعر حقيقي ، ويحدد مشكلة الأغنية اليمنية العربية في " أن عدداً كبيراً ممن يحلمون بكتابة الأغاني يظنون أنها مجرد كلمات تتحدث عن الحب واللوعة والفراق وليس موقفاً إنسانياً جميلاً ورسالة إلى القلوب "، ومن هنا فليس كل صاحب موهبة شعرية قادراً على كتابة الأغنية، كبار الشعراء حاولوا ذلك وفشلوا لأن الأغنية فن قائم بذاته "[128] ومن ثم كان له مقومات وسمات، ويوضح لنا تلك السمات التي جعلتها على كل لسان وهي : التدفق العاطفي والخلو من التصنع والافتعال ، والصبر والأناة في كتابتها ، وأن تتسم بالإضافة ، وأن تكون تعبيراً عن حنين الإنسان إلى زمن يتعانق فيه الروحي بالعاطفي ،وأن تكون ذات صبغة نقدية اجتماعية[129].

جـ – الشعر السياسي: ومن الأنواع الشعرية الشعر السياسي وهو: نمط قديم نشأ بحدة أكثر عندما ظهرت الفرق الإسلامية في العصور الأولى وأعطى له الشعراء العرب من الأهمية الكثير [13]، بعكس الشاعر الغربي الذي لم يتفاعل مع الشعر السياسي أبداً على حد قول الشاعرة سلمى خضراء الجيوسي[131].أما موقف المقالح من الشعر السياسي في قوله :" الشعر السياسي حاله استثنائية في تاريخ الشعر وفي تاريخ الشعوب وهو ضرب من الهجاء الراقي ،أقول الراقي لأنه هجاء باسم الشعب وضد الطغاة والحاكمين بأمرهم "[132]، فهو في رؤيته هجاء ولكنه هجاء أشبه بالنقد الموضوعي يوجه إلى الطغاة ، وهو ينطلق في هذه الرؤية من موقفه الجاد نحو الحرية

والإصلاح الاجتماعي والسياسي ؛ فالشاعر – في رؤيته ضمير عصره وصوت أمته[133] فهذا هو سر إعجابه بالشعر السياسي الذي غرضه مواجهة الفساد وصون كرامة الأمة . بشرط ألا يتحول إلى هجاء شخصي ـ ذاتي حقير إذ لا مكان في الشعر المعاصر لمثل هذا الغرض الذي لا يخدم المصلحة العامة .

د- شعر المناسبات: ومن الأنواع التي تصدى المقالح لها بالنقد والتقريع شعر المناسبات فهو في ذلك – حسب ظني – ينطلق من المبدأ السابق نفسه؛ لأن شعر المناسبات أشبه تماماً بشعر الهجاء الشخصي يخدم الذات المفردة لا الجماعة ولا الفن، ولذا يقول في إحدى مقدماته ؟ " وقد بدأ علي صبرة حياته الشعرية ... ثائراً على القوافي والأوزان ولكن المناسبات وإغراء الساحات... كل ذلك جعله يتراجع عن ثورته ويطامن فورتها شيئاً فشيئاً حتى همدت أو كادت "[134] فالمقالح يرد تراجع شعر صبرة فنياً إلى نظمه لشعر المناسبات ، وقد صرح بكرهه لشعر المناسبات بقوله " كما كنت لا أهتم بأشعار المناسبات – ولا أزال – وأرى في شعر المتنبي المثال البارز لها لكنني غيرت كثيراً من موقفي ... وأدركت أنه لم يكن شاعر مناسبات بالمفهوم السلبي بقدر ما كان شاعر التمرد والغضب "[135].

هـ – شعر الميكرو قصيدة: وهناك نوع من الشعر يقوم على بضعة أسطر، يقول المقالح واصفاً أبياتاً من هذا النمط في ديوان العيسى " إنها قصيدة في بيتين وقد تحدث النقاد الأوربيون عن " الميكرو قصيدة " أو " القصيدة الومضة " وها هي ذي أمامنا بعوالمها المتشابكة المتداخلة، وبأزماتها المشتعلة المتواترة"[136] ويتميز هذا النمط بالعمق وإثارة الدهشة والتكثيف [137].

والآن أستطيع أن أدعي أن البحث قد توصل إلى نظرية المقالح الأدبية، راجياً أن أكمل الموضوع بدراسة أخرى تتناول رؤيته النقدية.

الهوامش

(1) عبد الوهاب المقالح " أشجان مالك الحزين " الهيئة العامة للكتاب، صنعاء 1999م، ص أ0

(2) نفسه ص ب0

(3) ديوان محمد عبده غانم ، دار العودة، بيروت سنة 1981م، ص11 0

(4) محمد مندور " النقد المنهجي عند العرب " دار نهضة مصر، القاهرة ص398

(5) محمد الهادي المطوي، شعرية عنوان كتاب " الساق على الساق ما هو الفارياق " مجلة عالم الفكر، ع يوليو- سبتمبر 1999م ص455

(6) أحمد أمين " النقد الأدبي " دار الكتاب، العربي ، بيروت 1967م، ص193

(7) عبد الرحمن محمد قاضي " النغم الصافي " الهيئة العامة للكتاب ص9 ، ص10

(8) سند عبدالله " محاولات 1" دار نجاد ، صنعاء ،1995 م ص7

(9) محمد عبدالله المحجري " بكاء الروح " إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ،صنعاء 2004 م ص7

(10) إبراهيم أبو طالب " ملهمتي والحروف الأولى " الهيئة العامة للكتاب ، صنعاء ، 1999 م ، ص8

(11) المقالح " ديوانه عبد العزيز المقالح " دار العودة ، بيروت ،1983م ، ص10

(12) نفسه ص11

(13) عبد الرحمن محمد الشريف " عصارة الأيام " سلسلة الإبداع (7) ، مؤسسة الإبداع ، صنعاء ، ص هـ

(14) المقالح " ديوان عبد العزيز المقالح " مصدر سابق ص8

(15) مجدي وهبه، وكامل المهندس " معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب " مكتبة لبنان ، سنة 1979م، ص28

(16) عبد الحليم محمود السيد " الإبداع " دار المعارف ، القاهرة ص49

(17) محمد غنيمي هلال " دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده " نهضة مصر، ص82

(18) المقالح " عالقة عند مطلع القرن " دار الآداب، بيروت ، 1984م ، ص33

(19) نفسه ص33

(20) أحمد قاسم أسحم " الصورة في الشعر العربي المعاصر في اليمن "رسالة ماجستير ، آداب جامعة آل البيت، 1999 ، ص 1

(21) محمد غنيمي هلال " دراسات ونماذج 000 " مرجع سابق ص60

(22) عبد الوهاب البياتي " الشاعر العربي المعاصر والتراث " مجلة فصول ، العدد 4 ، يوليو 1981 م ص107، ص108

(23) أدونيس "زمن الشعر" دار الفكر، بيروت ،1986 م ص9

(24) نفسه ص9

(25) نفسه ص14

(26) سارتر " ما الأدب؟ " ت/ محمد غنيمي هلال، مكتبة الأسرة سنة 2000، ص92

(27) راجع محمد غنيمي هلال " النقد الأدبي الحديث " دار العودة بيروت 1987م ، ص29

(28) سليمان العيسى " ديوان اليمن " الهيئة العامة للكتاب، صنعاء 1999م، ص13

(29) ديوان الزبيري ، دار العودة ، بيروت ، سنة 1978م، ص16

(30) المقالح " البدايات الجنوبية – قراءة نقدية في كتابات الشعراء اليمنيين الشبان " دار الحداثة ، 1986م، ص9، 10، 11بتصرف

(31) المرجع السابق ص11

(32) راجع ديفد ديتش " مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق " ت/ محمد يوسف نجم، ومراجعة إحسان عباس ، دار صادر، بيروت، سنة 1967م ،ص28

(33) نفسه ص71

(34) نفسه ص57

(35) نفسه ص82

(36) نفسه ص85

(37) نفسه ص107

(38) عباس المطاع " صوت الوطن " مصدر سابق ص9

(39) صالح أحمد سحلول " صوت الثورة " مصدر سابق ص5

(40) نفسه ص5

(41) المقالح " ديوان عبد العزيز المقالح " مصدر سابق، ص13

(42) نفسه ص19

(43) ديفد ديتش " مناهج النقد الأدبي000" مرجع سابق ص217

(44) نفسه ص201

(45) خالد الشامي " مسافات " الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، 2001م، ص10

(46) 0سحلول " صوت الثورة " مرجع سابق ، ص5

(47) أبو طالب " ملهمتي والحروف الأولى " مصدر سابق، ص9

(48) المقالح " البدايات الجنوبية 000" مرجع سابق، ص86

(49) راجع : ثابت بداري " عبد العزيز المقالح وتأصيل النقد الأدبي الحديث في اليمن " مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،1990م ، ص107

(50) سهير القلماوي " النقد الأدبي " مركز الكتب العربية ، 1988م ، ص59

(51) راجع ديفيد ديتش " مناهج النقد الأدبي000 " مرجع سابق ، ص18

(52) راجع محمد مندور " النقد المنهجي000" مرجع سابق ، ص344

(53) عباس المطاع " صوت الوطن " مصدر سابق، ص9

(54) مطهر الارياني " فوق الجبل " مؤسسة العفيف الثقافية ، صنعاء ، 1991م ، ص10

(55) عبد الرحيم عبد الرحمن قحطان " النهش على حجر الصوّان " تعز ، 1999م، ص7

(56) المقالح " الخروج من دوائر الساعة السليمانية " دار العودة ، بيروت ، 1981م ، ص7

(57) راجع ص6

(58) المقالح " الخروج من دوائر 000 " مصدر سابق ، ص7

(59) أدونيس " زمن الشعر " مرجع سابق ، ص38 بتصرف

(60) أبو طالب " ملهمتي والحروف الأولى " مصدر سابق ، ص6

(61) إحسان عباس " فن الشعر " دار الشروق ، عمان ، 1987م ، ص86، ص87 بتصرف

(62) أبو طالب " ملهمتي والحروف الأولى " مصدر سابق ، ص6

(63) أبو طالب " ملهمتي والحروف الأولى " مصدر سابق ، ص7

(64) محمد الشرفي "أغنيات على الطريق الطويل " دار العودة ، بيروت ، ص8

(65) نفسه ، ص9 بتصرف

(66) نفسه ص9

(67) نفسه ص10

(68) مجلة العربي ع (570) ص68

(69) مطهر الإرياني " فوق الجبل " مصدر سابق ، ص10

(70) ديوان الزبيري ، مصدر سابق ص20 ، ص21

(71) عبد الرحمن قاضي " النغم الصافي " مصدر سابق ، ص10

(72) إسماعيل الوريث " الحضور في أبجدية الدم " دار العودة ، بيروت ، 1984م ، ص5

(73) العزي مصّوعي " ألحان الشاطئ " وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، 1979م ص5

(74) خالد الشامي " مسافات " مصدر سابق ، ص8

(75) أبو طالب " ملهمتي والحروف الأولى " مصدر سابق ، ص9

(76) فيصل البريهي " أسرار الرماد " مركز عبادي ، صنعاء ، 2003م ، ص9

(77) سند عبدالله " محولات 1 " مصدر سابق ص8

(78) أدونيس " زمن الشعر " مرجع سابق ص94

(79) شاكر عبد الحميد " التفضيل الجمالي " عالم المعرفة (267) مارس 2001م ص34

(80) عبد الملك مرتاض " في نظرية الرواية " عالم المعرفة (240) ديسمبر 1998م ص128

(81) سليمان العيسى " ديوان اليمن " مصدر سابق ص23

(82) محمد غنيمي هلال " الرومانتيكية " نهضة مصر ، القاهرة ص212

(83) محمد زكي العشماوي " قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث " دار المعرفة الجامعية ، 1999م ، ص50

(84) سند عبد الله " محولات 1 " مصدر سابق ص10

(85) علي بن علي صبرة " قصائد حب وحرب " مكتبة الهدايا العالمية ،صنعاء ص11

(86) المقالح " الخروج من دوائر الساعة السليمانية " مصدر سابق ص8

(87) محمد مندور " النقد المنهجي 000" مرجع سابق ص398

(88) سليمان العيسى " ديوان اليمن " مصدر سابق ص14

(89) عز الدين إسماعيل " الشعر العربي المعاصر " المكتبة الأكاديمية ، 1994م ص175

(90) خالد غيلان العلوي " أو حرف آخر نبض " دار الفكر ، دمشق ، 1996م ص7

(91) محمد غنيمي هلال " الرومانتيكية " مرجع سابق ص205

(92) عباس المطاع " صوت الوطن " مصدر سابق ص9

(93) مطهر الأرياني " فوق الجبل " مصدر سابق ص13

(94) المقالح " شعراء من اليمن " دار العودة ، بيروت سنة 1983 ص157

(95) طه وادي " جماليات القصيدة المعاصرة " دار المعارف ، القاهرة ، سنة 1994 ص6

(96) عباس المطاع " صوت الوطن " مصدر سابق ص14

(97) نفسه ص15

(98) محمد عبد الله المحجري " بكاء الروح " مصدر سابق ص7

(99) المصدر السابق ص8

(100) أبو طالب "ملهمتي 000" مصدر سابق ص10

(101) مطهر الإرياني " فوق الجبل " مصدر سابق ص12

(102) راجع ص10 ، ص11 ، ص12

(103) أدونيس " زمن الشعر " مرجع سابق ص163

(104) محمد الشرفي " أغنيات على الطريق الطويل " مصدر سابق ص7

(105) سند عبد الله " محاولات1 " مصدر سابق ص5

(106) المقالح " أزمة القصيدة العربية 000 مشروع تساؤل " دار الآداب ، بيروت سنة 1985 ص10

(107) المطاع " صوت الوطن " مصدر سابق ص9

(108) عبد الرحيم قحطان " النهش على حجر الصوّان" مصدر سابق ص5

(109) فيصل البريهي " أسرار الرماد " مصدر سابق ص7

(110) المطاع " صوت الوطن " مصدر سابق ص9

(111) المقالح " الخروج 000 " مصدر سابق ص7

(112) محمد عبد الله المحجري " بكاء الروح " مصدر سابق ص7

(113) أمين أبو حيدر " بيننا برزخ من زجاج " الهيئة العامة للكتاب 1997م ص ب

(114) محمد عبد الله المحجري " بكاء الروح " مصدر سابق ص7

(115) محمود الحاج " واشتعل القلب حبا " الهيئة العامة للكتاب صنعاء 1999مص6

(116) راجع عباس السوسوة " محاضرات في الأدب الشعبي " ألقيت على طلاب كلية الآداب جامعة تعز ، الفصل الأول العام الجامعي 1994م ،1995م

(117) المقالح " شعر العامية في اليمن " دار العودة ، بيروت ، ص42

(118) صبرة " قصائد حب وحرب " مصدر سابق ص24

(119) نفسه ص20

(120) راجع مطهر الإرياني " فوق الجبل " مصدر سابق ص21 ، ص22

(121) نفسه ص 20

(122) نفسه ص21

(123) نفسه ص13 وراجع صبرة ص20 ، ص24

(124) نفسه ص15

(125) المطاع " صوت الوطن " مصدر سابق ص10

(126) نفسه ص9

(127) راجع حسن عبدالله باحارثة " الأعمال الشعرية الكاملة " إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، 2004م ص5

(128) نفسه ص7

(129) نفسه ص6 ، ص7 ، ص8 ،ص9 بتصرف

(130) المزيد عن الشعر السياسي راجع أحمد الشايب " تاريخ الشعر السياسي" دار القلم ، بيروت ، 1976م

(131) مجلة العربي ع (510) ص77

(132) قحطان " النهش على حجر الصوّان " مصدر سابق ص6

(133) المطاع " صوت الوطن " مصدر سابق ص9

(134) صبرة " قصائد حب 000" مصدر سابق ص20

(135) الثورة الثقافي ع 13 / 3 / 2006م ص الأخيرة

(136) العيسى " ديوان اليمن " مصدر سابق ص37

(137) راجع نفسه ص 37 ، ص38

تبادل أداتي الشـرط (إن) و(إذا) وأثره في الدلالة

د . أيّوب جرجيس العطيّة *

مقـدمة

عُني النحاة بأسلوب الشـرط ، وذكروا أركانه الثلاثة : فعل الشـرط ، وجوابه ، وأدواته ، وعنـدما تحـدثوا عن الأدوات فرّقوا بينها ، وأشاروا إلى معانيها ، وأن لكل أداة معنى تختصّ به ، وقالوا: إنّ هـذه الأدوات (إنْ) و (إذا) لا يمكن أن تتبادل فيما بينها في المواقع .

وهذا ما ذهب إليه جمهور النحويين [1]، والأصوليون[2] ، وكثير من المفسـرين[3]، والبلاغيون[4]؛ لأن (إنْ) تستعمل في المعاني المحتملة الوقوع ، والمشكوك في حصـولها ، والنـادرة ، ومنـه قولـه تعـالى : (فَـإِنْ قَـاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ)[5] ، وقوله تعالى : (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا[6] ، ولذلك قبُح قولهم : إن احمرّ البُسـر ، قـال سـيبويه : « ألا ترى أنك لو قلت : آتيك إذا احمرّ البُسـر كان حسنا ، ولو قلت : آتيك إن احمرّ البسـر كـان قبيحـا فـ (إنْ) أبـدا مبهمة.. »[7].

ولما رأى النحاة أنّ (إنْ) استعملت في الأمر المحقق كما في قولـه تعـالى : (أَفَـإِنْ مِـتَّ فَهُـمُ الْخَالِـدُونَ)[8] ، وقولهم : إنْ مت فاقضوا عني ديني ، قالوا : وقد تدخل (إنْ) على المبهم المعلوم زمانه .

أما (إذا) فلا تستعمل إلا في الأمر المقطوع بحصوله وللكثير الوقـوع كقولـه تعـالى : (كُتِـبَ عَلَـيْكُمْ إِذَا حَضـر أَحَدَكُمُ الْمَوْت)[9] ، وقوله تعالى : (فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ)[10] .

ولكن النحاة أنكروا أن تأتي (إنْ) بمعنى (إذا) وجعلوا بينهما بونا شاسعا وحدا فاصلا ، وحجتهم أنّ (إنْ) للأمر المشكوك فيه ، و (إذا) للأمر المتحقق من وقوعه ولما كثر وقوعه .

ومن خلال بحثي في المصادر النحوية واللغوية عثرت على رأي يخالف جمهـور النحـاة ، وهـو رأي لأبي العباس ثعلب فذكر أن لـ(إذا) معنيين ، معنى (إن) ، ومعنـى الوقـت[11]، وتبعـه ابـن يعـيش فقـال : ((وربـما استعملت (إن) في موضـع (إذا) و(إذا) في موضـع (إن)))[12]، وكـذلك ابـن أبي الربيـع السـبتي الأندلسي (ت

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، جـامعـة تعز .

688هـ) إذ ذهب إلى أنّ (إنْ) يمكن أن تأتي بمعنى (إذا) وذلك في معرض حديثه عن الجزم بـ (إذا) في الشعر قال : « وجزم بها لتشبهها بـ (إنْ) ... أو تكون قد ضمنت في ذلك الموضع معنى (إنْ) كما قال الشاعر[13] :

إذا قصرتْ أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارِبِ

ألا ترى أنه لو قال : إنْ قصرت أو متى قصرت لكان المعنى واحدا . »[14] .

وهذا الرأي ذكره أبو حيان [15] وأنكره ، ونقله السيوطي [16] ولم ينسباه لأحد ، وقد نسبه التفتازاني للكوفيين[17]، وقد تأولوا الشرط في نحو قوله تعالى : (وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [18] ، ونحو قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا) [19] بأن (إنْ) بمعنى (إذا) ؛ لأنه لا يصحّ هنا الشك ، في حين ذكر صاحب الإنصاف [20] أن الكوفيين أولوا الآيات بـ (إذ) .

وقال بعض المفسرين كالزمخشري[21] ، وأبي حيان[22] ، والجلالين[23] ، والصاوي[24] ، وتبعهم الزركشي[25]: إنّ (إنْ) يمكن أن تأتي بمعنى (إذا) وذلك عند تفسيرهم قوله تعالى : (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا)[26] وهو كقوله تعالى : (إن يشأ يذهبكم أيّها الناس ويأت بآخرين)[27] قالوا : وهو تعالى لم يشأ .

وموقف الزمخشري[28] وأبي حيان[29] يبدو متناقضا ؛ لأنه أقرّا بالتبادل بين (إنْ) و (إذا) مرة وأنكراه مرة أخرى عند قوله تعالى (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ...)[30] وذكرا أن (إذا) تستعمل لما تيقن وجوده، أو لأنّ جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه ، أما السيئة فلا تقع إلا في الندرة . وإلى هذا ذهب ابن القيم عند قوله (وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها ، وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور)[31] وقال ابن القيم: وتأمل قوله تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضلّ من تدعون إلا إيّاه)[32] كيف أتى بـ (إذا) هاهنا لما كان مس الضر في البحر محققاً بخلاف قوله تعالى (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإذا مسه الشر فيئوس قنوط)[33] فإنه لم يقيد مسّ الشر هاهنا بل أطلقه ، ولما قيده بالبحر الذي هو متحقق فيه ذلك أتى بأداة (إذا) وتأمل قوله تعالى : (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤساً) كيف أتى هنا بـ (إذا) المشعرة بتحقيق الوقوع المستلزم لليأس فإن اليأس إنما حصل عند تحقق مس الشر فكان الإتيان بـ (إذا) هاهنا أدلّ على المعنى المقصود من (إنْ) بخلاف قوله تعالى (وإذا مسه الشر فيئوس قنوط)[34] فإنه بقلة صبره وضعف احتماله متى توقع الشر أعرض وأطال في الدعاء فإذا تحقق وقوعه كان يئوساً))[35].

ويلحظ من أقوال الزمخشري وأبي حيان أنهم جعلوا الكثرة والقلة ،أو تقييد الشر وعدم تقييده بالبحر ضابطاً في استعمال (إذا) و (إن) في حين أن النحاة يجعلون الضابط في استعمالها هو متحقق الوقوع ومحتمل الوقوع أو لما

كان مشكوكاً فيه .

والذي يبدو لي أن في هذه الآيات تبادلاً بين (إذا) و (إن) لأن قوله تعالى (فإذا جاءتهم الحسـنة .....) والحسنة هي الخير والسيئة هي المصيبة قد وردت في آيات فيها(إن) في المعنى نفسه نحو قوله تعالى: (وإن تصـبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك)[36] ومثله (إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها)[37] والحسنة هي الخير أيضاً والسيئة هي المصيبة وكلتاهما واقعتان .

وكذلك في قوله تعالى (وإنا إذا أذقنا .....) جاء مثله قوله تعالى (ولئن أذقناه رحمةً منـا مـن بعـد ضـراء مسته ليقولن هذا لي ...)[38] والرحمة واقعة حتماً في الموضعين فيما أرى ومع هذا استعمل (إن) في الموضع الثاني .

والتقابل واقع بين قوله تعالى (وإذا مسه فذو دعاءٍ عريض) وقوله تعالى (وإذا مسه الشـر فيئوس قنوط) والشـر واقع متحقق في كلا الموضعين وليس متوقعاً كما قال ابن كقوله تعـالى (إذا مـس الإنسـان الضـر دعانـا)[39]وقوله تعالى (إذا مس الإنسان ضـر دعوا ربهم منيبين إليه)[40] وما أصبح يئوساً إلا لأن اليأس قد أصابه وتحقـق وقوعه القيم إلا أن القرآن استعمل (إن) بدلاً من (إذا).

وقال عضيمة : " إن (إن) الشـرطية تقتضي تعليق شيء علي شيء لاستلزام تحقق وقوعه ولا إمكانه ، بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلاً كقوله تعالى : (قلْ إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) [41] لكن وقع (إن) للتعليق على المستحيل قليل " [42]. وكأن عضيمة لما رأى التبادل بينهما قال إنّ (إنْ) تقتضي تعليق شيء على شيء ولا تستلزم وقوعه ؛ هرباً من عدم التصـريح بالتبادل.

وعدت إلى أقوال العرب في كتب اللغة ودواوين الشعر وكتب الحديث والسيرة ، فوجدت مـا يقـارب عشـرين شاهدا نثريا، وأكثر من مائة شاهد شعري على أنّ (إنْ) تتبادل مع (إذا) في المواقع وتأتي بمعناها .

ومن الشواهد النثرية :

1. حديث : (إذا همَّ عبدي بسيئة ..... فإنْ عملها فاكتبوها ..) [43]. وفي رواية : (فإذا عملها ..) [44].
2. حديث : (إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا ..... وإنْ صلى قائما فصلوا قياما ..)[45] وفي روايـة : (فإذا صلى قاعدا ..)[46].
3. حديث : (يعقد الشيطان على قافية أحدكم ثلاث عقد فإذا نام .... فإنْ استيقظ فذكر الله انحلت عقدة .... فإنْ توضأ .... فإنْ صلى)[47] . وفي رواية : (وإذا توضأ .... فإذا صلى)[48] .
4. حديث : (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر إلى وقت العصـر .... وإذا زاغت صلى الظهر ثم ركب)[49]. وفي رواية : (فإنْ زاغت الشمس .....) [50]

5. حديث : (إذا زنت الأمة فتبين زناها فليجلدها ولا يثرِّب ، ثم إنْ زنت ..... ثم إنْ زنت ..)[51]. وفي رواية : (إذا زنت الأمة .... ثم إذا زنت .... ثم إذا زنت ..).[52]

6. حديث معاذ : (إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإنْ هم أطاعوك لذلك علّمهم .... فإنْ هم أطاعوك ... فإنْ هم أطاعوك)[53].وفي رواية : (فإذا فعلوا فأخبرهم ..... فإذا أطاعوك ..).[54]

7. حديث : (أنا عند ظن عبدي وأنا معه إذا ذكرني .. فإنْ ذكرني في نفسه .... وإنْ ذكرني .. وإنْ أتاني يمشي..)[55]. وفي رواية : (وأنا معه حيث ذكرني ... وإذا أقبل يمشي ..)[56].

8. حديث : (إذا أرسلت كلابك المعلمة .... وإنْ خالطها كلاب ..) [57] . وفي رواية : (وإذا خالط كلابا .....)[58].

9. قول ابن عباس : (فنحن إذا أقمنا ما بيننا وبين تسع عشرة (ليلة) صلينا ركعتين ، وإنْ زدنا على ذلك أتممنا الصلاة) [59] .

10. قول عبد الرحمن بن عوف عن مصعب بن عمير : (إنْ غطي رأسه بدت رجلاه ، وإنْ غطي رجلاه بدا رأسه)[60] .وفي رواية : (إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه ، وإذا غطينا رجليه خرج رأسه) [61].

11. قول مجاهد : (إذا اختلطوا صلوا قياما ، وزاد ابن عمر عن النبي : وإنْ كانوا أكثر من ذلك فليصلوا قياما وركبانا)[62] .

12. قول الثوري : (إذا جلد العبد ثم أعتق جازت شهادته ، وإنْ استقضي الحدود فقضاياه جائزة)[63]

13. قول الشعبي : (إذا ساق دابة فأتبعها فهو ضامن لما أصابت ، وإنْ كان خلفها مترسلا لم يضمن)[64] .

14. قول النخعي : (إذا كان المستحلف ظالما فنيّة الحالف (أي هي المعتبرة) ، وإنْ كان مظلوما فنيّة المستحلف)[65].

15. قول الشافعي : (إنّ الوصية للأقربين منسوخة زائل فرضها إذا كانوا وارثين فبالميراث ، وإنْ كانوا غير وارثين فليس بفرض أن يوصى لهم)[66].

16. وقوله أيضا : (فإذا لم يجد سنة فبإجماع المسلمين ، فإنْ لم يكن إجماع فبالقياس)[67].

17. قول النضر بن الحارث : (وسلوه عن الروح ما هي ؟ فإذا أخبركم (أي الرسول) بذلك فاتبعوه فإنه نبي ، وإنْ لم يفعل فهو رجل متقوِّل)[68] .

18. قول الترمذي ، وقال بعضهم : (إذا طاف بعد العصر لم يصل حتى تغرب الشمس ، وكذلك إنْ طاف بعد

صلاة الصبح)[69].

19. قول نافع : (إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم ، فإنْ لم يكن له فرس فله سهم)[70]

20. المثال الذي يورده النحاة : زيد وإنْ كان غنيا إلا أنه بخيل ، ويقرّون بأنه يفيد التحقيق لا الشك [71].

أما الشواهد الشعرية فهي كثيرة أذكرُ قسما منها هنا:

قول لبيد[72] :

إذا اقتصـــــدوا فمقتصـــــدٌ كـــــريمٌ وإنْ جـــاروا ســـواء الحـــق جـــارا

2 – قول أوس بن حجر[73] :

ولســـت بـــأطلس الثـــوبين يصـــبي حليلتـــــه إذا هجـــــع النيـــــامُ

يقـــــرّع للرجـــــال إذا أتـــــوه وللنســـــوان إنْ جـــــئن الســـــلامُ

3 – قول بشامة بن عمر[74] :

إذا أقبلـــــت قلـــــت : مـــــذعورةٌ مـــن الرمـــد تلحـــق هيقـــا ذمـــولا

وإنْ أدبـــــرت قلـــــت : مشـــــحونة أطـــاع لهـــا الـــريم قلعـــا جفـــولا

4 – قول عروة بن أذينة[75] :

إذا اقتربـــت سُـــعدى لجحِـــت بهجرهـــا وإنْ تغـــترب يومـــا يرُعْـــك اغترابهـــا

5 – قول دريد بن الصمّة [76]:

إذا طردنـــا كســـونا الخيـــل أنضـــية وإنْ طُردنـــا كأنّـــا خلفنـــا زُورُ

6 – قول ابن مقبل[77] :

إذا كنـــت متبوعـــا قضـــيتَ وإنْ أكـــن أنـــا التـــابع المـــولى فـــإني مياســـرهْ

7 – وله[78] :

إذا نطقـــنَ رأيـــت الـــدرّ منتثـــرا وإنْ صـــمتنَ رأيـــت الـــدرّ مكنونـــا

8 – قول امرئ القيس[79] :

إذا أقبلـــــت قلـــــت : دبّـــــاءة مـــن الخضـــر مغموســـة في الغُـــدُرْ

وإن أدبـــــرت قلـــــت : أثفِيَّـــــةٌ ململـــــة لـــــيس فيهـــــا أثـــــرْ

9 – قول عنترة[80] :

تريـــك إذا ولّـــت ســـناما وكـــاهلا وإنْ أقبلـــت صـــدرا لهـــا يترجـــرجُ

10- قول ربيعة بن مقروم[81] :

إذا مـــا علـــتْ حزْنـــا بـــرتْ صـــهواته وإنْ أســـهلتْ أذرتْ غبـــارا مطنّبـــا

11- قول المهلهل[82]:

قـــوم إذا عاهـــدوا وفـــوا وإنْ عقـــدوا شـــدّوا وإنْ شـــهدوا يـــوم الـــوغي اجتهـــدوا

12- قول سليك بن سلكة[83]:

إذا ســـهّلت جنّـــتْ وإنْ أحزنـــتْ مشـــتْ وتعشـــى بهـــا بـــين البطـــون وتصـــدفُ

13- قول الشنفرى[84] :

وإني لحلـــــوٌ إنْ أريـــــدت حـــــلاوتي ومُـــرٌ إذا نفـــس العـــزوف اســـتمرّتِ

14- قول قعنب بن أمّ صاحب[85] :

صـــمٌ إذا ســـمعوا خـــيرا ذُكـــرتُ بـــهِ وإنْ ذُكـــرتُ بشـــر عنـــدهم أذنـــوا

15- قول عقيل بن علفة[86] :

وكُـــنْ أكـــيس الكيســـى إذا كنـــتَ فـــيهم وإنْ كنـــت في الحمقـــى فكـــنْ أنـــت أحمقـــا

16- قول الأعشى[87] :

ينـــوءُ بهـــا بَـــوْصٌ إذا مـــا تفضّـــلتْ توعّـــب عـــرض الشـــرعبي المغيّـــلِ

نيـــاف كغـــض البـــان تـــرتجّ إنْ مشـــتْ دبيـــب قطـــا البطحـــاء مـــن كـــل منهـــلِ

17-قال الطفيل[88] :

إذا يممـــــت خـــــيلا مســـــرعات جـــرى بنحـــوسٍ طـــيرهم الغـــرابُ

وإنْ مـــــرّت عـــــلى قـــــوم أعـــــادٍ بســـاحتهم فقـــد خســـروا وخـــابوا

18-قال الحطيئة[89] :

تـــدرّون إنْ شُـــدَ العصـــابُ علـــيكم ونـــأبى إذا شُـــدَ العصـــابُ فـــلا نـــدِرْ

19-قال عروة بن أذينة[90] :

إذا مـــا رضـــوا كـــان الرضـــاءُ رضـــاءهم وإنْ غضـــبوا أوهـــى الأديـــم غضـــابُها

20-قول ابن الصمّة[91] :

إذا قـــــارعوا عنـــــه لم يُقرعـــــوا وإنْ قـــدموه لكـــبشٍ نطـــحْ

21-قول عنترة [92] :

إذا طُولِبـــوا يومـــا إلى الغـــزو شـــمّروا وإنْ نُـــدبوا يومـــا إلى غـــارة جـــدّوا

22-وله أيضا [93] :

إذا جـــــاروا عـــــدلنا في هـــــواهمْ وإنْ عـــــزّوا لعـــــزّتهم نـــــذلُّ

23- ومما ينسب للحادرة [94] :

وتقـــي إذا مسّـــتْ مناســـمها الحصـــى وجعـــاً وإنْ تُزجـــرْ بـــه تترّفـــعِ

24- قول تأبط شـرا [95] :

إذا راع روعَ المـــــوتِ راع وإنْ حمـــــى حمـــى معـــه حُـــرٌ كـــريمٌ مصـــابرُ

25- قول لبيد [96] :

إذا مـــا نـــأى منـــي بـــراحٌ نفضـــتُهُ وإنْ يـــدنُ منّـــي الغيـــبُ أُلجـــمْ فأركـــبِ

26- وله [97] :

إذا حركتهـــا الســـاقُ قلـــتُ: نعامـــةٌ وإنْ زُجـــرتْ يومـــا فليســـتْ برُعبـــوبِ

27- وله [98] :

إذا مسّـــــهُ الشـــــر لمْ يكتئـــــبْ وإنْ مسّـــــهُ الخـــــيرُ لمْ يُعجـــــبِ

28- قول معد يكرب [99] :

شـــجاع إذا مـــا أمكنتنـــي فرصـــة وإنْ لم تكـــن لي فرصـــة فجبـــانُ

29- قول النابغة الذبياني [100] :

إذا جاهدتـــه الشـــدُّ جـــدّ ، وإنْ ونـــتْ تســـــاقطْ لا وانٍ ولا متخـــــاذلُ

30- قول بعض بني (جرم) من طيىء [101] :

إذا أخصـــــبتم كنـــــتم عـــــدوا وإنْ أجـــــدبتم كنـــــتم عيـــــالا

31- قول رجل من بني (قريع) من تميم [102] :

إذا أكلـــوا لحمـــي وفـــرْت لحـــومهم وإنْ يهـــدموا بيتـــي بنيـــتُ لهـــمْ مجـــدا

32- قول أبي جلدة اليشكري [103] :

إذا قلت : مالا ، قلت : قيسٌ عشيرتي تجور علينا عامدا في قضائكا

وإنْ كانت الأخرى فبكرُ بن وائل بزعمك يخشى داؤها بدوائكا

33- قول رجل من غنى [104] :

إذا افتقرت نأى واشتد جانبه وإنْ رآك غنيا لانَ واقتربا

34- قول حازم بن مرداس [105] :

إذا رام باب السجن ارتجّ وشدّ بأغلاقٍ لهنّ صريرُ

وإنْ رام منه مطلعا ردّ شأوهُ أمينان في الساقين فهو حصيرُ

35- قول سويد بن أبي كاهل [106] :

بُسُطُ الأيدي إذا ما سُئلوا نُفُعُ النائلِ إنْ شيءٌ نفعْ

وُزُنُ الأحلامِ إنْ هم وازنوا صادقو البأس إذا البأسُ نصعْ

36- قول أبي البطحاء القيني [107] :

إذا لبسوا عمائمهم ثنوها على كرَمٍ وإنْ سفروا أناروا

37- قول خليفة مولى قيس بن ثعلبة [108] :

إذا استُجهِلوا لم يعزبِ الحلمُ عنهمُ وإنْ آثروا أن يجهلوا عظُمَ الجهلُ

38- وله [109] :

ألم تر أن القتل غالٍ إذا رُضوا وإنْ غُضبوا في موطن رخصَ القتلُ

إذا طلبوا ذحْلا فلا الذحل فائتٌ وإنْ ظلموا أكفاءهم بطلَ الذحلُ

39- قول وداك بن ثميل المازني [110] :

إذا حدثوا لم يخشَ سوءُ استماعهم وإنْ حدّثوا أدوا بحسنِ بيانِ

40- كان النبي ينقل التراب يوم الخندق ويتمثل قول ابن رواحة[111] :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

إنّ الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

وفي رواية[112] : وإنْ أرادوا ..

41- وله [113]:

إذا انبعـــث مـــن مـــبرك غـــادرت بـــه تـــوائم أمثـــال الزبائـــب ذُيّـــلا
فـــإنْ بركـــت خـــوّتْ عـــلى ثفناتهـــا كـــأنّ عـــلى حيزُومهـــا حـــرفَ أعْـــبَلا

42- قول حسان [114] :

أتجمـــع شـــوقا إنْ تراخـــت بهـــا النـــوى وصـــدّاً إذا مـــا أســـقبتْ وتجنّبـــا

43- قول عبد الرحمن بن حسان [115] :

عـــن يســـاري إذا دخلـــت مـــن البـــا بِ وإنْ كنـــت خارجـــا فيمينـــي

44- قول عمران بن حطان [116]:

يومـــا يـــمانٍ إذا لاقيـــت ذا يمـــنِ وإنْ لقيـــت معـــديا فعـــدناني

45- قول العجاج [117] :

إذا عـــلا رأس يفـــاع قرّبـــا وإنْ تـــونّى التاليـــات عقّبـــا

46- وقوله أيضاً [118] :

إذا أراد خُلقـــا عفقنـــا وإنْ أراد عُمســـة تعمّســـا

47- قول جرير [119] :

قـــوم إذا فاجـــأوا أبلـــوا وإنْ غُلبـــوا لا يُحجمـــون ولا يـــدرون مـــا الهـــربُ

48- قول الأخطل [120] :

إنْ زرتُ أهلـــكِ لم يبـــالوا حـــاجتي وإذا هجرتـــكِ شـــفّني هجـــراني

49- قول ذي الرمّة [121]:

تزينـــك إنْ جرّدتهـــا مـــن ثيابهـــا وأنـــت إذا جـــرّدت يومـــا تشـــينها

50- قول طريح بن إسماعيل الثقفي [122] :

يفرحـــون إذا مـــا أكـــبرهم طـــاوعهم يومـــا بيســـر ولا يشـــكون إنْ نُكبـــوا

51- قول المقنع الكندي [123] :

كمُهـــر ســـوءٍ إذا رفّعـــت ســـيرتهُ رام الجـــماح وإنْ أخفضـــته حزَنـــا

53- قول جرير [124] :

إذا رحلـــوا جزعـــتَ وإنْ أقـــاموا فـــما يُجـــدي المقـــامُ عـــلى الرحيـــلِ

52- وله [125] :

إذا الأمـــرُ نـــابَ الحـــيَّ لمْ يقـــضِ دونَـــهُ وإنْ طـــرق الأضـــيافُ لـــيلا تبسّـــما

53- قول الأخطل [126] :

إذا غـــاب عنّـــا غـــاب عنّـــا فراتُنـــا وإنْ شـــهْدَ أجـــدى فيضُـــه وجداولُـــهْ

54- قول ذي الرمة [127] :

يمنيـــاً إذا كانـــت يمينـــاً وإنْ تكـــن شـــمالا ينـــازعني الهـــوى عـــن شـــماليا

55- قول محمد بن بشير الخارجي [128] :

إذا هـــي حثّتْـــه عـــلى الخـــير مـــرّة عصـــاها وإنْ همّـــتْ بشـــر أطاعهـــا

56- وقال آخر [129] :

إذا ضـــيّقت أمـــرا ضـــاق جـــدا وإنْ هوّنـــت مـــا قـــد عـــزّ هانـــا

الخـــاتـــمة

ويمكن أن أوجز أهم نتائج هذا البحث وهي :

1-أنّ (إنْ) تقع موقع (إذا) كما ثبت في الشواهد النثرية والشعرية خلافا للنحويين ولكثير من المفسرين والأصوليين والبلاغيين ، وأن قول النحاة : إن احمرّ البسر ، وإن غابت الشمس ، قبيح ، فيه نظر ؛ لأنه ثبت أنّ (إن) تقع موقع (إذا) ، بل ورد عن العرب قولهم : إن غابت الشمس ، وأن مسلك النحاة في وضع حد فاصل بين الأداتين حيث لا يمكن أن يلتقيا في الدلالة غير سليم .

2-أن ما ثبت لأدوات الشرط من تعاور واتحاد في الدلالة بين (إنْ) و (إذا) يدل على استقراء النحاة الناقص لبعض من الحقائق اللغوية ، وتحتاج إلى إعادة نظر من الدارسين .

3-أن ما ذهب إليه الكوفيون في تأويل (إن) من أنها تفيد اليقين ليس سليماً؛ لأن (إن) في قوله تعالى : (واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) ، وقوله تعالى : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا) لا تفيد الشك ولا اليقين ، بل هي شرط مجازي .

الهوامش:

1- ينظر الكتاب 3/ 60 ، والمقتضب 2/ 56 ، والمقتصد في شرح الإيضاح 2/ 1117 ، وشرح المفصل لابن يعيش 9/ 4 ، والكافي في الإفصاح 2/ 246 ، وشرح التسهيل 4/ 81 ، والأزهية 45-48 ، ورصف المباني 104-111 ، والمغني 37-38 ، والارتشاف 4/ 1866 ، والرضي 4/ 91 ، والجنى 367 ، والهمع 2/ 452 ، واللباب 1/ 56 .

2 – ينظر تشنيف السامع للسبكي 1/ 252 ، والبحر المحيط للزركشي 2/ 24 ، والمحصول للرازي 2/ 565 ، وكشف الأسـرار 1/ 192 ، والفروق 1/ 102 .

3 – ينظر مختصـر تفسير ابن كثير 1/ 529 ، وتفسير البيضاوي 1/ 54 ، وتفسير أبي السعود 3/ 53 ، وتفسير الطبرسي 6/ 130 ، والطبري 6/ 291 ، والرازي 12/ 32 .

4 – ينظر مفاتيح العلوم للسكاكي 51 ، والمطول للتفتازاني 154–155 .

5 ـ آية 191 من سورة البقرة .

6 ـــ المائدة 6

7 – الكتاب 3/ 60 .

8 ـ سورة الأنبياء 34 .

9 ـ البقرة 180 .

10 ـ آل عمران 25 .

11 – مجالس ثعلب 1/ 374 .

12 – شـرح المفصل 9/ 4 .

13 ـ البيت لقيس بن الخطيم . ينظر ديوانه 45 ، والكتاب 3/ 61 .

14 ـ الكافي في الإفصاح عن مسائل كتاب الإيضاح 2/ 246 ـ 247 .

15 ـ ارتشاف الضـرب 4/ 1887 .

16 ـ الهمع 2/ 452

17 ـ المطول 158 .

18 ـ المائدة 57 .

19 ـ البقرة 23 .

20 ـ 2/ 632

21 ـ الكشاف 3/ 242 .

22 ـ البحر المحيط 8 / 108 .

23 ـ تفسير الجلالين 4/ 277 .

24 ـ حاشية الصاوي على الجلالين 4/ 277 .

25ـ البرهان 4/ 201 .

26 ـ الإنسان 28 .

27 – النساء 133 .

28 الكشاف 2/ 144

29 البحر المحيط2/ 370، وإلى هذا ذهب بعض الباحثين المعاصـرين ومنهم : د. مازن الوعر ، في كتابه " جملة الشـرط عند النحاة والأصوليين في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي ، ص29 – 30 .

30 الأعراف 131.

31 الشورى42

32الأسـراء67

6 فصلت 49 وقد وردت في النص خطأ بقوله(وإن مسه الشـر فذو دعاء عريض)

7الأسـراء83 .

34 فصلت51 .

9 بدائع الفوائد1/ 47-48

10النساء78

11ال عمران20

38 فصلت50

39 يونس12

40 الروم33

41 الزخرف 81.

42 دراسات 1/ 628- 629.

43 ـ صحيح مسلم 128 باب الإيمان

44 – المصدر نفسه 128 باب الإيمان . .

45- البخاري رقم 371 باب الصلاة في الثياب .

46 – البخاري 657 باب الجماعة ، وينظر مسلم 411 و 413 باب الصلاة .

47 ـ البخاري 1091 باب التهجد .ـ

48 ـ مسلم 776 باب صلاة المسافرين .

49 ـ البخاري 1060 باب قصـر الصلاة .

50 – البخاري 1061 ، ومسلم 70 صلاة المسافرين.

51 ـ. البخاري 2045 باب البيوع ورقم 6447 باب المحاربين

52 ـ. البخاري 2417 باب العتق .

53 ـ البخاري 1425 باب الزكاة ، ومسلم 19 الإيمان .

54 ـ البخاري 1289 الزكاة .

55 ـ البخاري 1969 باب التوبة .

56 ـ البخاري 2675 التوبة .

57 ـالبخاري 5166 باب الذبائح .

58 ـ البخاري 5167 باب الذبائح .

59 ـ تحفة الأحوذي 3/ 112 .

60 ـ البخاري 1216 الجنائز .

61 ـ البخاري 1217 و 6083 ، ومسلم 94 الجنائز .

62ـ البخاري 901 صلاة الخوف .

63 ـ البخاري باب الشهادة 8 .

64 ـ البخاري باب الديات .

65 ـ البخاري باب الإكراه رقم 7 .

66 ـ الرسالة 116 الفقرة 17 .

67 ـ الرسالة 296 الفقرة 54 .

68 ـ سيرة ابن هشام 1/ 322 .

69 ـ تحفة الأحوذي 3/ 606 .

70 ـ البخاري 3988 باب المغازي .

71 ـ شـرح الرضي 4/ 120 .

72 ـ سيرة ابن هشام 4/ 219 ، وديوانه 74 .

73 ـ ديوانه 115 ، وأطلس : كدر، وقيل : أراد دنس الثياب ، ويقرّع : يقرعهم ويذبهم عنه .

74 ـ المفضليات 1/ 290 .

75 ـ ديوانه 13 .

76 ـ ديوانه صـ92 ، وأنضية : جمع نضـى وهو نصل السيف .

77 ـ ديوانه 154 .

78 – المصدر السابق 329 .

79 ـ ديوانه 166 ، والدباءة : القرعة ، والأثفية : الصخرة المدورة .

80 ـ ديوانه 40 .

81 ـ شـرح المفضليات 2/ 1469 .

82 ـ ديوانه 25 .

83 ـ نقد الشعر 82 .

84 ـ شـرح المفضليات 1/ 531 .

85 ـ شـرح الحماسة 2/ 1086 .

86 ـ شـرح الحماسة 2/ 52 .

87 – ديوانه 140 .

88 – ديوانه 256–257 .

89 – ديوانه 93 .

90 – ديوانه 19 .

91 – ديوانه 51 .

92 – ديوانه 180 .

93 – ديوانه 241 .

94 – زيادات ديوانه 99 .

95 – ديوانه 31 .

96 – ديوانه 30 .

97 – ديوانه 30 .

98 – ديوانه 44 .

99 – شـرح الحماسة 1/ 215 .

100 – ديوانه 117 .

101 – شـرح الحماسة 1/ 289 .

102 – شـرح الحماسة 2/ 648 .

103 – الأغاني 11/ 296 .

104 – الأصمعيات 55 .

105 – شـرح الحماسة البصـرية 2/ 125 .

106 – شـرح المفضليات 1/ 885 .

107 – الحماسة البصـرية 1/ 132 .

108 – شـرح الحماسة البصـرية 2/ 923 .

109 – شـرح الحماسة 2/ 924– 925 .

110 – شـرح الحماسة 1/ 153 .

111 ـ البخاري 6246 و 3878 باب المغازي ، ومسلم 1803 .

112 ـ البخاري 3880 .

113 ـ ديوانه 405 ، وخوت :تجافت ، الثفنة من البعير الركبة ، أو المرفقان ، والحيزوم الصدر ، والعبل : الجبل الأبيض أو الحجر الغليظ .

114 – ديوانه 76 .

115 – الكامل 1/ 174 .

116 ـ الكامل 2/ 127 .

117ـ ديوانه 388 .

118 – ديوانه 127 .

119 ـ ديوانه068

120 ـ ديوانه 468

121 ـ ديوانه 535 ، وجرد الثانية أي لبست الجرود ، وهي الأثواب البالية .

122ـ الأغاني 4/ 310 .

123 ـ الحيوان 3/ 139 .

124 – ديوانه 404 .

125 – ديوانه 447 .

126 – ديوانه 130 .

127 – ديوانه 539 .

128 – الأغاني 16/ 130 .

129 – الكامل 1/ 199 .

المـراجــع

1. ارتشاف الضـرب من لسان العرب ، تحقيق د. رجب عثمان محمد ، ط1 ، 1998 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

2. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود (محمد بن محمد العمادي ت 951هـ) ، ط2 ، 1990 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

3. الأزهية للهروي ، وشـرحه ونشـره أحمد صقر ، ط3 ، 1981 ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

4. الأصمعيات ، اختيار عبد الملك بن قريب (216هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، ط3 ، دار المعارف ، مصـر .

5. الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، طبعة مصورة عن دار الكتب ، مؤسسة جمال للطباعة ، بيروت .

6. أنوار التنزيل وأسـرار التأويل لأبي الخير عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي ، دار الفكر ، بيروت .

7. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (745هـ) ط2 ، 1990 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

8. بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت .

9. البرهان في علوم القرآن للزركشي ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط2 ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصـر .

10. تحفة الأحوذي بشـرح جامع الترمذي للإمام أبي العلى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري راجعه عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الفكر للطباعة والنشـر ، بيروت .

11. تشنيف السامع بجمع الجوامع للسبكي ، شـرح بدر الدين الزركشي ، تحقيق أبي عمرو الحسيني ، ط بدون ، 2000م ، دار الكتب العلمية ، بيروت

12. تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وزملائه ، ط ، 1993 م دار الكتب العلمية بيروت .

13. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، دار الشعب ، مصـر .

14. جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ، ط2 ، 1954 ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .

15. جملة الشـرط عند النحاة والأصوليين في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي ، ط1، 1999م ، الشـركة المصـرية العالمية للنشـر .

16. حاشية الصاوي على الجلالين ، دار الفكر ، بيروت .

17. الحماسة البصـرية (لعلي بن أبي الفرج البصـري) تحقيق مختار الدين أحمد ، ط3 ، 1983 ، عالم الكتب، بيروت .

18. دراسات لأسلوب القرآن الكريم لـ (محمد عبد الخالق عضيمة) دار الحديث بمصـر .

19. ديوان الأخطل ، شـرح مجيد طراد ، ط1 ، 1995 ، دار الجيل ، بيروت .

20. ديوان الأعشـى ، المكتبة الثقافية ، بيروت .

21. ديوان أوس بن حجر تحقيق د.محمد يوسف نجم ، ط3 ، 1979 ، دار صادر.

22. ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط4 ، دار المعارف ، مصـر .

23. ديوان ابن مقبل ، تحقيق د. عزة حسن ، 1962 ، وزارة الثقافة ، دمشق .

24. ديوان تأبط شـرا (ثابت بن جابر القيسي) تقديم طلال حرب ، ط1 ، 1996 ، دار صادر ، بيروت .

25. ديوان جرير ، ط1 ، 1991 ، دار صادر .

26. ديوان الحادرة (قطبة بن أوس القيسي) ، تحقيق ناصـر الدين الأسد ، ط3 ، 1991 ، دار صادر ، بيروت.

27. ديوان حسان بن ثابت ، ضبطه عبد الرحمن البرقوقي ، ط3 ، 1983 ، دار الأندلس ، بيروت .

28. ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، دار صادر ، بيروت .

29. ديوان عروة بن أذينة ، ط1 ، 1996، دار صادر ، بيروت .

30. ديوان زهير بن أبي سلمى ط1 ، 1968 ، المكتبة الثقافية ، بيروت .

31. ديوان دريد بن الصمة ، تحقيق عمر عبد الرسول ، دار المعارف بمصـر

32. ديوان عنترة بن شداد ، شـرح د. يوسف عيد ، دار الجيل ، بيروت .

33. ديوان المهلهل بن ربيعة التغلبي ، ط1 ، 1995 ، دار الجيل ، بيروت .

34. ديوان العجاج ، تحقيق د. سعدي ضناوي ، ط1 ، 1997 ، دار صادر .

35. ديوان ذي الرمة ، شـرح زهير فتح الله ، ط1 ، 1995 ، دار صادر .

36. ديوان الشافعي ، تقديم إحسان عباس ، ط1 ، 1996 ، دار صادر .

37. ديوان عبد الله بن قيس الرقيّات ، تحقيق د. محمد يوسف نجم ، دار صادر .

38. ديوان طرفة بن العبد ، المكتبة الثقافية ، بيروت .

39. ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط3 ، دار المعارف ، مصـر .

40. ديوان الطفيل الغنوي ، شـرح الأصمعي ، تحقيق حسان فلاح أوغلي ، ط1 ، 1997 ، دار صادر ، بيروت .

41. ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق ناصـر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت

42. ديوان الحطيئة شـرح يوسف عيد ، ط1 ، 1992 ، دار الجيل ، بيروت .

43. روح المعاني للآلوسي (شهاب الدين محمود الآلوسي 1270هـ) ط4 ، 1985 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

44. الرسالة للإمام الشافعي (محمد بن إدريس 204هـ) تحقيق د. محمد نبيل غنايم ، ط1 ، 1988 ، مركز الأهرام ، القاهرة.

45. رصف المباني في شـرح حروف المعاني للمالقي ، تحقيق سعيد صالح زعيمة ، بدون (ط ، ت) ، دار الناشـر ابن خلدون .

46. سمط اللآلئ ، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (487هـ) ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، 1936م ، القاهرة .

47. السيرة النبوية لابن هشام (عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري 218هـ) ، تحقيق إبراهيم الأبياري وزميليه ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت

48. شـرح اختيارات المفضل الضبّيّ للخطيب التبريزي ، تحقيق فخر الدين قيادة ، ط3 ، 2002 ، دار الفكر ، دمشق .

49. شـرح الأشموني ، على ألفية ابن مالك ، تحقيق د. إميل بديع يعقوب ، ط1 ، 1998 ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

50. شـرح التسهيل لابن مالك ، تحقيق د. عبد الرحمن السيد ، ومحمد بدوي المختون ، ط1 ، 1990 ، دار هجر ، مصـر .

51. شـرح كافية ابن الحاجب ، رضي الدين الاستراباذي ، تحقيق د. إميل بديع يعقوب ، ط1 ، 1998 . دار الكتب العلمية بيروت .

52. شـرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري ، تحقيق د. علي المفضل حمودان ، ط1 ، 1992 ، دار الفكر ، دمشق .

53. شـرح القصائد السبع للتبريزي لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (328هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصـر .

54. شـرح المفصل لابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت

55. صحيح البخاري ، ط4 ، 1990 ، دار ابن كثير دمشق .

56. صحيح مسلم ، بشـرح النووي ، ط1 ، 1994، دار الخير ، دمشق .

57. الفروق للعلامة شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي ، وبهامشه أنوار البروق على أنواء الفروق للشيخ قاسم بن عبد الله الأنصاري المعروف بابن الشاط ، عالم الكتب ، بيروت .

58. الكتاب لسيبويه (أبي بشـر عمرو بن عثمان) ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط3 ، 1983 ، عالم الكتب ، بيروت

59. الكافي في الإفصاح عن مسائل كتاب الإيضاح لابن أبي الربيع السبتي الأندلسي (688هـ) تحقيق د. فيصل الحفيان، ط1 ، 2001 ، مكتبة الرشد ، الرياض .

60. الكشاف للزمخشري (د ، ت) دار الكتاب العربي .

61. كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي ، تأليف الإمام علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري (730هـ) ، طبعة بالأوفست عام 1974م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

62. الكامل في اللغة والأدب للمبرد (285هـ) مؤسسة المعارف ، بيروت .

63. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، لعلاء الدين علي المتقي الهندي (975هـ) ، ط2 ، 1962م ، حيدر آباد .

64. اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري (616هـ) ، تحقيق عبد الإله نبهان ، ط1 ، 1995 ، دار الفكر ، بيروت .

65. المحصول في علم أصول الفقه ، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، ط2 ، 1999م ، المكتبة العصرية ، صيدا .

66. مجالس ثعلب(أحمد بن يحيى) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط5، 1987م دار المعارف بمصر .

67. مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (548هـ) ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

68. مختصر تفسير ابن كثير ، ط4 ، 1401هـ ، دار القرآن الكريم ، بيروت

69. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ، تحقيق سعيد الأفغاني . ط1 ، 1998 ، دار الفكر ، بيروت.

70. المقتضب للمبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت .

71. المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق د. كاظم بحر المرجان ، 1982 ، بغداد .

72. مفاتيح الغيب للرازي ، المطبعة البهية المصرية بالأزهر ، مصر .

73. مفتاح العلوم للسكاكي أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر (626هـ) ، 1983م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

74. المطول في شرح تلخيص المفتاح لسعد الدين بن مسعود التفتازاني ، منشورات مكتبة المرعشي النجفي ، قم – إيران 1407هـ .

75. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي ، تحقيق أحمد شمس الدين ، ط1 ، 1998 ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

إسهامات علماء إب في الحياة الفكرية اليمنية

في القرن السادس الهجري ـ الثاني عشر الميلادي

د. سفيان عثمان المقرمي *

المقدمة :

الحمد الله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أكرم مرسل وأطهر منسل ... وبعد

يلعب الفكر دوراً أساسياً وفاعلاً في البناء الحضاري لأي أمة ، كما يعد معلماً بارزاً من معالم تطورها و تقدمها .

وهذا البحث الذي نقدمه للقارئ الكريم هو دراسة عن إسهامات علماء إب في الحياة الفكرية اليمنية في القرن السادس الهجري ، و الذي يكشف مختلف الأنشطة الفكرية التي ظهرت في المدة موضوع الدراسة ، كما يبين جوانب المعرفة السائدة آنذاك ، مع إبراز أهم الدراسات القائمة وأبرز مراكزها الفكرية .

والذي حملني على اختيار هذا الموضوع وفي القرن السادس الهجري على وجه التحديد هو أهمية هذا الموضوع وقلة الدراسات التاريخية فيه ، كون هذا العصر شهد إنشاء المدارس لأول مرة في تاريخ اليمن وحفل بعدد وافر من العلماء من ذوي الإنتاج الفكري ، كما يمثل مرحلة مهمة من مراحل النهوض الفكري في مسار الحركة الفكرية اليمنية .

- **الوضع السياسي لليمن في هذه المدة :**

شهدت اليمن في القرن السادس الهجري وضعاً سياسياً غير مستقر ، وكان حكمها مشتركاً بين أمرائها ، فالتهائم وجميع أعمال زبيد كانت بيد النجاحيين ثم حلّ محلهم بنو مهدي ، وتغلب على عدن و لحج و أبين و حضرموت و الشحر بنو معن ثم بنو زريع ، وتغلب على السمدان وعلى حصن السوى و الدملوة و صبر و حب و التعكر و مخلاف الجند و مخلاف المعافر بنو الكَرْنَدِي وتغلب على حصن الشعر و السحول و خدد و الشوافي بنو التبعي ، وتغلب على حصون وصاب وأعمالها قوم من بكيل الهمدانيون ، وتغلب على حصن مسار قوم من

---

*) أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المشارك – كلية الآداب جامعة إب

حراز ودعاة الإسماعيلية ، وانقسم اليمن الأعلى بين آل الضحاك وأولاد إمام الزيدية القاسم بن علي العياني .

وفي المدة التي نحن بصدد دراستها فيما يتعلق بمخلاف جعفر التي يأتي منها مدينة إب كانت قد آلت إلى حكم إبن مهدي (554 / 1159) بعد أن تمكن إبن مهدي من إزالة دولة النجاحيين في زبيد واستمرت دولته حتى عام (569 / 1174م) وهو العام الذي قدم فيه الأيوبيون إلى اليمن ، وأستطاعوا القضاء على كل الدويلات المستقلة في اليمن وإقامة كيانٍ سياسيٍ موحدٍ تحت سيطرتهم .

وفي العهد الأيوبي (569 – 626 / 1174 –1228)دخل التعليم مرحلة جديدة وهي مرحلة الدراسة في المدارس التي أسهمت في نشر مذهب أهل السنة في المناطق التي سيطر عليها الأيوبيون من مثل مدينة ذي جبلة التي كانت أحد مراكز الإسماعيلية الأساسية (سياسياً و فكرياً) ثم أصبحت في عهدهم غالب سكانها من أهل السنة ، وذلك من خلال تشجيع العلماء وحثهم على نشر التعليم وإنشاء المدارس العلمية التي كانت تمثل أحد المراكز الأساسية لنشر التعليم على غرار مدارسهم في مصر و الشام .

وقد تميز القرن السادس الهجري في اليمن عامة وفي مدينة إب على وجه أخص بوفرة العلماء ، وتعدد المراكز الفكرية و انتشارها ، و وفرة الإنتاج الفكري وتنوعه نسبياً .

ومن هنا فإن القرن السادس الهجري يمثل بالنسبة إلى تاريخ الحركة الفكرية في اليمن عموماً وفي مدينة إب على وجه الخصوص مرحلة النهوض الفكري وأستمر أثره إلى القرون اللاحقة التي أكتسبت ملامحها من القرن السادس الهجري .

ويغلب على علماء إب في المدة موضوع الدراسة الطابع الديني ، كون أغلب هؤلاء العلماء الذين استقصيناهم في هذا البحث هم من علماء العلوم الشرعية وخصوصاً علم الفقه ، كما أن معظم نتاجهم الفكري كان يصب في مجال العلوم الشرعية والعلوم المساعدة لها من مثل علوم اللغة والنحو والتاريخ وعلم الكلام . أمّا الجانب العلمي والفلسفي فقد كان – كما يبدو – ضئيل الأهمية ، كونه لم يشمل سوى دراسات قليلة في الرياضيات والفلك والمنطق ، مما يعطي دلالةً على أن الإهتمام كان منصبٌ على العلوم الشرعية في الأغلب .

ونود أن ننوه إلى أننا لم نقم باستقصاء جميع علماء إب في القرن السادس الهجري ، وإنما اكتفينا بنماذج فقط لأشهر العلماء فيها ، كون استقصاءهم جميعاً سيخرج البحث عن نطاقه وحدوده ، آملين أن تكون هذه الدراسة قد سدت مسداً في تاريخ مدينة إب في القرن السادس الهجري ، كما نأمل أن تكون مدخلاً للباحثين لدراسة تاريخ هذه المدينة وخصوصاً الفكري منه .

والله من وراء القصد .

♦ يحي بن أبي الخير العمراني :

نشأته وثقافته الأولى :

هو الفقيه ، الإمام ، جمال الإسلام ، شمس الشريعة ، يحي بن أبي الخير بن سالم بن أسعد بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عمران العمراني [1] ، مولده في مصنعة ((سَيْرة[2])) سنة 489هـ/ 1095م وتوفي في ذي السفال [3] سنة 558 هـ/ 1163م و عمره 69 سنة .

يعد الفقيه يحي بن أبي الخير من أوائل من اشتهروا بالفقه و عملوا على نشر مذهب الإمام الشافعي ، بدأ حياته العلمية بقراءة القرآن الكريم في بلده (سير) ثم بدأ رحلته العلمية إلى المراكز العلمية المشهورة داخل مدينة إب على نحو ما سنوضحه فيما يأتي :-

رحلاته العلمية وشيوخه :

يقصد بالرحلة العلمية هنا هو ما يقوم به طلاب العلم من تنقلات بين المدن والقرى والمراكز العلمية داخل بلدانهم ، أو الانتقال إلى مراكز العلم المشهورة في العالم الإسلامي بهدف تلقي العلوم والمعارف على أيدي علماء مشهورين ، وتعد هذه الرحلة لطلب العلم في العصور الإسلامية سمة مهمة من سمات التعليم الإسلامي ، وتقليداً علمياً من التقاليد الأساسية لدى طلبة العلم ، كونها تعد من الوسائل الناجعة للنهضة العلمية الشاملة ، ولأهمية الرحلة وقيمتها العلمية يرى ابن خلدون (... أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم ، والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون من المذاهب والفضائل ، تارة علماً ولقاءً و تارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة ، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها ...)[4] .

ونظراً لازدهار الحركة العلمية في اليمن في القرن السادس الهجري ، وفي مدينة إب على وجه أخص فقد زادت عدد الرحلات العلمية لطلاب العلم من وإلى مدينة إب وإلى خارج اليمن إيماناً من طلاب العلم بأهمية الرحلة العلمية في سبيل تطوير وزيادة تحصيلهم العلمي .

وتنقسم الرحلة إلى قسمين: رحلة داخلية ورحلة خارجية.

ويعد يحي بن أبي الخير أنموذجاً حياً من نماذج هذه الرحلة بشقيها الداخلي والخارجي .

ففي رحلاته الداخلية تفقه بثلة من الشيوخ المعاصرين له من أمثال : خاله الشيخ أبو الفتوح بن عثمان بن أسعد بن عبد الله بن محمد موسى بن عمران الذي تفقه به (بكافي الفرائض) في المواريث للصردفي

(ت500هـ/ 1106م) وبموسى بن علي الصعبي في ذي الحفر في نعيمة[5] ((بالتنبيه))[6] ، وعن الشيخ الحافظ لمذهب الشافعي عبد الله بن أحمد الهمداني أخذ العمراني عنه (المهذب) و(اللمع) لأبي إسحاق الشيرازي (ت466هـ/ 1083م) .

ثم ارتحل إلى الإمام زيد بن الحسن الفائشي (ت528هـ/ 1133م) بأحاظة [7] وأعاد عنده ((المهذب)) و((نظام الغريب)) للربعي (ت480هـ/ 1087) .

وأخذ عن الإمام زيد بن عبد الله اليفاعي (ت514هـ/ 1120م) (النكت) ثم انتقل إلى سهفنه [8] فقرأ عند القاضي مسلم بن أبي بكر بن أحمد الصعبي كتاب (الحروف السبعة) في علم الكلام والتوحيد وأصول الدين[9] ، ثم انتقل إلى ذي أشرق [10] عام(517هـ/ 1123م) فسمع (الجامع للسنن) للإمام الترمذي على الشيخ سالم بن عبد الله بن محمد بن سالم . ثم بدأ بمطالعة (شروح المزني) و (المجموع) للحاملي و (الشامل) لابن الصباغ وكتاب (الفروع) لسليم الرازي (ت5447هـ/ 1055م).

أما رحلاته الخارجية ، وإن كانت امتداداً للرحلة الداخلية إلا أنها أكثر تحصيلاً للعلوم والمعارف نظراً لما تشتهر به المدن العلمية الإسلامية من كثرة الوفادات إليها وخاصة مكة والمدينة بحكم قربهما من بلاد اليمن من ناحية، ولكثرة العلماء المجاورين بهما من ناحية ثانية ؛ وذلك بغرض الحصول على الإجازات [11] العلمية من العلماء المشهورين ، وقد كانت رحلة العمراني الخارجية في عام (521هـ/ 1127م) إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ، فالتقى بها بالفقيه الإمام محمد بن أحمد العثماني الدمياطي (ت 527هـ/ 1132م) ، فناظره وذاكره في مسائل الفقه والأصول[12] وأخذ عنه بعض المسائل عند تصنيفه لكتابه البيان ، ولما عاد إلى اليمن استمر في تدريس المذهب الشافعي في منطقة (سير) إلى سنة 549هـ/ 1154م ، وحينما حدثت مشاجرات ومنازعات وفتن بين أهلها والتي وصفها بقوله :

إلى الله اشكوا وحشتي من مجالسٍ أراجعه فيما يلذ به فهمي
لأني غريب بين (سير) وأهلها وإن كان فيها عترتي وبنو عمي
وليس اغترابي عنهم بيد النوى ولكن لما أبدوه من جفوة العلم

ثم انتقل إلى (ذي السفال) فأقام بها مدة قصيرة ثم انتقل إلى (ذي شراق) وأقام بها سبع سنوات.

ولما قامت دولة ابن مهدي في زبيد (عام 554هـ/ 1159م) وأخذ يعتدي على علماء الشافعية فر كثير منهم إلى (ذي شراق) حيث كان يسكن الإمام العمراني فاختلف هؤلاء الفقهاء مع فقهاء (ذي شراق) الذين ناصبوهم العداء وكفروهم لأن فقهاء زبيد شافعية الفروع اشعرية الأصول ، بينما كان فقهاء (ذي شراق) شافعية

الفروع حنابلة الأصول[13] لا يتأولون المتشابه من صفات الله ، ولكنهم يحملونها على ظاهرها من غير تأويل و لا تحريف ، فاضطر الإمام العمراني إلي الانتقال إلى قرية (ضراس) [14] للابتعاد عن ساحة الشقاق وخصوصاً بعد وصول قوات ابن مهدي إلى الجند ، ثم انتقل إلى (ذي السفال) هروباً من قوات ابن مهدي فاستقر بها حتى وافاه أجله بها في ربيع الأخر من عام (558هـ/ 1163م).

آثاره ومكانته العلمية :

المؤلفات :

- البيان في فقه الشافعية، ويقع في عشر مجلدات، بدأ تأليفه سنة (528هـ/ 1133م) وفرغ منه سنة (533هـ/ 1138م) [15]، ويعد هذا المؤلف من أهم مؤلفات الشيخ العمراني في الفقه الشافعي وأوسعها ، وبه شُهر حتى قيل ((العمراني صاحب البيان)) رتبه على ترتيب كتاب (المهذب) وبلغت شهرة هذا الكتاب خارج اليمن ، فلما قدموا به إلى بغداد وضع في أطباق الذهب ، وطيف به مزفوفاً داخل العراق ، وقال جماعة من أهل العراق عن الكتاب (... ما كنا نظن أن في اليمن إنساناً حتى قدم (البيان) بخط علوان..)[16] ، ووصفه أحد المؤرخين اليمنيين: (بياناً كإسمه (البيان) وللعلماء هدياً وتبياناً..)[17] . ولما فرغ العمراني من تأليفه في التاريخ المذكور سأله أحد تلامذته انتزاع مشكلات (المهذب) وحلها فأجابه إلى ذلك بكتابه : (السؤال عن ما في المهذب من الإشكال) وذلك في أواخر عام (549هـ/ 1155م)[18] ويعرف بـ (مشكلات المهذب).

الإنتصار [19] في الرد على القدرية الأشرار ، وقد رد به على القاضي جعفر بن عبد السلام المعتزلي . قاضي الزيدية في زمنه حينما جاء إلى إب لمناظرة العمراني في حصن شواحط عام (554هـ/ 1159م) .

- كتاب الزوائد الذي شرع في تأليفه عام 517هـ وأنتهى منه 520هـ ورتبه على شرح مختصر المزني في الفقه [20] ويتناول المسائل الفرعية في الفقه والتي أغفلها كتاب المهذب للشيرازي.
- غرائب الوسيط.
- مختصر إحياء علوم الدين . هذان الكتابان ألفهما عندما كان مقيماً في (ذي شراق).[21]
- كتاب (أوصاف العلل) في فروع الفقه ، ذكر فيه أوصاف العلل الفقهية والمعاني التي وصفت لها مع احترازاتها، كما ذكر جملة من الأمور المتعلقة بهذا الأمر[22].
- كتاب الدور[23]، صنفه بعد عودته من مكه المكرمة عام (521هـ/ 1127م) واعتمد في تصنيفه على عدد من الكتب الفقهية أهمها كتاب (ابن اللبان) .

تلكم هي مصنفات أو آثار الإمام العمراني كما تيسر لنا الحصول عليها من المصادر التاريخية التي تمكنا من

العثور عليها .

أما المكانة العلمية للإمام العمراني ومؤلفاته فقد تجلت من خلال ثناء المعاصرين له على علمه ومؤلفاته إما نثراً أو شعراً، ومن خلال النقولات التي سطرتها أقلام تلامذته أو من جاء بعده من المؤلفين والمصنفين في مجالات العلوم المختلفة.

ويعد كتابه البيان سالف الذكر من أشهر كتبه التي صنفها لما قوبل به من إقبال كبير في أوساط العلماء والمتعلمين في بلاد اليمن ، والذين أكبوا على فهمه ودراسته ، فهذا المؤرخ الجندي يصفه بأنه (.. رضيه الفقهاء المحققون، وانتفع به المدرسون، ونقل عنه المصنفون حتى كان كاسمه للشرع تبياناً، وللفقه بياناً، أجاب به عن المعضلات ، وأوضح به المشكلات ، وقسم به الأوصاف والاحترازات..)[24] ، (... وجمع فيه بين تحقيق العراقيين ، وتدقيق الخرسانين بحيث إذا تأمله الحاذق الحاضر وكد فيه الفكر والنظر وسعه وكفاه واستغنى به عما سواه)[25] .

ووصفه آخر بقوله: (.. يحي بن أبي الخير فقيه يصلح للفتوى..)[26] وكان هذا قبل أن يؤلف كتابه البيان فلو عاش إلى تصنيفه البيان لرأى عجباً [27].

وقال آخر[28] أبياتاً يمدح بها الإمام يحي وكتابه البيان:

إن البيان بيان للعلوم وقد ... وقد خص المذاهب ما قالوا وما سطروا
جمع الإمام تقي العدل صنفه ... لله يحي فأحيا كل ما ذكروا
وقلد الشافعي ، وأختار مذهبه ... لما رأى قوله يعلوا إذاً افتخروا
وقال في ختمه قولاً فصار به ... بالركب يمُتثل والبدو ، والحضر
((كم حاجة بمحل النجم قربها ... طول التعرض والروحات والبكرُ))

أما تلميذه سيف السنه البريهي[29] فقد نسخ كتاب البيان ووقفه في مكتبته الخاصه وذيله بقوله:

سقى الله يحي سلسبيلاً وخصه ... بقصر من الياقوت أعلى الجنان
لتصنيفه هذا الكتاب الذي حوى ... تصانيف أهل الفقه قاص ودان
وسماه بالاسم الذي هو أهله ... بياناً وما في الأرض مثل بيان.[30]

ونظراً لأهمية كتاب البيان فقد غدا واحداً من أهم المراجع في مجال الفقه الشافعي، ومثَّل مادة غنية لمن جاء بعده من الفقهاء والمصنفين الذين عولوا عليه كثيراً في كتبهم ، ومنهم الفقيه زياد بن أسعد الخولاني (ت565هـ/ 1169م) الذي اعتمد على كتاب البيان عند تأليف كتابه((التخصيص)[31] ، والفقيه أبو الحسن

الأصبحي (ت 703هـ/ 1303م) الذي أخذ نقولات كثيرة من كتاب البيان للعمراني في كتابه المسمى (معين أهل التقوى على التدريس والفتوى) ووصف البيان بقوله:

((ما أشكلت عليّ مسألة في الفقه وفتشت لها البيان إلا وجدت فيه بيانها ووضح تبيانها..))[32]

ولم تقتصر شهرة العمراني وكتابه البيان على بلاد اليمن فحسب ، وإنما تجاوزتها إلى غيرها من بلاد العرب والمسلمين ومنها بغداد التي ما أن وصلها كتاب البيان حتى جعل في أطباق الذهب، وطيف به مزفوفاً ، وقال جماعة من أهل العراق: ((ما كنا نظن في اليمن إنساناً حتى قدم إلينا الببيان بخط علوان..))[33]

♦ **سيف السنة البريهي (ت586هـ/ 1190م) :**

نشأته وثقافته الأولى :

هو أحمد بن محمد بن عبد الله البريهي السكسكي، يكنى بأبي الحسن ، ولقب ب" سيف السنة " وهو لقب من الألقاب العلمية التي كانت تطلق على العلماء المبرزين في العلوم المختلفة من مثل : الإمام ، الحافظ ، سراج الدين ، جمال الدين ، إمام الأئمة.[34]

تتلمذ الإمام سيف السنة على مجموعة من العلماء داخل اليمن وخارجها، ومن شيوخه المشهورين داخل اليمن الفقيه عمر بن حسين بن عيسى بن أبي النهى (ت567هـ/ 1171م) والإمام زيد اليفاعي (ت515هـ/ 1121م)، والإمام الحافظ علي بن أبي بكر العرشاني (ت557هـ/ 1161) والإمام يحي بن أبي الخير العمراني (ت 558هـ/ 1163م) الذي أصبح سيف السنة بعد وفاته مرجعاً للفقهاء في بلده، وقصده الطلاب من مناطق مختلفة من مدن العلم اليمنية، ولعل أشهر تلامذته الفقيه محمد بن مضمون (ت 663هـ/ 1168م) الذي لزم مجلسه قرابة إحدى عشر سنة، وتأثر به مقلداً له في كل أعماله حتى في الخط؛ وأخذ عنه في مجال الفقه والنحو واللغة والحديث والأصول.[35]

رحلاته لطلب العلم :

إذا كانت الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم كما يذهب إلى ذلك فلاسفة وعلماء المسلمين ويتوقف على كثرة الشيوخ حصول الملكات ورسوخها [36] فقد حرص طلاب العلم من أهل اليمن على الإرتحال لمراكز العلم أخذاً وعطاءً ، وكان لقب الرحال وقفاً على كبار المحدثين والفقهاء الذين تحملوا المشاق وجابوا الأفاق البعيدة طلباً للعلم وحرصاً على اقتنائه [37] ومن علما مدينة إب الذين حرصوا على الرحلة إلى المراكز العلمية المشهورة داخل اليمن الإمام سيف السنة البريهي الذي رحل من مدينة إب مكان إقامته إلى مدينة (الجند)

[38] وأخذ عنه شيخه اليفاعي السالف الذكر ، ثم رحل إلى (سير) للأخذ عن الإمام يحي العمراني [39] ولم تكن رحلته لأخذ العلوم فقط ، وإنما عكف على التدريس في مدينة الجند عقب عودته من رحلته الخارجية إلى مكه عام (581هـ/ 1185م) حيث اجتمع إليه طلبة العلم من المناطق المجاورة للجند مثل (ظبا)[40] و (ذي شراق) والشعبانية ، وغيرها ، كما ارتحل إلى مدينة (جبلة) وقام بالتدريس في مسجدها المعروف بمسجد السنة ، وأوقف به عدداً من كتبه.[41]

أما رحلته الخارجية فقد كانت في عام (580هـ/ 1185) إلى مكة المكرمة كونها إحدى مراكز العلم المشهورة في العالم الإسلامي ، ولكثرة من يفد إليها من العلماء لإداء الحج والعمرة أو للمجاورة بها ، وفي رحلته هذه قرأ كتاب صحيح مسلم على الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الهروي إمام الحنابلة بالحرم ، كما حصل على الإجازة [42] من الشيخ عبدالله عمر الوراق ، وقد أورد الجندي نص هذه الإجازة بقوله: ((... استخرت الله العلي العظيم ، وأجزت الشيخ الإمام الأجل السيد الفقيه ناصر السنة أبي العباس أحمد بن محمد ولأولاده الكرام على أن يرووا عني مسموعات وإجازاتي..)[43] .

كما منح الإمام سيف السنة الإجازة العلمية لعدد من طلابه في كتاب صحيح مسلم عام (581هـ/ 1185)[44] .

وقد كان الإمام سيف السنة مجيداً لكثير من العلوم منها علم النحو واللغة وأصول الدين والحديث، كما تولى رئاسة الفقه والحديث في إب، ووصفه معاصروه بأنه: كبير القدر، شهير الذكر، وكان من أحسن الفقهاء ضبطاً للكتب وتحقيقاً لها، وكان ينكر على من يخالف مذهب السلف ويعتقد خلاف مذهبهم، وله عدة كتب يرد به على المعتزلة والأشعرية [45].

وممن عناهم بالرد في مؤلفاته المذكورة طاهر بن أبي الخير العمراني (ت587هـ/ 1191م) الذي تحول إلى المذهب الأشعري بعد أن كان حنبلياً في عهد والده [46].

و إلى جانب شهرته بالتدريس في مسجده المعروف بمسجد السنة [47] فقد إِشتهر أيضاً بنسخ الكتب الفقهية المتعددة التي كان يوقف البعض منها لطلابه ، والبعض الآخر تباع ويشترى بثمنها ورقاً لينسخ بها الكتب ويوقفها. حتى أنه كان ينسخ في كل عام نسخة (بيان) ونسخة (المذهب) ونسخة (كافي) الصردفي ، وربما التنبيه أيضاً[48].

وبلغ عدد كتبه الموقوفة ما يزيد عن مائة كتاب معظمها في مسجده في مدينة إب ، وبعضها في مسجد الجند، والتي كانت تخصص في وقفها لأهل السنة الشافعية في الفروع والحنابلة في المعتقد ، وكان يكتب على كل

كتاب:

هذا الكتاب لوجه الله موقوف منـا إلى الطالب السني مصـروف
ما للأشاعرة الضلال في حسبي حق ولا للذي في الزيغ مصـروف[49]

كما كان للإمام سيف السنة البريهي مع كمال العلم شعرٌ رائق ومنه :

إلى لص عقلي للتشاغل سـارق وقد جاءني بالنعي في النوم طارق
أتى منذر لي بارق الموت منـذراً وكل سحاب مـمـطر فيه بارق

ومن قصيدة زهدية قوله :

أترجو وقد جاوزت ستين حجة لذاذة عيشٍ إن ذاك من الجهل
يريك الهوى إن القوى فيك كالقوى بمقتبل غض الشبيبة أو كهل

وحينما تعرضت إب لزلزال مروع عام (549هـ/ 1154م)[50] : قال:

خليلي من ذا عيشه طابا فلا تجـزعا إن ناب إب الذي نابا
فأدم في الفردوس ما طاب عيشه ولا طاب في الدنيا وإن كان قد تابا

وله في مدح البيان للعمراني:

سقى الله يحي سلسبيلاً وخصه بقصـر من الياقوت أعلى جنانِ
لتصنيفه هذا الكتاب الذي حوى تصانيف أهل الفقه قاص ودان
وسماه بالاسم الذي هو أهله بياناً وما في الأرض مثل بيان.[51]

توفي رحمه الله في مدينة إب في العشـرين من ذي القعدة عام 586/ 1190م وقُبر في جوار مسـجده المعـروف بمسجد السنة في الراكزة.

♦ **أبو الطيب ، طاهر بن يحي بن أبي الخير بن سالم العمراني (ت 587/ 1191) :-**

أصله من بلدة (سير) التي كان يسكنها قومه ، وُلِدَ في (ذي شـراق) عام (518 / 1124م) عالم محقق في فرع الفقه وأصوله، وله مشاركة قوية في علوم أخرى كالتاريخ وعلم الكلام وغيره .

تتلمذ على يد مجموعة من الفقهاء ومنهم والده يحيى ، وخلفه في حلقة مجلسه [52] .

كان شافعي الفروع أشعري العقيدة على عكس والده الذي كان حنبلي العقيدة ،

هاجر إلى مكة المكرمة طلباً للعلم من جهة ، وفراراً من حكم ابن مهدي الذي تغلب على معظم مناطق اليمن الأسفل في هذه المدة ، فأقام في مكة سبع سنين ، أخذ خلالها عن العديد من العلماء أمثال أبي علي الحسن بن علي الأنصاري ، وأبو حفص الميانشي (ت 582 / 1186) وعبد الدائم العسقلاني ، وأبي مشيرح الحضرمي [53] ، مما أدى ذلك إلى صقل معارفه وتوسع قدراته ، كما وصلت إليه الإجازات العلمية من عدد من الفقهاء من مختلف البلدان وهو في مكة.

وفي عام (566/ 1170) عاد إلى بلاده اليمن ، ومرّ بزبيد ، وفيها ناظر الفقيه الحنفي محمد بن أبي بكر المدحدح بحضور عبد النبي بن مهدي ، ثم وليَّ القضاء في ذي جبلة ونواحيها في عهد ابن مهدي السالف الذكر وظل في منصبه هذا حتى وصول الأيوبيين إلى اليمن الذين حلّوا محل ابن مهدى بعد القضاء على دولة ابن مهدي عام (569 / 1173) [54].

أثاره ومكانته العلمية :

ترك الإمام طاهر بن أبي الخير مؤلفات في فروع العلم المختلفة ، ففي علم الحديث صنف كتاب :

- معونة الطلاب في معاني كلام الشهاب [55].
- مقاصد اللمع في أصول الفقه [56] .
- الإحتجاج الشافي على المعاند في طلاق التنافي ، رَدَ بِه على الفقيه أبي بكر العبسي (ت 567 / 1171) الذي كان يرى عكس ذلك [57].
- جلاء الفكر في الرد على نفاة القدر في مجال علم الكلام .
- كسر قناة القدريه ردّ به على القاضي جعفر بن عبد السلام (ت 573 / 1177 م) .

وفي مجال التاريخ صنف الإمام طاهر كتاب عُرف باسم : تاريخ طاهر بن يحي العمراني [58] ، تناول فيه الأَحداث التاريخية علي المنهج الحولي مبتدءاً به منذ فجر الإسلام وحتى عصره ؛ ويعد هذا الكتاب من أوائل المصنفات التاريخية اليمنية في مجال الحوليات [59].

وفي مجال السير و الأخبار الّف كتاب : مناقب الإمامين الشافعي وابن حنبل [60].

أما مكانته العلمية :

فتتمثل بأقوال المعاصرين له سواءً من شيوخهِ أم من تلاميذهِ ، ولعلّ أشهر فقهاء عصره وأوسَعهُم ذكراً والده يحي بن أبي الخير العمراني الذي وصفه بقوله :

" طاهر فقيه ، سامي الذكر ، و إنما امات ذكره بلدُ السوء ... " وقوله : " .. والله لو يقدر الله لولدي طاهر الخروج إلى البلاد التي شرف بها العلم ليعلونّ درجة الإمامة .. " وقوله أيضاً : " .. والله إن ولدي هذا ـ يعني طاهراً ـ لعالم زمانه ، ولكن أخمله زمان السوء.." [61].

ومدحه أحد علماء حضرموت ببيت من الشعر أوردها المؤرخ الجندي بقوله :

أجل ما العلا الاّ لسيدها الحَبْرُ وما العلم إلاّ إرث آل أبي الخير [62].

- **الإمام زيد بن الحسن بن محمد بن ميمون الفائشي (ت 528/ 1133) :-**

الذي ألمّ بعلومٍ كثيرة منها علم القراءات و التفسير والحديث ، واللغة والنحو و الفقه و أصوله و علم الكلام ، وهي بهذه الكثرة تدل علي تنوع وتعدد شيوخه الذين أخذ عنهم حتى أنه عُرفَ بأنه رحالاً في طلب العلم [63] .

رحلاته العلمية:

ومن رحلاته الداخلية التي قام بها في طلب العلم :

رحلته إلى (المشيرق) وأخذ بها عن الفقيه أسعد بن الهيثم ، ورحل إلي (سَير) فتفقه بأبي إسحاق الصردفي ، ورحل إلى الظرافة الواقعة إلى الشرق من (سهفنة) وتفقه بابي بكر بن جعفر المحابي ، ورحل إلى تهامة وتفقه بالعلماء الوافدين إليها من أمثال الإمام ابن عبدويه ، وأخذ اللغة في (أحاظه)[64] عن الإمام عيسي بن إبراهيم الربعي في كتابه المشهور (نظام الغريب في اللغة) ، كما رحل إلي (ذي شراق) وتفقه بعلمائها بني ملامس وغيرهم[65] .

إمّا رحلاته الخارجية :

فكانت إلى مكة المكرمة التي جاور بها ولقي عدداً من العلماء فأخذَ عنهم ، ومن هؤلاء العلماء : الحسين بن علي الطبري (ت 495 / 1101) ومحمد بن هبة الله البندنيجي .(495 / 1101) أخذ عنه (التبصرة في علم الكلام) والقاضي أبو مخلد الطبري (ت487 / 1093) الذي أخذ عنه (علم القرآءات)[66] ، وعبد الملك بن أبي مسلم النهاوندي (ت 519 / 1125) وغيرهم .

ونظراً لكثرة شيوخه وتعدد رحلاته الداخلية والخارجية فقد كثرت علومه ، وتعددت مواهبه ،

وظهرت فضائله ، وجمعت خزانة كتبه من هذه العلوم ما يزيد علي خمسمائة كتاب ، فقصده طلاب العلم للأخذ عنه من مختلف أنحاء اليمن ، ومن أبرز تلاميذه : الإمام يحي بن أبي الخير العمراني (ت 558 / 1162) وعمر بن إسماعيل الجعامي (551 / 1156) والشيخ الحافظ علي بن أبي بكر العرشاني (ت 557 / 1161) [67] .

أثاره ومكانته العلمية :

على الرغم من شهرة الإمام زيد الفائشي ، ومعرفته بألوان مختلفة من العلوم الشرعية واللغوية كما ذَكر مترجموه ، إلاّ أننا لم نجد في مصاف آثاره العلمية سوى كتاب في الفقه سماه (التهذيب)[68] ويقع في مجلدين لطيفين كما يذكُر أحد مترجميه[69] ، اعتمد علي هذا الكتاب الفقيه أبو الحسن الأصبحي (ت 703 / 1303) في تأليف كتابه : (معين أهل التقوى على التدريس و الفتيا) .

وكتاب (شرح الوسيط) الذي يبدو من تسميته بأنه شرح لكتاب (الوسيط) للإمام الغزالي (ت 505/ 1111)[70].

كما برز في علم اللغة العربية وأسهم في مجال التدريس فيها ، وأخذ عنه عدد من الطلاب منهم الإمام ابن أبي الخير العمراني ، الفقيه عمر بن إسماعيل الجماعي ، وهما اللذان رويا عنه كتاب (غريب الحديث) في اللغة لأبي عبيد ، وكتاب (مختصر العين) للخوافي [71] .

أمّا في مجال الشعر فقد ذكر أحد المؤرخين اليمنيين [72] بأن له مع كمال العلم أشعاراً مستحسنة ، ومن ذلك قصيدة قالها في عتاب سلطان بني وائل [73] الذي عرض عليه منصب القضاء فرفض هذا المنصب ثم آثر الارتحال فعتب عليه السلطان في غيابه ، فلّما بلغه ذلك كتب إلى السلطان بهذهِ الأبيات :

الى أن لي مولى ، وقد خلت أنني أفارق طيب العيش حين أفارقه
جفاني فأقصاني بعيد جفاؤهُ وصرت بلحظٍ من بعيد أسارقه
وأرقب عقبى للوداد جميلة وصبراً إلى أن يرقع الخرق فاتقه
وما كان سيري لاختيار فراقه ولكنه ميلٌ إلى ما يوافقه

ولما وقف السلطان على هذهِ الأبيات أمر برده ، وقال حين عاد معتذراً له :

يا سيدي الفقيه أنا أستغفر الله من عتباك ، ووصله بمال وأرض جيدة [7] .

الإمام الحافظ علي بن أبي بكر العرشاني (ت 557 / 1161) :-

هو علي بن أبي بكر بن حمير بن تبع بن يوسف بن فضل الهمداني العرشاني [74] .

استمدت قرية عرشان شهرتها العلمية من شهرة الإمام الحافظ العرشاني الذي كان بداية تعلمه على يد

العديد من العلماء الأجِلاء في زمنه من أمثال :

الإمام زيد الفائشي السالف الذكر ، والفقيه اسعد بن ملامس ، والفقيه يحي بن عمر الملحمي ، والفقيه عبد الرحمن بن عثمان وغيرهم .

رحلاته العلمية :

انصب اهتمام العرشاني في علم الحديث خاصة ، ولذلك كان كثير الرحلة في طلبه ، فارتحل إلى (احاظة) فأخذ عن الإمام زيد الفائشي (ت 528 / 1133) ، كما أرتحل إلى (المشيرق)[75] وأخذ عن الفقيه أسعد بن ملامس ، وارتحل إلى (الملحمة) [76] وأخذ فيها عن الفقيه يحي بن عمر الملحمي ، ثم رحل إلى (ريمة) وفيها أخذ عن فقيهها المشهور في زمنه عبد الرحمن بن عثمان والفقيه أبي بكر بن الخطيب ، كما رحل إلى مدينة إب و الجند و عدن ، وعنه أخذ العديد من الفقهاء في علم الحديث خاصة ؛ وكان من أبرز من أخذ عنه الإمام بن أبي الخير العمراني (ت558 / 1162) وابنه طاهر (ت 587 / 1191) والإمام سيف السنة البريهي (ت 586 / 1190) وغيرهم كثير ، كانوا يرحلون إليه طلباً للعلم الى بلدته عرشان التي كان يعقد فيها مجالس السماع لعلم الحديث ، كما كان أهل الحديث في اليمن يحرصون على الأخذ عنه رغبةً في علمه و دينه وعلو سنده [77] .

آثاره ومكانته العلمية :

خلّفَ لنا الإمام العرشاني كتاباً في الحديث سماه : (الزلازل و الإشراط) وسماه ياقوت الحموي (شروط الساعة) ذكر فيه ما حدث في اليمن من الخسف والرجف [78]. ولم نعثر في كتب البولوغرافيا عن مؤلفات أخرى لهذا العالم عدا الكتاب السالف الذكر ، والمصادر التاريخية تشير إلى أن اهتمامه كان منصبً على علم الحديث خاصة ، كونه كان متقناً لمتنه ، عالماً بصحيحه ومعلوله ، عارفاً برواته ، كما وصفه معاصروه ، وكما وصفه أحد تلامذته بأنه : ما رأى أحفظ منه في الحديث ، ولأعرف منه ، قيل له : ولا في العراق ؟ قال : ما سمعت [79] .

وقال عنه المؤرخ الجعدي : (.. واليه يسند أكثر أصحابنا ، وعنه يروي جلة مشايخنا..) [80] ومن ذرية هذا الإمام خمسة أبناء تفقه منهم أربعة وخرج من أبنائهم كثير من الفقهاء والمحدثين والمؤرخين ، وبذا تكون ذرية العرشاني من أبرك ذراري الفقهاء كما وصفها أحد المؤرخين [81] .

ولعّل أشهر أبنائه :

أحمد بن علي بن أبي بكر العرشاني (ت607 / 1210) العالم المحقق في الفقه ، وله مشاركة في النحو واللغة والطب والتاريخ ، وصفه المؤرخ الجندي بأنه: (.. فقيهاً حاذقاً مصقعاً، وخطيباً فاضلاً ومؤرخاً ..) [82].

وليّ منصب القضاء في ذي جبله أيام السلطان الأيوبي سيف الإسلام طغتكين بن أيوب[83] اشتغل بمطالعة العلوم و التصنيف فيها ، وترك لنا من أثاره الأدبية والعملية :

- تاريخ من قدم اليمن من العلماء والوزراء والشعراء وسواهم.
- تاريخ اليمن وصفاتها ومن ملكها .
- ذيل تاريخ الطبري جزءآن .
- ذيل تاريخ القضاعي من زمن الحاكم بأمر الله إلي أيام المستنصر(411 ـــ487 / 1020ـــ 1094).
- كتاب من داخل اليمن من الصحابة [84].

♦ إبن سَمرة الجعدي (ت 586 / 1190) :-

هو عمر بن علي بن سَمُرَة بن الحسين بن سمرة بن الهيثم بن أبي العشيرة بن سعيد الجعدي [85] ، ولد في قرية أنامر [86] ، عام (547 هـ / 1153م) نشأ في هذه القرية وتعَلمَ القرآن الكريم ، ثم انتقل إلى مدينة الجند التي كانت آهلة بالعلماء وتفقه بها على عدد من العلماء أشهرهم علي بن أحمد اليهاقري ، وزيد بن عبدا لله الهمداني ، وسالم بن مهدي بن قحطان الأخضري ، وأخذ في الفقه والحديث واللغة عن محمد بن موسى العمراني ، وطاهر بن يحيى العمراني وجماعة غيرهم .

انتقل والده إلى اكمة زبران عام (563هـ/ 1186 م) ومعه أولاده وهو منهم ، تولي القضاء في أبين عام(585) ودخل عدن عام (581 / 1186) وحج إلى مكة مبحراً من عدن ، وزار جزيرة كمران في ذهابه وإيابه[87] .

أثاره ومكانته العلمية :

يعد إبن سمرة الجعدي العالم والمحقق والفقيه والمؤرخ من أشهر المؤرخين اليمنيين ، وتعد كتبه: (طبقات فقهاء اليمن ، وعيون من أخبار سادات ورؤساء الزمن ومعرفة أنسابهم ، ومعرفة أعمارهم ووقت وفاتهم)[88] ، من أشهر مؤلفات التاريخ اليمني في عصره وحتى وقتنا الحاضر .

قصد ابن سمرة بتأليف كتابه هذا أن يعرف كل فقيه يمني حال اليمن منذُ . الرسول (ص) إلى وقته هو[89] وتضمن ذكر كل من تولى الأحكام والقضاء والفقه في هذه الفترة من الزمن ، مع إيراد ما أمكنه الحصول عليه من أخبارهم وحياتهم ومصنفاتهم ، وأهم الحوادث التاريخية المتصلة بذلك ، معتمداً على عدة مصادر سواءً كتابيةً أو شفويةً عن طريق شيوخه ومرويا ته من الأخبار ، حتى إذا ما وصل للحديث عن معاصريه كانت تراجمه في

هذا الباب ذات محتوى أخبارٍ هامة أُعتبرت أساساً لجميع من جاء بعده من المؤرخين والفقهاء[90] .

ومن الجدير بالذكر أن ابن سمرة اهتم بالترجمة لفقهاء الشافعية في اليمن الأسفل الـذي كـان مركـزاً للفقـه الشافعي ، مع ذكر تاريخ دخول المذهب الشافعي إلى اليمن وكيفية انتشاره .

ورتب أبن سمرة كتابه هذا على سبع طبقات ، ابتداء بعصـر الرسول (ص) الى عصـره [91] .

ثم الحق بأخر الكتاب فصلاً تضمن تراجم الفقهاء بحسب بلدانهم [92] وهي طريقة لم ينتهجها أحد قبله من المؤرخين اليمنيين ؛ وسار على نهجه المؤرخون الذين أُعقبوه من مثل الجندي ، الأهدل .

كما يعد هذا الكتاب من أقدم كتب الطبقات اليمنية المعروفة .

أما مكانته العلمية :

فتتمثل في الصدارة التي أحتلها في مصاف المؤرخين اليمنيين وفي مؤلفاتهم وفي كثـرة النقـولات عنـه ، وقد وصفه الجندي بقوله : (.. وهو شيخي في جمع هذا الكتاب – يقصد كتابه السلوك – ولولا كتابه لم أهتد إلى ما ألفت ، فلقد أبقى لأهل اليمن الفقهاء ذكراً ، وشـرحً لذوي الأفكار صدراً ،) [93] .

كما وصفه آخر ، بأنه :

(.. يحوي لمحات تاريخية على الأحداث السياسية لا يُستغنى عنها ، وهي بمثابـة الشـذرات الذهبيـة في القلائد المنظمة بنفائس الأعلاق و كالجواهر اليتيمة في العقد الفريد ، وبحيث لا توجد في غيرها مما قد عثرنا عليه من تواريخنا ..) [94] .

الخـــاتمة :

خلُص هذا البحث إلى مجموعة من النتائج منها ماورد ضمناً في هذا البحث ، ومنهـا مـا نـورده هنـا ، والتي من أهمها :

1 – إن هذه الدراسة عن إسهامات علماء إب في القرن السادس الهجري قدمت كشفاً جديداً لحقبة تاريخيـة معينـة تمثل ذلك في أن المخلاف الأخضـر مابين سُماره و الجند و حبيش و العدين كان زاخراً بالعلم ، وكانت قـراه ومراكزه العلمية – التي أصبحت الآن أطلالاً – حية بالمعاهد و المـدارس والعلـماء والشـعراء خـلال القـرن السادس الهجري ، والتي من أهمها : قرى (سَير) و (ذي السفال) و (ذي الحفر) و (وزبـران) و (أحاظـة) و (الجند) و (سهفنة) و (و ذي شـراق) .

2- أسهم علماء إب في القرن السادس الهجري في المجال الفكري وعلى وجه الخصوص في مجال العلوم الشرعية (حديث - فقه - أصول الفقه) والعلوم المساعدة لها من مثل علوم اللغة والنحو و التاريخ وعلم الكلام . وحظي علم أصول الفقه بالعناية الكبرى وبخاصة بعد ظهور كتاب البيان في الفقه الشافعي لمؤلفه الإمام يحي بن أبي الخير العمراني ، والذي لقي رواجاً كبيراً في مختلف المراكز العلمية اليمنية و خارجها : أمّا العلوم الأخرى المتمثلة بالجانب العلمي والفلسفي فقد كانت – كما تبين لنا – قليلة الأهمية كونها لم تشمل سوى دراسات قليلة في الرياضيات والفلك والمنطق ، مما يعطي استنتاجا يفيد بأن الاهتمام كان منصباً على العلوم الشرعية والعلوم المساعدة لها في الأغلب الأعم .

3- تبين من خلال الدراسة الأهمية التي أولاها علماء إب في القرن السادس الهجري لعلم التاريخ وتحديداً كتب الطبقات وهي التي تترجم لفقهاء اليمن والأحداث التاريخية التي عاصروها ، وهي تقدم بذلك مادة تاريخية متسلسلة ومهمة لتاريخ اليمن ، ويمثل إبن سَمرة الجعدي وكتابه طبقات فقهاء اليمن خير دليل على هذا التوجه .

4- حرص علماء إب على السعي في طلب العلم وتنقلوا بين المراكز العلمية المختلفة داخل اليمن و خارجها من خلال الرحلات العلمية التي قاموا بها إدراكاً منهم لما للرحلة في طلب العلم من أهمية في التحصيل العلمي من ناحية ، وتوطيد عرى الروابط الفكرية القائمة بين اليمن وبقية المراكز العلمية الأخرى مثل مكة و المدينة المنورة من ناحية أخرى .

قائمة المصادر والمراجع :

- ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد (ت 808 / 1419) المقدمة ، تحقيق أبو مازن المصري وأخرون ، المكتبة التوفيقية ، د.ت.
- ابن الديبع ، عبدالرحمن بن على (ت 944/ 1536) قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، المطبعة السلفية ، د.ت .
- ابن الصلاح ، تقي الدين عثمان (ت 643 / 1245) مقدمة إبن الصلاح ومحاسن الإصطلاح ، تحقيق عائشة عبدالرحمن ، دارالكتب ، 1974م .
- الجرجاني ، علي بن محمد بن علي (816 / 1413) التعريفات ، تحقيق إبراهيم الابياري ، بيروت ، 1985م .
- الجعدي ، عمر بن علي بن سَمُرَة (ت 586 / 1163) طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سيد ، دار القلم ، بيروت ، د.ت.
- الجندي ، محمد بن يوسف بن يعقوب (ت 732 / 1332) السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، وزارة الثقافة والأعلام ، 1983م ، ح1 ، 1989، ح2 .

- الحرضي ، يحي بن أبي بكر (ت 893 / 1488) غربال الزمان في وفيات الأعيان ، تحقيق محمد ناجي العمر ، دمشق ، 1985م .
- الحموي ، ياقوت بن عبد الله (ت 626 / 1228) معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت.
- الحنبلي ، عبد الحي ، (ت 1089 / 1678) شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب ، تحقيق الأرناؤوط ، دمشق ، 1986م.
- الخزرجي ، علي أبو الحسن (ت 812/ 1410) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، القاهرة.
- الأسنوي ، جمال الدين عبدالرحيم (ت 772 / 1370) طبقات الشافعية ، تحقيق عبدالله الجبوري ، بغداد ، 1971م .
- الشـرجي ، أحمد بن عبداللطيف (ت 893 / 1487) طبقات الخواحي أهل الصدق والإخلاص ، الدار اليمنية، 1986م .
- العمراني ، يحي بن أبي الخير (ت 558 / 1163) البيان في مذهب الإمام الشافعي ، تحقيق قاسم محمد النوري ، دار المنهاج ، د.ت .
- الهمداني ، الحسن بن يعقوب (ت مابعد 344 / 955) صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، صنعاء ، 1990م.
- اليافعي ، عبدالله بن أسعد (ت 768 / 1366) مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، 1992 م .
- الأكوع ، إسماعيل بن علي ، هجر العلم ومعاقله في اليمن ، دار الفكر ، بيروت 1995م .
- الحبشي ، عبدالله محمد ، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، صنعاء ، د.ت.
- الدجيلي ، محمد رضا حسن ، الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري ، منشورات جامعة البصـرة ، 1985م .
- سيد ، فؤاد أيمن ، مصادر تاريخ اليمن في العصـر الإسلامي ، القاهرة ، 1973م ـــــــ ، تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى القرن السادس الهجري ،الدار المصـرية اللبنانية ، 1988 م .
- الشامي ، أحمد بن محمد ، تاريخ اليمن الفكري في العصـر العباسي ، دار النفائس ، بيروت ، 1987م .
- المقحفي ، إبراهيم أحمد ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، دار الكلمة ، صنعاء ، ط3 ، 1988 م .
- الوشلي ، عبدالله قاسم ، علم الحديث في اليمن والعناية اليمانية بالجامع الصحيح ، صنعاء ، 1988م .

ثانياً : الرسائل العلمية والدوريات :

- السـروري ، محمد عبده ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة (429-626) رسالة دكتوراة غير منشورة ، القاهرة ، 1997م .
- سلمان ، محمد علي ، يحي بن أبي الخير العمراني وآراؤه الإعتقادية ، رسالة ماجستير ، جامعة صدام للعلوم الإسلامية ، 2001م .

-السنيدي ، عبدالعزيز بن راشد ، المدارس وأثرها على الحياة العلمية في عصر الدولة الرسولية ، جامعة الإيمان محمد بن سعود ، 1990م .

- الفرفور ، محمد عبداللطيف " أدب الإجازات عند العلماء المسلمين " ، الفيصل ، مجلة ، العدد (79) محرم عام 1404هـ .

- الفضلي ، شوقي درهم ، الحياة العلمية في أقليم جبلة في العهد الصليحي ، جامعة أسيوط ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، 2005 م .

- المقرمي ، سفيان عثمان ، " المدارس الإسلامية في مدينة إب وملحقاتها في العصر بين الأيوبي والرسولي "، الباحث الجامعي ، مجلة ، جامعة إب ، العدد الثامن ، 2005 م .

- هدو ، حميد ، مخطوطات مجلة الخليج العربي ، مج 21 ، السنة 1980 م .

الهوامش

1 – ينظر مصادر ترجمته في :
الجعدي ، عمر بن علي بن سمَره (ت 586 هـ/ 1163م) ، طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سيد ، دار القلم ، بيروت ، د.ت ، ص 174 وما بعدها ؛ الجندي ، محمد بن يوسف بن يعقوب (ت 732هـ/ 1332م)، السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، ج1 ص 339 وما بعدها ؛ الشرجي ، أحمد بن عبد اللطيف (ت 893 هـ/ 1487م)، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص ، الدار اليمنية ، 1986م ، ص363 ؛ الأسنوي ، جمال الدين عبد الرحيم (ت 772/ 1370) ، طبقات الشافعية ، تحقيق عبد الله الجبوري ، بغداد ، 1971م ، ج1 ، ص 212 ؛ الحرظي ، يحي بن أبي بكر (ت 893 هـ/ 1488م) ، غربال الزمان ، دمشق ، 1985م ؛ الحنبلي ، عبد الحي (ت 1089هـ/ 1678م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق الأرناؤوط ، دمشق ، 1986، ج4 ، ص 185 ؛ الأكوع ، إسماعيل بن علي ، هجر العلم ومعاقله في اليمن ، دار الفكر، بيروت ، 1995م ، ج4 ، ص 2063 ؛ الشامي ، أحمد بن محمد ، تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ، دار النفائس ، بيروت ، 1987م ، ج1 ، ص521.

2 – سَيْرْ : على وزن طير : معقل شهير من معاقل العلم في اليمن ، تقع في وادي مخلاف صهبان من أعمال لواء إب إلى الشمال الشرقي من الجند ، وهي غير سِيَرَه بكسر السين التي هي عزلة من مخلاف بعدان . الأكوع ، الهجر، ج4، ص2064.

3 – ذي السفال: بالسين المشددة المكسورة : مدينة إلى الجنوب من إب بمسافة تقدر بحوالي 45 كم ، إلى السفح الجنوبي من جبل التعكر . المقحفي ، إبراهيم أحمد ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، دار الكلمة ، صنعاء ، 1988م ، ط3 ، ص 316.

4 – ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/ 1419م) ، المقدمة : تحقيق أبو مازن المصري وآخرون ، المكتبة التوفيقية ، د.ت ، ص 624 ؛ المقرمي ، سفيان عثمان ، المدارس الإسلامية في مدينة إب وملحقاتها في العصرين الأيوبي والرسولي ، مجلة الباحث الجامعي ، جامعة إب ، العدد الثامن ، السنة 2005 ، ص 297.

5 – ينظر الخارطة المرفقة في الملحق ، وهي قرية تقع أسفل عقبة إب في منطقة الذهوب ، المقحفي ، مصدر سابق ، ص663.

6 – الجعدي ، مصدر سابق ، ص 152 وما بعدها.

7 – ينظر موقعها في الخارطة بالملحق ، ووحاظة بضم الوواو ، ويقال فيها أحاظة بالهمزة مضمومة بلدة تقع في جبل حبيش شمال إب ، وتنسب إلى قبيلة أحاظة من ذي الكلاع من حمير ، ووصفها مؤرخ اليمن ولسانها الهمداني في القرن الرابع الهجري وقال بأنها ((قصر فائش)) وينسب لها اللغوي عيسى بن إبراهيم الربعي الوحاظي مؤلف كتاب ((نظام الغريب في اللغة)) . المقحفي ، مصدر سابق، ص692؛ الهمداني ، الحسن بن يعقوب (ت ما بعد 344هـ/ 955م) ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد الأكوع ، صنعاء، 1990، ص 148.

8 – سهفنة : بفتح السين المهملة ، وسكون الهاء وفتح الفاء والنون ، قرية عامرة شمالي الجند بالقرب من القاعدة على الطريق منها إلى ذي السفال ، وتدعى

اليوم (سفنة) بحذف الهاء ، وينسب إليها العلامة ، القاسم بن محمد الجمحي القرشي السهفني (ت 437هـ/ 1046م) وهو الذي انتشر عليه مذهب الإمام الشافعي في بلاد اليمن . المقحفي ، مصدر سابق ، ص 330 .

9 – الجعدي ، مصدر سابق ، ص 175.

10 – ذي اشرق : بلدة أثرية في سفح جبل التعكر بالجنوب الغربي من إب وأعلى وادي نخلان من ذي الكلاع ، ويقال لها ذي شراقه ، المقحفي ، مصدر سابق ، ص32.

11 – الإجازة : مأخوذة في اللغة من جواز الماء ، واستجاز بمعنى طلب الإجازة أي الإذن . ويقصد بالإجازة العلمية الشهادة التي يمنحها مشائخ العلم لطلابهم يحق لهم من خلالها أو تجيز لهم الرواية عن لسانهم في أمر محدد أو غير محدد، وهي أشبه بالدرجة العلمية أو الشهادة التي يحصل عليها الطلاب اليوم . ولإجازة أنواع منها : إجازة سماع ، إجازة بكتاب ، إجازة بمؤلفات عالم وإجازته ، إجازة عامة....إلخ.

ابن الصلاح ، تقي الدين عثمان (ت643هـ/ 1245م) ، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1978، ص 78؛ الفرفور، محمد عبد الطيف ، أدب الإجازات عند علماء المسلمين ، مجلة الفيصل ، العدد (79) ، محرم 1404ه ، ص69 ؛ السنيدي ، عبد العزيز بن راشد ، المدارس وآثرها على الحياة العلمية في عصر الدولة الرسولية ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، كلية العلوم الاجتماعية ، 1990، ص289 ؛ السروري ، محمد عبده الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة(429– 626هـ) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، 1997، ص631.

12 – السروري ، مصدر سابق ، ص683 ؛ الجعدي ، مصدر سابق ، ص 176.

13 – سيد، أيمن فؤاد، تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري ، الدار المصرية اللبنانية ، 1988م ، ص68 ، 69، 77.

14 – ضراس : قرية من عزلة نخلان الشهيرة ، ناحية السياني . المقحفي ، مصدر سابق ، ص396.

15 – منه نسخة كاملة في دار الكتب المصرية ، رقم 25 فقه شافعي ، وأخرى في مكتبة أحمد الثالث باسطنبول رقم 671 ، وتوجد منه نسخة غير كاملة في خزانة الأوقاف بالجامع الكبير بصنعاء . ونسخة أخرى في مكتبة المؤرخ محمد بن يحي الحداد في مدينة إب . ينظر: الأكوع ، الهجر ، مصدر سابق، ج4، ص 2066 ؛ أيمن سيد ، تاريخ المذاهب ، مصدر سابق ، ص68؛ السروري ، مصدر سابق ، ص 648 ؛ الشامي ، مصدر سابق ، ج1، ص522 ، حميدو هدو ، مخطوطات مجلة الخليج العربي ، م 12 السنة 1980، ص50. وأخيراً طبع هذا الكتاب ونشر في دار المنهاج بعناية وتحقيق قاسم محمد النوري ، ويقع في أحد عشر مجلداً . العمراني ، يحي بن أبي الخير (ت 558 / 1163) ، البيان في مذهب الإمام الشافعي ، تحقيق قاسم محمد النوري ، دار المنهاج ، ح1 ، ص 129 .

16 – الجندي ، السلوك ، مصدر سابق ، ج1، ص345 ؛ السروري ، مصدر سابق ، ص 684. وعلوان هو والد الأديب والزاهد والقاضي أحمد بن علوان ت 665.

17 – الجعدي ، مصدر سابق ، ص 182 ؛ السروري ، مصدر ، ص 684.

18 – أيمن سيد ، تاريخ المذاهب ، مصدر سابق ، ص 69 ؛ الجندي ، السلوك ، ج1، ص342.

19 – توجد منه نسخة في مكتبة القاضي محمد بن يحي الحداد في مدينة إب ؛ الأكوع ، الهجر ، مصدر سابق ، ج4، ص 2066. والقاضي جعفر هو: جعفر بن أحمد بن يحي بن عبد السلام البهلولي الأبناوي ، شيخ الزيدية وعالمها ومتكلمها ومحدثها ، كان من علماء المطرفية ، ثم تحول من المطرفية إلى مذهب الهادوية ، سافر إلى العراق وتفقه هناك على من تبقى من الزيدية في العراق الذين تحولوا إلى الإعتزال بعد أن أنتشر في تلك الأصقاع ، فتفقه بشيوخ هذا المذهب ، ولما عاد من العراق عام 554هـ/ 1156م حمل معه كثيراً من كتب المعتزلة إلى اليمن وعكف على دراسة مذهب الإعتزال في اليمن ت 573هـ/ 1177م . الجعدي ، مصدر سابق ، ص 180 ؛ الأكوع ، مصدر سابق ،ج2 ، ص 955 وما بعدها ؛ ينظر: الجندي ، مصدر سابق ، ج1، ص 295 وما بعدها ؛ حُقق هذا الكتاب في المدينة المنورة عام 1999م .

20 – ينظر: الجندي، مصدر سابق، ج1، ص 295 وما بعدها.

21 – اليافعي ، عبد الله بن اسعد (ت768هـ/ 1366م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج3 ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، 1992م ، ص 338 .

22 – محمد علي سلمان، يحي بن أبي الخير وآراؤه الاعتقادية ، رسالة ماجستير ، كلية الفكر الإسلامي في جامعة صدام للعلوم الإسلامية ، 2001م ، ص65 ؛ شوقي الفضلي ، الحياة العلمية في أقليم جبلة في العهد الصليحي ، جامعة أسيوط ، كلية الأداب ، قسم التاريخ ، 2005م، ص246.

23 – الدور هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه ، يقال: دارت المسألة أي كلما تعلقت بمحل توقف ثبوت الحكم على غيره فينتقل إليه ، ثم يتوقف على الأول وهو في علم أصول الفقه. ينظر: الجرجاني ، علي ابن محمد ابن علي (ت816هـ/ 1413م) ، التعريفات ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، بيروت ، 1985م ، ج1، ص140.

24 – الجندي ، السلوك ، مصدر سابق ، ج1، ص 298.

25 – المصدر نفسه، ص 298 ؛ الفضلي ، مصدر سابق ، ص 245.

26 – هو الإمام زيد بن الحسن الفائش (ت 528هـ/ ص1113).

27 – الجعدي ، مصدر سابق ، ص 159؛ الشامي ، مصدر سابق ، ج4، ص528.

28 – وهو العالم المحقق داود بن عبد الله بن يحي الهمداني (ت829) . ينظر: الأكوع ، الهجر ، مصدر سابق ، ج4، ص 2145.

29 – هو أحمد بن محمد البريهي ، (ت586هـ/ 1191م) وستأتي ترجمته.

30 – الجندي ، السلوك ، ج1، ص 323.

31 – الجعدي ، مصدر سابق ، 217.

32 – الجندي ، مصدر سابق ، ج1، ص298.

33 – الجندي نفس المصدر والصفحة ، الدجيلي ، محمد رضا حسن ، الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري ، 1985م ، جامعة البصرة ، ص 131 – 132.

34 – ينظر مصادر ترجمته في المصادر الآتية: الجعدي ، مصدر سابق ، ص 190 وما بعدها ؛ الجندي ، مصدر سابق ، ج1، ص 267 : 272؛ الشامي ، مصدر سابق ، ج4 ، ص 531 : 533 ؛ السروري ، مصدر سابق ، ص 614: 615 ، ص 619 ، ص 642 ، ص685، ص687 ؛ الفضلي ، مصدر سابق ، ص 74 ، ص133 ، ص 180، ص 280.

35 – الجندي ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 397 ؛ الفضلي ، مصدر سابق ، ص 75.

36 – ابن خلدون ، المقدمة ، مصدر سابق ، ص 514.

37 – الوشلي ، عبد الله قاسم ، علم الحديث في اليمن والعناية اليمنية بالجامع الصحيح...، صنعاء ، 1988م ، ص51.

38 – الجند : أحد أسواق العرب المشهورة في الجاهلية والإسلام ، تقع شمال شرق مدينة تعز بحوالي 22 كم ينسب لها طاووس بن كيسان. المقحفي ، مصدر سابق ، ص 130.

39 – الجندي ، مصدر سابق ، ج1، ص319 ؛ الجعدي ، مصدر سابق ، ص191؛ السروري ، مصدر سابق ، ص 615.

40 – ظبا : إلى الجنوب من مدينة جبلة . المقحفي ، مصدر سابق ، ص393 ؛ السروري ، مصدر سابق ، ص 685.

41 – الجندي ، مصدر سابق ، ج1، ص 322 ؛ الفضلي ، مصدر سابق ، ص 149.

42 – ينظر تعريف الإجازة في مبحث الإمام العمراني من هذا البحث.

43 – الجندي ، السلوك ، ج 1، ص 319.

44 – ينظر: الجعدي ، مصدر سابق ، ص190 ؛ الجندي، السلوك ، ج 1، ص 320، ص 369.

45 – الجندي ، السلوك ، ج 1، ص 367 ، ص 318.

46 – الجندي ، السلوك ، ج 1، ص 367 ، ص 322 ؛ الدجيلي ، مصدر سابق ، ص194.

47 – يقع هذا المسجد في مدينة إب إلى الشمال منها ، وهو الذي قام ببنائه في جوار المنزل الذي كان يسكنه ، وفي المنطقة المعروفة اليوم بالراكزة ، ويعرف بهذه التسمية حتى يومنا هذا عند المعمرين من أبناء مدينة إب .ينظر الملحق رقم 2 ، 3 ، 4 .

48 – الجندي ، مصدر سابق ، ج1، ص 371 ؛ السروري ، مصدر سابق ، ص 786.

49 – الجندي ، السلوك ، ج1، ص 368، ص 372 ؛ السروري ، مصدر سابق ، ص 787.

50 – ابن الديبع ، عبد الرحمن بن علي (ت944هـ/ 1536م) ، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق محمد الأكوع ، المطبعة السلفية ، د.ت ، ص 362: 363 .

51 – ينظر الأبيات الشعرية السالفة في:الجندي ، مصدر سابق ، ج1، ص 323 ؛ الجعدي ، مصدر سابق ، 191؛ الفضلي ، مصدر سابق ، ص267 ؛ الأكوع ، هجر العلم ، مصدر سابق ، ج4 ، ص 2066 ، ص 2135.

52– ينظر مصادر ترجمته في :

الجعدي ، مصدر سابق ، ص(187، 188، 189) ، الجندي ، مصدر سابق ، ح1 ، ص(283 ، 340 ،389) .

الاكوع ، هجر العلم ، مصدر سابق ، ح4 ص(2068) ، الشامي ، مصدر سابق ، ح4 ، ص(536) ، ح3 ، ص(292) أيمن سيد ، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، القاهرة 1973 م ، ص(112) ، السروري ، مصدر سابق ، ص(653 ، 660) ، الدجيلي ، مصدر سابق ، ص(132، 155، 195) الفضلي ، مصدر سابق ، ص(84 ، 133، 279) .

53 – الجعدي ، مصدر سابق ، ص(187) .

54 – الاكوع ، الهجر ، مصدر سابق ، ح4 ، ص(2069) .

55– المقصود بالشهاب هو : كتاب شهاب الأخبار نسبةً لمؤلفه : محمد بن سلامة القضاعي (ت 454 – 1062) ، يشتمل علي أحاديث نبوية في المواعظ و الآداب ، ينظر : الحبشي ، عبد الله محمد ، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ، د . ت. ، ص (40) ، الفضلي ، مصدر سابق ، ص(239) .

56 – الجعدي ، مصدر سابق ، ص(188) ، الجندي ، مصدر سابق ، ح1 ، ص(338) .

57 الجندي ، مصدر سابق ، ح1 ، ص(355) .

58 توجد منه نسخة في مكتبة المؤرخ و المحقق اليمني محمد بن علي الاكوع رحمه الله ينظر : ايمن سيد ، مصادر ، مصدر سابق ، ص(112) .

59 الدجيلي ، مصدر سابق ، ص(156) ، الفضلي ، مصدر سابق ، ص(275).

60 الجعدي ، مصدر سابق ، ص(188)، الجندي ، مصدر سابق ، ح1 ، ص(338).

61 الجعدي ، مصدر سابق ، ص(186ـــ 189) ، الجندي ، ح1 ، ص (337) .

62 الجندي ، مصدر سابق ،ح1 ، ص(390) .

63– ينظر مصادر ترجمته في :

الجعدي ، مصدر سابق ، 157 ، الجندي ، مصدر سابق ، ح1 ، ص(285) ، الاكوع ، هجر العلم ، مصدر سابق ، ح1، (389)، الشامي ، مصدر سابق ، ح1 ، ص(513) ، السروري ، مصدر سابق ، ص (612 – 643 – 644 – 652) ، الدجيلي ، مصدر سابق ، ص(75–92) ، الفضلي ، مصدر سابق ، ص(80–81–96–242) .

64 – سبق التعريف بها في مبحث الإمام ابن أبي الخير العمراني من هذا البحث .

65– الجعدي ، المصدر السابق ، ص(157)، الجندي ، مصدر سابق ، ح 1، ص (256)، السروري، ص (644) .

66– الجندي ، مصدر سابق ، ح1 ، ص (48).

67– الجندي مصدر سابق ، ح1 ، ص(268،304) ، الجعدي ، ص(157) .

68– الجعدي ، مصدر سابق ، ص (158) .

69– الجندي ، السلوك ، مصدر سابق ، ح1 ، ص (286) .

70– الدجيلي ، مصدر سابق ، ص 130 ، شوقي الفضلي ، مصدر سابق ، ص(242) ، السروري ، مصدر سابق ، ص (653).

71- الجعدي ، مصدر سابق ، ص (156) ، الجندي ، مصدر سابق ، ح1 ، ص(294)، الفضلي ، مصدر سابق ، ص (255) .

72- هو أسعد بن وائل بن عيسى صاحب أحاظة (ت 515 / 1121) الذي وصف بأنه : صاحب الكرم العريض والثناء المستفيض . ينظر ، الجعدي ، مصدر سابق ، ص (155 ،159) .

73- الجندي ، مصدر سابق ، ح1 ، ص (286/287) ، الأكوع ، الهجر ، ح1 ، ص (389) ، الفضلي ، مصدر سابق ، ص (267) .

74- العرشاني : نسبةً إلى عرشان بفتح العين والراء والشين ، وهي قرية عامرة من عزلة المكتب من أعمال ناحية جبلة ، ثم من أعمال إب ، تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة جبلة التاريخية على مسافة بضع كيلومترات ، وكانت في المدة موضوع الدراسة من مراكز العلم المقصودة لطلاب العلم . ينظر : المقحفي ، مصدر سابق ، ص (438) ، الأكوع ، هاجر العلم ، ح 3 ، ص(1417) .

75- المشيرق : على وزن مفيعل ، تصغير مشرق ، وهي عزلة من ناحية حبيش ، وأعمال إب ، وهي من النواحي القديمة والغنية بالعلماء في هذه المدة .ينظر: المقحفي ، مصدر سابق ، ص (599) .

76- الملحمة : قرية تقع أسفل حصن شواحط في عزلة السحول ناحية المخادر ، المقحفي ، مصدر سابق ، ص (628) .

77- الجعدي ، مصدر سابق ، ص 171 ، الجندي ، السلوك ، ح1 ، ص (304) ، السروري ، مصدر سابق ، ص (644) ، الفضلي ، مصدر سابق ، ص (124/147) .

78 الحموي ، ياقوت بن عبد الله (ت 626 / 1228) معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، د . ت ، ح2 ، ص (151) ، الحبشي ، مصادر الفكر ، مصدر سابق ، ص (406) ، السروري ، مصدر سابق ، ص (650) ، الفضلي ، مصدر سابق ، ص (238) . الأكوع ، هاجر العلم ، مصدر سابق ، ح3 ، ص (1418) .

79 هو يحيى بن أبي الخير العمراني (ت 558 / 1162) .

80 الجعدي ، مصدر سابق ، ص 171 .

81 الجندي ، مصدر سابق ، ح1 ، ص 304/305 .

82 المصدر نفسه ، ح1 ، ص 365 .

83 الجعدي ، مصدر سابق ، ص 236 .

84- ينظر : الحبشي ، مصادر ، ص 408 ، الدجيلي ، الحياة الفكرية ، ص 159 ، الأكوع ، الهجر ، ح3 ، ص 1418 ، الفضلي ، مصدر سابق ، ص 275 ، السروري ، مصدر سابق ، ص 660 .

85- الجعدي ، مصدر سابق ، ص(1 – 4) .

86- أنامر : هي أحد قرى العوادر القديمة في مشرق الجند ، ينظر : الأكوع ، هجر العلم ، مصدر سابق ، ح1 ، ص(118،119).

87- ينظر : الجعدي ، مصدر سابق ، ص(233/190/223/127).

88- قام بتحقيق هذا الكتاب المرحوم فؤاد سيد عام 1957 م و نُشر في بيروت دار القلم .و وضع المؤرخ اليمني محمد بن الحسن بن علي (ت 667 هـ) ذيلاً على طبقات ابن سمرة . ينظر : الخزرجي ، علي أبو الحسن (ت 812 هـ/ 1410 م) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، القاهرة ، ح1 ، ص(172 ،173) .

89- الجعدي ، مصدر سابق ، ص 142 ، أيمن فؤاد سيد ، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، مصدر سابق ، ص(111).

90 - يراجع مقدمة المحقق ، ص هـ .

91 الجعدي ، مصدر سابق ، ص 142 .

92 المصدر نفسه ، ص 220 – 248 ، الدجيلي ، ص 157.

93 الجندي ، السلوك ، ح1 ، ص 538 ، ص 72 .

94 الأكوع ، محمد بن علي ، مقدمة كتاب السلوك ، ح1 ، ص 18 ،19 .

دور الأستاذ الجامعي العربي في مواجهة تحديات العولمة في القـرن الحادي والعشرين

د. محمد فائز محمد عادل *

المقدمة:

شهد العالم خلال النصف الثاني من القرن العشرين تطوراً علمياً وتقنياً هائلاً. أدى إلى إحداث تغيرات، وتحـولات جذريـة في حيـاة المجتمعـات المعـاصرة، بجميـع أبعادهـا الاجتماعيـة، والاقتصـادية، والثقافيـة، والسياسية،والتكنولوجية. وقد تزامنت تلك التحولات، و التغيرات، مع بروز العولمة كظاهرة تسـعى إلى إضـفاء طابعها على الثقافات، والهويات، والأسواق، والاقتصاديات، والاستثمارات، وأنماط التفكير، والسلوك، والذوق، والاستهلاك، والدعاية، والإعلام، والمعلومات المتمثلة بشبكة الانترنـت التـي أصـبحت شـبكة عالميـة، تجـاوزت الحدود الجغرافية، واختلاف الزمن، واختلاف الثقافات، وتعدد اللغات. و أصبحت تشكل تحدياً حقيقياً للمجتمع العربي، والإسلامي. لأنها قادمة من الغرب من مجتمعات متقدمة تكنولوجيـا، وحضـارياً، و ثقافيـاً، ومتجهـة إلى مجتمعات نامية، ومجزئة .إلى دويلات ومتخلفة في نظامها التعليمي. بهدف عولمتها. وهذا التحدي لا يخلو من مخاطر على تلك الدول.

وبما أنَّ الجامعات مؤسسات علمية مستقلة، تستمد هويتها، وشرعية وجودها في المجتمع من رسـالتها المعرفية، المتمثلة في نشر المعرفة، ونقل تراث المجتمع العلمي، والفكري،والثقافي إلى المتعلمـين، وذلـك مـن أجـل الحفاظ على هوية المجتمع الفكرية، والثقافية، وإعداد أبنائه للحياة العلميـة، إعـداداً علميـاً مهنيـاً تخصصـياً رفيـع المستوى، بالإضافة إلى اكتشاف معارف، وابتكارات علمية جديدة من أجل تكوين ثروة معرفية، وعلمية تهدف إلى منفعة المجتمع، وتلبية احتياجاته، ومتطلباته، وتسهم في تنميته، وتقدمه، ورقيه. الأمر الذي جعل الـبعض يصـفها بأنَّها المحرك الأساس للنمو الاقتصادي، والتقدم الاجتماعي، والمصدر الجـوهري لبنـاء كيـان المجتمـع الفكـري، والمعرفي. ويعد أساتذة الجامعات، الثروة الحقيقية للجامعات، وأثمن مواردهـا، لأنهـم مصـدر العطـاء العلمـي، والمعرفي، والإبداع الفكري في الجامعات. فمـن خـلال جهـودهم، وتفـانيهم، واسـتثمارهم لـوقتهم، وطاقـاتهم، وفكرهم، سواء في مجال التدريس أو مجال البحث العلمي، تسـتطيع الجامعـات القيـام بوظائفهـا بشـكل إيجـابي، وفعال. لأنّ نوعية الجامعات، تتحدد من خلال نوعية أعضاء هيئة التدريس فيها .

---

*) أستاذ المناهج وطرق التدريس المشارك - جامعة إب

ولعل من أهم القضايا التي تواجه الأستاذ الجامعي في وقتنا الحالي، وتستحق الدراسة، والبحث هي تحديات العولمة، وذلك لأنَّ الدخول في العولمة لم يعد خياراً، وإنما أصبح ضرورة يفرضها الواقع، والتطور العلمي، والتكنولوجي، ومصلحة الدول.ونظراً للسرعة الفائقة التي تنتشر بها العولمة،فإنَّها تسهم في إحداث تغييرات في المفاهيم، والأفكار، والسياسة، والاقتصاد لدى الدول النامية . لذا فالاهتمام بالأستاذ الجامعي،وفق رؤى جديدة،تجعل منه إنساناً قادراً على القيام بمهامه في مواجهة تحديات العولمة، من خلال توعية الطلبة علمياً، وسياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وتنمية قدراتهم الايجابية لمواجهة التغيرات، وكيفية التعامل معها بإيجابية. يعتبر امراً مهماً في مواجهة تحديات العولمة.

وبما أن العولمة ظاهرة قادمة من الغرب من مجتمعات متقدمة حضارياً،وتكنولوجياً، ومتجهة إلى مجتمعات نامية، ومتخلفة.فإنها لاتخلو من تحديات، ومخاطر في المجالات الاقتصادية، والسياسية،والثقافية،والاجتماعية، بشكل يحمل تحدياً حقيقياً لهوية الإنسان، يصل إلى حد فرض ألوان من الهيمنة ، والسيطرة على تلك الدول. الأمر الذي يتطلب التعامل معها بنجاح ، من خلال بناء الذات، والارتقاء بها في المجالات المختلفة، حتى يكون التعامل معها ايجابياً. (عربي وقيرة،**2003**،ص**197**). وتكمن أهمية الأستاذ الجامعي في مواجهة العولمة، بالتفاعل معها، والاستفادة من ايجابياتها، والتقليل من سلبياتها، ومخاطرها. لأنَّ مواجهتها يجب أن تكون من جنس تحدياتها، وبنفس قوتها. (عطوة،**2001** ،ص**195**). وسوف نحاول في هذه الدراسة تناول دور الأستاذ الجامعي في مواجهة تحديات العولمة، تلك التحديات الخطيرة التي لا يمكن تجاهلها أو الغفلة عنها.

المشكلة:

يواجه الأستاذ الجامعي العديد من التحديات، إلا أنَّ من أهم هذه التحديات، تحديات العولمة، التي لم تعد خياراً، وإنما أصبحت ضرورة يفرضها الواقع، والتطور العلمي، والتكنولوجي، ومصلحة الدول ذاتها.ونظراً للسرعة الفائقة التي تنطلق بها العولمة، وللنطاق الواسع الذي تنتشر به،ولقدرتها على إحداث تغيير في المفاهيم،والأفكار، والسياسات ، والاقتصاديات المختلفة. إلى حد يصل إلى فرض الهيمنة، والسيطرة. و لأنَّ الثقافات غير عابئة بالحواجز أو الأسوار التي تجدها في طريقها.الأمر الذي جعل الأستاذ الجامعي، يقف أمام تحد خطير يحتم عليه التصدي له، ومواجهته بالعلم، والدراسة التي يمتلك كثيراً من وجوهها.وبناءً على ما سبق يمكن صياغة السؤال الرئيس للدراسة كما يلي:

كيف يمكن للأستاذ الجامعي العربي مواجهة تحديات العولمة في القرن الحادي والعشرين؟.

ويتفرع من هذا السؤال الرئيس، الأسئلة الفرعية الآتية:

1- ما أهمية الأستاذ الجامعي العربي في مواجهة تحديات العولمة؟.

2- ما معنى العولمة، وما أهم أهدافها، وما أنواعها، وما تحدياتها؟.

3- كيف يتمكن الأستاذ الجامعي العربي من ممارسة مهامه في مواجهة تحديات العولمة؟.

4- ما التصور المقترح لتمكين الأستاذ الجامعي العربي من مواجهة تحديات العولمة؟

منهج الدراسة:

يستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وهو المنهج الذي يعنى بالدراسات التي تهتم بجمع، وتلخيص الحقائق المرتبطة بطبيعة الظواهر أو القضايا أو الموضوعات التي يدرسها الباحث، ليستخرج منها الاستنتاجات ذات الدلالة، والمغزى بالنسبة للمشكلة.

أهداف الدراسة:

يهدف البحث إلى ما يلي:

1- التعرف على أهمية الأستاذ الجامعي العربي في مواجهة تحديات العولمة.

2- التعرف على العولمة، وأهم أهدافها، وأنواعها، وتحدياتها.

3- التعرف على دور الأستاذ الجامعي العربي في مواجهة تحديات العولمة.

4- الوصول إلى تصور مقترح للأستاذ الجامعي العربي لمواجهة تحديات العولمة؟

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذا البحث من أهمية الأستاذ الجامعي العربي، ومن أهمية تحديات العولمة، التي أصبحت ضرورة يفرضها الواقع، والتطور العلمي، والتكنولوجي، ومصلحة الدول ذاتها. والواقع أنَّ الدول القوية، هي التي تتمكن من التأقلم مع النظام العالمي الجديد، وتعيش في ظل العولمة، أما الدول الضعيفة، فسوف تزداد تخلفاً، إذا لم تحاول الاستفادة من ايجابياتها، والابتعاد عن سلبياتها. والأستاذ الجامعي العربي له أهمية كبيرة في القيام بهذه الوظيفة عن طريق الاستفادة من الدول الأكثر تقدماً، والتغلب على أوجه الضعف في الدول الأقل تقدماً. كما أنَّ أهمية الدراسة تأتي من اتساع نطاقه، فهو لا ينطبق على مجتمع معين، بل يتسع ليشمل المجتمعات العربية والإسلامية.

منطلقات الدراسة:

تنطلق الدراسة من المسلمات الآتية:

1- إنَّ العولمة حقيقة قائمة، وأمر واقع، لا مفرَّ من مواجهته.

2- إنَّ العولمة ليست شراً مطلقاً، كما أنها ليست خيراً مطلقاً. لذا علينا أن لا نقف منها موقفاً سلبياً، لأنَّ الاندماج المطلق فيها، أو الانعزال المطلق عنها، كلاهما انتحاري.

3- إنَّ أي محاولة لتحسين تعاملنا مع العولمة، وتحدياتها، لا بد وأن ينطلق من الاهتمام بالأستاذ الجامعي، وهذه مهمة تعليمية تربوية بالدرجة الأولى.

مصطلحات الدراسة:

أستاذ الجامعة: هو عضو هيئة تدريس، يمتلك الأهلية العلمية للتدريس بالجامعة من حملة البكالوريوس أو الماجستير أو الدكتوراة.

العولمة: هي نتاج مشترك لتفاعل ثورتي الإتصالات، والمعلومات، وتستخدم شبكة الإنترنت، والأقمار الصناعية، وغيرها من وسائل الإتصال لربط مختلف أجزاء العالم بعضها ببعض، بروابط اقتصادية، وسياسية، وثقافية، واجتماعية واسعة، وعميقة وديناميكية. (العوايشة، **2004**، ص **34**).

الدراسات السابقة:

إنَّ الدراسات السابقة حول ظاهرة العولمة كثيرة، ولكن ما يتعلق منها بموضوع الدراسة الحالية يعد قليلاً. ولذا فقد وقع الاختيار على بعضها، لعلها تفيد في إظهار بعض الجوانب المتعلقة بموضوع بحثنا. وقد جاءت على النحو التالي:

1- دراسة المنوفي (1997):

هدفت إلى التعرف على أبعاد ظاهرة العولمة، وتحدياتها المختلفة، ثم حاولت وضع تصور لإصلاح النظام التعليمي في مواجهة هذه الظاهرة من خلال عدة محاور منها: التعليم، والبنية المجتمعية، وتجديد مضمون التعليم، وحق التعليم، وتكافؤ الفرص التعليمية، ونقد البنية المعرفية للعملية التعليمية. كما ركزت على تحديات العولمة في النواحي الاقتصادية، والسياسية، والتكنولوجية. في حين ركز البحث الحالي على أهمية الأستاذ الجامعي في مواجهة تحديات العولمة.

2- دراسة هلال (1997):

ناقشت مفهومي العولمة، والديمقراطية ،وانعكاساتها على التربية. كما نوهت إلى أهمية الحوار بين الثقافات، والأديان. واعتمدت المنهج الجدلي الواقعي في مناقشتها لمفاهيم العولمة. كما عرضت لمفهوم الكونية باعتبارها حركة المجتمع الإنساني نحو الحياة خارج كوكب الأرض، سعياً نحو توفير حياة بديلة عن كوكب

الأرض، ودرءاً لأية مخاطر قد تهدد الإنسان قادمةً من هذا الكون.

3- دراسة البدراوي (1998):

ركزت على العولمة، وكيف أصبحت تشكل خطراً، وأزمة في الهوية الثقافية. وأنَّ المخرج الحقيقي لهذه الأزمة هو إعادة النظر في تركيبة البنية الاجتماعية بمفهومها الشامل على كافة الأصعدة، والمستويات سواء الاقتصادية أم السياسية أم الاجتماعية.

4- دراسة عتريسي (1998):

أشارت إلى أكثر الصعوبات تعقيداً في موضوع العولمة وهي عالمية الثقافة ذات البعد الواحد، وهو البعد الغربي. وذكرت أن خطر الظاهرة لم يعد مقصوراً على العرب وحدهم، بل يشاركهم فيه الأوربيون الذين يعلنون تخوفهم من الأمركة المتنامية لثقافاتهم، وعاداتهم، وانتهت إلى تصور مؤداه أن الشعوب لن تتخلى بسهولة عن كل ما يكون شخصيتها، وهويتها. بل إنَّ الضغوط المتزايدة لزعزعة أسس الثقافة قد يؤدي إلى المزيد من التمسك بالخصوصية الثقافية.

5- دراسة الشيخ (1998):

ألقت الضوء على بعض التحديات التي تواجه الثقافة العربية مثل: العولمة، والثورة التكنولوجية في مجال الاتصالات، والأقمار الصناعية، بما تبثه من معلومات قد لا تتفق مع هوية الثقافة العربية، كما أعطت للتعليم المجتمعي، وهو التعليم الذي يتخذ من المجتمع قاعدة، له، أولوية خاصة في مواجهة التحديات.

6- دراسة نوفل (1998):

أشارت إلى أنَّ فرض تركيبة ثقافية تنتمي إلى حضارة معينة على الحضارات الأخرى، استناداً إلى القوى الاقتصادية أوالسياسية، يهدد بزوال أهم معالم الحضارة الإنسانية. وهي التنوع الثقافي. وإزاء هذا الخطر فإنَّ على الدول النامية أن تدفع بكل ثقلها نحو تدعيم المنتج الثقافي المحلي.

7- دراسة مدكور (1998):

وصفت الوضع الحالي للأمة العربية- من خلال الواقع التعليمي. ومدى قدرته على مقاومة التحديات، ولخصت هذا الواقع في أنَّه يعاني من التاءات الثلاثة: التجزئة، والتخلف، والتبعية، وأشارت إلى أنَّ الأمة العربية، إذا لم تعد العدة لدخول الثورات الثلاثة: التكنولوجية، والديمقراطية، وثورة التكتلات الاقتصادية، فإنها ستكون مهددة بأبشع السيناريوهات المستقبلية المحتملة، وهو ما يطلق عليه البعض اسم السيناريو الأندلسي، والتي بدأت مقدماته تظهر في بعض الأقطار العربية، مثل: العراق، والجزائر، وليبيا. وأضافت أنَّ الأمية بأشكالها المختلفة، هي

أحد مظاهر الواقع العربي، التي تجعل احتمالات هذا السيناريو البغيض غير بعيد.

8- دراسة الخضر (1998):

أوضحت أنَّه في عالم تسيطر عليه تكنولوجيا أمريكية يابانية أوربية، تصبح فيه الدول النامية عاجزة عن توصيل رسالتها، وحضارتها إلى الآخر، وأشارت إلى أنَّ هذا الضعف هو الذي سمح للفعل الخارجي، أن يمارس تأثيره بالصورة التي تجعل منه خطراً على الكيان، والهوية، وفي ظل هذا الواقع يجب على العرب الانتقال من موقع الدفاع إلى موقع المواجهة.

9- دراسة حجازي (1999):

عملت هذه الدراسة على توضيح مفهوم العولمة، وآلياتها وتحدياتها ، وطرحت عدداً من القضايا في شكل تساؤلات، مثل: هل نحن قادرون على مواجهة تحديات العولمة؟ وهل نستطيع الاندماج في نظام العولمة مع التحوط للمخاطر؟ وهل سيتحول الإنسان العربي في الزمن المعاصر إلى شخصية كوكبية؟ وهل سيصبح مواطناً بلا هوية محددة؟ وإذا لم يتقبل الهيمنة، والاندماج في الكوكبة المزعومة، ماذا يكون مصيره في النظام العالمي الجديد؟ وهل بإمكان العرب في الزمن المعاصر تحدي متغيرات عصرية توجهها شركات متعددة الجنسية؟ ثـمَّ طالبت المثقفين، والمهتمين بقضايا الهوية ،والشخصية الوطنية، بالبحث عن إجابات لهذه الأسئلة.

10- دراسة مجاهد (2001):

حاولت التوضيح لبعض مفاهيم العولمة، والهوية، والثقافة الغربية، والمواجهة بينهما، كما أوضحت بعض مخاطر العولمة التي تهدد الهوية الثقافية للمجتمع، ودور التربية في مواجهتها وقد توصلت إلى بعض الأفكار، والتصورات التي قد تسهم في إيجاد حلول لمواجهة مخاطر العولمة، مثل: إنشاء شبكة عربية للتعليم عن بعد، وإثبات الوجود، والهوية الثقافية العربية من خلال التواجد على شبكة الانترنت، وتنمية مهارات الاتصال والتفاهم مع الآخرين، وإعادة النظر في مناهج التعليم في إطار متوازن بين ثقافة المجتمع، والانفتاح على الثقافات الأخرى.

11- دراسة الحرازي (2002):

حاولت الدراسة تناول ظاهرة العولمة بالتحليل الوصفي لماهيتها، وأهم مقوماتها، ولأهم الآثار الاقتصادية التي ستلحق بالبلدان النامية، والانعكاسات الاجتماعية الناتجة عنها. وصولاً إلى وضع الآليات التي يمكن من خلالها تعظيم الجوانب الايجابية حيال الاتجاه نحو العولمة، وتقبل الضرر من جوانبها السلبية.

12- دراسة علي (2003):

هدفت الدراسة إلى التعرف على أهمية البحث التربوي المقارن في مواجهة تحديات العولمة، كما ركزت

على التعريف بمفاهيم البحث التربوي، والعولمة، وأهم مؤسسات العولمة، وأهم تحدياتها. وما هي سبل مواجهة البحث التربوي المقارن لتحديات العولمة، وتوصلت إلى تصور مقترح لمواجهة البحث التربوي المقارن لتحديات العولمة. والذي أكد التوسع في الدراسات المقارنة أو الدراسات المستقبلية، حتى يتم الاستعداد لجميع التطورات العلمية، والتكنولوجية التي يفرضها عصر العولمة.

13- دراسة الفلاحي (2005):

هدفت الدراسة إلى الكشف عن الأخطاء الناجمة عن العولمة، وبخاصة العولمة الثقافية على هويتنا الثقافية. من خلال أهدافها، وأساليبها، ووسائطها، وذلك بفحص وتقصي العديد من مظاهر الاختراقات التي تسللت إلى أوعية الثقافة، والهوية الوطنية، والقومية، فضلاً عن محاولات الاختراق التي تطال ما هو قائم من الفلسفات التربوية العربية. وبمنهج الاستنباط حاولت الدراسة استخلاص أهم الآثار السلبية التي برزت في وعينا القومي عبر الفلسفة السياسية، والمشروع النهضوي العربي..

كما حاولت استقصاء أساليب المواجهة على مظاهر الاختراق تلك، من خلال العديد من الإمكانيات المتاحة لأمتنا بدءاً بفلسفة المقاومة، ووصولاً إلى محاولة إصلاح مواطن الخلل في مكونات الثقافة العربية.

تعليق على الدراسات السابقة:

يتضح من العرض السابق للدراسات السابقة ما يلي:

1- احتل موضوع العولمة الثقافية مكاناً بارزاً في هذه الدراسات.

2- إنَّ معظم هذه الدراسات لا ينتمي إلى الحقل التعليمي بشكل مباشر، مما ينبه إلى ضرورة أن يدلي التربويون بدلوهم في هذا المجال.

3- إنَّ الدراسات السابقة، ما زالت في مرحلة الجدل، والنقاش حول العولمة، وقد يكون ذلك راجعاً إلى أنَّ العولمة كظاهرة ما زالت غير واضحة المعالم، مما يوحي بالحاجة إلى المزيد من الأبحاث حولها، لفهمها، ورصدها، ومعرفة سبل مواجهتها.

4- أغلب الدراسات نظرية لم تتقص تأثيرات العولمة على مستوى الواقع المعاش.

خطوات الدراسة : سارت الدراسة وفقاً للمحاور التالية:

المحور الأول: أهمية الأستاذ الجامعي في مواجهة تحديات العولمة.

تبرز أهمية الأستاذ الجامعي في مواجهة تحديات العولمة،في ظل المتغيرات التي نمر بها على أعتاب القرن الحادي والعشرين، ومع التطورات الطفرية في التطبيقات التكنولوجية، والاكتشافات العلمية، ومع التصاعد المتنامي

للآمال المعقودة على العملية التعليمية. ومع المحاولات العديدة التي ركزت على أهمية الأستاذ الجامعي. و التي منها: انعقاد المؤتمر الدولي بجنيف في (اكتوبر1996). حول " أدوار المعلم في عالم متغير". والذي وضع مجموعة من التوصيات حول المعلم وأدواره، وكذلك انعقاد ندوة أخرى في(ابريل1998). " حول الدور الرائد للمعلم في قيادة المجتمع".(نادر وآخرون،2003، ص 238). وأما في الوطن العربي،فإنَّ الحكومات، ومعاهد الأبحاث لم تعط الأهمية الكافية للأستاذ الجامعي في مواجهة تحديات العولمة. بل اقتصرت محاولاتها حول التطورات المحتملة، والتوجهات المنشودة في تنمية الموارد البشرية، والتعليم. كما في ندوة.(الكويت، 1980). وكذلك حول مستقبل التعليم في الوطن العربي خلال العقدين القادمين. كما في ندوة (بيروت، أكتوبر، 1998). (نادر وآخرون، ،ص 238) . لذا كان من الأولويات القصوى التي ركزت عليها الندوات تحديد مهام الأستاذ الجامعي وفق رؤى جديدة، تجعل منه مدرساً قادراً على القيام بمهامه في مواجهة تحديات العولمة. ومن أهم هذه المهام التي ركزت عليها الندوات والمؤتمرات ما يلي:

1- تطويره لأدواره العلمية، والمهنية، والتكنولوجية، باعتماده سياسة واضحة لنموه المهني، والأكاديمي، والثقافي المستمر، وعدم اقتصاره على ما تعلمه منذ زمن بعيد. ففي جامعة "أريزونا" بالولايات المتحدة الأمريكية. تم تطوير معلم ألحق بالمكتبة، احتوى العديد من برامج الكمبيوتر التي تساعد على تطوير قدرات الأستاذ الجامعي المختلفة متى رغب في ذلك. (Glogoff, 1994, p19). وهناك مراكز، ومعاهد خاصة تقدم خدماتها للأستاذ الجامعي، للإطلاع، والتدريب، وحضور الدورات التدريبية.

2- مواصلة اطلاعه على كل جديد في مجال تخصصه، ومهنته، وتطويره لأدائه. فمن الأهمية بمكان في ظل تحديات العولمة مواصلة اطلاع الأستاذ الجامعي على الجديد في تخصصه، ومهنته،وتطويره لأدائه، فإذا لم يجدد، ولم يطور أداءه في ضوء الإطلاع الدائم على الحديث،فقد يعتقد أنَّ ما تعلمه منذ زمن بعيد يظل دوماً صالحاً للتطبيق.(فيفر، 1997 ، ص 26).

3- توسيع ثقافته في المجالات الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية.لأنَّ تحديات العولمة تتطلب منه، دوراً واعياً فيما يتعلق ببعدها الاقتصادي الذي يؤدي إلى بروز عالم اقتصادي بلا حدود،يؤدي إلى تركيز الثروة في يد قلة، وبالتالي تهميش الآخر. بالإضافة إلى الدور الذي تلعبه المؤسسات العالمية في هذا المجال، كمؤسسة التجارة العالمية، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي وغيرهم. كما تتطلب منه دوراً واعياً فيما يتعلق بالعولمة السياسية. والتي تشير إلى انحسار دور الدولة، وتخليها عن مصادر السيادة التقليدية، وبروز مراكز جديدة للقرار السياسي العالمي، تسعى لإدارة شؤون العالم مستقبلاً. وكما تتطلب منه دوراً واعياً فيما يتعلق بالعولمة

الاجتماعية في بعدها الثقافي، الذي يؤدي إلى الانفتاح غير المسبوق للثقافات على بعضها البعض، والذي يؤدي إلى غزو الثقافة الأقوى للثقافة الأضعف منها.(علي،2003،ص 119).

4- تنمية مهارات الاتصال، والتفاهم مع الآخرين ذوي الثقافات، والخلفيات المختلفة، والأخذ بوسائل التطور، والتقدم العلمي.(عطوة،2001،ص 200). وإتقان مهارات التعامل مع التكنولوجيا المتقدمة كمصدر للمعرفة، مثل الإنترنت الذي يساعد على الاتصال بالعالم بأسرع وقت، وأقل تكلفة.

5- تربية الطلبة في إطار متوازن بين ثقافة المجتمع، والانفتاح على الثقافات الأخرى،بما يضفي على شخصياتهم طابع العالمية في التفكير.(عطوة،2001ص200). ويكسبهم القدرة على التمييز بين المفيد، والضار. كما يكسبهم روح التسامح، ورفض التعصب، وقبول الآخر،واحترام الاختلاف مع الغير، والقدرة على تبادل الأدوار.

6- تأكيده على التفوق العلمي، والتقني لسد الفجوة الحضارية بيننا، وبين الغرب تكنولوجياً. ففي الدول المتقدمة نجد أنَ(80٪) من طلاب التعليم العالي يدرسون في كليات العلوم، والتكنولوجيا، والهندسة. و(20٪) منهم في كليات العلوم الإنسانية، والقانون،وعلوم الدين.(البيلاوي،1997،ص 81). وعلى العكس من ذلك في الدول النامية.

7- تأكيده على البحث العلمي لرفع المستوى الأكاديمي، إذ يبلغ ما أنفقته عشرة دول غنية، يبلغ حوالي (84٪) من جملة الإنفاق العالمي على هذا المجال.(عمار، 2000، ص50).

8- تأكيده على الاهتمام بالشأن العام بدلاً من الشأن الخاص، والاهتمام بالخطاب العالمي، وتسييد العقل، والاهتمام بالقوة، حيث إن استراتيجيه المواقف الدفاعية لم تعد قادرة على مواجهة العولمة، والمحافظة على الذات الحضارية.

9- التركيز على الجانب الإعلامي، ودوره الخطير في إبراز تفوق الحضارة الغربية على ما عداها من الحضارات الأخرى.

10- تأكيده على ضرورة إتقان الطلبة لإحدى اللغات الأجنبية، حتى يستطيعوا التعامل مع التطور العلمي السريع، والانفتاح على الأمم الأخرى، وإحداث التفاعل الجيد معها . عملاً بقول الرسول الكريم "من تعلم لغة قوم أمن شرهم" (عطوه،2000، ص 181).

11- اهتمامه بنقل التراث الثقافي لشعبه، وأمته. للمحافظة على الحيوية الذاتية، والأصالة الثقافية، والعقيدة الدينية للمجتمع من الانحراف وراء العولمة الثقافية المتنوعة، والمغرية والمؤثرة. ولتكوين المواطن العالمي، المرتبط بجذوره، ومجتمعه، وثقافته، وتقاليده، وحضارته.

المحور الثاني:

العولمة- أهم أهدافها- أنواعها- مؤسساتها- تحدياتها.

أ- العولمة:

لقد تزامن ظهور العولمة مع بروز مجموعة من التطورات العلمية، والتكنولوجية، والمستجدات الفكرية، التي تزيد من تقارب العالم، وتعمل على زيادة ترابطه. وقد تناول الكثير من الباحثين مفهوم العولمة بصورها المختلفة، إلا أننا سنعرض لأهم هذه المفاهيم فيما يلي:

1- العولمة هي: " كل المستجدات، والتطورات التي تسعى بقصد أومن دون قصد إلى دمج سكان العام في مجتمع عالمي واحد". (واترز،1995،ص66).

2- والعولمة عبارة عن" اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم، وزيادة وعي الأفراد، والمجتمعات بهذا الانكماش ". (روبرتسون،1992،ص63)).

3- والعولمة يقصد بها " مرحلة جديدة من مراحل بروز وتطور الحداثة، تتكشف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي، حيث يحدث تلاحم غير قابل للفصل بين الداخل والخارج، ويتم فيها ربط المحلي، والعالمي، بروابط اقتصادية، وثقافية، وسياسية، وإنسانية". (جيدنز،1990،ص15).

4- والعولمة عبارة عن" ظاهرة مركبة تشمل كل المستجدات، والتحولات التي يترتب عليها إزالة الحواجز بين شعوب العالم، بحيث تصبح أكثر اتصالاً ببعضها في مختلف أوجه حياتها، اقتصادياً، وثقافياً، وسياسياً، وتكنولوجياً، وبيئياً. والعولمة في بعدها الثقافي تسعى إلى تسييد الثقافة الأمريكية ،وفرضها على غيرها من الثقافات، مما يؤدي في نهاية الأمر إلى هيمنة الثقافة الأمريكية، وطمس الهوية الثقافية للشعوب الضعيفة، وإزالة مقوماتها". (عطوة،2001،ص158).

ويلاحظ على المفاهيم التي عرضناها ما يأتي:

1- العولمة عملية متعددة الأبعاد، حيث أنَّ لها أبعاداً اقتصادية، وسياسية، وثقافية،وتكنولوجية.

2- العولمة عملية تهدف إلى إزالة الحواجز، وخلق عالم بلا حدود، وتعتمد في ذلك على الوسائل التكنولوجية الحديثة.

3- هنالك اتجاهات مختلفة للباحثين حول مفهوم العولمة، فمنهم من يرى أن العولمة هي إرادة للهيمنة، ومنهم من يراها تبادل للمنافع بين الدول، ومنهم من يراها ثقافة عالمية واحدة، تسعى إلى جعل العالم قرية واحدة مع إلغاء حدود الدول القومية في جميع المجالات.

وعلى ذلك يمكن القول: بأنَّ العولمة عملية تتضمن جوانب اقتصادية، وسياسية ،وثقافية، وتهدف إلى إزالة الحواجز بين الدول، وخلق عالم بلا حدود، معتمدة في ذلك على الوسائل التكنولوجية الحديثة، والمتطورة.

ب- أهداف العولمة:

يوجد أهداف متعددة للعولمة، يمكن التركيز على أهمها فيما يلي:

1- إزالة الحدود الفاصلة، والحواجز العازلة بين الدول، وخلق عالم بلا حدود.

2- صهر الاقتصاديات الوطنية، والإقليمية ،والدولية في اقتصاد عالمي موحد.

3- تغيير الثقافة ،والحضارة المحلية، والوطنية، وإقامة ثقافة عالمية مكانها.

4- فرض الوصاية على الدول، ونقل اختصاصاتها، وسلطاتها إلى مؤسسات عالمية.

5- زيادة الفوارق الطبقية، والاجتماعية بين الأفراد داخل المجتمع الواحد، وبين المجتمعات وبعضها.

6- فتح فرصاً معرفية هائلة مصاحبة للثورة العلمية والتكنلوجية.

7- إتاحة فرص استثمارية ضخمة مرتبطة بالإقتصاد العالمي، واتجاهاته الجديدة نحو فتح الأسواق المالية والتجارية.

8- زعزعة القيم الدينية، والأخلاقية، والثقافية، والوطنية، والقومية، داخل وجدان الإنسان، بشكل يفقده انتماءه، وولاءه، وعقيدته.

9- تعميق الثقافة الاستهلاكية بين مختلف شرائح المجتمع، لجعلهم مستهلكين، وغير منتجين، وتابعين للدول المنتجة.

10- تنميط الحياة العامة لكل شعوب العالم تدريجياً مع بداية القرن الحادي والعشرين. وفق أنماط محددة، وأطر مرسومة، وموجهة.(شهاب،2002،ص57).

11- إعطاء الفرصة كاملة لقوى الابتكار، والإبداع، والتحسين، والتطوير، والتنمية، والإنتماء، لتتفاعل مواهبها، وملكاتها بشكل كامل.

12- الإنطلاق إلى آفاق شاسعة، وإلى نطاقات واسعة، وإلى مجالات غير مسبوقة تضفي قدراً كبيراً من التقدم، والرقي، والتنمية المتواصلة المستدامة، والتحول بها لصالح الإنسانية، وتحالف البشرية في إطار الكون الفسيح المتعاضم. (شهاب، 2002، ص 57).

13- السعي إلى التميز، والإتقان، والإرتفاع بمستوى الطموح للفرد، وللجماعة. (السيد على،2003 ص 128).

ج- أنواع العولمة:

إنَّ العولمة تأخذ أكثر من شكل، وتأتي في أكثر من صيغة، لذا فإنه لا توجد عولمة واحدة، وإنَّما توجد أنواع تتفاوت في معانيها، وتحدياتها منها:

1- العولمة الاقتصادية:

يعد الاقتصاد أول مقومات العولمة، لأنه يسعى إلى اتساع مجال الإنتاج، والتجارة ليشمل السوق العالمية بأجمعها. وعليه فإنَّ العولمة الاقتصادية تعني بروز تقسيم عمل جديد للاقتصاد العالمي لا يخضع للرقابة التقليدية. ولا يؤمن بالهيمنة المطلقة للدول على نشاطاته، وخاصة فيما يتعلق بانتقال السلع، والخدمات، ورأس المال على الصعيد العالمي. إلى حد بلغ فيه النشاط الاقتصادي العالمي مرحلة الاستقلال عن اقتصاديات الدولة. وهذا يمثل جوهر العولمة الاقتصادية. حيث يتم نتيجة لذلك تركيز الثروة، والسلطة العالمية في يد قلة، وبالتالي تهميش الآخر، أو إقصاؤه بالمرة. مما يؤدي إلى زيادة حدة التفاوت بين الدول. ولعل من أهم المؤسسات التي تمارس دوراً رئيساً في تحقيق العولمة الاقتصادية منظمة التجارة العالمية، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، لأنها المؤسسات المشرفة بشكل رئيس على نظام التجارة في النظام العالمي الجديد.

2- العولمة التعلمية والثقافية:

هي ثاني مقومات العولمة، لأنها تسعى إلى انتقال تركيز اهتمام الإنسان ووعيه، من المجال المحلي إلى المجال العالمي. أي تبرز بوضوح الهوية العالمية بصورة تجعل البعض يرى أنَّ عولمة التعليم والثقافة :هي الغاية النهائية لبعده الإنساني. وهكذا تصبح ثقافة العولمة، أيدلوجية تسعى إلى تدعيم مناهج و ثقافة الأقوى من خلال هيمنته وسيطرته على الأضعف، ومن خلال توظيف الإعلام، ووسائل الاتصال الحديثة، في الاختراق التعليمي الثقافي، واستعمار العقول، والتعامل مع الإنسان تعاملاً إنسانياً يحكمه مبدأ البقاء للأصلح.(رزق، 2002، ص103)وهذا يؤدي إلى فرض قيم،ومبادئ ، وأفكار ومناهج، وثقافة مجتمع ما ،على القيم، والثقافات الأخرى في العالم. وذلك للقضاء على الخصوصيات الحضارية، وانتزاع المبادئ والقيم والهويات الثقافية ،وإلغاء التعدد

الثقافي بين الشعوب، والمجتمعات.

3- العولمة السياسية:

تعني انتقال اختصاصات الدول، وسلطاتها إلى مؤسسات عالمية. وارتبطت العولمة السياسية ببروز مجموعة من القضايا، والمشكلات العالمية الجديدة،

التي تتطلب استجابات دولية، وجماعية، وليست استجابات فردية، وعلى صعيد كل دولة.

والعولمة السياسية: هي مشروع مستقبلي، كما أنها في جوهرها مرحلة تطورية لاحقة للعولمة الاقتصادية، والثقافية. فالسياسية دائماً، وعلى العكس من الاقتصاد، محصورة ضمن النطاق المحلي، ومعزولة عن التطورات، والتأثيرات الخارجية.

د- أهم مؤسسات العولمة:

1- منظمة التجارة العالمية:

تعد أحد الركائز الأساسية في نظام العولمة، لأنها تمارس دوراً رئيساً في تحويل الاقتصاديات المحلية، إلى اقتصاديات مفتوحة،ومدمجة في الاقتصاد العالمي. كما أنها أسست لمجموعة من القواعد الداعمة لحرية التجارة، وإلى تنمية الروابط التي توحد الأسواق العالمية، وبصفة خاصة في مجال تطوير التشريعات، وتوحيدها، والسعي المباشر نحو جعل الأسواق الدولية المختلفة للدول الأعضاء سوقاً واحدة لها. فعلينا أن ندرك حقيقة قوتها، وقدرتها، باعتبارها المشرفة الرئيسة على نظام التجارة في النظام العالمي الجديد.

2- صندوق النقد الدولي:

وظيفته : استقرار أسعار الصرف، والمحافظة على التدابير المنظمة للصرف بين الدول الأعضاء، وتفادي التنافس على تخفيض أسعار الصرف، والمساهمة في إتاحة نظام المدفوعات متعدد الأطراف بالنسبة للعمليات الجارية بين الدول الأعضاء، وإزالة القيود المفروضة على الصرف الأجنبي، والتي تعوق نمو التجارة الدولية، وبث الثقة بين الدول الأعضاء من خلال جعل موارد الصندوق ميسورة لها بضمانات ملائمة، ومن ثم إتاحة الفرصة لها لتصحيح الاختلال في موازين مدفوعاتها دون اللجوء إلى التدابير التي من شأنها، أن تقضي على الرخاء القومي، أو الدولي.(الخضيري، **2001**، **114**) .

3- البنك الدولي:

تم إنشاء البنك الدولي لتلبية حاجة ماسة إلى رأس المال، لتمويل أعمال إعادة البناء، والتعمير، لما دمرته الحرب العالمية الثانية، وتنمية اقتصاديات الدول المختلفة، ومن ثم أُعطي البنك حق منح، أو ضمان القروض التي

تقدم لمشروعات تحقق أغراضه، وهو يقوم بالعديد من الوظائف الأخرى، التي من أهمها ما يلي: (الخضيري، 2001،ص 77).

أ. تقديم المعونة الفنية للدول الأعضاء المختلفة اقتصادياً.

ب. تشجيع الاستثمار الخاص، ومنح ما يضمن نمو، وتوسيع القطاع الخاص.

ج. فض المنازعات المالية بين الدول الأعضاء.

وقد تطور البنك الدولي، وتوسعت أنشطته، حتى أصبح يضم ثلاث مؤسسات رئيسة يطلق عليها مجموعة البنك الدولي وهي:

(1)- البنك الدولي للإنشاء والتعمير.

(2)- الرابطة الدولية للتنمية.

(3)- مؤسسة التمويل الدولية.

ومما سبق يتضح أنَّ للعولمة مؤسساتها التي تعمل على تحقيق أهدافها.ومن أهم الفاعلين في حركة العولمة السياسية في مجال التعاون الدولي، منظومة الأمم المتحدة، التي تسعى إلى إضفاء الشرعية على التوسعات العولمية، من خلال فرض سياساتها في مجال التعليم، واحتلال الدول القوية للدول الضعيفة بأي ذريعة من الذرائع.

٥- تحديات العولمة:

لقد أفرزت العولمة مجموعة من التحديات التي تواجه الدول النامية عامة، والدول العربية خاصة.وهذه التحديات منها: ما هو دولي، ومنها ما هو إقليمي، ومنها ما هو قطري. وهذه التحديات تؤثر في مجال الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية ،والتعليمية. كما يلي: (طه وناس،2002،ص ص253-277).

أولاً: التحديات الدولية:

وتبرز هذه التحديات في التكتلات الاقتصادية، والشركات، والمؤسسات متعددة الجنسيات، على النحو التالي:

1- التكتلات الاقتصادية:

يتعرض العالم في المجال الاقتصادي إلى تيار شديد، وجارف نحو العولمة، وتحرير التجارة، وما يترتب على ذلك من سياسات التثبيت الاقتصادي، وسيطرة آليات السوق، وتحكم رأس المال، وإطلاق العنان أمام التكتلات الاقتصادية.

2- الشركات والمؤسسات متعددة الجنسيات:

وهي شركات تتمتع بقوة اقتصادية تتخطى الحدود الوطنية للدول التي تنشأ فيها، وهي قوة ناتجة عن

قدرتها على تعبئة الموارد المالية، والطبيعية، والبشرية،على مستوى العالم كله. وإمكانياتها على تطوير التكنولوجيا الحديثة، فالتكنولوجيا الحديثة تعمل على تنمية مهارات الاتصال، والتعرف على ثقافات الشعوب الأخرى، والوقوف على الأحداث الجارية في جميع أنحاء العالم. (Gerald, 1999, pp 173-178) . كما أنَّ الشركات متعددة الجنسيات تسعى إلى تنمية الكفاءة الإنتاجية، والإدارية ،على أوسع نطاق، لأنها تتميز بضخامة رؤوس أموالها. وهذا يتطلب إعادة النظر من قبل المؤسسات التعليمية لمواجهة هذه التغيرات في مجال تكنولوجيا المعلومات.

ثانياً: التحديات الإقليمية:

وتتمثل التحديات الإقليمية: بمجموعة السياسيات التي توحي بها مؤسسات النقد الدولية للبلدان النامية، خاصة التي تسعى لمسايرة المتغيرات الدولية، والتي تعود عليها من خلال فرض أنماط عامة، وأطر شاملة تؤدي بشكل تدريجي إلى فرض نظام الهيمنة للدول القوية، وتقديمه بصورة جديدة. (**Halls, 1990, p3**).

ومواقف الأقاليم من العولمة ينحصر في ثلاثة اتجاهات هي:

أقاليم تقف رافضة للعولمة بالكامل، وهي اتجاهات تقف ضد مسار التاريخ، ولن يتاح لها النجاح. وأقاليم تقف مع العولمة دون تحفظات، باعتبارها لغة العصر القادم، وهي اتجاهات تتجاهل السلبيات الخطيرة لبعض جوانب العولمة. وأقاليم لها اتجاهات نقدية. تحاول من خلالها فهم القوانين الحاكمة للعولمة، وتدرك سلفاً، أن العولمة عملية تاريخية حقاً، ولكن ليس معنى ذلك التسليم بحتمية القيم التي تقوم عليها في الوقت الراهن. ولكن تعمل على إعادة إنتاج نظام الهيمنة وتقديمه في صورة جديدة. فالعولمة: ظاهرة العصر، وسمته، والوقوف في وجهها، أو محاولة تجنبها، أو العزلة عنها، يعتبر خروج على العصر، والأسلم هو دراسة عناصر العولمة، وفهم مكوناتها، والتنبه لأهدافها، والتعامل معها بنجاح من خلال بناء الذات، والارتقاء بها في المجالات المختلفة. حتى يكون التعامل معها ايجابياً.(عربي و قيره، **2003**، ص**197**).

ثالثاً: التحدي التعليمي والثقافي:

تعد التحديات التعليمية والثقافية محور الارتكاز بالنسبة للعولمة، فسواء أكانت العولمة بدايتها سياسية أم اقتصادية، فإنها في نهاية المطاف تنتهي بعولمة التعليم والثقافة.

والعولمة في بعدها التعليمي تسعى إلى الهيمنة على التعليم من خلال الثورة العلمية، والتكنلوجية المتمثلة بشبكة الأنترنت، التي أصبحت شبكة عالمية تجاوزت الحدود الجغرافية، واختلاف الزمن، واختلاف الثقافات، وتعدد اللغات وأصبحت تيسر الحصول على المعلومات في أي نوع من أنواع العلوم، ومن قيل أي فرد من الأفراد. كما سعت العولمة على نشر المدارس الأجنبية، والمدارس الخاصة، ابتداءً من مراحل التعليم الأولى، ومراحل التعليم

العام، إلى المرحلة الجامعية بالأضافة إلى نشر مدارس تعليم اللغات، التي أصبحت متفشية في المجتمعات العربية. والتي تعمل لصالح اللغات الأوربية، والأمريكية، وذلك على حساب اللغات المحلية. كما أن العولمة في بعدها الثقافي تسعى إلى تسيد الثقافة الأمريكية، وفرضها على غيرها من الثقافات، مما يؤدي في نهاية الأمر إلى هيمنة الثقافة الأمريكية، وطمس الهوية الثقافية للشعوب الضعيفة، وإزالة معوقاتها. (محمد عطوة، **2001**،ص**158**). فالعولمة تهدف إلى فرض قيم، وثقافة مجتمع ما على القيم، والمبادئ، والأفكار، والمناهج، والثقافات الأخرى في العالم، وذلك للقضاء على الخصوصيات الحضارية، وانتزاع الهويات الثقافية، وإلغاء التعدد الثقافي بين الشعوب، والمجتمعات. والعولمة: عملية اقتصادية، ومالية في المقام الأول، وعملية تكنولوجية في المقام الثاني. والذين يملكون تكنولوجيا المعلومات، والاتصالات الحديثة، قد أحاطوا العالم بشبكة كثيفة، ومرنة من الروابط، والعلاقات، يقدم من خلالها العالم في صورة مبهرة، إلا أنها فوق كل هذا عملية ثقافية أيضاً. (كوتشير وما تسورا، **2000**،ص**482**). وفي ظل العولمة التعليمية و الثقافية بدأت التعددية التعليمية الثقافية بالانحسار، بعد أن كانت منتشرة في بلادنا، وغيرها. والثقافة التعددية تراوحت ما بين ثقافة محلية، وثقافة المهزومين، وثقافة الضعيف، وثقافة المنتصر. لأن العولمة التعليمية الثقافية تسعى إلى نقل اهتمام، ووعي الإنسان من المجال المحلي إلى المجال العالمي، ومن المحيط الداخلي إلى المحيط الخارجي. وفي ظل العولمة يزداد الوعي بعولمة العالم، وبوحدة البشرية في مصيرها، ومشاكلها الحالية.

المحور الثالث:

كيف يتمكن الأستاذ الجامعي من مواجهة تحديات العولمة.

ونظراً لأن العولمة ظاهرة شديدة التعقيد، والتداخل ، وسريعة التمدد، والانتشار. فإنَّ مواجهتها يجب أن يكون من جنس تحدياتها ، وبنفس قوتها. وهذه الإستراتيجية لابد أن يقوم بها الأستاذ الجامعي في مواجهة تحديات العولمة. وفيما يلي عرض لكيفية مواجهة الأستاذ الجامعي لتحديات العولمة: الدولية، والإقليمية، والثقافية.

أولاً: التحديات الدولية:

إنَّ العولمة ظاهرة العصر، وسمته، قادمة من الغرب من مجتمعات متقدمة حضارياً ، ومتجهة إلى مجتمعات نامية، ومتخلفة، وحسن التعامل معها بنجاح يتطلب بناء الذات، والارتقاء بها في المجالات المختلفة، حتى يكون التعامل معها ايجابياً. (علي عربي و قيره، **2003**،ص**197**). على الأستاذ الجامعي مواجهة تحديات العولمة من خلال :

1- الحرص كل الحرص على الاستفادة من الدول المتقدمة في علاج أوجه النقص في الدول النامية، والأقل تقدماً.

2- والحرص أيضاً على إصلاح نظام التعليم، وعلاج جوانب كثيرة تحتاج إليها الشخصية القومية .(Nicholas, H,1996, p3).

3- مناقشة فكرة العولمة من قبل الأستاذ الجامعي على أسس موضوعية،لأن هناك اتجاهات في مواجهة العولمة. منها اتجاه: يدعو إلى الوقوف بوجه العولمة، ورفضها بالكامل أو تجنبها، والعزلة عنها. وهذا الاتجاه يقف ضد مسار التاريخ، وخروج على العصر، والرضاء بالتخلف. لذا لن يكتب له النجاح.واتجاه: يقبل العولمة دون تحفظ باعتبارها لغة العصر القادم من الدول المتقدمة. ويدعو للذوبان، والانصهار الثقافي لكل أمة،كوحدة صغيرة لتكوين ثقافة عالمية. وهذا الاتجاه يتجاهل السلبيات الخطيرة لبعض جوانب العولمة. و اتجاه: نقدي يحاول فهم القوانين الحاكمة للعولمة، ومحاولة الاستفادة من ايجابياتها، والابتعاد عن سلبياتها.

4- أن تكون المشكلة الحالية بالنسبة للأستاذ الجامعي هي تكوين المواطن العالمي المرتبط بجذوره، ومجتمعه، وثقافته، وتقاليده، وحضارته، حتى لا يتعرض لخطر الصهر، والذوبان نتيجة التطورات المعاصرة.

5- أن يستعد الأستاذ الجامعي لما هو آت، وأن يتنبأ بالمستقبل دون الانتظار للمفاجآت. وهذا التصور يجب أن يكون واسع الرؤى، ومتعدد الأبعاد يشمل المعارف ،والتكنولوجيا، والاقتصاد، والسياسة، والاجتماع. وفي ظل هذه الفترة المليئة بالمتغيرات العالمية، والإقليمية.

6- أن يركز الأستاذ الجامعي على العمل العربي المشترك ثقافياً، وتربوياً. ولاسيما على مستوى المؤسسات، والهيئات ذات الإمكانية البشرية، والفنية مثل: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

7- كما عليه إعادة النظر في الفلسفة التربوية العربية التي تأخذ في الاعتبار مختلف المتغيرات العالمية الراهنة، والمستقبلية.(جادو،**2002** ، ص**993**).

8- التأكيد على العلاقات بين الدول للتخلص من العوامل الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية التي تحول دون تطوير التجارة العربية، أو تحول دون التكامل الاقتصادي العربي، أو دون إنشاء سوق عربية مشتركة.

9- أن يعد التحديات الثقافية محور الارتكاز بالنسبة للعولمة، سواء أكانت العولمة بدايتها سياسية أم اقتصادية، فإنها في نهاية المطاف تنتهي بالعولمة الثقافة. والعولمة في بعدها الثقافي لدى بعض الباحثين تسعى إلى تسييد الثقافة الأمريكية وفرضها على غيرها من الثقافات. مما يؤدي في نهاية الأمر إلى هيمنة الثقافة الأمريكية، وطمس الهوية الثقافية للشعوب الضعيفة وإزالة معوقاتها.(محمد عطوة، **2001**،ص**158**).

10- أن يهتم الأستاذ الجامعي بالبناء القيمي، والأخلاقي للأفراد، ويوضح التفوق العلمي، والتكنولوجي للدول المتقدمة. ويدعو إلى قبول التعددية، والانطلاق نحو العولمة، مع الاحتفاظ بالهوية، والأصالة الثقافية، والعقيدة الدينية مع القدرة على التعامل مع حقيقة التعددية، الفكرية، والثقافية. لأن التفاعل بين الثقافات أصبح ضرورة، والانغلاق بين الثقافات جمود وتأخر. ولأنه لا يمكن لثقافة أن تعيش منعزلة عن الثقافات الأخرى.

وخلاصة القول" أن العولمة أصبحت ضرورة يفرضها الواقع، لذلك لا بد من مواجهة سلبياتها بالعلم، والبحث، والتحوط من المخاطر، والاستفادة من ايجابياتها. فهي تتيح فرصاً كثيرة بتزايد معدلات التجارة، وزيادة تبادل التكنولوجيا، وتدفق الاستثمارات،وتوثيق الارتباط بين الشعوب عبر الإعلام، والانترنت. كل ذلك من شأنه أن يدفع بالتقدم البشري إلى وضع أفضل يسهم في القضاء على الفقر في القرن الحادي والعشرين.

فالعولمة: أسواق عالمية، وتكنولوجيا عالية، وثقافة عالمية، وتضامن عالمي في محاولة لإضفاء الطابع الإنساني على العولمة. لكن العولمة، والديمقراطية، والسوق الحرة، لن تكون لها قيمة، ومضمون مالم تكن مصحوبة بالحديث عن العدالة، والحديث عن نظام اقتصادي دولي عادل. في إطار مجتمع إنساني تربط بين أفراده وشعوبه علاقات من الاهتمام المشترك، والتكامل، والمساندة". (حسين كامل بهاء الدين،**2003**،ص**51**).

11- على الأستاذ الجامعي مواجهة تحديات العولمة، في ضوء اهتمامه بالنظريات التعليمية، والثقافة العالمية، من منظور عالمي .

ثانياً: التحديات الإقليمية:

تعد التحديات الإقليمية من أهم مجالات الأستاذ الجامعي.

1- لأنه يهدف إلى إيجاد حلول للمشكلات التربوية في دول الإقليم.

2- ويسعى إلى تطوير نظام التعليم في كل إقليم حتى يتماشى مع متطلبات عصر العولمة، وقبول بعض متطلباتها عن إقناع وليس فرضاً دون فهم. لأنَّ كل إقليم يختلف في تقبله، ورفضه للعولمة.

3- ويعمل على تنمية الانتماء للوطن، والمحافظة على الأمن القومي، الذي يعد مطلباً أساسياً من مطالب الإستراتيجية القومية.

4- و يحرص كل الحرص على الاستفادة من الدول المتقدمة في علاج أوجه النقص في الدول النامية، والأقل تقدماً.

5- ويحرص أيضاً على إصلاح نظام التعليم، وعلاج جوانب كثيرة تحتاج إليها الشخصية القومية.(Hans,1996,p3) .

6- ويناقش فكرة العولمة على أسس موضوعية، لأن التقارب والتبادل الثقافي، والاعتماد المتبادل، وإنتاج المعرفة ونشرها، تعد جوانب ايجابية لحياة الأمم، والشعوب، ويمكن أن يكون لها دور ايجابي، وفعال في تشكيل الشخصية القومية.لكن تذويب القوميات، وانصهار الثقافات، وتوحيدها، جوانب تتناقض مع بناء الشخصية القومية لأمة من الأمم.

ويمكن القول: بأنه لا يمكن أن يكون هناك نظام عالمي لكل دول العالم، إلا الثقافة الناتجة عن الذوبان، والانصهار الثقافي لكل أمة، لتكوين ثقافة العولمة. والعوامل الثقافية، والشخصية القومية، ترفض هذه الفكرة، وفي هذه الفترة المليئة بالمتغيرات العالمية، والإقليمية من عصر العولمة.

7- أن يركز الأستاذ الجامعي على العمل العربي المشترك ثقافياً وتربوياً، ولاسيما على مستوى المؤسسات، والهيئات ذات الإمكانية البشرية ،والفنية. مثل: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

8- على الأستاذ الجامعي إعادة النظر في الفلسفة التربوية العربية، التي تأخذ في الاعتبار مختلف المتغيرات العالمية الراهنة والمستقبلية. (جادو،**2002**،ص**993**).

ثالثاً: العولمة التعليمية والثقافية:

إنَّ العولمة في بعدها التعليمي والثقافي المتمثل بالثورة العلمية، والتكنلوجية، وظهور شبكة الانترنت، أصبحت تشكل تحدياً حقيقياً للأمة على مستوى الأفراد، والشعوب. فعن طريق الأنترنت يتم الأتصال بالعلم بأسرع وقت، وأقل تكلفه، ويتم الحصول على المعلومات المختلفة من مختلف انحاء العالم، كما يتم مخاطبة الشعوب على اختلاف لغاتها. كما أن العولمة تسعى إلى طمس الهوية الثقافية للشعوب الضعيفة، وتسييد الثقافة الأمريكية، وفرضها على غيرها من الثقافات. ولمواجهة تحديات العولمة لابد من إعادة النظر في النظام التعليمي الحالي، والعمل على بناء نظام تعليمي جديد يزيد من كفائة الأستاذ الجامعي العربي في عملة وتطويره لمجتمعه.

يقوم على عدة مرتكزات من أهمها:

1) تربية الهوية، وتعميق الانتماء لدى أفراد الأمة من خلال الاهتمام بالبناء القيمي، والأخلاقي للأفراد.
2) الاهتمام باللغة العربية، والتركيز عليها، لأنها من لوازم غرس الهوية، والحفاظ عليها.
3) توحيد المناهج التعليمية لأنها عامل توحد وتجانس بين أفراد المجتمع.
4) التأكيد على البحث العلمي لدراسة المشكلات، ومواجهتها في ظل الخصوصية الثقافية للأمة.

5) رعاية الأبداع من أجل إعداد انسان يتمتع بمهارات التعامل مع معطيات العصر التقنية والعلمية، ومتسلحاً بالوعي، والإرادة.

6) قبول التعددية الفكرية، و الثقافية، والإنطلاق نحو العالمية، مع الأحتفاظ بالهوية، والأصالة الثقافية.

7) التركيز على أهم أسباب التعددية الثقافية، والمتمثلة بالأسباب التالية: "بأنها ثقافات متعددة متصارعة في المجتمع الواحد، نتيجة لأسباب، وظروف متعددة. (العاجز والعمري، **2000** ،ص**31**).

1- الثورة العلمية والتقدم التكنولوجي الهائل وتقدم وسائل الاتصال:

إن التطورات التكنولوجية للحاسبات الآلية، والبرمجيات، وشبكات المعلومات، ووسائل الاتصال ،والصناعات الحديثة المختلفة، أدت إلى انهيار الكثير من الشعوب الأقل تقدماً بثقافات الدول المتقدمة علمياً، وتكنولوجياً. و كذلك من نتيجة الانفجار العلمي، والتكنولوجي، تغيرت الأساليب التربوية في العملية التعليمية، حيث أصبح استخدام الحاسب الآلي يمثل ضرورة ملحة في كافة العلوم. كما أنَّ التقدم العلمي، والتكنولوجي أدى إلى نقل ثقافة الدول المتقدمة إلى الدول النامية، مما أدى إلى نوع من الصراع القومي، والمحلي في المجتمعات النامية.

2-الضعف العربي والإسلامي:

تمر الأمة العربية، والإسلامية بحالة من الضعف، والتفرق، والتمزق، لا يمكن إنكارها. كما امتد الضعف إلى اللغة العربية محاولاً حصرها في أضيق حدود التكامل. كما أدى هذا الضعف إلى ظهور بعض مجالات الغزو الفكري للأمة الإسلامية، وبعض محاولات الاعتداء على العقيدة الإسلامية. وتشويه صورتها.

3- تيار التغريب:

ظهر من خلال بعض المفكرين، والكتاب الذين عملوا على نقل الثقافة الغربية، والثقافة الشيوعية. وكذلك من خلال حركات التحرر الوطني، والحركات الدينية، وحركات التحرر الإنسانية، الذين نقلوا ثقافات البلاد الأجنبية،وتبنوها في حياتهم وأثروا من خلالها في مجتمعاتهم، وخريجو البعثات العلمية، والدراسية في الخارج. وغيرهم من المنظمات الأخرى. وكان للتعددية الثقافية سلبياتها والتي يمكن حصرها فيما يلي:(العاجز، **2000** ، ص **327**).

1- الانبهار بالثقافات الأخرى، وخاصة الثقافات الغربية.

2- بروز بعض مظاهر التشتت، والتمزق، والحيرة التي يعيشها كثير من شبابنا هذه الأيام.

3- زرع الفرقة، والانقسام بين أبناء البلد الواحد، حتى أصبحنا نرى من ينادي منهم بالأخذ بالثقافة الغربية، ومنهم من ينادي بالتمسك بالثقافة العربية، ومنهم من ينادي بالتحديث، ومنهم من ينادي بالمحافظة، والتقليد.

4- تزايد نشاط من ينادون بالتبعية الثقافية للغرب من خلال طرح فكرة العولمة، والنظام العالمي الجديد.

5- العمل على إضعاف كل دعوة تنادي بالالتزام بالثقافة الإسلامية، وذلك من خلال تحسين صورة الثقافة العربية أمام أبناء المسلمين، وإضعاف الثقة بالثقافة العربية، والإسلامية.

وفي ظل العولمة الثقافية، يزداد الوعي بضرورة التفاعل بين الثقافات، وعدم الانغلاق على حساب الجوانب المشتركة بين الثقافات الإنسانية. مع الاحتفاظ بالهوية الثقافية، والتمسك بها، ودعمها بشكل يحقق التعايش مع الآخرين في سلام.

وخلاصة القول: إنَّ العولمة أصبحت ضرورة يفرضها الواقع، لذلك لابد من مواجهة سلبياتها، و التحوط من مخاطرها بالعلم، والاستفادة من إيجابياتها .

وذالك من خلال التركيز على المحاور الآتية من قبل الأستاذ الجامعي وهي:

1- البناء القيمي والأخلاقي للطلبة:

لأن التركيز على القيم يساعد المجتمع على التمسك بمبادئه الثابتة، والمستقرة، ويجعله قادراً على مواجهة المتغيرات، ولكي نقيم هذا البناء القيمي، والخلقي، ونكسب أبناءنا الحصانة الذاتية، والمناعة الثقافية، فلا بديل عن التربية الإسلامية المرتكزة على العقيدة الصافية، والنية الصادقة، والقيم الروحية، والإرادة القوية، والإخلاص للصالح العام، والتخلص من الأنانية، وحب الذات، والثقة بالنفس، وتحمل المسؤولية، والحفاظ على الهوية الثقافية. والتأكيد على ترجمتها عملياً في سلوك الطلبة حتى تصبح من نسيج شخصياتهم.

2- التفوق العلمي والتكنولوجي:

في ظل التزايد المتنامي للعولمة، ولسد الفجوة الحضارية بيننا، وبين الغرب، لابد من التركيز على التفوق في المجال العلمي، والتقني، ولأنه مع العولمة لن تصمد أي أمة بدون تعليم عصري يناسب ظروفها. لذا نجد في الدول المتقدمة أنَ(**80**٪) من طلبة التعليم العالي، يدرسون في كليات العلوم،والتكنولوجية، والهندسة، و(**20**٪) منهم في كليات الإنسانيات، والقانون. وعكس ذلك في الدول النامية، حيث تصل نسبة الطلبة في كليات العلوم، والهندسة إلى(**20**٪). على حين تصل نسبتهم إلى (**80**٪) في كليات العلوم الإنسانية، والقانون. (البيلاوي،**1997**، ص **81**).

وخلاصة القول: إنَّ التقدم المنشود لن يتحقق إلا من خلال التركيز على التفوق العلمي والتكنولوجي، والمهني لتحقيق التقدم المنشود، والوقوف في وجه تحديات العولمة.

3- قبول التعددية والانطلاق نحو العالمية:

ويقصد بها تركيز الأستاذ الجامعي على تربية الطلبة للتعامل الإيجابي مع حقيقة التعددية الفكرية، والثقافية، والاقتصادية، لأنَّ التربية في ضوء هذه التعددية من شأنها أن تنمي لذى الطلبة روح التسامح، ورفض التعصب، وقبول الآخر، واحترام الاختلاف مع الغير، وكيفية التعامل مع الاختلاف، والقدرة على تبادل الأدوار. والتعددية سنة من سنن الله في الكون حيث اقتضت حكمته التعدد بين الخلائق حتى تستقيم الحياة، فهناك الشعوب، والقبائل، وهناك التعددية اللغوية، واللونية، والعقائدية. وفيما يلي بعض التصورات التي قد تسهم في تحقيق ذلك:

1- التركيز من قبل الأستاذ الجامعي على ضرورة إنشاء شبكة عربية جامعية تعمل على تعليم العربية لغير الناطقين بها. لإبراز الوجه المشرق للثقافة العربية.
2- توجيه الطلبة للتعامل مع الانترنت، وإنتاج برامج تمكن مستخدمي الانترنت من البحث والتقصي- باللغة العربية.
3- تنمية مهارات الاتصال،والتفاهم مع الآخرين ذوي الثقافات، والخلفيات المختلفة، والأخذ بوسائل التطور، والتقدم العلمي.
4- تربية الطلبة في إطار متوازن بين ثقافة المجتمع، والانفتاح على الثقافات الأخرى، بما يضفي على شخصياتهم طابع العالمية في التفكير.
5- التركيز على الإعلام للتعبير من خلاله عن أصالتنا، وماضينا العريق، وبيان حقيقة الإسلام كنموذج حضاري صالح لكل الأزمان، والشعوب.
6- التركيز على تفعيل هياكل التكامل الإقليمي بين الدول العربية، والإسلامية حتى تصبح ذات ثقل مؤثر في المجتمع العالمي، وليس على هامشه.

المحور الرابع:

التصور المقترح لدور الأستاذ الجامعي في مواجهة تحديات العولمة.

وفي ضوء ما سبق يمكن وضع تصور مقترح لدور الأستاذ الجامعي في مواجهة سلبيات، وتحديات العولمة. وهذا التصور يقوم على المحاور التالية:

1- منطلقات التصور المقترح وفلسفته:

ينطلق التصور المقترح من:

1- أهمية دور الأستاذ الجامعي في مواجهة تحديات العولمة.

2- أهمية تحديات العولمة التي تواجه الأستاذ الجامعي والمتمثلة في التحديات الدولية، والإقليمية، والثقافية.

3- وضع تصور يهتم بمواجهة الأستاذ الجامعي لتحديات العولمة.

4- الإستفادة من تجارب الدول الأخرى في مواجهة تحديات العولمة.

2- أهداف التصور المقترح:

في ضوء الفلسفة التي ينطلق منها التصور المقترح يمكن استخلاص الأهداف التالية:

1- التعرف على أهم سلبيات، وإيجابيات العولمة، ودور الأستاذ الجامعي في مواجهتها.

2- الوصول إلى سبل، مواجهة الأستاذ الجامعي للتحديات الدولية التي تفرضها العولمة.

3- الوصول إلى سبل، مواجهة الأستاذ الجامعي للتحديات الإقليمية التي تفرضها العولمة.

4- الوصول إلى سبل، مواجهة الأستاذ الجامعي للتحديات الثقافية للعولمة.

3- متطلبات التصور المقترح:

تتمثل فيما يلي:

1- إلقاء الضوء على أهم أنواع العولمة، ومؤسساتها المختلفة.

2- دراسة النظم التعليمية للدول النامية، والمتقدمة، ووضع تصور لتقدم الدول النامية في ضوء ما حققته الدول المتقدمة.

3- ضرورة تدريس الأنظمة التعليمية في الجامعات ، مع توضيح العوامل التي أدت إلى تقدم أو تخلف تلك الدول.

4- توضيح القيم، والمبادئ، والمناهج، والأساليب التي من خلالها تتم مواجهة تحديات العولمة.

5- التركيز على أهمية الثقافة الإسلامية، وضرورة التمسك بها في الوقت الحاضر، لأنها نابعة من ديننا، وتؤثر في تربيتنا.

4- الضوابط التي ينبغي مراعاتها لنجاح التصور المقترح:

في ضوء ما سبق التعرض له عن دور الأستاذ الجامعي في ضوء تحديات العولمة، يمكن وضع بعض الضوابط التي تساهم في مواجهة الأستاذ الجامعي لتحديات العولمة، ومن أهمها ما يلي:

أولاً: فيما يختص بمواجهة الأستاذ الجامعي للتحديات الدولية للعولمة:

1-على الأستاذ الجامعي الاهتمام بدراسة الاتجاهات المعاصرة لمواجهة التحديات في الزمن الحاضر، وتحويلها ايجابياً إلى فرص هائلة في المستقبل.

2- على الأستاذ الجامعي توضيح أهمية الارتباط بين الشعوب الإنسانية، والدول،والحكومات، والمنظمات، والشركات الدولية النشاط، والمتعددة الجنسيات، على أن يقوم الارتباط على العدل، والتفاعل دون تناقضات، وتأزم، وإحساس بعقدة النقص، والخوف.

3- على الأستاذ الجامعي الاستفادة من الدول المتقدمة، ونظمها التعليمية، ومواجهة العولمة، والمطالبة بالتطور، والتحديث، والتغيير، واستيعاب متغيرات العصر، واستخدام أدواته، والتكيف مع آلياته في ضوء إستراتجية تربوية، وفلسفة، واضحة.

4- ضرورة تأهيل الأستاذ الجامعي لكي يتوافق مع ظروف عصر العولمة، ويتحمل مسؤولية توعية العقول القادرة على الإبداع.

ثانياً: فيما يختص بمواجهة التحديات الإقليمية:

1- على الأستاذ الجامعي تقديم اقتراحات تؤدي إلى تقديم الدول النامية بشكل يجعلها تواكب عصر العولمة بالتحديث، والتجديد في النظم التعليمية.

2- على الأستاذ الجامعي القيام بدراسات للمشكلات الإقليمية من جميع النواحي بهدف تطوير النظم التعليمية في هذا الإقليم. لتتماشى مع عصر العولمة، والتكنولوجيا الحديثة.

3- على الأستاذ الجامعي التوسع في الدراسات المستقبلية، على مستوى جميع الأقاليم المحلية، حتى يتمكن من الاستعداد لجميع التطورات العلمية، والتكنولوجية التي يفرضها عصر العولمة.

ثالثاً: فيما يختص بمواجهة التحديات الثقافية للعولمة:

1- على الأستاذ الجامعي التركيز على الاستفادة من التعددية الثقافية مع الحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية، وحمايتها من المخاطر التي تواجهها.

2- على الأستاذ الجامعي التوسع في دراسة العولمة مع توضيح القيم، والمبادئ، والعادات، والسلوكيات التي من خلالها تتم مواجهة تحديات ثقافة الهيمنة، ووقف محاولات الغزو الثقافي الذي تود فرضه وسيطرته.

3- على الأستاذ الجامعي ضرورة توضيح أهمية الجمع بين الأصالة، والمعاصرة عن طريق المقارنة بين الدول المتقدمة، والدول النامية.

4- على الأستاذ الجامعي مراعاة تدريس التربية الدولية، والتربية العالمية في الجامعات لتدعيم الاستفادة من العولمة،وعدم الانزعاج من الجديد الذي تؤيده.

مراجع البحث

1- أحمد مجدي حجازي :" العولمة وتهميش الثقافة الوطنية" مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، مجلد(28)،ع(2)،أكتوبر/ ديسمبر،1999م.

2- أميمة منير جادو:" عولمة الإعلام وانعكاساتها على تربية الطفل" مجلة البحث التربوي، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية،العدد(2)،ج(2)، يوليو2002م.

3- حسين كامل بهاء الدين: مفترق الطرق، دار المعارف:القاهرة، 2003م.

4- حنان عبد الحليم رزق:"دور بعض الوسائط التربوية في تنمية وتأصيل القيم الأخلاقية لدى الشباب في ظل ملامح النظام العالمي الجديد" مجلة كلية التربية بالمنصورة، العدد(48)، يناير2002م.

5- خالد البدراوي محمد:" التنشئة الاجتماعية أم تغير البنية الاجتماعية أقدر للحفاظ على هويتنا الثقافية في ظل آليات العولمة المتضخمة، رابطة الجامعات الإسلامية وكلية التربية بالعريش" ندوة التنشئة الاجتماعية ومواجهة التحديات الثقافية والاجتماعية التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل، العريش،21-23 أكتوبر 1998م.

6- رأفت غنيمي الشيخ:" الحفاظ على الهوية الثقافية في عصر العولمة" رابطة الجامعات الإسلامية وكلية التربية بالعريش، العريش،21-23 أكتوبر،1998م.

7- سعيد طه محمود والسيد محمد ناس: قضايا في التعليم العالي والجامعي. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2002م.

8- شبير عبد الله الحرازي: العولمة (مضمونها وأثارها- وآليات تلافيها)، مجلة الباحث الجامعي، جامعة إب- اليمن، العدد(4)، السنة الرابعة، 2002م.

9- ضياء نمر العوايشة: التربية والتحديات العولمة في الوطن العربي . دار جرير للنشر والتوزيع. عمان، .2004

10- طلال عتريسي:" الهوية الثقافية في مواجهة العولمة" مجلة معلومات دولية، مركز المعلومات القومي السوري، السنة السادسة،ع(58)، خريف 1998م.

11- عبد الله محمد الفلاحي: مظاهر اختراق العولمة الثقافية للهوية القومية ومكونات الثقافة العربية المعاصرة (التحدي- الاستجابة- الرد)، مجلة الباحث الجامعي جامعة إب اليمن، العدد(8)، السنة- يناير- مارس 2005م.

12- عصام الدين هلال:" التربية بين الكونية والخصوصية الثقافية، قراءة تربوية في الجدل بين العولمة الشمولية والعولمة الديمقراطية" مجلة التربية المعاصرة، رابطة التربية الحديثة، العدد(46). السنة (24)، ابريل1997م.

13- علي أحمد مدكور:" العولمة والتحديات التربوية" مجلة العلوم التربوية، معهد الدراسات التربوية بجامعة القاهرة، ع(9)، يناير1997م.

14- علي عربي وإسماعيل قيرة، تنمية المجتمع من التحديث إلى العولمة،(**دار الفجر، القاهرة،2003**).

15- فاطمة محمد السيد علي، البحث التربوي المقارن وتحديات العولمة في القرن الحادي والعشرين، مجلة مستقبل التربية العربية، **تصدر عن المركز العربي للتعليم والتنمية، العدد (30)، يوليو 2003م**.

16- فؤاد العاجز وعطية محمد العمري:" الإدارة المدرسية والتعددية التعليمية" المؤتمر السنوي الثامن للجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية بالاشتراك مع مركز تطوير التعليم الجامعي **المنعقد في الفترة من 27-29 يناير 2000م. (دار الفكر العربي، القاهرة، 2000م)**.

17- كوتشير وماتسورا:" عولمة الاقتصاد هل ترسي قيم حضارة جديدة". **ترجمة كامل حامد جاد**، مجلة مستقبليات، **المجلد(30)، العدد(4) ديسمبر 2000م**.

18- محسن أحمد الخضري: العولمة، **مجموعة النيل العربية، القاهرة،2000م**.

19- محمد إبراهيم عطوة مجاهد: "بعض مخاطر العولمة التي تهدد الهوية الثقافية للمجتمع ودور التربية في مواجهتها". مجلة مستقبل التربية العربية، **المجلد السابع، العدد (22) أكتوبر 2001م**.

20- محمد إبراهيم المنوفي:" التعليم المصري وتحديات العولمة". مجلة التربية المعاصرة، **رابطة التربية الحديثة، العدد (46)، السنة (14)، ابريل 1997م**.

21- محمد الخضر:" العولمة والهوية، والتهميش يهدد الموروث الثقافي للأمم". مجلة معلومات دولية، **مركز المعلومات القومي السوري، السنة (6)، ع (58)، خريف 1998م**.

22- محي محمود شهاب:" دور التعليم في مواجهة نظام العولمة في القرن الحادي والعشرين". مجلة البحث التربوي، **يصدرها المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، المجلد الأول، العدد (2)، ج (2)، يوليو200م**.

23- نبيل رشاد نوفل: " أزمة التنوع الثقافي في مواجهة" كلية آداب بنها، مجلة معلومات دولية، **مركز المعلومات القومي السوري، السنة السادسة، ع (58)، خريف 1998م**.

24- **Gerald L. Gutek,** Cultural Foundation of Education**, New York, 1991.**
25- **Giddens, Anthony:** The Consequences of Modernity**, Stanford University press, 1990.**
26- **Nicholas Hans,** Comparative Education Rout-ledge, **Keg-an Paul, London, 1996.**
27- **Ronald Robertson,** Globalization**. Loudon, sage co: 1992.**
28- **Takahashi, Shinji,** Global Insecurity and Education, The Culture of Globalization**, Eric, No, EJ, 526731, 1995.**
29- **Waters, Malcom:** Globalization, **London, Rout-Ledge. 1995.**
30- **W. D. Halls:** Comparative Education- Contemporary Issues and Trends **Jessica Kingsley Publishers- Unesco, 1990.**

اتجاهات طلبة جامعة إب نحو ظاهرة العولمة

الدكتور / أحمد غالب الهبوب *
الدكتور / فاضل زامل الجنابي **

مقـــدمة:

تعد ظاهرة العولمة وليدة التحولات الكبرى التي شهدها النظام العالمي خلال العقدين الآخرين من القرن العشرين ، فقد ساهمت التحولات الاقتصادية وثورة العلم والتكنولوجيا والتطورات الهائلة في منظومة الاتصالات ووسائل الإعلام في تكريس هذه الظاهرة كأمر حتمي لا مفر منه . باعتبارها ظاهرة تعبر عن مرحلة تاريخية من مراحل تطور العالم ، وهي مرحلة حافلة بالتحولات المجتمعية التي تدفع باتجاه تغيير العالم من خلال خلق نسق قيمي واتجاهات وتفاعلات ومشكلات عالمية جديدة (وطفة ، 2003، ص100) .

فمنذ عقد التسعينات من القرن المنصرم والحديث عن العولمة يجري على نطاق واسع في مختلف بقاع العالم ، وقد كتب الكثير حولها ، حيث عدها البعض مؤامرة إمبريالية غربية ، بينما يراها البعض الآخر نهاية المطاف في توجه البشرية نحو مصيرها المحتوم ، ووجد آخرون فيها تطوراً محموداً ، في حين أدركها آخرون نذير شؤم باعتبارها انتصاراً للمنهج الرأسمالي الليبرالي ، ويبدو واضحاً أن هذه الظاهرة تمثل اليوم إطاراُ مرجعياً لمجمل الدراسات المجتمعية ، إذ اصبح من غير الممكن فهم ما يحدث من تطورات وتغيرات في المجتمعات دون الرجوع إلى ظاهرة العولمة ، بل ويكاد المرء أن يجزم أن معظم التحولات المجتمعية المذهلة والمتسارعة التي يشهدها العالم اليوم هي إما سبباً من أسباب العولمة ، أو إنها مجرد نتيجة من نتائجها الضخمة والعميقة (عبدالدائم ، 2000، ص131) .

ومما لا شك فيه أن العولمة وما يرافقها من تغيرات في طبيعة العلاقات الإنسانية وفي بنية الحياة المجتمعية، قد وضعت النظم التربوية كغيرها من النظم المجتمعية الأخرى في العالم أمام خيارات

---

*) أستاذ أصول التربية المشارك - جامعة إب
**) أستاذ القياس والتقويم المساعد – جامعة إب

وحسابات جديدة عديدة تدخل في صميم مبادئها وأهدافها وبرامجها ووسائلها وعلى مختلف المستويات ولاسيما على مستوى التعليم العالي (مدكور، 1998،ص17) ، حيث تلعب مؤسسات التربية والتعليم دوراً رائداً في مواكبة هذه التغيرات ، وإعداد الأجيال القادمة للتعامل مع انعكاساتها وبناءهم نفسياً ومعرفياً ومهنياً لمواجهة متطلبات هذا العصر وتحدياته (التل وآخرون ، 1997، ص9) ، وبمعنى آخر يتوقف مستقبل ومصير المجتمعات ولاسيما في هذا العصر على كفاءة النظام التربوي في كيفية التعامل مع هذه التغيرات ومواجهة استحقاقاتها فالمجتمعات الإنسانية جميعها ، بما في ذلك أكثرها رغبة في الانعزال والتقوقع معنية اليوم بهذه الظاهرة ومطالبة بتحديد طبيعة استجاباتها واتجاهاتها حيال هذه الظاهرة .

ورغم أن العولمة ظاهرة معقدة التركيب ، تتداخل وتتفاعل فيها مختلف القوى والعوامل المجتمعية غير أن البعد الاقتصادي فيها قد حظي بنصيب الأسد من الاهتمام والدراسة ، ولا ينكر أحد أهمية هذا البعد بالنسبة لباقي الأبعاد المجتمعية ، إلا أن البعد الثقافي بما يفرزه من قيم واتجاهات وأنماط سلوكية يلعب دوراً كبيراً في تحويل ظاهرة العولمة إلى ظاهرة حياتية ، فالعولمة تهدف إلى دمج العالم دمجاً نمطياً من خلال تعميم نماذج حياتية معينة ، لذلك سعى ويسعى مروجوها إلى صنع آليات خاصة من أجل بعدها المعرفي والثقافي ، الأمر الذي دفع باتجاه الاهتمام بالمجال التربوي مؤخراً بعد أن كان متمحوراً حول البعد الاقتصادي والسياسي والإعلامي ، باعتبار التربية الوسيلة المثلى التي يمكن من خلالها نشر الفكر العولمي ، بل أن العولمة في مظهرها الثقافي تمثل التحدي الأكبر الذي يواجه المجتمعات المعاصرة ولاسيما النامية منها ، لأن مشروع العولمة هو في الأساس مشروع ثقافي يسعى إلى تعميم منظومة قيم وسلوكيات معينة على سائر دول العالم (السقاف، 1998،ص104) .

ومن هنا تكتسب التربية في زمن العولمة أهمية خاصة بوصفها الأداة الرئيسة التي تسمح للقائمين على المجتمع بتحديد اختياراتهم في مختلف أبعاد الحياة ، سواء لضمان استمرار المجتمع بكل مقوماته ونسق قيمه وأوضاعه الاجتماعية القائمة ، أو بهدف تغييره لمواجهة تحديات العصر ومطالبه ، وهي قادرة بل هي من أبرز الوسائل الفاعلة في تغيير اتجاهات الأفراد وأنماط تفكيرهم وسلوكياتهم تجاه مشكلات مجتمعاتهم ، ولا يقتصر دور التربية في نقل المعرفة ، بل يتجاوز ذلك إلى تأثير المؤسسة التربوية في البيئة المجتمعية (بدران ، 2000، ص 198).

ويحتل التعليم العالي أهمية خاصة ومكانة رفيعة في المؤسسات التربوية لكونه يعد ما يمكن أن يطلق

عليه القيادة الفكرية والعلمية للمجتمع ، فلا ينحصر دور الجامعة ومسؤولياتها في مجال المرجعية المعرفية والمتخصصة فحسب ، بل يتعداه إلى المشاركة الفاعلة في تغيير المجتمع وتطويره بما يتناسب ومتطلبات العصر وتحدياته ، ولا يمكن إحداث تغيير عميق وشامل في المجتمع ما لم تتوافر قيادات فكرية مؤهلة تؤمن بالتغيير والتطوير وقادرة على مواجه تحدياتـه (التل وآخرون ، 1997، ص 12) .

وفي ضوء ما تقدم فإن تحديد طبيعة استجابة أي مجتمع تجاه أية ظاهرة فكرية أو اقتصادية أو اجتماعية يرتكز في الأساس على طبيعة الاعتقادات والاتجاهات السائدة بين أبنائه حيال هذه الظواهر ، ولا سيما الذين ينتمون إلى المؤسسة التربوية بمختلف مستوياتها ومراحلها ، وبخاصة طلبة الجامعات لما يمثلونه من طلائع متقدمة في الوعي والمعرفة ، والاستعداد في مسايرة التطور وتقبل فكرة التحديث والمعاصرة مع التمسك بثوابت الأمة ومقدساتها ، وبوصفهم طاقات المجتمع في عملية التنمية وقياداته المستقبلية ..

مبررات الدراسة الحالية : -

1 - قلة الدراسات حول البعد التربوي لظاهرة العولمة ، فمن الملاحظ تمركزها حول الجانب المادي من هذه الظاهرة ممثلاً بالبعد الاقتصادي والتكنولوجي ، فيما شكل البعد الثقافي والتربوي لهذه الظاهرة دوراً ثانوياً أو عرضياً في هذه الدراسات .

2 - معظم الدراسات والجهود البحثية في هذا المجال قد اقتصرت على الجانب النظري البحت، واعتمدت الاستقراءات النظرية كمنهجية للوصول إلى استنتاجاتها وتعميماتها ، فيما أهملت الجوانب التطبيقية الميدانية ، وإن أشارت بعض هذه الدراسات إلى ضرورة تقصي هذه الظاهرة بأبعادها المختلفة على مستوى البحوث التطبيقية الميدانية .

3 - تراوحت الدراسات السابقة وبحكم منهجيتها بين استقراء أثار العولمة في مختلف نواحي الحياة وتحديد تحدياتها ، فقد كرست دراسة عبداللطيف (1995) للتعرف على مدى استجابة القوى البشرية التي يعدها النظام التربوي بمستوياته المختلفة لحاجات ومتطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في عالم يتسم بالتغير والتعقيد (عبداللطيف ، ص 71) ، فيما أكدت دراسة حلاق (Hallak .1998) أن العولمة ولاسيما في بعديها التكنولوجي والاقتصادي قد أجبرت المؤسسة التربوية ولاسيما على المستوى الجامعي على تعديل سياساتها بما يجعل مخرجاتها أكثر استجابة لمطالب العولمة (Hallak .P.1) ، وانتهت دراسة الأغبري (1999) إلى تحديد جملة من المبادئ

الأساسية التي ينبغي أن تقوم عليها عملية إصلاح النظم التربوية في البلدان العربية والتي من أهمها تفعيل التعاون العربي المشترك في الميدان التربوي ، والتركيز على التربية المستقبلية (الأغبري ، ص276) . وكان من بين أبرز نتائج دراسة عطاري (1999) التأكيد على وجود علاقة ارتباط دالة بين مستوى الوعي العالمي لطلبة الجامعة ومواقفهم من القضايا العالمية (عطاري ، ص 255) وخلصت دراسة الرشدان (2002) إلى أن التربية العربية بحاجة اليوم إلى مراجعة نقدية شاملة في مختلف مكوناتها ومستوياتها وأنواعها بما يجعلها قادرة على مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين (الرشدان، ص25) ، وفي الاتجاه نفسه تفيد دراسة الإبراهيم (2002) أن النظام التربوي يمتلك الدور الأساسي في رفد المجتمع بعوامل القوة ولاسيما الاقتصادي منها لمواجهة التحديات التي يفرضها النظام العالمي الجديد (الإبراهيم ،ص 38) ، فيما حددت دراسة السحباني (2002) أن التحدي الأساسي للنظم التربوية يتمثل في قدرتها على استيعاب ظاهرة العولمة ولاسيما في بعدها الاقتصادي (السحباني ،ص53). وكان من بين أبرز نتائج دراسة وطفه (2003) تعزيز التعليم الديني باعتباره يشكل أفضل السبل لمواجهة تحدي العولمة (وطفه،ص 142) ، وتمحورت دراسة كارونوي (2003) حول الإجابة عن تساؤلات عدة كان من أبرزها حول الكيفية التي ينبغي على صناع القرار التربوي اتباعها عند هيكلة نظمهم التربوية ، وأي الإستراتيجيات ينبغي عليهم تطويرها من أجل تهيئة بلدانهم للتوافق مع ظاهرة العولمة والتفاعل معها ؟ (كارونوي ، ص 14) .

غير أن هذه الدراسات كما سبقت الإشارة ، قد أقتصرت في معظمها على محض الاهتمام النظري بهذه الظاهرة ، كما أن بعضها قد تمحور حول الأبعاد الاقتصادية والسياسية لهذه الظاهرة متجاهلاً بعدها الثقافي التربوي الذي غدا اليوم في طليعة أبعاد العولمة ويتصدر أبرز الأهداف الاستراتيجية لدعاة العولمة ومروجيها . لذلك فإن أهمية هذه الدراسة تتجلى في كونها تتناول ظاهرة العولمة بأبعادها المختلفة ، من خلال متابعة تأثيراتها على المشهد التربوي في أعلى مراحله وهي المرحلة الجامعية ، وعلى المستوى التطبيقي ، ماثلة في تقصي المعلومات والبيانات عن طبيعة اتجاهات طلبة الجامعة حيال هذه الظاهرة .

أهمية الدراسة...

فضلاً عما تقدم فأنه يكن تحديد أهمية الدراسة على النحو الآتي :

1- تقدم نتائج الدراسة الحالية قاعدة معلومات حول هذه الظاهرة تساعد في توفير مؤشرات عن طبيعة استجابة المجتمع إزاءها ويمكن استخدامها في بحوث لا حقه .

2- تساعد نتائج الدراسة المسؤولين عن رسم سياسة وبرامج الأنشطة الجامعية في وضع التدابير اللازمة لتعزيز اتجاهات الطلبة أو تعديلها وفقاً لفلسفة المجتمع وأولوياته وخياراته .

3- تقدم الدراسة أداة تقيس اتجاهات الطلبة نحو العولمة يمكن الاستفادة منها في دراسات لاحقة .

مشكلة الدراسة : -

فرضت ظاهرة العولمة تحديات كبيرة على مختلف المجتمعات المعاصرة ولاسيما النامية منها ، وتعددت المواقف منها ، ما بين الرفض المطلق ، والقبول الحذر ، وأفرزت الظاهرة إشكالاً متعددة من القناعات والاعتقادات والاتجاهات الشائعة بين أوساط الكثير من الفئات الاجتماعية ، حيث عدها البعض خطراً يتهدد المجتمعات العربية والإسلامية ، واعتبرها البعض الآخر نافذة على العالم تسهم في تعزيز قيم الحرية وحقوق الإنسان وحرية التجارة ، وغيرها من الأفكار والتصورات المتضاربة ، مما جعل هذه الظاهرة بحق قضيةٍ جدلية ، ولما كانت الخطوة الأساسية لفهم هذه الظاهرة وتحديد أبعادها ومخاطرها ينطلق أساساً من استجواب عقول القيادات الفكرية في المجتمع ، فقد شعر الباحثان بضرورة التحقق من صحة هذه الاعتقادات وذلك بالقيام بدراسة ميدانية تتضمن استقصاء آراء طلبة الجامعة واتجاهاتهم حيال هذه الظاهرة ، بفرض أنهم يمثلون مجتمعهم ، وأنهم يمتلكون وعياً متقدماً يشكل قاعدة لرؤية موضوعية لهذه الظاهرة يعكس مؤشراً مرجعياً لاستجابة المجتمع إزاءها

أهداف الدراسة :

تستهدف الدراسة الإجابة عن التساؤلات الآتية :

- ما آراء طلبة جامعة إب حول مفهوم العولمة ونشأتها ؟
- ما اتجاهات طلبة جامعة إب نحو ظاهرة العولمة ؟
- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات أفراد العينة ترجع إلى متغيرات الدراسة وهي : الجنس ، المستوى ، التخصص .

فروض الدراسة :

1- اتجاهات الطلبة سلبية نحو ظاهرة العولمة .

2- لا توجد فروق في اتجاهات الطلاب والطالبات نحو العولمة

3- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات طلبة المستوى الأول والرابع نحو العولمة .

4- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات طلبة الأقسام العلمية والإنسانية نحو هذه الظاهرة .

حدود الدراسة :

تقتصر الدراسة على معرفة أراء طلبة جامعة إب واتجاهاتهم نحو ظاهرة العولمة ، في العام الجامعي 2003 / 2004م ، مستبعدةً طلبة كلية التربية بالنادرة .

تحديد المصطلحات :

أولاً : الاتجاه : (Attitude) :

- يعرفه ألبورت بأنه : " حالة من الاستعداد العقلي والعصبي تنتظم من خلال خبرة الشخص لتمارس تأثيراً توجيهياً أو دينامياً على استجابة الفرد نحو جميع الموضوعات والمواقف المرتبطة بهذه الإستجابه أو التي تستثيرها " (Allport , 1968, P15) .

- ويعرفه روكتيش بأنه: " تنظيم من الاعتقادات حول موضوع أو موقف معين وهو ثابت نسبياً ، ويجعل الفرد قابلاً لأن يستجيب بطريقة معينة " (Rokeach , 1968, P112)

- ويعرفه سيرز وآخرون بأنه : تنظيم لمشاعر الفرد ومعارفه وسلوكه واستعداده للقيام بأفعال معينة ، ويتمثل في درجات من القبول أو الرفض نحو الموضوع أو القضية موضوع الاهتمام (Sers , etal , 1985 , P220) .

- ويعرفه سويف (1972) بأنه : " تكوين فرضي أو متغير وسيط يقع بين المثير والاستجابة وهو استعداد نفسي- او تهيؤ عقلي عصبي متعلم للاستجابة الموجبة أو السالبة نحو أشخاص أو أشياء أو موضوعات أو مواقف أو رموز في البيئة تثير هذه الاستجابة " . (سويف ، ص206)

- ويعرفه عدس وتوق (1994) بأنه : " يمثل حالة أو وضعاً عند الفرد يجعل طابعاً إيجابياً أو سلبياً تجاه شيء أو موقف أو فكرة أو ما شابهه مع الاستعداد للاستجابة بطريقة محددة مسبقاً نحو مثل هذه الأمور أو كل ماله صلة بها" (عدس وتوق ، ص338)

ووفقاً لهذه التعاريف فإنه يوجد لدينا عدد لا نهائي من الاتجاهات التي ترتبط بموضوع أو فكرة أو مفهوم أو شخص معين أو شيءٍ نقيمه لهذا تجد لدينا إتجاهات نحو (عمل المرأة ، تعليم المرأة ، المعوقين ، الفضائيات ، قضايا سياسية ، أو اجتماعية ...)

ثانياً : العولمة :

العولمة كلمة حديثة في اللغة العربية ، وتعود في أصلها الاشتقاقي العربي إلى كلمة عالم ، وتعني تعميم الشيء أو قولبته أو نمذجته ليصبح عالمياً . وكلمة (Globalization) في اللغة الإنجليزية والتي تقابلها كلمة (Mondialization) في اللغة الفرنسية قد ترجمت إلى العربية بمعانٍ عديدة منها الكوكبة والكوننة والعولمة، والأخيرة هي التي صارت اكثر شيوعاً .

وتعددت أيضاً تعريفات العولمة من حيث الاصطلاح ،ولعل أشهر تلك التعريفات ما يلي :

- يعرفها جيدنز (Giddens) بأنها مرحلة جديدة من مراحل بروز الحداثة ، تتكثف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي بروابط اقتصادية وثقافية وسياسية وإنسانية (إبراهيم، 1999،ص106)
- وعرفها روبرتسون (Robertson) بأنها اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش (عبدالله ،1999، ص43) .
- وعرفها واترز (Waters) بأنها كل المستمدات والتطورات التي تسعى بقصد وبدون قصد إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد (عبدالله ، 1999، ص 53)
- ويعرفها الجابري بأنها نظام أو نسق ذو أبعاد مختلفة يعكس مظاهر التطور الحضاري الذي يشهده عصرنا ، كما أنها أيديولوجية تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته (الجابري ، 1997،ص300)
- ويعرفها حنفي بأنها أحد أشكال الهيمنة الغربية الجديدة التي تعبر عن المركزية الأوروبية في العصر الحديث (حنفي ،1999 ، ص 3) .
- وعرفها العظم بأنها حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ (يس ، 1998 ، ص 11) .
- وعرفها الدرة بأنها ظاهرة أو حركة ذات أبعاد اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية وحضارية وتكنولوجية أنتجتها ظروف العالم المعاصر وتؤثر على حياة الأفراد والمجتمعات في الدول المعاصرة تأثيرات عميقة (الدرة، 1999،ص53)
- ويعرف الباحثان الاتجاه نحو العولمة إجرائياً بأنه :

موقـف طلبـة جامعـة إب وقناعـاتهم معـبراً عنهـا بقبـول العولمـة أو رفضـها مـن خـلال استجاباتهم عـلى فقـرات المقيـاس ، وتعـبر الـدرجات العاليـة عـلى المقيـاس عـن اتجـاه إيجـابي نحـو هـذه القضية ، بينما تعبر الدرجات المنخفضة عن اتجاهات سلبية ورفض لهذا المفهوم .

خلفية نظـــرية

نشـأة العولمة :

إن تحديد نشأة العولمة وبروزها كظاهرة حياتية يمثل صعوبة كبيرة ، فإذا كان هناك إجماع بأن العولمة كمصطلح قد برز خلال التسعينات من القرن المنصـرم ، فإنه لا يوجد أي إجماع على الإطلاق حول تاريخ بروز العولمة كواقع مجتمعي .

فبعض المفكرين يرى أن العالم القائم حالياً هو امتداد للعالم القديم ، وبذلك يكون الاتجاه نحو تقريب العالم هو اتجاه قديم قدم التاريخ وغير مرتبط بالتطورات العلمية والتكنولوجية الراهنة ، إذ أن الدعوة إلى دمج العالم ليست دعوة حديثة ، بل أنها ارتبطت تاريخياً بالديانات السماوية ، فقد انطلقت هذه الديانات من فكرة وحدة البشـرية أمام الخالق ، وبالتالي فإن الجوهر بالنسبة لكل الديانات ولا سيما الإسلام ، هو دعوة الشعوب والأمم إلى التقارب تحت راية الإيمان بوجود إله واحد ، وقيم مشتركة تحكم السلوك الإنساني في كل أنحاء العالم (الدجاني، 1997 ، ص107) .

ورغم صحة القول بأن حركة دمج العالم قديمة ، وأن الأديان قد دعت إلى تقارب الأمم إلا أن العولمة التي نشهدها اليوم تعني أكثر بكثير من مجرد دمج وتقريب العالم ، فهي تشير إلى حركة انكماش العالم وليس إلى مجرد دمجه ، ثم أن الدمج والتقارب الذي يعيشه العالم حالياً مختلف نوعياً عن كل دعوات الاندماج السابقة ، إذ أنه يتم بمعدلات غير مسبوقة في التاريخ كونه مرتبط بقوى أفرزتها الثورة العلمية والمعلوماتية الراهنة التي دفعت بالدول المتقدمة إلى التطلع والرغبة في غزو البلدان الأخرى والسيطرة عليها (حوات ، 2002،ص21) .

وفي الوقت الذي يسود فيه الاعتقاد بأن العولمة قد أطلت على العالم من أوروبا مع بداية القرن الثامن عشـر ، وأخذت تمتد اقتصادياً وثقافياً وسياسياً في كل الاتجاهات ، فإن هناك من يعتقد أن هذه الظاهرة نبتة جديدة لم تبرز إلا في عقد التسعينات من القرن المنصـرم نتيجة التحولات الجذرية التي أعقبت انهيار الاتحاد السوفيتي .

أبعـــاد العـولمـة

1 – العولمة التكنولوجية والمعلوماتية :

ترتبط نشأة العولمة أشد الارتباط بالثورة العلمية والمعلوماتية الجديدة التي تكتسح العالم منذ مطلع التسعينات من القرن المنصـرم . فهذه الثورة هي أهم معالم اللحظة الحضارية الراهنة ، وهي أبرز القوى الأساسية التي أفرزت هذه الظاهرة . فقد أصبحت العولمة ممكنة بسبب معطيات هذه الثورة التي أسست لمعظم التحولات المجتمعية المتلاحقة، والتي جعلت العالم أكثر تقارباً واندماجاً ، وجعلت المسافات تتقلص والزمان والمكان ينكمشان وهي التي جعلت التحولات مذهلة في سـرعتها، وساهمت في انتقال المفاهيم والأذواق والأفكار والمعلومات فيما بين الثقافات والحضارات(زلوم ، 1999، ص 25) ، (الحسيني ، 2001، ص 98) .

ومن جهة أخرى فقد جددت العولمة الثقة بالعلم والتكنولوجيا ، وأكدت ولادة العولمة أن هذا العصـر هو عصـر العلم والثورات العلمية والتكنولوجية ، كما أكدت أن العلم والتكنولوجيا لا يرتبطان بقطر معين أو قومية أو أمة معينة ، وإنما هما نتاج إنساني ، ولا يتطوران إلا في مجال أكبر بكثير من المحيط أو المكان الذي انتجا فيه . كما أن الاستفادة منهما غير مشـروطة بأي ضابط من الضوابط (عبدالله ،1997 ، ص 60، 61) .

بيد أن هذه الثورة كما تشير العديد من الدلائل والمؤشـرات قد غدت مقيدة بكثير من قوى التأثير والسيطرة التي توجهها في مسارات تتساوى مع أولويات أبعاد العولمة كما تحددها الدول المستفيدة من معطيات هذه الظاهرة فقد اتضح أن هذه الثورة هي المسؤولة عن كل الفرص الاستثمارية والمعرفية التي بإمكانها أن تجعل من الدول الغنية أكثر غنى والدول المتقدمة أكثر تقدماً والدول المهيمنة أكثر هيمنة ، كما أنها هي المسؤولة عن كل المخاطر الأمنية والبيئية والأخلاقية والثقافية والسياسية التي تواجه الأمم والشعوب الساعية من أجل إكمال تحررها وتحقيق نموها والقضاء على تخلفها واستعادة سيطرتها على مصيرها (عبدالله ، 1997، ص66). إذ أن معظم ما هو متاح من هذه الثورة المعلوماتية هو معلومات عديمة المنفعة أو الفائدة على الصعيد الاستراتيجي لكثير من الدول . فهي معلومات في معظمها للتسلية والترفيه ، إن لم يكن للفساد والإفساد . إنها معلومات جاهزة ومقولبة بقوالب ثقافية معينة تفرق الأجيال الناشئة فيها وتقتل فيهم القدرة على الإبداع والابتكار (النشار ، 1999،ص60) ، ولذلك فإن تلقى المعلومات ينبغي أن يكون بقدر معين وأن يتوقف عند حدود معينة ليتيح الفرد لنفسه التفكير في هذه المعلومات وفي جدواها وفي كيفية الاستفادة منها ، هذا إذا كانت بالفعل هامة ومفيدة .

2 – العولمة الاقتصادية :

إن العولمة الاقتصادية هي أكثر ما يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن العولمة . ذلك أن الظاهرة الاقتصادية للعولمة هي الأكثر وضوحاً في هذه المرحلة .

والعولمة الاقتصادية ، في جوهرها ، تعني أن العالم الذي بدأ يتشكل في تسعينيات القرن الماضي ، قد أصبح عالماً بلا حدود اقتصادية . إذا أصبحت النظم الاقتصادية المختلفة نظماً متقاربة ومتداخلة ، مؤثرة ومتأثرة ببعضها البعض ، ولم تعد هناك حدود وفواصل فيما بينها . فالنظام الاقتصادي العالمي هو اليوم نظام واحد تحكمه أسس ومعايير علمية عالمية مشتركة وتديره مؤسسات وشـركات عالمية ذات تأثير على الاقتصادات المحلية .

وبمعنى آخر فإن العولمة الاقتصادية تعني أن الاقتصاد العالمي اليوم لم يعد يخضع للرقابة والهيمنة التقليدية ، ولم يعد يؤمن بتدخل الدول في نشاطاته وخاصة فيما يتعلق بانتقال السلع والخدمات ورؤوس الأموال على الصعيد العالمي (كارنوي ، 2003، ص 28) . إذ انتقل مركز الثقل الاقتصادي من الوطني إلى العالمي ، ومن الدولة إلى الشـركات والمؤسسات والتكتلات الاقتصادية . وصار العالم يتوجه نحو اقتصاد السوق ، ورفع يد الدولة عن التدخل في النشاط الاقتصادي ورفع الحواجز والحدود أمام المال وانتقاله ، وغير ذلك من مفاهيم وآليات النظام الرأسمالي(الحمش ، 1999، ص115) ، (عبدالوهاب ، 2001،ص9) .

وعلى الرغم من الإيحاءات الإيجابية للعولمة الاقتصادية المتمثل بزيادة الرفاهية والنمو الاقتصادي وبخلق النظام الاقتصادي الواحد القائم على حرية التجارة وتدفق الاستثمارات ، غير أنها في رأي البعض غير منفصلة عن النظام الرأسمالي بكل سلبياته الاستغلالية والاحتكارية ، والتي تزيد من غنى الدول الغنية وتضاعف من فقر الدول الفقيرة (الأسد ، 1997، ص 61) .

وعليه فإن العولمة الاقتصادية هي الرأسمالية وقد بلغت طور النمو الكوني والتي تستمد حيويتها من الثورة العلمية والتكنولوجية والمعلوماتية الجديدة ، كما أن العولمة الاقتصادية أو العدالة بواسطة السوق ، هي الشكل المتقدم لرسملة العالم ، أي التعميم الكوني للرأسمالية وبالتالي سيطرة الاقتصاد وإدخال الحياة في دائرة التجارة الحرة ومنطق الاستثمار الضيق . وتركز الاهتمام بالاقتصاد أكثر من الاهتمام بأي أمر حياتي آخر بما في ذلك الأخلاق والقيم الإنسانية التي تتراجع تدريجياً وتستبدل بالعلاقات السلعية والربحية النفعية ، وتهدف إلى سلعنة العالم وتحويل أفراده إلى مجرد مستهلكين للسلع والخدمات التي تروج على النطاق العالمي (محي الدين ، 2001: 40)

ويستند التراكم الرأسمالي المعولم على أساس الاحتكار التكنولوجي والمالي والمعلوماتي والخدماتي من قبل عدد

قليل من الشـركات العابرة للحدود في الوقت الذي تتراجع فيه القوة الصناعية الوطنية نتيجة لما تفرضه العولمة من قوانين واتجاهات تقلص من هذه الصناعات ، هذا بالإضافة إلى تفاقم ظاهرة البطالة (الأسد ، 1997، ص 61) . وبذلك غدت الآثار الإيجابية للعولمة الاقتصادية في المقام الأول تصب في صالح الدول الصناعية ، وأن بدت بعض الإيجابيات السطحية لصالح قليل من الدول النامية التي بدأت مبكراً بسياسات الإصلاح الهيكلي في اقتصادياتها القومية .

3 – العولمة السياسية :

تعني العولمة السياسية كما يؤكد روادها قيام عالم بلا حدود سياسية ، مما يعني انحسار نسبي للسيادة المطلقة للدولة وبروز المواطنة العالمية التي ستحل تدريجياً محل الولاءات والانتماءات القطرية ، كما تشير إلى سقوط الشمولية والسلطوية ، والنزوع نحو الديمقراطية والليبرالية والتعددية السياسية ، واحترام حقوق الإنسان (محي الدين، 2001،ص13) .

لذلك تقوم العولمة في هذا الجانب على جملة من المبادئ السياسية لعل أبرزها ضـرورة مراجعة العلاقة بين الدولة والمجتمع اعتباراً بأن أغلب الأزمات السياسية هي نتيجة التباعد بين هذين القطبين . ولمزيد من التناغم بين الدولة والمجتمع ، يصبح من الضـروري توفير الآليات التي تمكن المجتمع من الفعل المجتمعي الذاتي من خلال هياكل ومؤسسات المجتمع المدني (الإبراهيم ، 2002، ص 13) .

وتبدو الخلفيات الفلسفية للعولمة السياسية نبيلة في أبعادها وطموحاتها والأركان والمبادئ السياسية التي تقوم عليها ، وتفتح الكثير من الآفاق والآمال للحد من كل ما يمكن أن يسيء للإنسان والمجتمعات . ولكن إلى أي مدى يمكن للعولمة في هذا الجانب أن تكون عنصـر تقارب وتفاعل بين مختلف الدول والنظم السياسية ، وأن ترتقي بالفعل الإنساني نحو السلام والعدل والتخلص من كابوس التسلح والحروب ؟؟ .

ولقد أسفرت العولمة السياسية في الآونة الأخيرة عن بروز العديد من المنظمات الأهلية والحكومية على الساحة السياسية العالمية كقوة فاعلة ومؤثرة في المؤتمرات الدولية وأخذت تعمل باستقلال تام عن الدول التي لم تعد قادرة على التحكم في نشاطها . وهذه المنظمات تسعى لتحقيق المجتمع المدني العالمي الذي يراقب نشاطات وسياسيات الدول في مجالات حقوق الإنسان والقضايا المجتمعية الأخرى ، ولا شك أن بروز المجتمع المدني العالمي سيضعف من تحكم الدولة التقليدية وسيساهم في زيادة الخيارات أمام الأفراد لإيجاد حلول مشتركة للقضايا السياسية المزمنة (عبدالله ، 1997، ص85) .

غير أن هناك من يرى أن السياسة تنحصر دائماً وعلى العكس من الأبعاد الأخرى للعولمة ، ضمن النطاق المحلي ، بل أنها من أبرز اختصاصات الدولة القومية التي تحرص كل الحرص على عدم التفريط بها واحتكارها ضمن نطاقها الجغرافي الضيق ومجالها الوطني الأضيق . ذلك أن احتكار السياسة ضمن المجال المحلي بعيداً عن التدخلات الخارجية يرتبط أشد الارتباط بمفهوم السيادة وممارسة الدولة لصلاحياتها وسلطاتها على شعبها وأرضها وثرواتها الطبيعية . لذلك فإن السياسة ، ونتيجة لطبيعتها المحلية ، ستكون أكثر الأبعاد الحياتية مقاومة للعولمة التي تتضمن انكماش العالم وإلغاء الحدود الجغرافية بروابط تتخطى الدول وتتجاوز سيطرتها التقليدية على مجالها الوطني والمحلي (عبدالله ،ص81) فقد صارت الدولة في عصر العولمة مضيفة للشركات المتعددة الجنسيات بما يستلزم من أعباء مالية مرهقة ، وبما يؤدي إلى تقليص الأنفاق الحكومي على الرعاية الاجتماعية والخدمات العامة(الجنحاني،1999، ص91).

وبعبارة أخرى ، فإن العولمة السياسية تشير إلى تراجع أهمية الدولة وبروز مراكز جديدة للقرار السياسي العالمي في الوقت الذي تتجه فيه الدول للتخلي الطوعي أو الاضطراري عن مظاهر السيادة التقليدية ، هذا بالإضافة إلى أن العولمة السياسية تقوم في الأساس على ازدواجية المعايير في معالجة القضايا الدولية الكبرى (المرسي، ص193).

4-العولمة الاجتماعية :

تقوم العولمة الاجتماعية على أساس أن الرخاء الاقتصادي سيقود إلى تحسن في المستوى المعيشي وإلى القضاء على البطالة ، وأن ثمار التقدم العلمي سوف توزع بطريقة عادلة تحمي الإنسان من التهميش وتنتشله من أوضاع الفقر والمرض والعنف ، مما يؤدي إلى وئام بين الأفراد والمجتمعات ، وشيوع عادات وتقاليد أكثر تقارباً بين سائر المجتمعات وأكثر تساوقاً وانسجاماً مع مطالب وتحديات عصر العولمة ، التي تسعى إلى دمج مجتمعات العالم وجعلها قرية كونية يشعر الجميع بانتمائهم إليها . والأكيد أن ظاهرة العولمة قد أفرزت تغيرات هيكلية على بنية وتركيبة المجتمعات وبشكل خاص المجتمعات النامية. فإذا كانت العولمة تقوم على نماذج إنتاجية جديدة وقيم مغايرة لما هو سائد في مجالات العمل والترفيه والاستهلاك والنقل والصحة والعلاقات الأسرية ، وغيره ، فإن تداخل هذه المستويات سيفرز بالضرورة قيماً اجتماعية جديدة ، تتمثل أبرزها بمدى وعي المواطن بالعولمة ومدى انعكاساتها على سلوكياته اليومية وعلاقاته الاجتماعية ، كما أنها تحدد أشكال المقاومة أو الاستجابة لهذه الظاهرة سواء بالموافقة أو الرفض ، ومدى ما يترتب على هذه الظاهرة من مشكلات اجتماعية مختلفة ولا سيما في المجتمعات

الشـرقية (السحباني ، 2002، ص 17-18) .

بيد أن المسألة لا تتعلق بمجرد القبول أو الرفض للعولمة ، وإنما هي أعمق من ذلك بكثير وتنصب في العادات والتقاليد الجديدة التي يجب التكيف معها من أجل مواكبة عصـر العولمة . إذ أنه من الصعوبة بمكان التخلص من موروث ثقافي واجتماعي وحضاري بمجرد رغبة أو قرار ، وبالتالي ليس من السهل قبول سلوكيات غريبة غير معتادة والتفاعل معها من قبل كل الشـرائح الاجتماعية وبنفس الحماس والتلقائية ، إذ أنه لا يوجد مجتمع يطابق مجتمعاً آخر بجميع خصائصه الثقافية وظروفه الحياتية .

وعليه فإن العولمة على النحو الذي هي عليه اليوم ، إنما تمثل في نظر البعض العدو الأكبر للانسجام والوئام العالمي . إذ أن منطقها يقوم على قسمة المجتمع إلى فريقين : فريق الأغنياء والذي يشكل 20٪ من سكان العالم ، وفريق الفقراء الذي يشكل 80٪ من سكان العالم (عبدالدائم ،2000، ص137) ، (كارنوي ، 2003،ص55).

فقد كشفت الأوضاع الاجتماعية عجز الليبرالية الجديدة عن تحقيق نسب نمو عالية ، والقضاء على البطالة وتحسين المستوى المعيشي ، الذي كان قد بشـر به دعاة العولمة . بل أنها كشفت حيل هذه الظاهرة والمتمثلة بتراجع الدول عن المكاسب الاجتماعية التي أسفرت عن تدهور القوة الشـرائية لكثير من الفئات الاجتماعية ، وارتفاع نسب البطالة والفقر(الجنحاني ، ص 31) ، وليس من قبيل الصدفة أن يحشد رواد العولمة جهودهم لتهميش دور النقابات والتخلص من حقوق نقابية مكتسبة ، بل أيضاً من حقوق يضمنها الدستور مثل حق الإضـراب ، وليس من باب المبالغة القول أن أكثر النتائج السلبية خطراً في هذا المجال تتمثل في القضاء علـى الطبقة الوسـطى ونقلها إلى حافـة الفاقـه (المرسي، ص171).

وبعبارة أخرى فإن ظاهرة العولمة في بعدها الاجتماعي لم تفشل في تحقيق نسب نمو مرتفعة ، والحد من ظاهرة البطالة ، فحسب ، بل نسفت المكاسب الاجتماعية القديمة ورمت بفئات اجتماعية متعددة إلى هوة البطالة والفقر ، وأفرزت الكثير من المشكلات الاجتماعية التي تزداد تعقيداً يوماً بعد يوم .

5 – العولمة الثقافية :

إن العولمة في أبعادها السابقة تفضي حقاً إلى عولمة الثقافة التي يراد لها أن تصبح نموذجاً فكرياً موحداً ، إذ تشير العولمة الثقافية إلى بروز عالم بلا حدود ثقافية ، حيث تنتقل الأفكار والمعلومات والاتجاهات والقيم والأذواق وأنماط السلوك بحرية كاملة على الصعيد العالمي وبأقل قدر من تدخل الدولة وهيمنتها (عبدالوهاب ،

ص 18) فالعولمة في هذا المجال تعني تحول اهتمام ووعي الإنسان من المجال الثقافي المحلي إلى المجال العالمي ، ومن المحيط الداخلي إلى المحيط الخارجي ، وفي ظل العولمة الثقافية يزداد الوعي بعالمية الفكر الإنساني وبوحدة البشـرية ، وستتعود الإنسانية النظر إلى ذاتها ككتلة واحدة ذات مصير واحد ، وتشترك مع بعضها البعض في قيم ومبادئ تتخطى كل الخصوصيات الحضارية والثقافية (إبراهيم ، 1999، ص100) ، وبروز الهوية الثقافية العالمية في ظل العولمة لا يعني تلقائياً تراجع أو تهميش أو نفي الهوية الثقافية الوطنية ، بل أن الأخيرة ربما ستعزز وترسخ ولكن بجانب الثقافة الوطنية ستنمو الثقافة العالمية .

ولقد كانت الهوية العالمية حاضـرة في كل المراحل التاريخية ، بيد أنها لم تكن بنفس الحضور والوضوح الذي أصبحت عليه اليوم . إذ أن الذي يحدث في ظل هذه الظاهرة هو ارتقاء في تخيل الأفراد لوجودهم على هذا الكوكب بما يجعلهم أكثر شعوراً بالوحدة الإنسانية وأكثر وعياً بالثقافة العالمية (عبدالله ، 1997، ص 75).

وإذا كان السعي من أجل تقارب الحضارات وحوار الثقافات وتعزيز الهوية العالمية وخلق عالم بلا حدود ثقافية ، إنما هو مجرد وجه واحد من الوجوه العديدة للعولمة الثقافية . بيد أن للعولمة في هذا الجانب وجه آخر يتجه نحو صـراع الثقافات وصدام الحضارات ونحو الهيمنة الثقافية لنمط ثقافي واحد على سائر أنماط الثقافات الأخرى ، ونحو نشـر الثقافة الاستهلاكية وجعلها الأكثر رواجاً على الصعيد العالمي ، وتمهد العولمة الثقافية الطريق لترابط المناطق الثقافية ، كما ترسخ انقسام العالم إلى مناطق حضارية وثقافية مغلقة ، وتستعد لمواجهة بعضها البعض ، وهذا ما يؤكده هنتنجتون (**Huntington**) في كتابه حول صـراع أو صدام الحضارات وتكون النظام العالمي الجديد . وأن احتمال دخول الحضارة الأنجلو سكسونية في صـراع مع الحضارات الأخرى وبخاصة الإسلامية (**Huntington** . 1996 P.26) التي تشعر بأنها مهددة ومستهدفة ، وإن ذلك الاحتمال قد صار اليوم واقعاً معاشاً ولا سيما بعد الحرب على أفغانستان واحتلال العراق ، وما يجرى من استهداف للثقافة والحضارة الإسلامية تحت ذريعة مكافحة ما يسمى " بالإرهاب " .

وعليه فإن الثقافة لا تعولم ، وأن أية عولمة ثقافية هي في حقيقة الأمر هيمنة لثقافة معينة على الثقافات الأخرى ، هيمنة تستند فيها ثقافة معينة إلى قوة من خارج مجال الثقافة المستهدفة سواءً كانت هذه القوة مستمدة من مجال التكنولوجيا أو مجال الاقتصاد أو مجال القهر السياسي (إبراهيم، 1999، ص 100) .

ذلك أن العولمة التي تنادي في ظاهرها بالربط والتوحيد بين الثقافات والتغلب على العامل الجغرافي لتجعل من العالم قرية واحدة (**Global Village**) إنما هي في باطنها عامل صـراع بين الثقافات ودعوة إلى سيطرة

الثقافة الغربية وتعميمها على سائر مناطق العالم (عبدالدائم ، 1998 ، ص132) .

6- العولمة التربوية :

يرى مروجو العولمة أن هذه الظاهرة بأبعادها المختلفة قد أحدثت تأثيرات إيجابية ضخمة في النظم التربوية كافة ، ولا سيما في البلدان المتقدمة لتجعلها أكثر تقارباً وتجانساً ، إذ بدأت القضايا العالمية في نظم التربية تحظى بمزيد من الأهمية تتجاوز في كثير منها الاهتمام المكرس للقضايا القطرية والقومية . ووفقاً لهذه الرؤية أصبحت النظم التربوية ذات طبيعة عالمية غير متقيدة باعتبارات الزمان والمكان ، وهي على اختلافها وتنوعها في بعض الجوانب لها من الطموحات ومن المشكلات والأزمات ماله حظ كبير من التشابه والتماثل وفي مختلف عناصر المنظومة التربوية (البسام ، 1989 ، ص 95) . ومع التسليم بأن النظم التربوية تتبادل التأثير والتأثر بالعوامل الثقافية المحيطة بها على المستوى القطري أو القومي ، غير أنها في الوقت نفسه تخضع لهذه المؤثرات على المستوى العالمي . لكونها تشترك مع بعضها البعض في كثير من الطموحات والمشكلات والتحديات (الهبوب ،2004،ص183) .

فالنظم التربوية بما فيها الأكثر رغبة في النمطية التقليدية أصبحت اليوم تحرص على إعطاء الأولوية في مختلف مكونات العملية التربوية لقضايا ذات اهتمام عالمي يتزايد يوماً بعد يوم ، ولعل أبرز هذه القضايا تنمية الاتجاهات العلمية وتحقيق العدالة الاجتماعية والتنمية الشاملة وتعزيز السلوك الديمقراطي،وترسيخ القيم الأخلاقية وتنمية الوعي البيئي والحفاظ على الأمن والسلام العالمين وغير ذلك من القضايا العالمية (البسام،1989، ص17-21).

كما أصبحت نظم التربية بمختلف مكوناتها في زمن العولمة تخضع لتغييرات جذرية جعلتها أكثر مرونة وواقعية واستجابة لمطالب العصر وتحدياته . ويعزز ذلك ما تبذله المنظمات الدولية ، كمنظمة اليونسكو والمعهد الدولي للتخطيط التربوي من جهود عظيمة في سبيل التوصل إلى عناصر مشتركة يمكن أن تقرب بين النظم التربوية في مختلف دول العالم لتفطي في الأخير إلى بلوغ نموذج تربوي عالمي موحد .

بيد أن بعض المفكرين التربويين يرون أن العولمة في هذا الجانب تعد نوعاً من الطمس والتغييب لخصوصيات المجتمعات وهويتها الثقافية بما يجعلها مسخاً مشوهاً لنموذج التربية الغربي والأمريكي على وجه التحديد ، فالتربية هي قضية وطنية في الأساس تنطلق أولاً من تأكيد خصوصية مجتمعها وهويته الثقافية ومنزلته الحضارية ، لتأتي ثانياً إلى الاهتمامات العالمية وبقدر أهميتها وأولويتها .

وعلى الرغم من تعالي الصيحات بضـرورة تعايش النظم التربوية وتقاربها في ظل العولمة ، غير أننا لا زلنا نشهد تعدداً وتنوعاً بل وتقاطعاً في نماذج التربية وأنظمتها السائدة اليوم ، حتى في تلك الدول التي تصدر هذه الظاهرة للدول الأخرى ، فالنموذج التربوي الغربي ، وإن كان ينعت بهذا النعت على سبيل الإجمال إلا أنه يتنوع ويختلف باختلاف الزمان والمكان ، بل إنه قد يختلف في المجتمع الواحد (البسام ، 1989، ص 19) .

وإذا كان العلم والتكنولوجيا في جوهرهما عالميين يتجاوزان الأقطار والمجتمعات ويمثلان هدفاً بارزاً لأي نظام تربوي ، بيد أن استثمارهما يتفاوت بتفاوت المجتمعات ومنزلتها الحضارية ، كما أن ما يطبق من نتائجها في بعض البيئات قد لا يكون ذلك التطبيق سليماً في بيئات أخرى (البسام ، ص 21) .

وإذا كانت المنظمات العالمية قد ساهمت في إحراز نوعاً من التقارب والتعاون بين دول العالم ونظمها التربوية ، غير أن من أبرز خصائص أهدافها العمل على تكييف بعض برامجها لحاجات الدول النامية وخصائص مجتمعاتها وإبراز مالها من خصوصية وثقافة ذاتية ، بل وبمشاركة تلك الدول النامية نفسها في إدخال هذه القضايا ذات الطبيعة العالمية وتبنيها لها عن طواعية واختيار ، لا أن تأتي قسـراً وعلى شكل ضغوطات وتهديدات ، وبما يتقاطع مع مصالح هذه الدول وثوابتها وخصوصياتها (الخليفي ، 2003، ص3) . يضاف إلى ذلك أن هذه المنظمات التربوية العالمية أصبحت في زمن العولمة هي نفسها تخضع لضغوط شديدة وعديدة من قبل الدول المروجة للعولمة لتوجيه نشاطاتها وتسخيرها لخدمة نمط معين من التمشي الثقافي والتربوي لهذه الدول .

ومع الاعتراف باستفادة النظم التربوية في مختلف دول العالم وبنسب متفاوته من بعض معطيات العولمة (السنبل ، 2002، ص41) غير أنها في البلدان النامية ولا سيما في البلدان العربية والإسلامية قد أصابها من تبعات العولمة وسلبياتها ما يجاوز تلك التي أصابت باقي النظم المجتمعية ، وخاصة بعد أحداث11 سبتمبر2001م . فقد أخذ رواد العولمة يعلنون صـراحة عن رغبتهم في تعديل النظم التربوية في هذه البلدان بحيث تصبح مؤسساتها التربوية متساوقة مع الخطاب التربوي لدعاة العولمة ومروجيها ، وبدأت المناهج الدراسية في كثير من البلدان العربية والإسلامية تشهد تعديلات جذرية تتقاطع مع عقيدة الأمة وهويتها الثقافية (الخليفي ، ص2).

مجتمع الدراسة وعينتها :

يتحدد مجتمع الدراسة بطلاب وطالبات جامعة إب للعام الجامعـي 2002/ 2003م ، وقد بلغ إجمالي حجم المجتمع (7868) طالب وطالبة موزعين على مجموعتين من الأقسام هما الأقسام الإنسانية بواقع (3769) طالباً و (1174) طالبة ، فيما بلغ عدد طلبة الأقسام العلمية (2093) طالباً و (832) طالبة ، ونظراً لتوزع

المجتمع إلى أقسام مختلفة ومستويات متعددة ، فقد تم اعتماد العينة الطبقية العشوائية (Stratified Sample (حيث بلغت 5 ٪ من مجموع حجم المجتمع بواقع (393) طالب وطالبة موزعين وبنفس نسبهم في المجتمع الأصلي للبحث على الأقسام العلمية والإنسانية ، وبمستوياتهم الأربعة ، وشملت الذكور والإناث كما هو موضح في الجدول (1) .

جدول (1) يبين حجم العينة حسب الأقسام والمستويات والجنس

المستوى	الإنسانية		العلمية		المجموع
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	
الأول	49	14	39	13	115
الثاني	64	17	35	13	129
الثالث	44	15	21	9	89
الرابع	31	12	10	7	60
المجموع	188	58	105	42	393

أداة الدراسة :

نظراً لطبيعة أهداف الدراسة ، فقد تم إعداد أداة لقياس متغيراتها مكونه من ثلاثة أقسام ، الأول يهتم بتحديد مفهوم العولمة لدى الطلبة ، والثاني يحدد نشأة العولمة ، والقسم الثالث يهتم بقياس اتجاهات طلبة كلية التربية نحو العولمة ، وقد مر بناء أداة البحث بعدة خطوات :

- أعد الباحثان استبياناً مفتوحاً تضمن عدة أسئلة في ضوء الأقسام الثلاثة للأداة وتم تطبيقه على عينة من المجتمع الأصلي للبحث ، وقد طلب من كل فرد فيها تحديد مفهومه للعولمة ، وتصوراته عن نشأتها ، وذكر إيجابيات العولمة وسلبياتها .
- كما أجريت عدة مقابلات وفتح حوارات مع مجاميع صغيرة من الطلبة وبخاصة مع ذوي المواقف الواضحة والمتميزة تجاه العولمة سلباً أو إيجاباً ، ووجهت المناقشات في مجالات أداة البحث الثلاثة ماهية العولمة ونشأتها ، وفوائدها ومضارها ...
- وتم رصد وتحليل الكتابات والأدبيات التي تناولت العولمة ، بما فيها الكتابات الصحفية والحوارات والأفكار الجدلية حولها ...

- وفي ضوء تحليل استجابات العينة الاستطلاعية والمقابلات وتحليل الأدبيات تم اعداد أداة أولية في أقسامها الثلاثة ، حيث ضم القسم الأول مجموعة مفاهيم للعولمة ، وتكون القسم الثاني من عدة تفسيرات لنشأة العولمة ، فيما شكل القسم الثالث مجموعة من الفقرات لقياس اتجاهات الطلبة نحو العولمة بستة أبعاد شكلت مظاهر وأشكال العولمة (المعلوماتية والتكنولوجية ، الاقتصادية ،السياسية، الثقافية،الاجتماعية ،التربوية).وبلغ مجموع فقرات الأداة(7) فقرات للقسم الأول و(7) فقرات للقسم الثاني، فيما ضم مقياس الاتجاه نحو العولمة (68) فقرة.

صدق الأداة (Validity) :

اعتمد الباحثان الصدق المنطقي وذلك من خلال الإجراءات التي اتبعت في بناء وتصميم المقياس بإبعاده الستة حيث تم عرض الأداة على لجنة من المحكمين بعد تعريفهم بأهداف البحث ، وبكل بعد من أبعاد المقياس ، طلب منهم تصنيف عبارات المقياس ومدى ملاءمتها لمجالاته ، وتحديد درجة صدقه كل فقرة من فقراته ، وإضافة فقرات أو تعديل بعضاً منها ، وبعد تفريغ استجابة المحكمين ، تم الأخذ بنسبة80٪ من اتفاق الآراء كمعيار لقبول الفقرة في الأداة ، وقد تم حذف (4) فقرات من المقياس .

وللتأكد من الاتساق الداخلي (Internal Consistency) لفقرات المقياس ، تم إيجاد معاملات الارتباط بين الدرجة على كل فقرة ودرجة البعد التي تقع فيه ، وتراوحت تلك المعاملات ما بين (0.45 – 0.86) كما تم إيجاد معاملات الارتباط بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية للمقياس وتراوحت تلك المعاملات ما بين(0.39– 0.84) مما يدل على تمتع فقرات المقياس بدرجة مقبولة من التجانس .

ولمزيد من التحقق من صدق الأداة ، اعتمد الباحثان طريقة المقارنة الطرفية ، أو ما يدعى بالصدق التمييزي Discriminative Validity حيث قام الباحثان بتطبيق الأداة على عينة مكونة من (101) طالباً وطالبة ، ثم رتبت درجاتهم ترتيباً تنازلياً ، وحددت 25٪ منهم المجموعة العليا و 25٪ المجموعة الدنيا ، وبحساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل مجموعة طرفية ، وجد الباحثان أن قيمة ت = 8.33 وهي دالة عند مستوى 0.01 وبهذا يكشف المقياس عن قدرته في التمييز بين ذوي الاتجاهات العالية والواطئة وكما هو موضح في الجدول (2) .

جدول (2) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية

للمجموعتين المتطرفتين في مقياس الاتجاه

العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
العليا	168	6.20	8.33	0.01
الدنيا	152	7.1		

ثبات الأداة (Reliability): وللتحقق من ثبات الأداة فقد اعتمدت طريقة إعادة الاختبار Test- Re test بفاصل زمني قدره (**14**) يوماً ولكن استخدمت عدة وسائل إحصائية هي :

- لحساب ثبات القسم الأول (مفاهيم العولمة) والقسم الثاني (نشأة العولمة) تم حساب الوسط المرجح لكل فقرة وإعطاءها رتب في التطبيق الأول والثاني ، وتم حساب معامل الثبات بطريقة سبيرمان للرتب حيث بلغ معامل الثبات (**0.96**) للقسم الأول ، (**0.97**) للقسم الثاني وكلاهما دال إحصائياً .
- فيما تم استخدام معامل ارتباط بيرسن لحساب معامل الثبات في مقياس الاتجاهات بين درجات الطلاب الكلية في التطبيقين حيث بلغ **0.85** وهو دال إحصائياً .

عرض النتائج وتفسيرها

نتائج الهدف الأول : والمتضمن تحديد أراء طلبة جامعة إب حول مفهوم العولمة ونشأتها، حيث ضم القسم الأول من الأداة ست فقرات تمثل كل واحدة منها تعريفاً أو تصوراً لطبيعة مفهوم العولمة ثلاث منها مفاهيم إيجابية ، وثلاث أخرى سلبية ، وتم حساب الوسط المرجح لكل فقرة ، وتم ترتيب الفقرات (المفاهيم) الستة ترتيباً تنازلياً تبعاً لأوساطها المرجحة والجدول(**3**) يوضح ذلك .

جدول (3) يبين ترتيب مفاهيم العولمة عند الطلبة وأوساطها المرجحة

المفهـــوم (العولمـــة تعنـــي) :	الوسط المرجح	الترتيب
الهيمنة الغربية (الأمريكية) على العالم	4.28	1
الصـراع بين الثقافة الغربية والثقافات الأخرى	3.94	2
النظام العالمي الجديد أحادي القطب	3.48	3
دمج سكان العالم في مجتمع واحد	3.27	4
الحوار بين الحضارات العالمية	3.16	5
الإخاء والتكافل بين الأفراد وبين المجتمعات	2.39	6

يبدو واضحاً أن الجانب السلبي في مفهوم العولمة هو الأكثر انتشاراً بين أوساط الطلبة حيث احتلت المفاهيم السلبية الثلاثة التراتيب الأولى ، فيما جاءت المفاهيم الإيجابية الثلاثة في المراتب الأخيرة فيما لم يحصل المفهوم الإيجابي المتمثل بكون العولمة تفضي إلى (الإخاء والتكافل بين الأفراد والمجتمعات) على وسط أعلى من الوسط المرجح الفرضي وقيمته (3) ، ويعود ذلك إلى أن العولمة ولا سيما في الوضع الراهن قد اقترنت بوقائع سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية سيئة أفرزها النظام العالمي الجديد والمتمثل بهيمنة الولايات المتحدة على الأمم المتحدة ، وحروب افغانستان والعراق ، ودعم السياسة الإجرامية لإسـرائيل وغير ذلك من الأحداث التي جعلت مفهوم العولمة يبدو بهذه السلبية في تصور طلبة جامعة إب حيث لم تفرز العولمة والنظام العالمي الجديد سوى المزيد من الفقر والحروب وألوان السياسة العنصـرية ، ولم يلمس الطالب العربي جوانب إيجابية واقعية وملموسة على الأرض ، ومما يعزز هذه النتيجة هي ما قامت به المنظمات السياسية والمهنية ومؤسسات المجتمع الغربي في أوربا وأمريكا من مظاهرات رافقت جميع المؤتمرات العالمية التي ارتبطت بمفهوم العولمة . يؤيد ذلك ما أسفرت عنه دراسة وطفـة (2003) .

ويرى الباحثان أن ترسيخ هذه المفاهيم السلبية في إدراكات الطلبة في الجامعات اليمنية ، كان أمراً طبيعياً ومتوقعاً ومنطقياً ويعكس تنامي الرفض العربي الرسمي والشعبي لسياسات الولايات المتحدة المعبرة عن مفهوم العولمة وزعيمة العالم الجديد تجاه المنطقة العربية والإسلامية ، وما كشفته هذه السياسات عن قصور واضح في فهم أصول الثقافة العربية والإسلامية .

نتائج الهـــدف الثانـــي : والذي يرتبط بنشأة العولمة وصيرورتها ، حيث ضم القسم الثاني من أداة البحث سبعة فقرات تفسيرية لنشأة العولمة وولادتها ، وتم حساب الوسط المرجح لاستجابات الطلبة على المقياس الخماسي

المتدرج ، وتم ترتيب الفقرات ترتيباً تنازلياً كما هو موضح في الجدول (4) .

جـدول (4) يبين تفسيرات الطلبة لنشأة العـولمة بحسب أوساطها المرجحة

الفقـــرات	الوسط المرجح	الترتيب
هي نبته غريبة تستهدف الهيمنة على العالم	4.25	1
جاءت نتيجة للبث الإعلامي الفضائي	4.09	2
جاءت نتيجة لانهيار الإتحاد السوفيتي	3.94	3
ترجع إلى مطلع التسعينات في القرن الماضي	3.87	4
تعود نشأتها إلى عهود الاستعمار الأوربي	3.68	5
ظهرت كثمرة للتقدم العلمي التكنولوجي	3.67	6
ظهرت كنتيجة حتمية للتطورات العالمية	3.59	7

ويبدو واضحاً أن نشأة العولمة وصيرورتها لم تكن ولادة طبيعية أو حتمية ناجمة عن تراكم وتطور الفكر الإنساني بأبعاده المختلفة وعلى الصعيد العالمي ، وإنما هي كما يعتقد الطلبة قد جاءت لإحداث أوروبية في الأساس مثل انهيار الاتحاد السوفيتي وبروز القطبية الأحادية ، أو للسياسة الإعلامية التي حاولت أن تبثها عبر أدواتها المتعددة والمتطورة للتأثر في قيم ومثل شعوب دول العالم الثالث ، أو أنها استمرار وإحياء للعقلية الاستعمارية التي سادت أوربا والتي انتهت بنهاية الحرب العالمية الثانية ، وبكل الأحوال فإن الطلبة يرون في العولمة نموذجـاً فكـرياً ثقافياً غربياً وسلوكيات بعيدة عن ثقافاتهم ومفروضة عليهم ، وتستغل كل الإمكانات الإعلامية والتكنولوجية للترويـج عنها والتسويغ لها .

نتائج الهدف الثالث : تحقيقاً للهدف الثالث من أهداف الدراسة الحالية والذي خصص للتعرف على مستوى اتجاهات طلبة جامعة إب نحو العولمة ، فقد طبق مقياس الاتجاهات بصورته النهائية والمكون من مجالات سته والبالغ فقراته 65 فقرة على جميع أفراد العينة ، وبعد تحليل استجابات الطلبة على المقياس الخماسي المتدرج إزاء كل فقرة ، استخرج الوسط الحسابي والانحراف المعياري لدرجات الطلبة الكلية والفرعية على المقياس وتم حساب القيمة التائية للفرق بين المتوسط الحسابي المحسوب من العينة والمتوسط الفرضي للمقياس وذلك باستخدام الاختبار التائي لعينة واحدة Sample–T-test One (السيد ، ص454) وكما هو موضح في الجدول (5).

جدول(5) (يبين الوسط الواقعي والفرضي والانحراف المعياري والقيمة التائية حيث ن=393)

المؤشـرات	الوسط الواقعي	الوسط الفرضي	الانحراف المعياري	القيمة التائية	الدلالة الاحصائية
المعلوماتية والتكنولوجية	16	21	5.65	17.54	0.01
الاقتصادية	26.5	36	6.36	29.61	0.01
السياسية	22	36	4.24	65.45	0.01
الاجتماعية	31.5	33	6.36	4.67	0.01
الثقافية	23.5	33	7.77	24.23	0.01
التربوية	40.5	36	3.53	25.27	0.01
الدرجة الكلية	160	195	22.62	30.67	0.01

ويبدو واضحاً من نتائج الجدول (5) أن المتوسط المحسوب لاستجابات أفراد العينة على فقرات المقياس والبالغ قيمته (160) هو أقل من المتوسط النظري للمقياس والبالغ قيمته (195) ، وإن الفرق بين المتوسطين ذو دلالة إحصائية عند مستوى (0.01) وهو فرق حقيقي وغير ناجم عن عامل الصدفة ، ولتقدير متوسط درجات المجتمع استخدمت معادلة حدود الثقة (السيد ، ص 426) ، وبمقدار ثقة قدرها (99٪) فتبين أن متوسط المجتمع والذي قد لا يكون مطابقاً لقيمة العينة يقع بين القيمتين (162.93 – 157.06) ، ولما كان المتوسط النظـري للمقيـاس والبالـغ (195) لا يقع بين هاتين القيمتين بل كان أعلى من أي منهما وبدرجة كبيرة وبدلالة معنوية عند مستوى (0.01) وهذا يعني أن عينة الدراسة تمتلك اتجاهات سلبية حيال ظاهرة العولمة .

ويعزي الباحثان الاتجاهات السلبية للطلبة نحو العولمة إلى طبيعة نظرتهم لها ، واعتقاداتهم حولها ، حيث تؤكد الدراسات أن المكون المعرفي للاتجاه ممثلاً باعتقادات الأفراد وأفكارهم ومعلوماتهم حول موضوع الاتجاه يلعب دوراً كبيراً في قبوله أو رفضه (عبدالله ، 1990، ص 96) ، ومعظم ملامح المكون المعرفي لاتجاهات الطلبة نحو العولمة قد استمدت من العامل الديني وهو المكون الثقافي الأبرز في بلورة قناعات الطلبة اليمنيين ومرجعيتهم في الحكم على القضايا الاجتماعية ، ولم تكن متأتية من قراءة نقدية لهذا المفهوم ، أو موازنة بين سلبياته وإيجابياته ، أو تقويماً لما كتب عنه في الصحف أو المجلات والأدبيات المتخصصة ، ولا سيما بعد أحداث الحادي عشـر من سبتمبر وما تبعها من إجراءات وسلوكيات قدمت العولمة في صورة سلبية ومخيفة ، ورسخت المفاهيم السلبية عنها في إدراكات الطلبة واتخذت العولمة في ظل هذه الأحداث طابع صـراع الحضارات ، وبلورة اتجاهاً فكرياً بأنها حرباً على الإسلام والمسلمين ، ومما عزز من هذه الاعتقادات إضفاء النخبة الحاكمة في الولايات المتحدة السمة الأيديولوجية والدينية في حروبها ضد العراق وأفغانستان ، وقد تركت هذه الأحداث أثاراً واضحةً في تشكيل

المفهوم السلبي لدى الشباب الجامعي اليمني وحددت مواقفهم واتجاهاتهم نحوها .

فيما تؤكد الدراسات النفسية دور المكون الانفعالي للاتجاهات ويتمثل في المشاعر الوجدانية والانفعالات التي ترتبط بموضوع الاتجاه ، ويستمد هذا المكون الثاني لاتجاهات الطلبة نحو العولمة من مشاعرهم وانفعالاتهم إزاء المآسي والجرائم التي ارتبطت بالحرب على العراق وأفغانستان ، وما تناقلته وسائل الإعلام من صورٍ لآثار الدمار والتخريب لهذين البلدين ، وما تحمله المواطن العربي والمسلم من أول ممارسات النظام العالمي الجديد .

ومن الجدير بالذكر أن أمريكا بوصفها زعيمة العالم الغربي والمعبر الرئيسي عن العولمة لم تقدم صورة إيجابية واضحة ومحددة ، بل قدمت صورة متناقضة ومضطربة عن العولمة أثارت شكوك العديد من شعوب العالم إزائها ، كما لم يتضمن الخطاب السياسي والإعلامي الأمريكي قدراً مقبولاً من المعقولية والقدرة على الإقناع بفوائد العولمة ومردوداتها ، حيث أكدت الدراسات النفسية التجريبية أن الخطاب الإعلامي أو الرسالة المرسلة التي تحمل قدراً عالياً من المعقولية أكثر تأثيراً في تغيير الإتجاهات من الخطاب الذي يحمل قدراً منخفضاً من المعقولية والإقناع (الطواب ، ص**14**) .

وفي الوقت الذي تؤكد فيه الدراسات النفسية عدم فاعلية الخوف في تعديل الاتجاهات كما أكد العالم السوسيولوجي (وليم جرهام) ودراسة (دويتش وكولن) إنه لا يمكن تغيير اتجاهات الأفراد أو سلوكياتهم بالأسلوب القسـري أو التخويف أو بقوة القانون (مليكة ، ص**323** ، **352**) ، نجد أمريكا تنتهج الأساليب ذاتها في فرض العولمة على الشعوب ممثلاً في تخطيها للشـرعية الدولية ، وفرض إصلاحات سياسية واجتماعية على شعوب العالم ، وقامت بتغيير الأنظمة في العراق وأفغانستان ، وفرض العقوبات الاقتصادية وتجويع الشعوب .

كما لعبت أمريكا دوراً كبيراً في تشكيل الاتجاه السلبي لدى الطلبة اليمنيين نحو العولمة من خلال سلوكياتهم المتناقضة فإذا كانت هي قد ضمنت خطابها السياسي والإعلامي بمفاهيم ذات بريق مثل الديمقراطية ، وحقوق الإنسان والحريات المدنية ، والدفاع عن حقوق المرأة ، فإنه قد تجاوزت كل الخطوط الحمراء في هذا المجال حتى داخل الولايات المتحدة نفسها وبدعاوى أمنية أثارت مواطنيها ودفعتهم إلى مقاومة القوانين التي أصدرتها في هذا الاتجاه ، فضلاً عن تصـرفاتها التي تعدت الكثير من الحقوق المدنية والإنسانية والاتفاقات الدولية كما حدث في معسكرات الاعتقال في (غوانتنامو) ، وقدمت صورة بشعة عن العولمة في احتلالها للعراق والتدخل في شؤونه الداخلية ، ومحاولة نهب ثرواته الاقتصادية والثقافية ، وإن مجمل طروحاتها عن الديمقراطية وحقوق الإنسان كانت

تصطدم في ازدواجية مواقفها من القضية الفلسطينية والتي تعبر عنها في مواقفها من تأييد جرائم إسـرائيل ضد الفلسطينيين ، واستخدام حق النقض (الفيتو) ضد كل مشاريع الإدانة للسلوك الهمجي الإسـرائيلي تجاه أطفال وشيوخ ونساء فلسطين ، وسياسة تهديم المنازل والفصل العنصـري ممثلاً بالجدار العازل .

نتائج الهدف الرابع : وتحقيقاً للهدف الرابع المتمثل بمعرفة الفروق بين أفراد العينـة في اتجاهـاتهم نحـو ظـاهرة العولمـة تبعـاً لمتغيرات الدراسة ، وهي الجنس والمستوى والتخصص ، فقد أظهرت النتائج وجود فروق معنوية في اتجاهـات أفـراد العينـة نحو العولمة وفقاً للمتغيرات الثلاثة وإن كانت في مجملها تصب في الاتجاه السلبي وذلك على النحو الآتي:

أ) متغير الجنس :

جدول (6) يبين الفروق المعنوية في اتجاهات الطلبة نحو العولمة وفقاً لمتغير الجنس

الجنس	حجم العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
ذكور	293	156	9.43	7.14	0.01
إناث	100	163	4.78		

ويتضح من الجدول (6) أن الطلاب قد حصلوا على متوسط مقداره (156) درجة بانحراف معياري قـدره (9.43) في حين حصلت الطالبات على متوسط مقداره (163) درجة بإنحراف معياري (4.78) . وبتطبيق الأختبار التائي لعينتين مستقلتين غير متساويتين من حيث العدد تبين أن هناك فرقاً ذا دلالة معنوية بين متوسطي درجات المجموعتين قد تحقق ولمصلحة مجموعة الطالبات حيث كانت القيمة التائية المتحققة (7.14) أكبر من القيمة الجدولية البالغة (2.59) المستخرجة عند مستوى دلاله (0.01) ودرجة حرية (492) مما يشير إلى امتلاك الطلاب اتجاهات سلبية نحو ظاهرة العولمة أكثر حدة وتطرفاً من الطالبات .

ولعل ذلك يرجع إلى اختلاف نمط التنشئة الاجتماعية لكل من الذكور والإناث في إطار الثقافة اليمنية والعربية والثقافات الأخرى بشكل أفرز تصورات لدى الذكور بأنهم أكثر اهتماماً واكتراثاً وتخوفاً من هذه الظاهرة بحكم أنهم هم أصحاب القرارات المصيرية للمجتمع وبالتالي هم أكثر توجساً وخيفة من التحديات التي تواجه مجتمعهم وثقافتهم وعقيدتهم ، لذلك جاءت إتجاهاتهم أكثر تطرفاً في الرؤية السلبية لهذه الظاهرة .

هذا بالإضافة إلى تدني مستوى وعي المرأة اليمنية بكثير من القضايا المصيرية التي تواجه المجتمع ، بل أنها كما تشير بعض الدراسات جاهلة بكثير من القضايا الجوهرية المعنية بحقوق المرأة نفسها وبحقيقة أدوارها في المجتمع ، ممـا جعلها أكثر سلبية من الرجل في مواجهة التحديات التي تهدد المجتمع ، وهذه النتيجة تتفق مـع دراسة وطفـة (2003) التي اثبتت وجود فروق دالة إحصائياً في النظرة إلى العولمة تبعاً لهذا المتغير ..

ب) متغير المستوى الدراسي :

جدول (7)يبين الفروق المعنوية في اتجاهات الطلبة نحو العولمة وفقاً لمتغير المستوى الدراسي

المستوى	حجم العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
الأول	115	155	6.10	11.49	0.01
الرابع	50	165	3.78		

ويتضح من الجدول (7) أن طلبة المستوى الأول قد حصلوا على متوسط مقداره (155) درجة بانحراف معياري (6.10) في حين حصل طلبة المستوى الرابع على متوسط قدره (165) درجة بانحراف معياري (3.78) وبتطبيق الاختبار التائي لعينتين مستقلتين غير متساويتين من حيث العدد تبين أن هناك فرقاً ذا دلالة معنوية بين متوسطي درجات المجموعتين قد تحقق ولمصلحة طلبة المستوى الرابع . حيث كانت القيمة التائية المتحققة (11.49) أكبر من القيمة الجدولية البالغة (2.60) المستخدمة عند مستوى دلالة (0.01) .... مما يشير إلى أن طلبة المستوى الأول يتميزون بامتلاك اتجاهات أكثر سلبية نحو هذه الظاهرة ، ولعل ذلك يرجع إلى حضور بعض التأثيرات النسبية للبرنامج الدراسي الذي يخضع له طلبة الجامعة ، وأن كان الاتجاه العام للطلبة ، كما سبقت الإشارة، يصب في المنحى السلبي حيال هذه الظاهرة ، هذا بالإضافة إلى امتلاك طلبة المستوى الرابع قاعدة معرفية أكثر عمقاً ، ومنهجية أكثر موضوعية بحكم التراكم المعرفي وكثرة المنبهات الثقافية التي يخضعون لها وبحكم سنهم ...

ج) متغير التخصص :

جدول (8) يبين الفروق المعنوية في اتجاهات الطلبة نحو العولمة وفقاً لمتغير التخصص

التخصص	حجم العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
إنساني	246	154	10.56	13.04	0.01
علمي	147	166	6.35		

ويتضح من الجدول (8) أن طلبة الأقسام العلمية على متوسط مقداره (166) درجة بانحراف معياري (6.35) في حين حصل طلبة الأقسام الإنسانية على متوسط قدره (154) درجة وبانحراف معياري (10.56) . وكلا المتوسطين يعكسان اتجاهاً سلبياً نحو ظاهرة العولمة ، غير أن أكثر سلبية لدى طلبة الأقسام الإنسانية ، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة التخصص . إذ نجد أن طلبة الإنسانيات أكثر تعرضاً واحتكاكاً بحكم هذا التخصص ومتطلباته ، بالقضايا الجدلية الساخنة التي تطرحها العولمة ، ولعل أبرزها القضية المعنية بتهديد ثقافة

مجتمعهم ومعتقداته وثوابته ، في حين أن طبيعة التخصص لطلبة العلميات تفرض عليهم نوعاً من التعاطي الإيجابي لهذه الظاهرة المتمثل بمفرزاتها التقنية والإنجازات العلمية التي تبشر بها العولمة ، هذا بالإضافة إلى تأثر طلبة الأقسام العلمية بطبيعة المنهجية السائدة في هذه الأقسام والمتسمة إلى حد ما بالموضوعية والحيادية النسبية في النظرة إلى الظواهر قيد الدراسة.

التوصيات :

في ضوء النتائج التي اسفرت عنها ا لدراسة والتي تجسد في مجملها الرؤية السلبية القاتمة لظاهرة العولمة، يمكن وضع بعض التوصيات التي من شأنها ، إذا ما وجدت طريقها للتنفيذ أن تقدم للطلبة صورة أو فكرة موضوعية لهذه الظاهرة ، ولعل أبرز هذه التوصيات ما يلي :

- ادخال مضامين فكرية حول هذه الظاهرة في بعض المقررات الدراسية ولا سيما تلك المعنية بمتطلبات الجامعة أو متطلبات الكليات .
- عقد ندوات تثقيفية ، وتقديم محاضرات عامة حول العولمة من قبل أعضاء هيئة التدريس ، وبعض النخب المثقفة.
- اعتماد مقرر دراسي يكون ضمن متطلبات الجامعة أو متطلبات الكليات ، يعنى بالقضايا العالمية المعاصرة والمستقبلية .
- تفعيل دور الاتحادات الطلابية ولا سيما في الجوانب الثقافية المعنية بالقضايا العالمية المعاصرة عبر ما تصدره من النشرات والملصقات ..
- اعتماد أساليب وطرائق تدريس تنمي التفكير النقدي لدى الطلبة ..

المقترحات :

- إجراء دراسة مماثلة حول ظاهرة العولمة لدى عينة من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة .
- إجراء دراسة مماثلة حول هذه الظاهرة من وحهة نظر بعض القيادات الإدارية بالجامعة .
- إجراء دراسة مماثلة حول العولمة من قبل عينة من المثقفين .
- إجراء دراسة مقارنة بين اتجاهات عينة من طلبة بعض الجامعات اليمنية .

قائمة المراجع

- إبراهيم ، حيدر (1999) " العولمة وجدل الهوية الثقافية " ، عالم الفكر ، المجلد 28 ، العدد الثاني ، الكويت .
- الابراهيم ، عدنان (2002) " النظم التعليمية والعولمة الاقتصادية " ، تونس : المنظمة العربية .
- الأسد ، ناصر الدين (1997) " الهوية والعولمة " ندوة العولمة والهوية ، الرباط : أكاديمية المملكة المغربية .
- الأغبري ، بدر (1999) " العولمة والتحديات التربوية في الوطن العربي " الفكر التربوي العربي " اتحاد التربويين العرب ، السنة السابعة ، العدد الرابع ، ص(169 –177) .
- بدران ، شبل (2000) " ديمقراطية التعليم في الفكر التربوي المعاصر" ، القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع .
- البسام ، عبدالعزيز (1989) " الأهداف التربوية : مفهومه ووظائفها واتجاهات تطورها " ، بحث غير منشور .

- بلخوخة، محمد الحبيب(1997) "إيجابيات العولمة وسلبياتها"، ندوة العولمة والهوية، الرباط:أكاديمية المملكة المغربية.
- التل سعيد ، وآخرون (1997) " قواعد التدريس في الجامعة " ، عمان : دار الفكر للطباعة والنشر .
- الجابري ، محمد عابد (1997) " قضايا في الفكر المعاصر " ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .
- جامعة الدول العربية (2001) " العولمة والتعلم والتنمية البشرية " ، القاهرة ، منتدى التنمية البشرية .
- الجنحاني ، الحبيب (1999) "ظاهرة العولمة : الواقع والآفاق " ، عالم الفكر ، مجلد 28 ، العدد الثاني ، الكويت
- الحسيني ، شائف علي (2001) " حديث العولمة وآفاق تطور اليمن " ، صنعاء : الآفاق للطباعة والنشر .
- الحمش ، منير (1998) " العولمة ليست الخيار الوحيد " دمشق : مكتبة الأهالي .
- حنفي، حسن (1999)" الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية " ، ندوة العولمة والهوية ، الرباط : أكاديمية المملكة المغربية .
- حوات ، محمد (2002) " العرب والعولمة " : شجون الحاضر وغموض المستقبل " القاهرة : مكتبة مدبولي .
- الخليفي ، عبدالرحيم (2003) " عن العلاقة بين العولمة والتربية " (شبكة الانترنت) .
- الدجاني ، أحمد صدقي (1997) " تأملات في العولمة والهوية " ، ندوة العولمة والهوية ، الرباط ، أكاديمية المملكة المغربية .
- الدرة ، عبدالباري (1999) " العولمة وإدارة التعدد الحضاري والثقافي " ، المؤتمر العلمي الرابع ، العولمة والهوية ، كلية الآداب والفنون ، جامعة فيلادلفيا .
- الرشدان ، عبدالفتاح (2002) " دور التربية في مواجهة تحديات العولمة في الوطن العربي " ، تونس : المنظمة العربية .
- رضا ، محمد جواد (1998) " العرب والقرن الحادي والعشرين : تربية ماضوية وتحديات غير قابلة للتنبؤ " ، المستقبل العربي ، العدد (230) .
- زلوم ، عبدالحي (1999) " نذر العولمة " عمان : دار فارس .
- السحباني ، عبدالستار (2002) " أثر العولمة الاقتصادية على القيم التربوية " ، تونس ، المنظمة العربية .
- السقاف، فارس (1998) " كيف نواجه العولمة الثقافية ؟ "، مجلة الكلمة ، العدد (20) السنة الخامسة ، ص (100 – 103)
- السنبل،عبدالعزي(2002)"التربية في الوطن العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين"،الاسكندرية:المكتب الجامعي الحديث
- سويف ، مصطفى (1972) مقدمة في علم النفس الاجتماعي ، القاهرة : مكتبة الأنجلو مصرية
- السيد ، فؤاد بهي (1986) ، علم النفس الاحصائي وقياس العقل البشري ، ط3 ، القاهرة : دار الفكر العربي
- السيد ، محمود أحمد (1997) " التحديات التي تواجه التعليم العربي في القرن القادم " ، مجلة الكلمة ، بيروت : السنة الرابعة ، العدد (15) ص (67 – 84) .
- الطواب ، سيد محمود (1990) ، " الاتجاهات النفسية وكيفية تغييرها " ، مجلة علم النفس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، العدد (15)، يوليو ، أغسطس ، سبتمبر ، السنة الرابعة .
- عبدالدائم ، عبدالله (1998) " دور التربية العربية المتغير مع دخول القرن الحادي والعشرين " ، مجلة شؤون عربية، العدد 93 ، جامعة الدول العربية .
- عبدالدائم ، عبدالله (2000) " نحو فلسفة تربوية عربية " ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .

- عبدالشافي ، سعاد أحمد (1995) " التربية وتنمية الإنسان المصـري في ضوء تحديات القرن الحادي والعشـرين " ، دراسات تربوية واجتماعية ، المجلد الأول ، العدد (3) .
- عبدالعزيز ، عبدالصمد(2001) " التربية والتعليم وتحديات العولمة " ، الموقف، العدد 22 ، ص (14 – 21).
- عبدالله ، عبدالخالق (1997) " العولمة : جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها " ، عـالم الفكـر ، المجلـد 28، العـدد الثـاني ، الكويت ، ص (39 – 94) .
- عبدالله ، معتز سيد (1990)، " المعارف والوجدان كمكونين أساسيين في بناء الاتجاهـات النفسـية "،مجلـة علـم الـنفس ، الهيئـة المصـرية العامة للكتاب ، العدد (15)، يوليو ، أغسطس ، سبتمبر ، السنة الرابعة
- عبدالوهاب ، محمد معمر (2001) " العولمة والهوية الثقافية في اليمن "، أوراق يمانية ، العدد (16) ، المركز العربية للدراسـات الاستراتيجية ، دمشق .
- عدس ، عبدالرحمن ، ومحي الدين توق (1994) المدخل إلى علم النفس ، ط 2 ، نيويورك ، جون وايلي وأولاده
- عطاري ، عارف (1999) " الوعي العالمي لدى الطلاب الأجانب في الجامعة الإسلامية العالمية (ماليزيا) واتجاهاتهم نحو القضايا الدولية " ، مجلة مركز البحوث التربوية ، جامعة قطر ، العدد 15
- كارنوي ، مارتن (2003) العولمة وإصلاح التعليم : ت . محمد جمال نور ، القاهرة : العربي للنشـر والتوزيع.
- مدكور ، علي أحم (1998) " العولمة والتحديات التربوية " ، العلوم التربوية عدد (9) ص (15 – 55) .
- محي الدين ، طلال عبدالستار (2001) " العولمة والتنمية العربية (من منظور تربوي) " ، مجلـة تهامـة ، العـدد الثالـث ، جامعـة الحديدة ص (29 – 60) .
- المرسي ، كمال الدين (2001) " العلمانية والعولمة والأزهر " ، الاسكندرية : المكتب الجامعي الحديث .
- مليكة ، لويس كامل وآخرون (1965)، قراءات في علم النفس الاجتماعي ، المجلد الأول ، القاهرة :الهيئة المصـرية العامة للكتاب.
- النشار ، مصطفى (1999) " ضد العولمة " ، القاهرة : دار قباء للطباعة والنشـر .
- الهبوب،أحمد(2004)"الأهداف التربوية في اليمن ودول مجلس التعاون الخليجي"، مجلة الباحث الجامعي، جامعة إب، العدد(6).
- وطفة ، علي أسعد (2003) " الثقافة العربية الإسلامية إزاء تحديات العولمة وفرصها ": مجلـة اتحـاد الجامعـات العربيـة ، العـدد الحادي والأربعون ص (101 – 157) .
- ياسين،سيد(199)"العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي"، قضايا استراتيجية ، السنة الثالثة، العدد (17) دمشق (ص1 – 58).
- Allport . G . (1958) , The Nature of Prejudce , Garden City :Addison wesle Publishing Company , Inc .
- Huntington , S . (1996) The Clash of Civilizations , London : Touchstone Books .
- Hallak , J .(1998) , " Education & Globalization " , IIEPNewsletter , Vol . XVI , No.2 April – June , Paris.
- Rokeach , M .(1968) Beliefs, Attitudes and Values , San Francisco : Jossey Ban Publishers.
- Sears etal . (1985) Social Psychology , London :Prentice-Hall , Inc , 5th ed .

أثر بعض العوامل الاقتصادية والاجتماعية على السياحة الداخلية بمدينة إب

دراسة ميدانية

د . عبدالحكيم عبدالرحمن المنصوب *

أ. د . محمـــــــد حـــسن النقاش **

د . طـــــارق احمـد المنصـــــوب ***

ملخص :

يهدف هذا البحث بصفة أساسية إلى دراسة تأثير بعض العوامل الاجتماعية والاقتصادية على السياحة الداخلية في مدينة إب . وفي سبيل ذلك فقد تم استخدام إجابات (121) شخصاً ينتمون إلى حيين مختلفين ، أحدهما من الأحياء القديمة والآخر من الأحياء الحديثة . وباستخدام المقارنات والاختبارات الإحصائية تم إثبات أغلب فرضيات الدراسة . حيث تتأثر السياحة الداخلية بكل من تأثير الآخرين على الفرد ، النوع ، العمر ، الحالة الاجتماعية ، الدخل .

المبحث الأول : مقدمة .

يمثل ازدهار السياحة الداخلية دعامةً أساسيةً لازدهار السياحة الدولية الوافدة . فحيث تتوفر المرافق والخدمات والتسهيلات السياحية ، وحيث يكون لدى المواطن درجة أكبر من الوعي السياحي ، يكون بالإمكان تحقيق استفادة أكبر من السياحة العالمية .

وتتعدد نتائج رواج السياحة عامةً ، والسياحة الداخلية خاصةً ، سواءً في الجانب الاقتصادي أم في الجوانب الاجتماعية والثقافية الأخرى . فالاقتصاديون يصفون السياحة بأنها صناعة بلا مداخن ، حيث أن رواجها يعني المزيد من فرص العمل ، سواءً عند إقامة المشروعات السياحية أم أثناء تشغيلها ، وبما تخلقه السياحة من

---

*) أستاذ الإحصاء التطبيقي المساعد بكلية التجارة - جامعة إب

**) أستاذ السياحة بكلية التجارة - جامعة إب

***) أستاذ العلوم السياسية المساعد بكلية التجارة - جامعة إب

فرص عمل أمام شرائح إجتماعية عديدة غير عاملة في المشروعات السياحية . وإذا كانت السياحة الدولية الوافدة تمثل مصدراً هاماً للعملات الأجنبية ، فإن السياحة الداخلية تعمل على تحسين توزيع الدخل ، وعلى زيادة سرعة دوران النقود داخل البلاد ، وعلى تحقيق مزايا من شأنها تحسين الصحة النفسية للفرد ، وتقوية الروابط الأسرية والإنتماء المجتمعي .

ومن المتوقع أن تتأثر السياحة عامةً ، والسياحة الداخلية خاصةً ، بعوامل اقتصادية وإجتماعية ، تختلف في نوعها وفي شدة تأثيرها باختلاف المجتمعات . وهذه الدراسة تتناول أثر بعضٍ من هذه العوامل على السياحة الداخلية في مدينة إب . وذلك بالإعتماد على البيانات التي تم الحصول عليها من (**121**) شخصاً ، هم عينة الدراسة التي تتكون من عينتي حيين سكنيين في المدينة ، هما حي المدينة القديمة (كأحد الأحياء القديمة) وحي جبل كاحب (كأحد الأحياء الحديثة) . وقد تم اختيار هذين الحيين مراعاةً للاختلافات بين الأحياء القديمة وتلك الحديثة من حيث أغلب الخصائص الاجتماعية والاقتصادية .

مشكلة الدراسة وأهدافها :

على الرغم من تعدد الفوائد التي تحققها السياحة ، وعلى الرغم من التوجه العام (رسمياً وشعبياً) نحو جعل محافظة إب إحدى المحافظات السياحية الهامة في اليمن ، إلا أن المتتبع لحركة السياحة في محافظة إب بوجهٍ خاص ، وفي عموم محافظات الجمهورية بوجهٍ عام ، يلحظ محدودية أعداد السياح اليمنيين داخل وبين المحافظات اليمنية . وليس من المعلوم – على وجه اليقين – اسباب عزوف المواطن اليمني عن ارتياد المناطق والمواقع السياحية ، وليس معلوماً – لدينا – العوامل التي تقف وراء مثل تلك الوضعية .

ونظراً لأهمية السياحة الداخلية ، بعائداتها المادية والنفسية والاجتماعية ، فإن الدراسة ستسعى الى دراسة تأثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية (الدخل الشهري ، المهنة ، النوع ، العمر، الحالة الاجتماعية) على حركة السياحة الداخلية في مدينة إب . وذلك انطلاقاً من محاولة الاجابة على التساؤل : هل للعوامل الاقتصادية والاجتماعية المذكورة تأثير على حركة السياحة الداخلية في المحافظة ؟ وهل هناك فروق ذات دلالات إحصائية في تأثير هذه العوامل لدى قاطني حي المدينة القديمة عنها لدى قاطني حي جبل كاحب ؟

فرضيات الدراسة :

تناولت هذه الدراسة الميدانية فرضية رئيسية هي " أن هناك تأثيراً لبعض العوامل الاجتماعية والاقتصادية على حركة السياحة الداخلية في مدينة إب " . ومن هذه الفرضية تم اشتقاق الفرضيات التالية :

- للقيم الاجتماعية تأثير على حركة السياحة والسفر بالنسبة للنوع .
- كلما زاد التقدم في العمر كلما قل الطلب على السياحة خارج حدود المحافظة .
- للحالة الاجتماعية أثر في حركة السياحة والسفر بالنسبة للاعزب .
- لنوع المهنة أثر في حركة السياحة .
- مستوى الدخل يؤثر على الطلب على السياحة .

مجال الدراسة :

تمثل المجال المكاني في مدينة إب ، أما المجال الزمني فهو الفترة من شهر يوليو **2004** م حتى شهر يناير **2005** م .

بعض مفاهيم الدراسة :

1 - السياحة .

تعني عملية إنتقال وقتية يقوم بها عدد من سكان الدول المختلفة ، فيتركون محل إقامتهم الدائمة منطلقين إلى أماكن اخرى داخل حدود بلدهم (سياحة داخلية) أو إلى بلدان اخرى (سياحة خارجية أو دولية) [الظاهر والياس ، **2001**] . وقد أصبح شائعاً لدى المنظمات الدولية والهيئات والمؤسسات التي تهتم بشؤون السياحة ، أن أهداف السياحة تنحصر في السفر لأجل الاستجمام أو ممارسة فعاليات رياضية أو العلاج أو زيارة الأماكن الدينية ، وأن لايكون أحد أهدافها البحث عن أو الحصول على فرصة العمل . جاء ذلك في تعريف الأمم المتحدة للسياحة في مؤتمر روما عام **1963** م [**Manuel , et al , 1977**] .

2 - وقت الفراغ .

إن مفهوم وقت الفراغ **leisure time** لم يعد يقتصر على الوقت الفائض المتاح يومياً ، ولكنه يمتد الى الوقت الذي يكون الإنسان فيه متحرراً من أي نظام **system** يقيد تصرفاته ويحسب عليه حركاته وسكناته ، باستثناء ما ينفقه منه في غفلة (كالنوم) أو قيد فسيولوجي لقضاء الحاجات (كالطعام) [**The World Book of Encyclopedia , 1979**] . وبذلك فإن الإنسان لا يؤدي فيه أي نشاط يهدف إلى الكسب المادي، وإنما ينفقه في الترويح عن النفس لتجديد الطاقات الذهنية والبدنية [درويش ، **1987**] .

إن هذا المفهوم قد الزم المجتمع بحسن تدبير وقت الفراغ والتخطيط لإستثماره ، كونه يتضمن العلاقة بين متطلبات الحياة في العمل ، عبر الطاقات الذهنية والبدنية ، وتجديد هذه الطاقات لإستمرار متطلبات الحياة عبر العمل من جديد [البنيان ، **1980**] .

3 - الطلب على السياحة .

يُفَرق بين الطلب السياحي المحتمل والطلب السياحي الحقيقي ، فالأول يشير إلى جميع الأفراد الذين يتوفر لديهم المال والوقت وقادرين على السفر بغرض السياحة ، ويشير الطلب السياحي الحقيقي إلى الأفراد الذين سافروا فعلاً بغرض السياحة [الحوري ، **2001**] . وهذا الأخير هو محل اهتمام هذه الدراسة .

المبحث الثاني : خصائص أفراد عينة الدراسة .

من المعروف أن العينة العشوائية البسيطة تكون مناسبة في حالة مجتمع الدراسة الذي تتصف مفرداته بالتجانس ، بحيث يكون لأي مفردة نفس فرصة التمثيل الخاصة بأي مفردة اخرى . ولكن إذا كان مجتمع الدراسة يتكون من أو يمكن تقسيمه إلى طبقات (مجموعات) بحيث تكون مفردات كل طبقة متجانسة فيما بينها ، وبحيث تتباين الطبقات فيما بينها ، فإن اسلوب المعاينة المناسب لهذه الحالة يكون بإستخدام العينة الطبقية ، بحيث يتم تقسيم المجتمع إلى الطبقات المتجانسة داخلياً والمتباينة فيما بينها خارجياً ، ثم يتم اختيار مفردات الدراسة عشوائياً من كل طبقة [العمر ، **1425** هـ - **2004** م] . وهذا الأسلوب تم تنفيذه في هذه الدراسة ، حيث تم تقسيم مدينة إب إلى طبقتين : طبقة الأحياء القديمة وطبقة الأحياء الحديثة ، وذلك لاختلاف السكان ، في هذين النوعين من الأحياء ، من حيث مجمل الخصائص الاجتماعية والاقتصادية ، ثم تم اختيار المفردات عشوائياً من كلٍ من حي المدينة القديمة (كأحد الأحياء الفديمة) وحي جبل كاحب (كأحد الأحياء الحديثة) .

وعن حجم عينة الدراسة فقد تم توزيع (**220**) استمارة إستبيان ، منها (**150**) استمارة في حي المدينة القديمة ، والباقي (**70** استمارة) في حي جبل كاحب ، إلا أن :

1 - عدد الاستمارات المستردة بلغ (**156**) استمارة : (**101**) استمارة من حي المدينة القديمة و (**55**) استمارة من حي جبل كاحب .

2 - عدد الاستمارات الصالحة للدراسة بلغ (**121**) استمارة : (**74**) استمارة من حي المدينة القديمة و (**47**) استمارة من حي جبل كاحب .

ولم يتوفر للباحثين أعداد السكان في كل حي وفقاً لآخر تعداد سكاني ، وذلك حتى يتم تقدير حجم العينة في كل حي . ورغم ذلك فإن هذين العددين (**74** شخص و **47** شخص) كافيان لتمثيل أكثر من (**500**) ألف شخص في كل حي وبخطأ تقدير يصل إلى (**0.025**) فقط [**Scheaffer et al , 1990**] . فإذا عُلم ، ومن واقع المعايشة الفعلية ، أن سكان كل حي من الحيين المذكورين لايزيدون على (**500**) الف نسمة بأي حال من الأحوال ، فإن ذلك يبعث على الإطمئنان إلى كفاية حجم العينة .

وعن محتوى استمارة الإستبيان ، فقد تضمنت الاستمارة (32) سؤالاً موزعةً حول : الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للمبحوثين ، توفر وقت الفراغ ، المناطق السياحية المفضلة ، تكرار السياحة ، ...، إلى آخر ذلك (نموذج الاستمارة مرفق – ملحق رقم 1) .

ويبين الجدول رقم (1) الخاص بالخصائص الاجتماعية والاقتصادية لأفراد عينة الدراسة ، أن هؤلاء الأفراد تشابهوا في خصائص واختلفوا في اخرى ، حيث نجد :

1 – إرتفاع نسبة الذكور جملةً وتفصيلا . ففي عينة المدينة القديمة وصلت نسبة الذكور إلى (53٪) مقابل (60٪) في جبل كاحب . وبلغت النسبة الإجمالية للذكور (55٪) .

2 – أن أغلب افراد العينة يقعون في الأعمار الشابة . فمجموع نسب الذين في العمر (40) سنة أو أقل هو (87٪) يتوزع إلى (86٪) في حي المدينة القديمة و (87٪) في حي جبل كاحب . ورغم هذا التقارب إلا أن أفراد عينة المدينة القديمة أكثر شباباً ، حيث تصل نسبة الذين تقل أعمارهم عن (31) سنة إلى (68٪) مقابل (51٪) لأفراد عينة جبل كاحب .

3 – أن هناك تماثلاً في الحالة الاجتماعية . حيث بلغت نسبة المتزوجين في إجمالي عينة الدراسة (50٪) مقابل (50٪) لغير المتزوجين . وهناك اختلاف عند المقارنة بين الحيين ، فنسبة المتزوجين في عينة المدينة القديمة هي (39٪) مقابل (66٪) في عينة جبل كاحب . ومن ثم فإن نسبة غير المتزوجين في عينة المدينة القديمة هي (61٪) مقابل (34٪) في عينة جبل كاحب . وهذه النسب التفصيلية تتناسب مع النسب التفصيلية لبيانات العمر ، فحيث ترتفع نسبة الذين في العمر (18 – 30) سنة إلى (68٪) في حي المدينة القديمة ، ترتفع نسبة غير المتزوجين إلى (61٪) في نفس الحي . وهذا مؤشر لإتساق البيانات .

4 – أن أغلب أفراد العينة متعلمون . فمجموع نسب الحاصلين على تعليم ثانوي أو أكثر يصل إلى (71٪) . يتوزع هذا المجموع بين الحيين باختلاف : (66٪) في حي المدينة القديمة و (79٪) في حي جبل كاحب . والاختلاف الأكثر وضوحاً يأتي من التعليم الإبتدائي ، حيث بلغت نسبة الحاصلين على تعليم إبتدائي في حي الدينة القديمة (19٪) مقابل (4٪) في حي جبل كاحب .

5 – أن أغلب أفراد العينة موظفون . حيث بلغ مجموع نسبهم (38٪) وموزعاً بالتساوي بين الحيين . وإذا كان هناك تقارباً في أغلب المهن (عامل ، متقاعد ، عسكري ، عمل حر ، ربة بيت) بين الحيين ، إلا أن الاختلاف الواضح يأتي من نسبة الطلاب الذين بلغت نسبتهم (40٪) في حي المدينة القديمة ، وانخفضت إلى (25٪) في حي جبل كاحب . ومرةً اخرى يتوفر مؤشر لإتساق البيانات ، فنسبة الطلاب المرتفعة في المدينة القديمة (

وهي 40٪) تؤيد أن أغلب افراد عينة هذا الحي غير متزوجين (61٪) وأن أغلبهم يقع في الفئة العمرية (18 - 30) سنة (ونسبتهم 68٪) .

6 - أن أغلب افراد العينة تقل دخولهم عن (10) الآف ريال شهرياً . حيث وصلت نسبتهم الإجمالية إلى (31٪) تنخفض إلى (29٪) لفئة الدخل (10 - 20) ألف ريال شهرياً ، وتستمر النسبة الإجمالية في الإنخفاض كلما زادت فئة الدخل الشهري . مع ملاحظة أن هذا الإنسجام في إنخفاض نسب الأفراد بزيادة فئات دخولهم لايتحقق إذا تم تتبعه تفصيلياً (أي على مستوى كل حي على حدة) وهذا الأمر متوقع حيث تعتبر بيانات الدخل من أكثر البيانات التي تعتريها الأخطاء من قبل المبحوثين [U. N. , 1993] .

جدول رقم (1) : الخصائص الاجتماعية والاقتصادية لعينة الدراسة - حسب الحي

الحي / الخاصية	المدينة القديمة		جبل كاحب		المجموع	
	عدد	نسبة (٪)	عدد	نسبة (٪)	عدد	نسبة (٪)
1- النوع :						
ذكر	39	53	28	60	67	55
انثى	35	47	19	40	54	45
2- العمر (بالسنة)						
30 - 18	51	68	12	26	63	51
40 - 31	13	18	29	61	42	37
50 - 41	5	7	5	11	10	8
51 فأكثر	5	7	1	2	6	5
3- الحالة الاجتماعية:						
متزوج	29	39	31	66	60	50
غير متزوج	45	61	16	34	61	50
4- المستوى التعليمي :						
ابتدائي	14	19	2	4	16	13
اعدادي	11	15	8	17	19	16
ثانوي	23	31	15	32	38	31
جامعي	26	35	22	47	48	40
5- المهنة :						
عامل	2	3	4	9	6	5
موظف	28	38	18	38	46	38

الحي / الخاصية	المدينة القديمة		جبل كاحب		المجموع	
	عدد	نسبة (٪)	عدد	نسبة (٪)	عدد	نسبة (٪)
متقاعد	1	1	0	0	1	1
عسكري	0	0	2	4	2	2
عمل حر	3	4	5	11	8	7
ربة بيت	10	14	6	13	16	13
طالب	30	40	12	25	42	34
6- الدخل الشهري* :						
اقل من 10	23	31	15	32	38	31
10 - اقل من 20	19	26	16	34	35	29
20 - اقل من 40	24	32	8	17	32	26
40 - 50	8	11	8	17	16	14
المجموع	74	100	47	100	121	100

* بالألف ريال .

المبحث الثالث : تحليل إجابات أفراد العينة .

أولاً : إتخاذ القرار بالسياحة : أظهرت نتائج الدراسة - وكما هو وارد في الجدول رقم (2) - أن اتخاذ افراد العينة لقرارات سفرهم للسياحة ، يرجع في أغلبه إلى تأثير الآخرين . حيث :

1 - أن (25٪) من أفراد العينة كان اتخاذهم لقرار السياحة بدون تأثير الآخرين (تأثير ذاتي) وإن كانت هذه النسبة تزيد إلى (28٪) في عينة حي المدينة القديمة ، إلا أنها تنخفض إلى (19٪) في عينة حي جبل كاحب .

2 - على مستوى إجمالي عينة الدراسة ، وكذلك عينة حي المدينة القديمة ، فإن (21٪) من الأفراد كان اتخاذهم لقرار السياحة ناتج عن تأثير الأصدقاء ، وترتفع هذه النسبة إلى (24٪) في عينة حي جبل كاحب .

3 - أن التأثير الأكبر على قرارات أفراد العينة هو تاثير الأهل والأقارب . حيث ظهر هذا التأثير عند (54٪) من إجمالي عينة الدراسة ، وتتفصل هذه النسبة إلى (51٪) في المدينة القديمة و (65٪) في جبل كاحب .

وبذلك فإن (75٪) من أفراد عينة الدراسة كان اتخاذهم لقرارات السياحة ناتج عن تاثير الآخرين (21٪ + 54٪) وتصل هذه النسبة إلى (72٪) في المدينة القديمة (21٪ + 51٪) ، وإلى (81٪) في جبل كاحب (24٪ + 57٪) . إن هذا الأمر يعني أن الترويج للسياحة الداخلية يمكن أن ينشط السياحة الداخلية بدرجة كبيرة .

جدول رقم (2) : مصدر التأثير على قرارات الأفراد بالسياحة

المصدر	الحي					
	المدينة القديمة		جبل كاحب		مجموع	
	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪
تأثير ذاتي	21	28	9	19	30	25
الأصدقاء	15	21	11	24	26	21
الأهل والأقارب	38	51	27	57	65	54
مجموع	74	100	47	100	121	100

بالإضافة إلى ارتفاع نسبة تاثير الآخرين على أفراد العينة ، وذلك عند اتخاذ قرار السياحة ، فإن الملحق رقم (2) يتضمن نتيجة الإختبار الإحصائي الذي يبين أن نسبة الأفراد في حي المدينة القديمة ، الذين اتخذوا قرار السياحة بسبب تأثير الآخرين ، لاتختلف - إحصائياً - عن نظيرتها في حي جبل كاحب .

ثانياً : بعض العوامل المؤثرة على حدود السياحة .

تختلف تفضيلات الأفراد حول السياحة داخل حدود محافظة إب أم خارجها ، وذلك تبعاً لاختلاف خصائصهم الاجتماعية والاقتصادية ، وذلك كالتالي :

1 - النوع .

يتضمن الجدول رقم (3) مايؤكد على تأثير النوع - كأحد العوامل الاجتماعية وفي المجتمعات التقليدية خاصةً - على قرارات الأفراد حول حدود السياحة . فإذا كان الجدول المذكور يشير إلى أن (72) من أفراد العينة (أي مانسبته 60٪) يفضلون السياحة داخل حدود المحافظة ، إلا أن هذه الحدود تختلف باختلاف نوع الفرد . حيث :

أ - أن (70٪) من إجمالي الإناث في عينة الدراسة يفضلن السياحة داخل حدود المحافظة ، مقابل (50٪) في إجمالي ذكور عينة الدراسة .

ب - أن (77٪) من إناث عينة المدينة القديمة ، و (58٪) من إناث عينة جبل كاحب يفضلن السياحة داخل حدود المحافظة ، مقابل (38٪) لذكور عينة المدينة القديمة و (68٪) لذكور جبل كاحب .

جدول رقم (3) : حدود السياحة على مستوى محافظة إب – حسب النوع

الحدود	حي المدينة القديمة				حي جبل كاحب				المجموع			
	ذكور		إناث		ذكور		إناث		ذكور		إناث	
	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪
داخل المحافظة	15	38	27	77	19	68	11	58	34	51	38	70
خارج المحافظة	24	62	8	23	9	32	8	42	33	49	16	30
المجموع	39	100	35	100	28	100	19	100	67	100	54	100

بالإضافة إلى ارتفاع نسبة الإناث اللاتي يفضلن السياحة داخل حدود المحافظة ، فإن الملحق رقم (3) يتضمن نتيجة الاختبار الإحصائي الذي يبين أن نسبة هؤلاء الإناث تختلف – إحصائياً – عن نسبة الذكور الذين يفضلون السياحة داخل حدود المحافظة . الأمر الذي يؤكد صحة الفرضية المتعلقة بتأثير النوع على حدود السياحة الداخلية .

2 – العمر .

الشباب أكثر قدرةً على الحركة والإنتقال ، وأكثر رغبةً في الإنطلاق إلى رحابٍ أوسع ، ومن ثم فإن الجدول رقم (4) يتضمن تأكيداً لذلك ، حيث أن (61٪) من أفراد عينة الدراسة ، والذين تقع أعمارهم في الفئة العمرية (18 – 30) سنة ، يفضلون السياحة خارج حدود المحافظة . وهذه النسبة تتفصل إلى (72٪) في عينة المدينة القديمة و (41٪) في عينة جبل كاحب . كما يتضمن الجدول إتجاهاً تنازلياً واضحاً لنسبة الذين يفضلون السياحة خارج حدود المحافظة مع زيادة العمر .

جدول رقم (4) : حدود السياحة على مستوى محافظة إب – حسب العمر

فئات العمر (بالسنة)	حي المدينة القديمة				حي جبل كاحب				المجموع			
	داخل المحافظة		خارج المحافظة		داخل المحافظة		خارج المحافظة		داخل المحافظة		خارج المحافظة	
	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪
30-18	28	67	23	72	5	17	7	41	33	46	30	61
40-31	6	14	7	22	25	83	4	24	31	43	11	22
50-41	3	7	2	6	0	0	5	29	3	4	7	14
50فاكثر	5	12	0	0	0	0	1	6	5	7	1	3
المجموع	42	100	32	100	30	100	17	100	72	100	49	100

ويتضمن الملحق رقم (4) نتيجة الاختبار الإحصائي الذي يبين أن متوسط عمر الأفراد الذين يفضلون السياحة داخل حدود المحافظة ، يختلف - إحصائياً - عن نظيره الخاص بالأفراد الذين يفضلون السياحة خارج حدود المحافظة . الأمر الذي يؤكد صحة الفرضية الخاصة بتأثير العمر على حدود السياحة الداخلية .

3 - الحالة الاجتماعية .

غالباً مايمثل عدد أفراد الاسرة أحد معوقات السياحة بالنسبة لرب الاسرة ، فيكون من المتوقع أن يفضل الزوج السياحة داخل حدود المحافظة ، بعكس الأعزب الذي يفضل السياحة إلى أماكن أبعد ، حيث يتمتع بحرية حركة أكثر ولايتحمل مسؤولية المتزوج من إعتناء بأفراد الاسرة وتوفير وسائل النقل ، إلى آخر ذلك .

وبالنظر إلى الجدول رقم (5) يبدو تحقق هذا الأمر ، حيث :

أ - أن (82٪) من المتزوجين ، في إجمالي عينة الدراسة ، يفضلون السياحة داخل حدود المحافظة ، مقابل (38٪) من غير المتزوجين .

ب - أن (74٪) من المتزوجين ، في عينة جبل كاحب ، يفضلون السياحة داخل حدود المحافظة مقابل (31٪) لغير المتزوجين .

ج - أن (90٪) من المتزوجين ، في عينة المدينة القديمة ، يفضلون السياحة داخل حدود المحافظة مقابل (40٪) لغير المتزوجين .

جدول رقم (5) : حدود السياحة على مستوى محافظة إب - حسب الحالة الاجتماعية

الحدود	المدينة القديمة				جبل كاحب				المجموع			
	متزوج		غير متزوج		متزوج		غير متزوج		متزوج		غير متزوج	
	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪
داخل المحافظة	26	90	18	40	23	74	5	31	49	82	23	38
خارج المحافظة	3	10	27	60	8	26	11	69	11	18	38	62
المجموع	29	100	45	100	31	100	16	100	60	100	61	100

بالإضافة إلى ارتفاع نسبة المتزوجين الذين يفضلون السياحة داخل حدود المحافظة ، فإن الملحق رقم (5) يتضمن نتيجة الاختبار الإحصائي الذي يبين أن نسبة المتزوجين الذين يفضلون السياحة داخل حدود المحافظة ، تختلف - إحصائياً - عن نسبة غير المتزوجين الذين يفضلون السياحة داخل حدود المحافظة . الأمر الذي يؤيد الفرضية الخاصة بتأثير الحالة الاجتماعية على حدود السياحة الداخلية .

4 – المهنة .

عند دراسة علاقة المهنة بحدود السياحة ، ربما لاتتضح هذه العلاقة بالنسبة لبعض المهن . فالموظف – مثلاً – قد يفضل السياحة داخل حدود المحافظة نظراً لقصر الإجازات التي يمكن أن يحصل عليها والتزامه بوقت الدوام في جهة عمله . ولكن من جهةٍ اخرى قد يفضل الموظف السياحة إلى خارج حدود المحافظة إذا حصل على إجازة طويلة ، خاصةً وأن له دخل ثابت (المرتب) لايرتبط كثيراً بعدد ساعات العمل ، بعكس الذي يمتهن عملاً حراً الذي قد يفضل السياحة لفترة أو لمسافة قصيرة لأن دخله مرتبط بساعات عمله . ومثال آخر نجده لدى الشخص المتقاعد ، الذي قد يفضل السياحة إلى مسافات أبعد بسبب عدم ارتباطه بأي التزامات متعلقة بعمله ، إلا أنه قد يفضل السياحة لمسافات أقرب لظروف صحية .

وهكذا لم تتضح العلاقة – تماماً – في هذه الدراسة بين المهنة وحدود السياحة ، حيث يبين الجدول رقم (6) أن هناك إتجاه عام لتفضيل السياحة داخل المحافظة رغم اختلاف المهن ، سواءً على مستوى كل حي أم على مستوى عينة الدراسة الإجمالية .

وعندما رُجح عدم وضوح العلاقة ، بين المهنة وحدود السياحة ، بأسباب ربما تتعلق بوقت الفراغ ، كان اللجوء إلى إستقراء العلاقة بين وقت الفراغ والمهنة ، وتبين – كما هو وارد في الجدول رقم (7) – أن (92) فرداً من أفراد عينة الدراسة لديهم أوقات فراغ ، وهذا العدد يمثل حوالى (76٪) من إجمالي عينة الدراسة ، وتبين أيضاً أن أغلب الأفراد لديهم أوقات فراغ على اختلاف مهنهم وعلى اختلاف حي إقامتهم .

جدول رقم (6) : حدود السياحة على مستوى محافظة إب – حسب المهنة

المهنة	المدينة القديمة				جبل كاحب				المجموع			
	داخل المحافظة		خارج المحافظة		داخل المحافظة		خارج المحافظة		داخل المحافظة		خارج المحافظة	
	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪
عامل	2	5	0	0	1	3	3	18	3	4	3	6
موظف	15	36	13	41	12	40	6	35	27	37	19	39
متقاعد	1	2	0	0	0	0	0	0	1	1	0	0
عسكري	0	0	0	0	1	3	1	6	1	1	1	2
عمل حر	2	5	1	3	3	10	2	12	5	7	3	6
ربة بيت	9	21	1	3	2	7	4	23	11	15	5	10
طالب	13	31	17	53	11	37	1	6	24	33	18	37
المجموع	42	100	32	100	30	100	17	100	72	100	49	100

جدول رقم (7) : وقت الفراغ - حسب المهنة

المهنة	المدينة القديمة				جبل كاحب				المجموع			
	نعم		لا		نعم		لا		نعم		لا	
	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪
عامل	2	4	0	0	3	8	1	10	5	5	1	3
موظف	19	34	9	47	10	27	8	80	29	32	17	59
متقاعد	1	2	0	0	0	0	0	0	1	1	0	0
عسكري	0	0	0	0	2	5	0	0	2	2	0	0
عمل حر	2	4	1	6	5	14	0	0	7	8	1	3
ربة بيت	5	9	5	26	6	16	0	0	11	12	5	17.5
طالب	26	47	4	21	11	30	1	10	37	40	5	17.5
المجموع	55	100	19	100	37	100	10	100	92	100	29	100

5 - الدخل .

يلعب الدخل دوراً هاماً في الطلب على السياحة ، فمن المتوقع أن يفضل الشخص ذو الدخل المرتفع السياحة إلى أماكن أبعد مقارنةً بالشخص ذي الدخل الأقل . ومن الجدول رقم (8) يمكن التوصل إلى المؤشرات التالية التي تؤيد ذلك :

أ - أن (81٪) من الذين يفضلون السياحة داخل حدود المحافظة ، على مستوى عينة الدراسة ، هم من الأشخاص الذين يقل دخل كل منهم عن (20) ألف ريال شهرياً (43٪ + 38٪) . وأن (70٪) من الذين يفضلون السياحة خارج حدود المحافظة ، على مستوى عينة الدراسة ، هم من الأشخاص الذين يصل دخل كل منهم الشهري إلى (20) ألف ريال فأكثر (43٪ + 27٪) .

ب - لايختلف الأمر كثيراً عند المقارنة بين الحيين . حيث نجد أن (74٪) ممن يفضلون السياحة داخل المحافظة في عينة المدينة القديمة ، هم من الاشخاص الذين يقل دخل كل منهم عن (20) ألف ريال شهرياً ، وتزيد هذه النسبة - عند نفس الدخل - إلى (90٪) في عينة جبل كاحب . مقابل ذلك ، نجد أن (66٪) ممن يفضلون السياحة خارج المحافظة ، في عينة المدينة القديمة ، هم من الأشخاص الذين يصل الدخل الشهري لكل منهم إلى (20) الف ريال فأكثر ، وتزيد هذه النسبة - وعند نفس الدخل - إلى (76٪) في عينة جبل كاحب .

جدول رقم (8) : حدود السياحة على مستوى المحافظة – حسب الدخل الشهري

الدخل الشهري (بالألف ريال)	المدينة القديمة				جبل كاحب				المجموع			
	داخل المحافظة		خارج المحافظة		داخل المحافظة		خارج المحافظة		داخل المحافظة		خارج المحافظة	
	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪
اقل من 10	22	52	3	9	9	30	4	24	31	43	7	14
10-اقل من 20	9	22	8	25	18	60	0	0	27	38	8	16
20-اقل من 40	8	19	16	50	3	10	5	29	11	15	21	43
40 فاكثر	3	7	5	16	0	0	8	47	3	4	13	27
المجموع	42	100	32	100	30	100	17	100	72	100	49	100

والملحق رقم (6) يتضمن نتيجة الاختبار الإحصائي الذي يبين أن متوسط الدخل الشهري لدى من يفضلون السياحة داخل حدود المحافظة ، يختلف – إحصائياً – عن نظيره لدى الذين يفضلون السياحة خارج حدود المحافظة . الأمر الذي يؤكد صحة الفرضية الخاصة بتأثير الدخل على حدود السياحة الداخلية .

ثالثاً : تكرار السياحة .

نظراً للقصور الشديد في الخدمات والتسهيلات السياحية – مثل الإقامة والتغذية والإنتقال – في الكثير من المناطق السياحية ، خاصةً تلك التي تقع خارج مدينة إب ، يكون من المتوقع أن يقوم الأفراد بسياحة اليوم الواحد ، حيث الرجوع إلى مدينة إب ومعاودة الزيارة في يوم آخر . إلا أن (36٪) من عينة الدراسة (43 شخص) هم الذين قاموا بتكرار الزيارة للمناطق السياحية ، وذلك كما هو وارد في الجدول رقم (9) ، الذي يشير إلى أن هذه النسبة متقاربة في الحيين ، حيث بلغت (34٪) في عينة المدينة القديمة و (38٪) في عينة جبل كاحب .

جدول رقم (9) : تكرار الزيارة السياحية

تكرار الزيارة	المدينة القديمة		جبل كاحب		المجموع	
	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪
نعم	25	34	18	38	43	36
لا	49	66	29	62	78	64
المجموع	74	100	47	100	121	100

وعند البحث في أسباب عدم تكرار الزيارة للمناطق السياحية ، أتضح مايلي :

1 - أن الذين لم يكرروا الزيارة للمناطق السياحية ، وعددهم (78) شخصاً يمثلون (64٪) من حجم عينة الدراسة ، قد برروا عدم تكرار الزيارة بسببين : الأول هو انخفاض الدخل والثاني عدم توفر الجديد في المناطق السياحية . فكما هو وارد في الجدول رقم (10) فإن :

أ - (45) شخصاً برروا عدم تكرار الزيارة بإنخفاض الدخل . وهذا العدد يمثل (37٪) من إجمالي عينة الدراسة ويمثل (58٪) من إجمالي الذين لم يكرروا الزيارة . كما أن هذا العدد (أي 45) يتوزع إلى (29) شخصاً في عينة المدينة القديمة و (16) شخصاً في عينة جبل كاحب . وبذلك فإن هذين العددين الأخيرين يمثلان (39٪) و (34٪) من عينة كلٍ من المدينة القديمة وجبل كاحب على التوالي ، ويمثلان (59٪) و (55٪) من الذين لم يكرروا الزيارة في كلٍ من الحيين على نفس التوالي .

ب - (33) شخصاً برروا عدم تكرار الزيارة للمناطق السياحية بعدم توفر الجديد في هذه المناطق . وهذا العدد يمثل (27٪) من إجمالي عينة الدراسة ويمثل (42٪) من إجمالي الذين لم يكرروا الزيارة . كما أن هذا العدد (أي 33) يتوزع إلى (20) شخصاً في عينة المدينة القديمة و (13) شخصاً في عينة جبل كاحب . وبذلك فإن هذين العددين الأخيرين يمثلان (27٪) و (28٪) من عينة كلٍ من المدينة القديمة وجبل كاحب على التوالي ، ويمثلان (41٪) و (45٪) من الذين لم يكرروا الزيارة في كلٍ من الحيين على نفس التوالي .

جدول رقم (10) : أسباب عدم تكرار الزيارة إلى المناطق السياحية

السبب	المدينة القديمة		جبل كاحب		المجموع	
	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪
الزيارة السابقة	25	34	18	38	43	36
عدم توفر الجديد	20	27	13	28	33	27
انخفاض الدخل	29	39	16	34	45	37
المجموع	74	100	47	100	121	100

2 - أن (52) شخصاً من الذين لم يكرروا الزيارة للمناطق السياحية ، أي مانسبته (67٪) من (78) شخصاً ، يقل دخل كل شخص منهم عن (20) ألف ريال شهرياً . وكما هو وارد في الجدول رقم (11) فإن هذه النسبة (أي 67٪) تتفصل إلى (61٪) في عينة المدينة القديمة (مجموع : 37٪ + 24٪) و (76٪) في عينة جبل كاحب (مجموع : 35٪ + 41٪) .

جدول رقم (11) : تكرار الزيارة للمناطق السياحية – حسب الدخل

الدخل الشهري (بالألف ريال)	المدينة القديمة				جبل كاحب				المجموع			
	نعم		لا		نعم		لا		نعم		لا	
	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪
اقل من 10	5	20	18	37	5	28	10	35	10	23	28	36
10-اقل من 20	7	28	12	24	4	22	12	41	11	26	24	31
20-اقل من 40	10	40	14	29	5	28	3	10	15	35	17	22
40 فاكثر	3	12	5	10	4	22	4	14	7	16	9	11
المجموع	25	100	49	100	18	100	29	100	43	100	78	100

وعلى ذلك يمكن القول بأن الدخل عامل رئيسي ليس في الزيارة السياحية الأولى فقط ، وإنما في تكرار هذه الزيارة أيضاً . خاصةً وأن تكاليف السياحة مرتفعة مقارنةً بالدخل . ففي الجدول رقم (12) يتضح أن نسبة متوسط الإنفاق على الزيارة السياحية إلى متوسط الدخل الشهري تصل إلى (53٪) في إجمالي عينة الدراسة ، بل أنها ترتفع إلى (68٪) في عينة جبل كاحب . وإن كانت أخف وطأة في عينة المدينة القديمة ، حيث تنخفض إلى (44٪) .

جدول رقم (12) : الإنفاق على الزيارة السياحية

مبلغ الانفاق (بالالف ريال)	المدينة القديمة		جبل كاحب		المجموع	
	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪
اقل من 10	49	66	21	45	70	58
10-اقل من 20	18	24	14	30	32	26
20-اقل من 30	5	7	9	19	14	12
40 - 30	2	3	3	6	5	4
المجموع	74	100	47	100	121	100
متوسط الدخل	21622		20319		21116	
متوسط الانفاق	9595		13723		11240	
نسبة الانفاق إلى الدخل	٪44		٪68		٪53	

3 - أن (48) شخصاً من إجمالي عينة الدراسة (أي ما نسبته 40٪) قد أشاروا إلى رداءة الخدمات والتسهيلات في المناطق السياحية . وذلك كما هو وارد في الجدول رقم (13) ، حيث تصل هذه النسبة إلى (46٪) في عينة المدينة القديمة ، تنخفض إلى (30٪) في عينة جبل كاحب . والذين وصفوا هذه الخدمات والتسهيلات بأنها متوسطة ، يمثلون (37٪) من إجمالي عينة الدراسة ، وتتفصل هذه النسبة إلى (31٪) في عينة المدينة القديمة و (47٪) في عينة جبل كاحب . أما الذين وصفوا الخدمات والتسهيلات بأنها جيدة جداً فإنهم يمثلون (4٪) فقط جملةً وتفصيلا . وعلى ذلك ، فإن القصور في الخدمات والتسهيلات قد يكون عاملاً مساعداً لتكرار السياحة بقدر ما قد يكون عاملاً لعدم تكرارها .

جدول رقم (13) : وصف الخدمات والتسهيلات في المناطق السياحية

وصف الخدمات والتسهيلات	المدينة القديمة		جبل كاحب		المجموع	
	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪	عدد	نسبة ٪
جيدة جداً	3	4	2	4	5	4
جيدة	14	19	9	19	23	19
متوسطة	23	31	22	47	45	37
رديئة	34	46	14	30	48	40
المجموع	74	100	47	100	121	100

بالإضافة إلى ذلك كله ، فإن الملحق رقم (7) يتضمن نتيجة الاختبار الإحصائي الذي يبين أن نسبة الأفراد من حي المدينة القديمة الذين لم يكرروا السياحة بسبب انخفاض الدخل ، لا تختلف - إحصائياً - عن نظيرتها لدى أفراد حي جبل كاحب . الأمر الذي يؤكد صحة الفرضية الخاصة بتأثير الدخل على تكرار السياحة الداخلية .

المبحث الرابع : نتائج وتوصيات .

نتائج الدراسة :

1 - أن اتخاذ الفرد لقرار السياحة يعود في أغلبه إلى تأثير الآخرين ، خاصةً الأقارب .

2 - بالنسبة لحدود السياحة ، داخل المحافظة أو خارجها ، فإن :

أ - للنوع أثره الواضح على حدود السياحة . حيث تفضل الإناث السياحة داخل حدود المحافظة ، بينما يفضل الذكور عكس ذلك .

ب – للعمر أيضاً أثره الواضح على حدود السياحة . حيث يفضل الفرد الأكثر شباباً السياحة إلى أماكن أبعد .

ج – الحالة الاجتماعية تؤثر على حدود السياحة كذلك . حيث يفضل الأعزب السياحة خارج حدود المحافظة .

د – أثر المهنة على حدود السياحة جاء غير واضح في هذه الدراسة .

هـ – للدخل الشهري أثر واضح على حدود السياحة . فكلما زاد الدخل زادت رغبة الفرد في السياحة خارج حدود المحافظة .

3 – بالنسبة لتكرار السياحة فإن :

أ – للدخل الشهري أثر واضح على تكرار السياحة . وبذلك فإن الدخل يؤثر على حدود السياحة وعلى تكرارها .

ب – عدم توفر الجديد في المناطق السياحية كان السبب الثاني – بعد انخفاض الدخل – في عدم تكرار السياحة .

ج – في هذه الدراسة ، لم يتضح أثر حالة الخدمات والتسهيلات السياحية على تكرار السياحة .

وبذلك فقد تحققت الفرضية الرئيسية للدراسة ، والمتمثلة في أن لبعض العوامل الاجتماعية والاقتصادية أثر على حركة السياحة الداخلية في محافظة إب .

كما يمكن القول ، وفقاً للنتائج السابقة ، بأن الفرد يقوم برحلته السياحية رغم الصعوبات التي يواجهها ، وأهمها رداءة الخدمات والتسهيلات السياحية وارتفاع تكلفة السياحة الداخلية مقارنةً بالدخل .

التوصيات :

1 – أشارت الدراسة إلى تأثر الفرد كثيراً بآراء الآخرين عند إتخاذه لقرار السفر من أجل السياحة . وعليه يُوصى بتنفيذ برامج وحملات الترويج للسياحة الداخلية ، في المدارس والمرافق العامة ، حيث يكون من المتوقع حدوث أثرها الهام في تنشيط السياحة الداخلية .

2 – يُوصى بتحسين الخدمات في المناطق السياحية ، مثل الإقامة والتغذية والإنتقال ، ممايساعد على تكرار الزيارات السياحية ويحافظ على ديمومة المشروعات السياحية المقامة .

3 – رغم ماتقدمه الحكومة من تسهيلات لإستثمار القطاع الخاص في مجال السياحة ، إلا أنه يُوصى أن تقيم الحكومة بعض المشروعات السياحية لتقدم منتجها السياحي بتكاليف تتناسب مع ذوي الدخول المنخفضة .

4 - يُوصى بتخطيط وتنفيذ برامج السياحة الجماعية إلى مجموعة من المناطق السياحية ، وذلك أثناء الإجازات والأعياد والمناسبات الوطنية . مثل هذا الإجراء يخفف تكاليف السياحة أمام الأفراد ذوي الدخول المنخفضة .

5 - إعطاء السياحة الداخلية نفس الدرجة من الأهمية والرعاية التي تحظى بها السياحة الدولية . وعليه يُوصى بتنفيذ دراسات ميدانية تساعد على تفعيل أكبر لمكتب السياحة بالمحافظة . ومن موضوعات هذه الدراسات :

أ - تحديد أولويات مناطق الجذب السياحي ، من أجل التنفيذ الفعال والممكن من سياسات التنمية وبرامج التنشيط .

ب - تحديد مساحات مناسبة من الأراضي وحجزها لمشروعات سياحية مستقبلية ، كالمتنفسات والمنتجعات والفنادق .

المراجع :

1 - البنيان ، عبدالله صالح (**1980**) " الترويح - تحليل سيسيولوجي لظاهرة الترويح واهميتها في مجتمعنا المعاصر " المؤتمر السادس لمنظمة المدن العربية ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت .

2 - الحوري ، مثنى طه (**2001**) " اقتصاديات السفر والسياحة " الطبعة الأولى ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، عمان . صفحة (**21**) .

3 - الظاهر ، نعيم والياس ، سراب (**2001**) " مبادىء السياحة " الطبعة الأولى ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان . صفحة (**26**) .

4 - العمر ، بدران بن عبدالرحمن (**1425** هـ - **2004**م) " التحليل الاحصائي للبيانات في البحث العلمي بإستخدام **SPSS** " الطبعة الأولى ، معهد الدراسات الصحية ، الرياض .

5 - درويش ، كمال (**1987**) " الترويح الرياضي في المجتمع المعاصر " الطبعة الأولى ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة .

6 - Manuel ; B. & Lawson ; F. (1977) " Tourism and Recreation Development - A Hand Book of Physical Planning " The Architectural Ltd , London . P. (1) .

7 - Scheaffer ; R. L. , Mendenhall ; W. & Ott; L. (1990) " Elementary Survey Sampling " Fourth Edition , PWS-KENT , Publishing Company , Boston .

8 - The World Book of Encyclopedia (1979) , Vol. 12 , World Book , Inc , U. S. A. . PP(165 -166) .

9 - U. N. (1993) " Indirect Techniques for Demographic Estimation " Manual X , Population Studies , No. 81, New York .

الملاحق :

ملحق رقم (1) : نموذج استمارة الإستبيان

استمارة استبيان

موضوع البحث: " أثر العوامل الاجتماعية والاقتصادية في حركة السياحة الداخلية (*) لسكان مدينة إب
دراسة ميدانية مقارنة بين: المدينة القديمة، ومنطقة جبل كاحب

عزيزي المواطن / عزيزتي المواطنة: يعتزم الباحثون إجراء دراسة ميدانية الغرض منها دراسة أثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية في حركة السياحة الداخلية في مدينة إب، ولذا نرجوا الإجابة عن جميع أسئلة الاستمارة بصورة دقيقة وصحيحة، لأن مساهمتك في الإجابة هام وضروري في إنجاح هذا البحث، مع العلم أن كافة البيانات التي سترد في هذه الاستمارة ستبقى سرية، ولن تستخدم إلا لأغراض علمية بحتة.

مع خالص الشكر والتقدير

(*)- يشير مدلول السياحة الداخلية الى حركة السياحة داخل محافظة إب أو بين المحافظات.

الباحثون:

د. عبد الحكيم عبد الرحمن المنصوب
أ.د محمد حسن النقاش
د. طارق أحمد المنصوب

I. **معلومـــات شخصية:**- (تكتب هذه المعلومات بعناية فائقة بوضع علامة (X) في مكانها الصحيح، أو بكتابة الإجابة إن طُلبت)

س1	الجنس:						ذكر ( )			أنثى ( )		
س2	العمر: (اكتب العمر)		سنة									
س3	الحالة الاجتماعية:	متزوج ( )	أعزب ( )		مطلق ( )	أرمل ( )						
س4	المستوى التعليمي	يقرأ ويكتب ( )			ابتدائي ( )	إعدادي ( )	ثانوي ( )			جامعي فأكثر ( )		
س5	عدد الأبناء: (اكتب رقماً)				ذكور ( )			إناث ( )				
س6	المهنة:	عامل ( )	موظف( )	متقاعد ( )	فلاح ( )	عسكري( )	عمل حر( )	ربة بيت ( )	طالب ( )	بدون ( )		
س7	الدخل الشهري: (بالريال)	أقل من 10000 ريال ( )			أقل من 20000 ريال ( )		أقل من 40000 ريال ( )		أكثر من 50000 ريال ( )			
س8	محل الإقامة:	أ- المدينة القديمة ( )			ب- جبل كاحب ( )							
س9	هل تحصل على إجازة سنوية من العمل؟				نعم ( )			لا ( )				

II. **معلومات خاصة بالبحث:** أجب عن الأسئلة الآتية بوضع علامة (X) في خانة الإجابة الصحيحة:

س1	باستثناء عطلتك الصيفية هل لديك وقت فراغ؟	نعم ( )	لا ( )
س2	إذا كان الجواب بنعم فهل تقضي وقت فراغك:		
	أ – في البيت	نعم ( )	لا ( )
	ب- في زيارة الأقارب	نعم ( )	لا ( )
	جـ في ممارسة الألعاب الرياضية	نعم ( )	لا ( )
	د- في السفر إلى بعض المناطق السياحية	نعم ( )	لا ( )
س3	إذا كنت لاتسافر للسياحة فهل يعود السبب إلى:		
	أ- ارتفاع كلفة السياحة	نعم ( )	لا ( )
	ب- عدم وجود وقت	نعم ( )	لا ( )
	جـ لاترغب في السياحة أصلاً	نعم ( )	لا ( )
س4	إذا كنت ممن يسافرون فأي المناطق السياحية تفضل السفر إليها؟		
	أ- المناطق الأثرية	نعم ( )	لا ( )
	ب- الأماكن الدينية	نعم ( )	لا ( )
	جـ المناطق الخضراء	نعم ( )	لا ( )
	د- العيون والشلالات والحمامات	نعم ( )	لا ( )
س5	أي المناطق السياحية التي تفضل السفر إليها؟		
	ا- البعيدة خارج محافظة إب	نعم ( )	لا ( )
	ب- القريبة داخل محافظة إب	نعم ( )	لا ( )
س6	إذا كان الجواب في السؤال (5) هو بالسفر إلى المناطق القريبة فهل يعود ذلك إلى:		
	أ- عدم توفر وسيلة نقل خاصة بك	نعم ( )	لا ( )
	ب- بسبب طول المسافة وضياع الوقت في الطريق	نعم ( )	لا ( )
	جـ تكاليف النقل عالية	نعم ( )	لا ( )
	د- عدم توفر وسائل نقل مباشرة إلى المناطق السياحية	نعم ( )	لا ( )
	هـ قصر الإجازة الممنوحة لك من العمل	نعم ( )	لا ( )
س7	قبل شهر هل زرت بعض المناطق السياحية في محافظتك؟	نعم ( )	لا ( )
س8	إذا كانت الإجابة بـ (نعم)، فأي المناطق السياحية التي تفضل السفر إليها داخل المحافظة:		
	أ- المناطق الأثرية	نعم ( )	لا ( )
	ب- المناطق الدينية	نعم ( )	لا ( )
	جـ المناطق الخضراء	نعم ( )	لا ( )

	د- غيرها أذكرها:.....		
س9	هل سبق أن كررت السفر إلى هذه المناطق أكثر من مرة؟	نعم ( )	لا ( )
س10	إذا كان الجواب بـــ (لا) فهل يعود السبب إلى كون أنك:		
	أ- رأيتها سابقاً	نعم ( )	لا ( )
	ب- عدم توفر شيء جديد فيها	نعم ( )	لا ( )
	جـــ انخفاض الدخل	نعم ( )	لا ( )
	د- أسباب اخرى أذكرها:.....		
س11	أي النشاطات السياحية تفضل أن تمارسها في المناطق السياحية؟		
	أ- السباحة	نعم ( )	لا ( )
	ب- الرياضة بمختلف أنواعها	نعم ( )	لا ( )
	جـــ التصوير	نعم ( )	لا ( )
	د- الصيد	نعم ( )	لا ( )
	هـــ غيرها أذكرها:.....		
س12	هل سبق أن مارست أحد النشاطات السابقة في المنطقة التي زرتها سابقاً؟	نعم ( )	لا ( )
س13	إذا كان الجواب بـــ (لا)، فهل يعود ذلك إلى:		
	أ- عدم توفرها	نعم ( )	لا ( )
	ب- رداءتها وعدم صيانة المرافق الخاصة بمزاولتها	نعم ( )	لا ( )
	جـــ أسعارها الغالية	نعم ( )	لا ( )

س14	كيف تصف حالة الخدمات والتسهيلات في المناطق السياحية التي زرتها:			
	أ- جيدة جداً ( )	ب- جيدة ( )	جـ متوسطة ( )	د- رديئة ( )
س15	هل سفرك إلى المناطق السياحية يعود إلى			
	أ- رغبة ذاتية	نعم ( )	لا ( )	
	ب- تاثير الأصدقاء	نعم ( )	لا ( )	
	جـ تأثير الأهل والأقارب	نعم ( )	لا ( )	
س16	هل تصطحب زوجتك وأولادك عند سفرك؟	نعم ( )	لا ( )	
س17	هل تجلب معك طعامك عند السفر؟	نعم ( )	لا ( )	
س18	إذا كان الجواب بـ (نعم)، فهل يعود الأمر إلى			
	أ- أسعار الطعام الغالية	نعم ( )	لا ( )	
	ب- رداءة الطعام في تلك المناطق	نعم ( )	لا ( )	
س19	هل سبق وأن تعرفت على أصدقاء جدد اثناء مكوثك في المناطق السياحية؟	نعم ( )	لا ( )	
س20	عند سفرك إلى منطقة سياحية، سابقاً، هل كنت تشعر بنوع من الفخر والعظمة بحضارة بلدك، وجمال طبيعته؟	نعم ( )	لا ( )	
س21	عند عودتك من السفر هل تشعر بلذة السفر والارتياح النفسي، والرغبة في العودة ثانية؟	نعم ( )	لا ( )	
س22	هل سفرك أحياناً يعود إلى:			
	أ- التخفيف من إرهاق العمل	نعم ( )	لا ( )	
	ب- ضوضاء المدن، وازدحامها	نعم ( )	لا ( )	
	جـ حب الاطلاع	نعم ( )	لا ( )	
	د- دوافع أخرى اذكرها:.....			
س23	مامقدار ماتنفقه عند سفرك من دخلك الكلي (أذكر المبلغ بالتقريب) : ..... ريالاً تقريباً			

نشكر لكم سلفاً حسن تجاوبكم، مع خالص الشكر والتقدير

الباحثون

ملحق رقم (2) : تأثير الآخرين على قرار الفرد بالسياحة .

من الجدول رقم (2) نجد أن : مجموع نسب تأثير الآخرين على الفرد في عينة المدينة القديمة هي 0.72 (أي 0.21 + 0.51) و مجموع نسب تأثير الآخرين على الفرد في عينة جبل كاحب هي 0.81 (أي 0.24 + 0.57) . أي أن :

$$n_1 = 74 \quad , P_1 = 0.72 \quad , n_2 = 47 \quad , P_2 = 0.81$$

$$\therefore P = \frac{(15+38)+(11+27)}{74+47} = 0.75$$

$$\sigma_p = \sqrt{0.75(0.25)(\frac{1}{74}+\frac{1}{47})} = 0.081$$

$$Z_{comp.} = \frac{0.81-0.72}{0.081} = 1.11$$

$$Z_{table} = \pm 1.96 \qquad (at\ \alpha = 0.05)$$

ومن ثم يكون قبول $H_0 : P_1 = P_2$

ملحق رقم (3) : النوع وحدود السياحة .

من الجدول رقم (3) : عدد الإناث 54 منهن 38 يفضلن السياحة داخل حدود المحافظة ، وعدد الذكور 67 منهم 34 يفضلون السياحة داخل حدود المحافظة . أي أن :

$$n_1 = 54 \quad , P_1 = 0.70 \quad , n_2 = 67 \quad , P_2 = 0.51$$

$$\therefore P = \frac{38+34}{54+67} = 0.60$$

$$\sigma_p = \sqrt{0.60(0.40)(\frac{1}{54}+\frac{1}{67})} = 0.09$$

$$Z_{comp.} = \frac{0.51-0.70}{0.09} = -2.11$$

$$Z_{table} = \pm 1.96 \qquad (at\ \alpha = 0.05)$$

ومن ثم يكون رفض $H_0 : P_1 = P_2$

ملحق رقم (4) العمر وحدود السياحة .

بإستخدام البيانات الخام الخاصة بالذين يفضلون السياحة داخل حدود المحافظة (وعددهم **72** فرداً) وُجد أن متوسط أعمارهم هو **33.84** سنة بتباين **99.106** سنة ، اما الذين يفضلون السياحة خارج حدود المحافظة (وعددهم **49** فرداً) فقد وُجد أن متوسط أعمارهم هو **28.01** سنة بتباين **81.667** سنة . ويشير اختبار التجانس إلى قبول الفرض العدمي $H_0: \sigma_1^2 = \sigma_2^2$ حيث :

$$F_{comp.} = \frac{S_2^2}{S_1^2} = \frac{81.667}{99.106} = 0.824$$

في حين أن

$$F_{table} = F_{48,71,0.05} = 1.52$$

and $S^2 = 92.071$

$$T_{comp.} = \frac{33.84 - 28.01}{\sqrt{92.071(\frac{1}{72} + \frac{1}{49})}} = 3.281$$

$$T_{table} = T_{n_1 + n_2 - 2, \frac{\alpha}{2}} = T_{119,0.025} = 1.980$$

ومن ثم يكون رفض $H_0 : \bar{x}_1 = \bar{x}_2$

(حيث $\bar{x}_i$ هو متوسط العمر في عينة الحي **i**)

ملحق رقم (5) : الحالة الإجتماعية وحدود السياحة .

في الجدول رقم (**5**) : عدد المتزوجين في العينة هو **60** منهم **49** يفضلون السياحة داخل حدود المحافظة . وعدد غير المتزوجين هو **61** منهم **23** يفضلون السياحة داخل حدود المحافظة . أي أن

$$n_1 = 60 \quad , P_1 = 0.82 \quad , n_2 = 61 \quad , P_2 = 0.37$$

$$\therefore P = \frac{49 + 23}{60 + 61} = 0.60$$

$$\sigma_p = \sqrt{0.60(0.40)(\frac{1}{60} + \frac{1}{61})} = 0.089$$

$$Z_{comp.} = \frac{0.37 - 0.82}{0.089} = -5.056$$
$$Z_{table} = \pm 1.96 \qquad (at\ \alpha = 0.05)$$

$H_0 : P_1 = P_2$ ومن ثم يكون رفض

ملحق رقم (6) : الدخل وحدود السياحة .

في الجدول رقم (8) : عدد الذين يفضلون السياحة داخل حدود المحافظة هو 72 فرداً متوسط دخلهم الشهري هو 14444.44 ريال بتباين $(11400.381)^2$. وعدد الذين يفضلون السياحة خارج حدود المحافظة هو 49 فرداً متوسط دخلهم الشهري هو 29285.71 ريال بتباين $(15377.202)^2$. ويشير اختبار التجانس إلى قبول $H_1 : \sigma_1^2 \neq \sigma_2^2$ (أي رفض $H_0 : \sigma_1^2 = \sigma_2^2$)

$$F_{comp.} = \frac{S_2^2}{S_1^2} = \left(\frac{15377.202}{11400.381} \right)^2 = 1.819$$
$$F_{table} = F_{48,71,0.05} = 1.52$$

ولإختبار الفرض $H_0 : \bar{x}_1 = \bar{x}_2$ ضد الفرض $H_1 : \bar{x}_1 \neq \bar{x}_2$ (حيث $\bar{x}_i$ هو متوسط الدخل الشهري في عينة الحي i) فإن :

$$T_{comp} = \frac{\bar{x}_1 - \bar{x}_2}{\sqrt{\frac{S_1^2}{n_1} + \frac{S_2^2}{n_2}}} = \frac{14444.44 - 29285.71}{\sqrt{\frac{(11400.381)^2}{72} + \frac{(15377.202)^2}{49}}} = -5.764$$
$$T_{table} = T_{n_1 + n_2 - 2, \frac{\alpha}{2}} = T_{119,0.025} = 1.980$$

$H_0 : \bar{x}_1 = \bar{x}_2$ ومن ثم يكون رفض

ملاحظة : لم يتم استخدام البيانات الخام الخاصة بالدخل (كما في الملحق رقم 4 الخاص بالعمر) لأن بعض أفراد العينة أشاروا إلى دخولهم الشهرية بمدى معين .

ملحق رقم (7) : انخفاض الدخل وتكرار السياحة .

في الجدول رقم (10) : فإن حجم عينة المدينة القديمة هو 74 فرداً منهم 29 فرداً لم يكرروا السياحة بسبب انخفاض الدخل . بالمقابل فإن حجم عينة جبل كاحب هو 47 فرداً منهم 16 فرداً لم يكرروا السياحة بسبب انخفاض الدخل ايضاً . أي أن :

$$n_1 = 74 \quad , P_1 = 0.39 \quad , n_2 = 47 \quad , P_2 = 0.34$$

$$\therefore P = \frac{29+16}{74+47} = 0.37$$

$$\sigma_p = \sqrt{0.37(0.63)(\frac{1}{74}+\frac{1}{47})} = 0.09$$

$$Z_{comp.} = \frac{0.34-0.39}{0.09} = -0.556$$

$$Z_{table} = \pm 1.96 \qquad (at\ \alpha = 0.05)$$

ومن ثم يكون قبول $H_0 : P_1 = P_2$

دراسة تقويمية لنماذج من اختبارات قسم اللغة الإنجليزية (بكليات التربية/جامعة صنعاء)

في ضوء المعايير العلمية لإعداد الاختبارات التحصيلية

د. عايض شريان *

ملخص

تهتم الدراسة الحالية بتشخيص واقع الاختبارات التحصيلية (في قسم اللغة الإنجليزية في كليات التربية) بجامعة صنعاء؛ حيث لم يسبق أن أجريت دراسة (منهجية) من هذا النوع. ولذات السبب قام رئيس جامعة صنعاء بتشكيل فريق علمي لتقييم الاختبارات بالجامعة في مختلف الكليات و التخصصات. وتأتى هذه الدراسة ضمن هذا السياق لتحاول الكشف عن مدى مطابقة الأسئلة في قسم اللغة الإنجليزية بجامعة صنعاء للفصل الأول من العام الجامعي **2004- 2005** لبعض المعايير المتفق عليها أكاديمياً ويتبناها فريق الدراسة بوصفها معايير يجب توافرها في الأسئلة بصورة عامة. وقد حاولت الدراسة الإجابة عن سؤال: مدى مراعاة أعضاء هيئة التدريس في قسم اللغة الإنجليزية في كليات التربية جامعة صنعاء لـ:

1. ما مواصفات الورقة الاختبارية الجيدة؟
2. ما معيار التنوع في الأسئلة؟
3. ما معيار شمول الأسئلة لموضوعات المقرر؟
4. ما معيار التنوع في المستويات المعرفية التي تقيسها الأسئلة؟
5. ما معايير صياغة الأسئلة بحسب أنواعها المتضمنة (المقال، إكمال الفراغ، الصواب والخطأ، الاختيار المتعدد، المزاوجة)؟

للإجابة عن هذه الأسئلة قام الباحث ضمن الفريق بتطوير أداة خاصة بهذه الدراسة لغرض تحليل الاختبارات التي وصلت من بعض كليات التربية (صنعاء: **13** أنموذج، المحويت: **15** أنموذج، أرحب: **4** نماذج (المجموع **32**)؛ و **50** ورقة اختبارية تحوي **1149** سؤالاً و تمثل **40** مقرراً). رتبت المعايير بشكل قوائم حول

---

* د. عايض شريان، أستاذ مشارك، قسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية، جامعة صنعاء. مؤلف ومحرر لسلسلة الكتب الأدبية التي تضم حوالي 32 كتاباً حتى ألان وتدرس في معظم الجامعات اليمنية. بريد إلكتروني: **ayids@yahoo.com**.

تنظيم وإخراج ورقة الأسئلة والتنوع بشكل عام ثم أعطيت لكل نوع من الأسئلة قوائم مستقلة: أسئلة المقال، إكمال فراغ، صواب وخطأ، اختيار من متعدد، مزاوجة.

و بعد اتفاق الفريق على القوائم، تم تصنيف الاختبارات إلى أنواعها الرئيسية واختيار النماذج التي يمكن أن تدخل ضمن الدراسة، ثم قورنت أوراق الاختبارات بهذه القوائم التي تحوي المعايير. وأخيراً تم تفريغ البيانات في القوائم المتفق عليها ثم حساب التكرار والنسب المئوية لوصف البيانات، وكشف الجوانب السلبية أو الإيجابيّة في اختبارات اللغة الإنجليزية. فمثلا 79٪ من الأوراق لا تحتوي على تحديد لدرجة الاختبار وهذا يترك الطلبة في حيرة من ما سيحدث في النتائج النهائية. تخلص الدراسة إلى توصيات لتحسين الاختبارات في جامعة صنعاء.

1 . 0 المقدمة:

لم تلق الاختبارات التحصيلية الاهتمام المناسب في بحوث التقويم على الرغم من أنها تؤدي دوراً رئيساً في النظام التربوي لمختلف البلدان. فالاختبارات تساعد في معرفة مدى تحقق الأهداف التعليمية، إلى جانب تحسين مستوى تعلم الطلبة من خلال التغذية الراجعة من ناحية، و تحسين مستوى التدريس من خلال التغذية الراجعة التي يحصل عليها عضو هيئة التدريس من نتائج اختباراته للطلبة من ناحية أخرى. كما أنّها تسهم في تشخيص جوانب الخلل في العملية التعليمية- التعلمية، ومحاولة إصلاحها. كما إنّ لها دوراً حاسماً في اتخاذ القرارات التعليمية المختلفة، مثل: نجاح الطالب أو فشله، ومن ثمّ انتقاله إلى مستوى أعلى، ومنحه درجة علمية، وحصوله على مقعد في الدراسات العليا، أو منحة دراسية (العجيلي، **2005**: **13- 14**؛ أبو علام، **1987**: **112- 114**؛ عودة، **1985**: **28**).

وبالنظر إلى أثر تطبيق تلك المعايير من عدمه نجد عند الطلبة عبارات دالّة من مثل: هذا اختبار جيد، ممثل للمادة، عادل، فيه مصداقية، وأخر متحيز، لا يمثل المادة، أو يعتمد بشكل كبير على آخر محاضرة إلخ....

إذن الاختبارات في الجامعات تلعب دوراً كبيراً؛ حيث تحدد نوع العملية التربوية أو العلمية ومن ثم المخرجات التي قد تتوافق مع متطلبات سوق العمل. وفي هذا السياق تأتي هذه الدراسة ضمن التطوير المستمر الذي تسعى إليه جامعة صنعاء مثل جامعات العالم التي تحرص على مراجعة برامجها ومناهجها وأدواتها وأساليبها من أجل تحقيق وظائفها وأهدافها بكفاءة. وفي هذا الصدد قام رئيس الجامعة بتشكيل فريق علمي متخصص (قرار **57** لسنة **2005**) لدراسة وتقويم اختبارات الفصل الأول **2004/ 2005**- كان الباحث واحداً من أعضائه- لمراجعة الاختبارات في كليات جامعة صنعاء المختلفة؛ لتقويم اختبارات التحصيل التي طبقت على الطلبة في الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي **2004/ 2005**، والذي آل إلى الدراسة الحالية كواحدة من

دراسات متعددة: العلوم التربوية والنفسية، العلوم (فيزياء، كيمياء، أحياء، رياضيات)، اللغة العربية ، اللغة الإنجليزية، العلوم الاجتماعية (تاريخ، جغرافية، اقتصاد، فلسفة)، العلوم الهندسية، والعلوم الزراعية. واستغرقت هذه الدراسة ما يقارب السنة وتم عرضها ضمن هذه الدراسات في ورشة عمل وطنية (في **1/ 6/ 2006**) برعاية رئيس الجامعة؛ حضرها أكاديميون من الجامعات اليمنية.

ويأتي هذا الجهد اتساقاً مع الرؤية التي تؤمن بأنّ الاختبارات هي من أهم حلقات التعليم الجامعي التي تشكل منظومةً متكاملةً، تشمل العديد من المكونات المترابطة: الأهداف، المحتوى، التدريس، الأنشطة، التقنيات والتقويم؛ وذلك لربط مدخلات العملية التعليمية ومخرجاتها؛ بغية معرفة مدى كفاءة الأنشطة التعليمية في تحقيق الأهداف التربوية للبرامج الجامعية. فـ(الاختبار) يعني اتخاذ قرارات تعليمية تؤثر على حياة فئة غير عادية من المجتمع، من حيث النجاح أو الرسوب، الانتقال إلى مستوى أعلى، منح درجة علمية، الحصول على مقعد في الدراسات العليا أو منحة دراسية، كل هذا يضفي على موضوع هذه الدراسة أهميّة خاصّة. علاوةً على أنّ الاختبارات تسهم في معرفة مدى تحقق الأهداف التعليمية، و تشخيص جوانب الخلل في العملية التعليمية؛ للعمل على تطويرها.

والاختبارات قد تكون تحصيلية (**Achievement Tests**) أو مشاريع عمل، أو ملاحظة الأداء، أو بحوث قصيرة، أو ملف إنجاز (**Portfolio**)... الخ. لكنّ الاختبارات التحصيليّة تعدّ من أهم وسائل التقويم؛ لأنها تحدد مصير أجيال. وكشاهد على ذلك نورد حادثةً توضح خطورة هذا الموضوع فقد قيل إن إحدى الطالبات في هذه الكلية قتلت نفسها بعد أن رأت نتيجة إحدى المواد، ولعلّها شعرت أنّ المدرس لم يعطها ما تستحق (وبذا يغدو موضوع التصحيح من المواضيع التي تستحق الدراسة). ونسمع الكثير عمن ترك الدراسة، أو من عانى إلى حد بعيد، بسبب الاختبارات التحصيلية. وفي المقابل، يوجد من الطلبة من ترك معظم الدراسة وطور استراتيجيات اخذ الاختبار: التركيز على الملاحظات التي أخذها طلاب سابقون من المدرس، بالإضافة إلى الاختبارات السابقة. وهذا يعطي فرصةً للنجاح- وربما بمستوى عال- دون جهد وبدون تعلم. من هنا كانت فكرة التقييم لهذه الاختبارات ضرورة ملحة. فالتقييم الصادق والمتثبت هو الذي يتم تخطيطه بعناية ودقة، والتفكير فيه قبل القيام به بفترة. ولكي تؤدي الاختبارات دورها بشكل فعال، لابد أن تتوفر فيها خصائص أساسية منها: الصدق، والثبات، والموضوعية، وسهولة الاستخدام (العجيلي، **2005**: **110**).

1. 1 مشكلة الدراسة:

قابل الباحث العديد من الطلبة الذين غالباً ما يشكون من أن الاختبارات غير عادلة، تعتمد على التركيز

على نسبة بسيطة من المنهج، أو أن الاختبار كان من المحاضرة الأخيرة... الخ. هذه الشكاوى المستمرة التي غالباً ما تكون بين الطلبة، والتي لا تولى من الاهتمام القدر الكافي- كانت وراء اختيار موضوع هذه الدراسة تأسيساً على الأهمية المركزيّة للاختبارات في حياة الطلبة؛ من حيث كونها العامل الأبرز في تحديد مصائرهم. هذا بالإضافة إلى ملاحظات حول ضعف العديد من الاختبارات التحصيلية، الأمر الذي آثار لدى القائمين على الجامعة التساؤل الآتي:

- ما مدى مراعاة أعضاء هيئة التدريس في كليات جامعة صنعاء للمعايير العلمية لإعداد الاختبارات التحصيلية؟ وفي نفس السياق تتساءل الدراسة الحالية:
- ما مدى مراعاة أعضاء هيئة التدريس في أقسام اللغة الإنجليزية بكليات التربية بجامعة صنعاء للمعايير العلمية لإعداد الاختبارات التحصيلية؟

1. 2 أهمية الدراسة:

من خلال كشوفات الكنترول، يلاحظ أنَّ هناك مواد تصل نسبة الرسوب فيها إلى **70**٪ ونسمع الكثير عن تأثير نتائج الاختبارات على الطلبة وتغيير مسارات حياتهم، الآمر الذي يعطي أهمية للبحث ومشكلته. وتتميز هذه الدراسة بأنها من الدراسات النادرة التي تحلل الاختبارات في قسم اللغة الإنجليزية بجامعة صنعاء. فهي تساعد في الكشف عن نقاط القوة والضعف في الاختبارات لتعطي صورة واضحة لمتخذي القرار في جامعة صنعاء عن مدى تطابق المنهج الذي ترجوه الجامعة مع المنهج الذي يقدمه المدرسون فعلا و المنهج المكتسب لدى الطلبة كما تبينه الاختبارات كمؤشر للمحصلة النهائية. وتعطي هذه الدراسة فكرة عن المعايير التي يمكن الاستفادة منها عند تصميم الاختبارات. فهي تلفت انتباه الأساتذة في قسم اللغة الإنجليزية بجامعة صنعاء والجامعات الأخرى إلى بعض الجوانب الفنية والأكاديمية عند تصميم الاختبار. وهي بهذا تهدف إلى تقديم مقترحات لتطوير الاختبارات في الجامعة لتحقيق الأهداف المرسومة والمطلوبة من هذه الاختبارات، بوصفها وسيلةً ناجحةً لفحص الطلبة، وإخراج نوعيّات جيدة من الخريجين.

و أمّا من حيث العنصر الزمني لهذه الدراسة، فإنّها تأتي في وقت يتزامن مع قدوم الفريق الدولي لتقييم برنامج القسم والذي يأتي ضمن مشروع تطوير الأداء النوعي وكفاءة التخطيط المؤسسي- في الجامعات العربية، ضمن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي[1] من **27/ 4/** إلى **3/ 5/ 2006**. [2] حيث تخضع عينة من الطلبة للاختبار ضمن المشروع[3]؛ وذلك لغرض فحص حقل التخصص الجامعي **(Major Field Test)** في **30/ 5/ 2006**. وهو عبارة عن اختبار موضوعي و مقنن من قبل مؤسسة خدمات الاختبارات التعليمية (**ETS or**

(Educational Testing Services).

و ا لحاجة إلى الدراسة تتلخص- بناءً على رأى الفريق- في النقاط الآتية:

1. تلبية حاجة جامعة صنعاء لتقويم اختبارات التحصيل التي يعدها أعضاء هيئة التدريس بقسم اللغة الإنجليزية لطلبتهم.
2. تعريف أعضاء هيئة التدريس بمعايير إعداد الاختبارات وكيفية الاستفادة منها في تطوير اختباراتهم.
3. قد تفيد نتائج الدراسة في اقتراح برامج تدريبية لتطوير كفاءات أعضاء هيئة التدريس المتعلقة بإعداد الاختبارات وصياغة الأسئلة المتنوعة.
4. إعطاء اقتراحات لتحسين الاختبارات في الجامعة.

1 . 3 أهداف الدراسة:

في ضوء التساؤل المطروح في مشكلة الدراسة آنفاً، فإن أهداف الدراسة تتركز في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1. ما مدى مراعاة أعضاء هيئة التدريس لمواصفات الورقة الاختبارية الجيدة؟
2. ما مدى مراعاة أعضاء هيئة التدريس لمعيار التنوع في الأسئلة؟
3. ما مدى مراعاة أعضاء هيئة التدريس لمعيار شمول الأسئلة لموضوعات المقرر؟
4. ما مدى مراعاة أعضاء هيئة التدريس لمعيار التنوع في المستويات المعرفية التي تقيسها الأسئلة؟
5. ما مدى مراعاة أعضاء هيئة التدريس لمعايير صياغة الأسئلة بحسب أنواعها المتضمنة (المقال، إكمال الفراغ، الصواب والخطأ، الاختيار المتعدد، المزاوجة)؟

1 . 4 حدود الدراسة : حددت الدراسة عينتها بآخذ نماذج من أسئلة مقررات قسم اللغة الإنجليزية من ثلاث كليات تربويّة في جامعة صنعاء: صنعاء، أرحب، المحويت للفصل الدراسي الأول من العام الجامعي 2004/ 2005.

1 . 5 تحديد المصطلحات:

الاختبارات Tests: يقصد بها في عرف الدراسة الحالية الاختبارات التي أعدها أعضاء هيئة التدريس في كليات التربية، جامعة صنعاء للفصل الدراسي الأول من العام الجامعي 2004/ 2005م كاختبارات تحصيلية.

التقويم Evaluation : : التقويم في عرف الدراسة الحالية هو إصدار أحكام على الاختبارات التحصيلية في قسم اللغة الإنجليزية في كليات التربية بجامعة صنعاء وذلك من خلال عملية تحليل الاختبارات المشار إليها

أعلاه، ومقارنتها بمعايير إعداد الاختبارات، لغرض تحسينها مستقبلا.

2. 0 الدراسات السابقة:

هناك الكثير من الكتب والدراسات عن الاختبارات في عدة مجالات، وخصوصا في التعليم العام بالعربية والإنجليزية (احمد شريم و يوسف سوالمة، **2006**؛ العجيلي، **2005**؛ ملحم، **2005 ,Al Baidani Anastasi, 1997; Gregory, 1997; McIntyre 2000, 2003;**، أبو علام، **1987**؛ علام، **1986**؛ الخطيب وآخرون، **1985**؛ عودة، **1985**؛ حمدان، **1980**؛ زكريا **1975**، بركات، وموفق الحمداني **1972**، **Ten Brink 1974, Ebel 1972**). تناولت هذه الدراسات الصدق، الموضوعية، التنوع للمستويات المعرفية، الشمول لموضوعات المقرر، تنظيم ورقة الاختبار، وضوح الكتابة أو الطباعة، توزيع الدرجة، مراعاة الزمن... إلخ.

وهناك نماذج نظرية متعددة للمستويات المعرفية، تشكل خلفيّةً نظريةً لهذه الدراسة. وهذه المستويات المعرفية تتحقق في البرامج والمناهج الدراسية، وبصورة خاصّة في الجامعة. وقد آلت تلك النماذج إلى فرز أنواع الأسئلة، معتمدةً على مستويات معرفية مرتبطة ببعض النماذج النظرية الشائعة مثل:

- تصنيف بلوم و آخرين (Bloom, 1958)، والذي يأخذ مستويات متعددة من مجال المعرفة، متدرجةً وفق تراتب هرمي: المعرفة Knowledge، الاستيعاب Comprehension، التطبيق Application، التحليل Analysis، التركيب Synthesis، التقويم. Evaluation
- جيلفورد (Guilford 1956) يتناول أسئلة الإدراك Reasoning، التذكر Recall، التفكير Convergent، التفكير المتشعّب Divergent، التقويم Evaluation.
- آما تصنيف ويفر وسنسي- (Weaver & Cenci 1960)فيتناول أسئلة الذاكرة Memory Questions والأسئلة المثيرة للتفكير Thought Provoking Questions. تتعدى هذه الأسئلة الذاكرة إلى الفهم الحقيقي للمادة الدراسية وتتطلب إجابة منطقية ومركبة كماً ونوعاً، فيها توضيح وتفسير بعيدين عن التخمين أو التذكر العشوائي، كما أنّها تنمي القدرة على الحكم، والتحليل، والتنظيم والمقارنة، والتنبؤ، والمنطق. (حمدان، 1980: 242 – 243).
- تصنيف كارنر (Carner 1963) يركز على الأسئلة الحسية Concrete Questions، و المجردة Abstrac، والإبداعية Creative. وهذه الأسئلة الأخيرة تمثل قمة التعقيد الفكري، ويدخل فيها خصائص من الأسئلة الحسية والمجردة (عودة، 1985: 156)

- تصنيف ساندرز (Sanders 1966) يتشابه مع تصنيف بلوم من حيث أنه يركز على: أسئلة التذكر Memory Questions، التطبيق Application، التحليل Analysis، التركيب Synthesis، التقويم Evaluation إلا أنه أضاف الترجمة Translation والتفسير Interpretation، الذي يقتضي إدراك العلاقة بين الظواهر، والقيم والحقائق.
- آما تصنيف بريمر وبات (Bremer & Bat 1967) فيقسم الأسئلة إلى الأسئلة التجميعية Convergent Questions و التشعبية Divergent (عودة، 1985: 155)
- تصنيف ستال وانزالون (Stahl & Anzlone 1970) يركز على أسئلة التذكر Recall Question، والاستدلال Reasoning والتبرير Rationalization، ثمّ يخلص هذا التصنيف إلى أن غالبية الأسئلة في التعليم هي في غالبيتها تمييزية وتذكرية (الخطيب وآخرون، 1985: 245- 246).

ويمكن سرد العديد من الدراسات في هذا المجال والتي تشير إليها المصادر السابقة- وتم بالفعل مراجعة العديد من الدراسات ضمن الفريق حسب الاختصاصات المختلفة. وكمثال على الدراسات لمادة اللغة الإنجليزية في التعليم العام، قام (البيضاني) Al-Baidhani (**2003**) بتقييم بعض أسئلة امتحانات الثانوية العامة لمادة اللغة الإنجليزية بالجمهورية اليمنية وحاولت الدراسة وصف تصميم الاختبار، والمدى الذي تغطيه فقرات الاختبارات من **1995** إلى **2001**. عمل الباحث على تطبيق الاختبارات على طلاب من المرحلة الثانوية العامة، وحلل الفقرات. ثم أعد إستبانة لموجهي ومدرسي اللغة الإنجليزية؛ لفحص مدى وعيهم بمبادئ اختبار اللغة وتقييم مناقشة النتائج. بعد ذلك أعد الباحث اختباراً موضوعياً وطبقه على مجموعة من طلاب الثانوية العامة. وخلص إلى اقتراحات حول تحسين اختبارات الثانوية العامة لمادة اللغة الإنجليزية بالجمهورية اليمنية.

ورغم أنّ الباحث كان مقيّماً وناقداً لهذه الاختبارات؛ عبر وضع استبيانات للموجهين والمدرسين حول هذه الاختبارات، وإعادة تطبيق هذه الأسئلة على عينة مشابهة للمجموعة التي خضعت لها، ثم تحليل النتائج لهذه الأسئلة وكذا الاستبيانات- إلا أنّ الدراسة لم تركز على المستويات المعرفية المشار إليها في الإطار النظري (التذكر، الفهم، التطبيق، التحليل، التركيب، التقويم... الخ) أو على معايير مثل الشمول، الموضوعية، مباشرة أو غير مباشرة، استقلالية الأسئلة، نسبة مطابقتها مع أسئلة الكتاب المدرسي . وكذلك لم تركز على النواحي الفنية للورقة الاختبارية: الزمن، توزيع الدرجات، الأخطاء الإملائية والعلمية والمطبعية.

3. 0 إجراءات الدراسة :اعتمدت الدراسة وصف المقررات الموجودة في قسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية[4] (صنعاء)؛ على أساس أنّ هذا القسم هو الأقدم زمنيّاً، والأكثر تنظيماً ووضوحاً في خطته الدراسية ويعدّ المرجع

لباقي الأقسام.

3 . 1 منهج الدراسة : اقتفت الدراسة الحالية المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث استخدم أسلوب تحليل المحتوى، الذي يعدّ أحد أساليب منهج الدراسة الوصفية التحليلية.

3 . 2 عينة الدراسة : تكون مجتمع الدراسة من الأوراق الاختبارية، التي أعدها أعضاء هيئة التدريس في أقسام اللغة الإنجليزية في كليات ا لتربية (صنعاء، أرحب، المحويت)؛ وجميعها للمقررات التي درسها طلاب تلك الأقسام في الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي **2004 / 2005** م. (وقد تم إرسال الاختبارات من الكليات إلى فريق العمل في كلية التربية – صنعاء). بعد فحص الاختبارات التي وصلت إلى (**50**) اختباراً، في تخصص اللغة الإنجليزية، ثم تم اختيار **32** نموذجاً (**64**٪) كعينة ممثلة لمواد قسم اللغة الإنجليزية في كليات التربية– جامعة صنعاء. تشمل هذه النماذج مواد مختلفة في التخصص. أمّا المقررات التي استبعدت فهي مواد متطلبة من أقسام غير قسم اللغة الإنجليزية، وكذلك مواد الباحث؛ لغرض تحقيق عنصر الموضوعيّة في الدراسة.

أمّا النماذج (**32**) الخاضعة للتحليل فهي من كلية التربية صنعاء (**13**)، المحويت (**15**) ارحب (**4**)، وبعض النماذج لم تكتب عليها الكلية التي وردت منها.[5]

وبناء على اتفاق فريق الدراسة فقد تم اختيار العينة بطريقة مرحلية عشوائية؛ بحيث تمثل المستويات الدراسية، من ناحية، وتأخذ بعين الاعتبار تنوع الأوراق الاختبارية، من حيث الطباعة، وشكل الورقة، وتنوع الأسئلة فيها، قدر المستطاع. والجدول التالي يبين توزيع أعداد الكليات، والمقررات، و الأوراق الاختبارية ، والأسئلة التي خضعت للتحليل في إطار تخصص اللغة الإنجليزية:

جدول (**1**): أعداد الكليات، و المقررات، والأوراق الاختبارية ، والأسئلة التي خضعت للتحليل ضمن تخصص اللغة الإنجليزية:

م	الفئة	العدد
1	الكليات	3
2	المقررات	40
3	الأوراق الاختبارية	50
4	الأسئلة	1149

3 . 3 أداة الدراسة

لغرض تحقيق أهداف الدراسة، من حيث وصف الحالة الراهنة للاختبارات، وتشخيص جوانب القوة و جوانب الضعف، قام الفريق بتطوير استمارات لتحليل المحتوى كأداة للتحليل تحتوي على معايير مبنية على خبرة

الباحثين، ومستقاة من الدراسات السابقة التي حاولت تقييم الاختبارات، خصوصاً في المدارس مثل دراسة شريم و سوالمة (2006: 4)، التي اهتمت بالاختبارات الموضوعية، وبمعايير من مثل مدى ارتباط الفقرة بالهدف الذي تقيسه؛ من حيث المحتوى والمستوى المعرفي، و صياغة الفقرة بلغة واضحة، ومدى تناسب لغة الفقرة مع مستوى الطلبة، وكذلك ما إذا كانت الفقرة تخلو من أو تحتوي على آية إشارات لفظية للإجابة الصحيحة، وما إذا كانت إجابة الفقرة لا تؤثر في إجابة غيرها من فقرات الاختبار و أخيراً ما إذا كانت ممهوات الفقرة جذابة للطلاب ومناسبة لهم.

وتجدر الإشارة إلى أنّ المعايير قد جمعت من مجالات مختلفة، وأخذت بعين الاعتبار التصنيفات المختلفة لمجالات المعرفية، وكذلك مفردات المنهج، وشمول الأسئلة وموضوعيتها. كان هذا هو السبيل المتيسّر للبحث؛ حيث أنّه لا توجد استمارات جاهزة في الدراسات السابقة التي تم مراجعتها. ولهذا فقد أعد فريق الدراسة أداة لتحليل الاختبارات وفق الخطوات الآتية:

أولاً: اشتقاق معايير إعداد الاختبارات التحصيلية الجامعية من خلال مراجعة الأدب المتخصص في القياس والتقويم التربوي، وكذلك الدراسات السابقة التي تناولت تحليل وتقويم اختبارات التحصيل، وفي هذا الإطار تم إعداد قائمة بمعايير الاختبارات التحصيلية الجامعية، حيثُ روعي أن تكون المعايير عملية وقابلة للتحقيق في الدراسة الحالية وقد اتفق على المعايير الآتية:

1. التنظيم والإخراج: تنظيم الورقة الاختبارية، وخلوُّها من الأخطاء الإملائية أو الطباعية ، واحتوائها على البيانات الأساسية.
2. الشمول: شمول أسئلة الورقة الاختبارية لموضوعات المنهج؛ على أساس أن الشمول يعد إحدى المؤشرات الرئيسة لصدق محتوى الاختبار التحصيلي.
3. التنوّع: تنوع الأسئلة في الورقة الاختبارية، وعدم اقتصارها على نوع واحد. فلما كانت أهداف المقررات الجامعية متنوعة فإنها تتطلب تنوع الأسئلة الاختبارية التي تقيسها؛ لأن هناك أهدافاً يسهل قياسها باختبارات معينة، وهناك أهداف يسهل قياسها باختبارات أخرى، مع الأخذ بعين الاعتبار "معيار" الموضوعية الذي يصعب تناوله بمفرده.
4. المستوى المعرفي: ويقصد به المستوى المعرفي الذي يقيسه كل سؤال، وذلك بحسب النموذج الذي تبناه فريق الدراسة. ولغرض تسهيل عملية التحليل ودقتها، خاصةً وان المحلل ليس واضع الأسئلة ولا يمتلك

الصورة المتكاملة للأهداف المعرفية (المخرجات التعليمية المتوقعة) للمقرر ومحتوياته التفصيلية، من كتب أو ملازم- فقد اتفق أعضاء فريق الدراسة على تبني النموذج الثلاثي الآتي:

أ. المستوى الأول: التذكُّر ويتضمن تذكر الطالب للمعلومات المتعلقة بالمقرر، وهذا المستوى مطابق لمستوى التذكر في تصنيف بلوم لأهداف المجال المعرفي.

ب. المستوى الثاني: الفهم البسيط: ويتضمن قدرة الطالب على توضيح المعلومات التي وردت في المقرر بأسلوب مختلف عما ورد في محتويات المقرر. ومن أمثلة هذا المستوى أن يأتي الطالب بمثال من عنده لمصطلح أو مفهوم ورد في المقرر، أو تعريف مصطلح أو مفهوم بأسلوبه الخاص، أو أن يشرح الطالب مخططا أو رسماً أو أن يبيّن مخططاً لمفهوم ورد بشكل مكتوب. وهذا المستوى مطابق لمستوى الاستيعاب (الفهم) في تصنيف بلوم لأهداف المجال المعرفي.

ج. المستوى الثالث: الفهم العميق: ويقصد به قدرة الطالب على تطبيق القواعد والمبادئ في مواقف جديدة؛ للوصول إلى حل مشكلة مطروحة في موقف جديد. وكذلك تحليل المعلومات المعطاة إلى مكوناتها الجزئية، وإعادة تنظيم أجزاء المعلومات وجعلها في وحدة مترابطة ذات فكرة جديدة، وإصدار الأحكام القيمية على المواقف الجديدة المطروحة في الأسئلة. وبهذا المعنى يشمل هذا المستوى الفئات الأربع الأخيرة من تصنيف بلوم، وهي التطبيق والتحليل والتركيب والتقويم.

5. الصياغة: أي مراعاة قواعد صياغة الأسئلة بحسب أنواعها المختلفة، ودقتها من الناحية العلمية. وهذا يتضمن مراعاة قواعد صياغة (إعداد) كل نوع من أنواع الأسئلة التي ترد في الأوراق الاختبارية الخاضعة للتحليل.

ثانيا: إعداد أداة التحليل: في ضوء المعايير المشار إليها أعلاه، وفي هذا السياق أعدت أداة التحليل التي تألفت من ست استمارات. وقد تضمنت الاستمارة الأولى بنوداً (عناصر) تمثل المعايير الثلاثة الأولى، وهي: التنظيم والإخراج، والشمول، والتنوع، من حيثُ كونها تتعلق بمجمل (عناصر) الورقة الاختبارية. أما الاستمارات الخمس الأخرى فتتضمن بنود معياري المستوى المعرفي، والصياغة والتي ترتبط بكل نوع من أنواع الأسئلة الخمسة الآتية: المقال، إكمال الفراغ، الصواب والخطأ، الاختيار المتعدد، والمزاوجة.

أمّا من حيث التحقق من وضوح بنود استمارات التحليل لضمان دقة التحليل من أعضاء فريق الدراسة، فقد قام كل عضو من أعضاء الفريق بتحليل عينة من الأوراق الاختبارية والأسئلة في مجال تخصصه، ثم نوقشت الملاحظات التي ظهرت من خلال التحليل الأولي في اجتماع حدد للفريق، وفي ضوء ذلك أجريت بعض التعديلات على الاستمارات لتصبح بصيغتها التي اتفق عليها.

3. 4 خطوات التحليل: تم تحليل الأوراق الاختبارية وفق الخطوات الآتية: -

أ. تم تصنيف الأوراق الاختبارية كما هو موضح بالجدول الأتي:

الجدول (2): يوضح الجدول الأتي النماذج المختارة.

رقم المقرر	اسم المقرر	المستوى	نسبة الأسئلة إلى الموضوعات الرئيسة
	قواعد (1) I - Grammar	1	٪70
	قواعد (1) I - Grammar	1	٪60
	قواعد (1) I - Grammar	1	٪80
	لغة الحديث (1) I - Spoken English	1	٪50
	لغة الحديث (1) I - Spoken English	1	٪50
	كتابة (1) I - Writing	1	٪60
	كتابة (1) I - Writing	1	٪70
	قراءة (1) I - Reading	1	٪70
	قراءة (1) I - Reading	1	٪70
	لغة الحديث (3) III - Spoken English	2	٪40
	لغة الحديث (3) III - Spoken English	2	٪60
	قراءة (3) III - Reading	2	٪50
	قراءة (3) III - Reading	2	٪70
	كتابة (3) III - Writing	2	٪70
	كتابة (3) III - Writing	2	٪70
	مقدمة في اللغة (1) Introduction to Language	2	٪30
	قواعد (3) III - (Grammar & Usage - Grammar I)	2	٪70
	مقدمة في اللغة (1) Introduction to Language	2	٪70
	صوتيات Phonology and Phonetics	3	٪90
	صوتيات Phonology and Phonetics	3	٪60
	شعر القرن الثامن عشر 18th Cent Poetry	3	٪60
	طرق تدريس (1) Methods	3	لا يوجد وصف
	تربية عملية (نظري) Theoretical Practicum	3	لا يوجد وصف
	كتابة متقدمة Advanced Writing Skills	3	٪60
	مسرح القرن العشرين 20th cent Drama	3	٪80
	مهارات الخطاب English Discourse Skills	3	٪60
	مهارات الخطاب English Discourse Skills	3	٪70
	مناهج Curriculum 1	3	٪50
	كتابة متقدمة Advanced Writing Skills	4	٪60
	مسرح القرن العشرين 20th cent Drama	4	٪50
	قواعد تحويلية Generative Grammar - Transformational	4	٪70
	قواعد تحويلية Generative Grammar - Transformational	4	٪40
	المجموع - 32 مقرر		٪60

يلاحظ من الجدول أنّ معظم الأسئلة في المستوى الأول، وتقل في المستويات الأخرى. و غالبية الأوراق الاختبارية في المستوى الثالث. و بعد استبعاد بعض النماذج التي لا توجد ضمن مفردات قسم اللغة الإنجليزيـة-

كلية التربية صنعاء (من كليات الآداب، الأعلام آو كليات التربية، المواد المختلفة)، تم اختيار نماذج كما هو موضح في الجدول. بيّن الجدول السابق أنّ هناك مواداً بلا وصف، و بعض أوراق الأسئلة لا تغطى المفردات بالشكل المطلوب. يلي هذا تصنيف الأسئلة إلى فروعها الرئيسية.

ب. حساب نسبة الشمول من خلال حساب عدد الموضوعات التي تغطيها الورقة الاختبارية (ككل) وقسمتها على العدد الكلي للموضوعات الرئيسة بالمقرر وضرب الناتج في (100).

ج. تحليل كل ورقة إختبارية بحسب بنود التنظيم والإخراج ورصدها في المواضع المخصصة لها بالاستمارة (1).

د. رصد عدد الأسئلة بحسب أنواعها في كل ورقة إختبارية. ثم حساب عدد الأوراق الاختبارية التي تحوي نوعا واحدا من الأسئلة، وعدد الأوراق التي تحوي نوعين، و كذلك عدد الأوراق التي تحوي ثلاثة أنواع، وتلك التي تحتوي على أربعة أنواع، والتي تحتوي على خمسة أنواع. ثم تحويل هذه الأعداد إلى نسب مئوية؛ لتحقيق معيار التنوع.

ه. ولتحديد المستوى المعرفي الذي يقيسه كل سؤال، فانّه يتم قراءة كل سؤال من الأسئلة الواردة في الورقة الاختبارية بدقة وتحديد الأفكار الواردة فيه، ثم يرصد في المستوى الذي يقيسه وإذا وردت أكثر من فكرة في السؤال؛ إحداها ضمن مستوى وأخرى ضمن مستوى آخر، فإن السؤال يوضع في المستوى الأعلى. وترصد البيانات المتعلقة بالمستوى المعرفي في الاستمارات (2، 3، 4، 5، 6) بحسب نوع السؤال المتضمن في الورقة.

و. ثم تعاد قراءة كل سؤال؛ لتحديد مراعاته لقواعد الصياغة بحسب البنود الواردة في الاستمارة المتعلقة بنوع ذلك السؤال، ورصد ذلك في المواضع المحددة من الاستمارة.

ز. حساب مجموع التكرارات لكل بند من بنود كل استمارة وتحويلها إلى نسب مئوية ورصدها في جداول تسهل عملية عرض النتائج وتفسيرها.

ح. وأخيراً تصنيف الأوراق على حسب المستوى.

و الجدول التالي يبين عدد المقررات، و الأوراق الاختبارية ، والأسئلة التي خضعت للتحليل، في إطار تخصص اللغة الإنجليزية موزعة بحسب المستوى.

جدول (3): عدد المقررات، و الأوراق الاختبارية ، والأسئلة التي خضعت للتحليل موزعة بحسب المستوى

المستوى	عدد المقررات	عدد الأوراق الاختبارية	نسبة كل مستوى في الدراسة	عدد الأسئلة
1	4	9	٪28	313
2	5	9	٪28	90
3	8	10	٪31	87
4	4	4	٪13	37
المجموع	21	32	٪100	539

3. 5 ثبات التحليل:

لغرض التحقق من ثبات تحليل الأوراق الاختبارية والأسئلة المتضمنة لحساب ثبات التحليل قام الباحث بالتحليل مرتين متتاليتين يفصل بينهما فترة زمنية، ما يقارب الشهرين، وتم حساب معامل الثبات باستخدام معادلة كوبر

$$\text{نسبة الاتفاق} = \frac{\text{عدد مرات الاتفاق}}{\text{عدد مرات الاتفاق + عدد مرات}} \times 100$$

وكانت النتيجة 87. ٪ وهي نتيجة مرتفعة.

3. 6 تطبيق الأداة

بعد الاتفاق على قوائم تحتوي على معايير محددة في إطار الفريق، تم تصنيف الاختبارات إلى أنواعها الرئيسية، واختيار النماذج التي يمكن أن تدخل ضمن الدراسة، ثم قورنت أوراق الاختبارات بهذه القوائم التي تحوي المعايير. بعد ذلك استخدمت التكرارات والنسب المئوية، ثم تم تفريغ البيانات في القوائم كما هو موضح في الجداول السابقة. الورقة الأولى (الجدول 4 & 5) تحتوي على معايير تبين تنظيم و إخراج ورقة الأسئلة، و كذلك معيار التنوع.

4. 0 عرض النتائج:

تم استخدام التكرارات والنسب المئوية؛ للإجابة عن تساؤلات الدراسة الستة التي سبق إيرادها. وفيما يلي عرض لتساؤلات الدراسة والإجابة عنها:

4. 1 السؤال الأول: ما مدى مراعاة أعضاء هيئة التدريس لمعايير الورقة الاختبارية الجيدة؟

الجدول (4): التكرار والنسبة المئوية لبنود معيار احتواء الورقة الاختبارية على البيانات الأساسية.

م	البند	تكرار	نسبة ٪
1	تحتوي الورقة على اسم المقرر	32	٪100
2	تحتوي الورقة على اسم المستوى	28	٪87
3	تحتوي الورقة على العام الجامعي	26	٪78
4	تحتوي الورقة على الزمن المحدد للإجابة	26	٪78
	العدد الكلي للأوراق الاختبارية	32	٪100

يبين جدول (4) أن بعض الأوراق الاختبارية لا تحتوي على المعلومات الأساسية التي تعرف بالورقة الاختبارية (مثل العام الجامعي والمستوى)، وقدتم استبعاد بعض الأوراق؛ لأنها لا تحتوي على بيانات للتعرف على مكانها وتاريخها.

الجدول (5): التكرار والنسبة المئوية لبنود معيار تنظيم الورقة الاختبارية وخلوها من الأخطاء.

م	البند	تكرار	نسبة ٪
1	الورقة خالية من الأخطاء	27	٪84
2	توجد فواصل واضحة بين الأسئلة	30	٪94
3	الدرجة الكلية موزعة على الأسئلة	7	٪21
العدد الكلي للأوراق الاختبارية		32	٪100

تنظيم الورقة الاختيارية وخلوها من الأخطاء يأخذ بعداً مهماً في تقييم الاختبارات. يلاحظ في جدول (5) أن التكرار في المعيار "الدرجة الكلية موزعة على الأسئلة بشكل متوازن" هو 7 من 32 نموذج اختبار (21٪). نسبة 21٪ من الأسئلة توزع الدرجات على الأسئلة هي نسبة بسيطة؛ لأنّ 79٪ من الاختبارات لا تحتوي على توزيع للدرجات، وهذا يدل على عدم الإعداد الجيد والمرتب لهذه الأسئلة. كما أنّ هذا يشير إلى أن المدرس يمكن أن يغير رأيه في التصحيح حسب إجابات الطلبة. وهوا بهذا لا يلزم نفسه بتوزيع؛ يستطيع الطالب من خلاله تقدير درجته النهائية ومعرفة مصداقية الاختبار المصحح. الجدول (6) يبين أعداد الأسئلة المحللة موزعة بحسب أنواعها.

4. 2 السؤال الثاني: ما مدى مراعاة أعضاء هيئة التدريس لمعيار التنوع في الأسئلة؟

وللإجابة عن هذا السؤال تم حساب عدد الأسئلة المحللة بجميع أنواعها، والتي بلغت بمجملها 539 سؤالاً توزعت بحسب النوع إلى خمسة أنواع، كما هو موضح في الجدول الأتي.

الجدول (6): أعداد الأسئلة المحللة موزعةً بحسب أنواعها.

م	نوع السؤال	العدد
1	مقال	141
2	إكمال الفراغ	101
3	صواب وخطأ	36
4	اختيار من متعدد	240
5	مزاوجة	21
المجموع		539

الجدول (6) يشير إلى أن هناك أنواعاً متعددة من الأسئلة في قسم اللغة الإنجليزية. الاختيار من متعدد، آو الموضوعية يأتي في المرتبة الأولى من حيث التكرار (45٪) ثم الأسئلة المقالية (27٪). وربما يعود استخدام الاختيار من متعدد بشكل واسع إلى انتشار الاختبارات المقننة التي تستخدم هذه النوع بشكل كبير، وتأثر المدرسين بهذا النوع من الأسئلة؛ كونها سهلة التصحيح للمجموعات الكبيرة ويمكن أن تغطي المنهج، وتحقق الشمول. لكن من عيوبها أنها تخضع للمصادفة ، والحظ في نتائجها ، وهذا يقلل من دقتها وثبات نتائجها، حيث أن الطالب يمكن أن يحقق درجات حتى لو انه لا يعرف شيئاً ذا بال في المادة.

لكنّ الأسئلة الموضوعيّة، من جهة أخرى، لها سلبياتها من حيث محدوديتها في قياس قدرات التفكير العالي، التي تتميز بها الاختبارات المقالية؛ وذلك مثل القدرة علي عرض وتنظيم الأفكار، آو حل المشكلات و التفكير الابتكاري، فالمتعلم يقوم بالوصف، والمناقشة، والمقارنة، و التفسير، والتلخيص، والنقد.

الجدول (7): التكرار والنسبة المئوية للأوراق الاختبارية بحسب أنواع الأسئلة التي تحويها.

م	البند	تكرار	نسبة ٪
	تحتوي الورقة على:		
1	أسئلة مقال فقط	141	٪26
2	أسئلة صواب وخطأ فقط	36	٪7
3	أسئلة اختيار متعدد فقط	240	٪45
4	نوعين من الأسئلة	5	٪16
5	ثلاثة أنواع من الأسئلة	2	٪6
6	أربعة أنواع من الأسئلة	1	٪3
7	خمسة أنواع من الأسئلة	0	٪0
	العدد الكلي للأوراق الاختبارية الداخلة في التحليل	32	٪100

يبين الجدول (7) أنّ نسبة أسئلة الصواب والخطأ بسيطة (7٪) لعدد الأسئلة ككل؛ وهذا ناتج عن أن الطلبة في قسم اللغة الإنجليزية يتوقع منهم أن يتعلموا مهارات لغوية يدخل فيها نوع من الإبداع والمشاركة الذاتية، أكثر من التعرف على حقائق وتصحيحها. وتتميز أوراق الاختبار في قسم اللغة الإنجليزية- كلية التربية جامعة صنعاء- بأن جزءاً لا بأس به- (41 ٪)- من الأسئلة تتيح للطلاب التعبير عن آرائهم عند الإجابة، وهذا

يتيح للطالب استخدام عمليات عقلية عليا حسب التصنيفات المذكورة في الدراسات السابقة. و الفقرات الثنائية الإجابة (الصواب والخطأ) تستخدم في قياس قدرة الطلبة على التمييز بين متغيرين للإجابة عنها وتركز على التذكر واستدعاء الحقائق والمفاهيم وهي سهلة البناء وسريعة الإنجاز، تغطي المنهج، وهي كذلك سهلة التصحيح. لكن من عيوبها ارتفاع نسبة التخمين وتشجع على الحفظ والاستذكار، بالإضافة إلى أنها سهلة الغش.

وهي تستخدم لتمييز العبارات الصحيحة من الخاطئة، وتعريف المصطلحات والنصوص والقوانين والحقائق العلمية من الآراء أو النظريات، وتحديد الأسباب وتمييزها، وكذلك تحديد الاستنتاج السليم من غير السليم. ويفضل عند بنائها استخدام عبارات واضحة، وذلك عن طريق تجنب استخدام نفي، وأن تتضمن الفقرة الواحدة حقيقة واحدة والبعد عن الأفكار الجدليّة، وتجنب الفقرة الطويلة، بالإضافة إلى تجنب التضليل والأفكار الهامشية.

4. 3 السؤال الثالث: ما مدى مراعاة أعضاء هيئة التدريس لمعيار شمول الأسئلة لموضوعات المقرر الرئيسية؟

الجدول (8): التكرار والنسبة المئوية لبنود معيار الشمول.

م	البند	تكرار	نسبة ٪
1	تحتوي الورقة على أسئلة اختيارية	21	٪67
2	متوسط (وسيط) نسبة الشمول	1920	٪60
3	الأوراق التي كانت نسبة الشمول فيها أقل من 50 ٪	6	٪19
4	الأوراق التي كانت نسبة الشمول فيها أكثر من 75 ٪	3	٪9
5	المدى الذي وقعت فيه نسبة شمول الأسئلة لموضوعات المقرر الرئيسة	30 -90+1=61	
	العدد الكلي للأوراق الاختبارية	50	
	العدد الكلي للأوراق الاختبارية التي حسبت منها نسبة الشمول	32	

الجدول (8) يبين أن نسبة (9٪) من الأوراق كانت نسبة الشمول فيها أكثر من 75 ٪. ولوحظ أن بعض المواد لا تحتوي على وصف، و بعض الأساتذة يخلطون في وصف المقررات.

يلاحظ أن التكرار في المعيار "الدرجة الكلية موزعة على الأسئلة بشكل متوازن" هو 7 من 32 نموذج اختبار (21٪). نسبة 21٪ من الأسئلة توزع الدرجات على الأسئلة هي نسبة بسيطة لان 79٪ من الاختبارات لا تحتوي على توزيع الدرجات؛ وهذا يدل على عدم توفر الإعداد الجيد والمرتب لهذه الأسئلة. وهذا يشير إلى أن المدرس يمكن أن يغير رأيه في التصحيح، حسب إجابات الطلبة. وهو بهذا لا يلزم نفسه بتوزيع؛ يستطيع الطالب من خلاله تقدير درجته النهائية ومعرفة مصداقية الاختبار

المصحح.

و يلاحظ أن التكرار في المعيار "الدرجة الكلية موزعة على الأسئلة بشكل متوازن" هو 7 من 32 نموذج اختبار (21٪).

4. 4 السؤال الرابع: ما مدى مراعاة أعضاء هيئة التدريس لمعيار تنوع المستويات المعرفية في الأسئلة؟

بعد تحليل الأوراق الداخلة في الاختبار من حيث إعداد الورقة، يتم تحليل الأوراق حسب الأنواع الرئيسية؛ الاستمارة الثانية تحلل الاختبارات المقالية والجدول التالي يبين التكرار والنسبة المئوية لمطابقة معيار المستويات المعرفية التي تقيسها أسئلة المقال.

الجدول (9): التكرار والنسبة المئوية لمطابقة معيار المستويات المعرفية التي تقيسها أسئلة المقال.

م	البند	تكرار	نسبة ٪
1	يقيس السؤال مستوى التذكر	31	٪21
2	يقيس السؤال مستوى الفهم البسيط	85	٪60
3	يقيس السؤال مستوى الفهم العميق	32	٪23
4	يقيس السؤال هدفا يصعب قياسه بالاختبارات الأخرى	112	٪79
	العدد الكلي لأسئلة المقال المحللة	141	٪100

تتميز اختبارات قسم اللغة الإنجليزية بجامعة صنعاء بأنها تتيحُ مجالاً كبير للفهم البسيط (60%) والعميق (79٪) أكثر من التذكر (21%) الذي يتطلب عمليات عقلية بسيطة، علاوة على أنّ أثرهُ محدود في تشكيل شخصية الفرد. فالأسئلة المقالية تفيد في إعطاء الطالب فرصةً للتعبير عن نفسه، وعن الحياة والبيئة من حوله. وتنقسم إلى أسئلة ذات إجابة قصيرة، و أسئلة ذات إجابة طويلة.

ورغم الانتقادات الموجهة إلى الاختبارات المقالية إلا أنها لازال لها استخدام واسع، بالإضافة إلى وجود نواتج مهمة لا يصلح لقياسها اختبارات أخرى؛ وذلك مثل القدرة علي عرض وتنظيم وتكامل الأفكار، والتفسير، و القدرة علي التعبير الكتابي، والتلخيص والإيجاز، والنقد و إبداء الرأي وإصدار الأحكام، والمناقشة والحوار، وكذلك القدرة على حل المشكلات؛ لأن المتعلم يصف، يناقش، يقارن، يعبر وهو بهذا يستخدم مهارات عليا، ومستويات عليا من التفكير؛ من خلال التخطيط للإجابة وعرض الأفكار، وتنظيمها، وربط بعضها ببعض، ومدى تكاملها وانسجامها.

وتتميز– الاختبارات المقاليّة– بأنها تقيس عدة أهداف في وقت واحد مثل التعرف علي معلومات الطلبة، وخبراتهم، ومدى فهمهم واستيعابهم وقدرتهم على الربط بين المعلومات والخبرات وتنظيمها، بالإضافة إلى قدرتهم علي التعبير عنها. ومن عيوبها قلة الأسئلة، مما يجعلها –بصورة غالبة– تخضع للمصادفة ، والحظ في نتائجها

، وهذا يقلل من دقتها وثبات نتائجها، ويسمُها بالانطباعية في التصحيح؛ فقد تتفاوت الدرجات إلى حد كبير من مصحح إلى آخر، وتأخذ وقتاً كبيراً في التصحيح. و كونها لا تغطي المحتوى مثل الأسئلة الموضوعية فقد يحقق الطالب درجات عالية لأنه ركز جهده على جزء محدد.

4. 5 السؤال الخامس: ما مدى مراعاة أعضاء هيئة التدريس لمعايير صياغة الأسئلة بحسب أنواعها المتضمنة (المقال، إكمال الفراغ، الصواب والخطأ، الاختيار من متعدد، المزاوجة)؟

4. 5. 1 أسئلة المقال

الجدول (10): يوضح التكرار والنسبة المئوية لمطابقة معيار دقة صياغة أسئلة المقال وارتباطها بقضايا جوهرية.

م	البند	تكرار	نسبة ٪
1	السؤال مصاغ بشكل واضح ودقيق وخال من الأخطاء العلمية	136	٪96
2	يحدد السؤال عناصر الإجابة المطلوبة بدقة ووضوح	118	٪84
3	يتناول السؤال قضية جوهرية في محتوى المقرر	112	٪79
4	السؤال مستقل ولا تعتمد إجابته على إجابة سؤال آخر	141	٪100
5	يحتوي السؤال على الدرجة المخصصة له	49	٪34
	العدد الكلي لأسئلة المقال المحللة	141	٪100

يتبين من الجدول (10) أن بعض الأوراق لا تحتوي على تعليمات خاصة توضح طريقة الإجابة. وهذا يسبب إرباك في وقت الاختبار بكثرة الأسئلة من الطلبة ويسبب مشكلة في طريقة التصحيح.

4. 5. 2 إكمال الفراغ

الاستمارة الثالثة خصصت لأسئلـــة إكمال الفراغ. الجدول الأتي يبين نتائج هذه الاستمارة.

الجدول (11): يوضح التكرار والنسبة المئوية لمطابقة معيار المستويات المعرفية التي تقيسها أسئلة إكمال الفراغات.

م	المعيار	التكرار	نسبة ٪
1	يقيس السؤال مستوى التذكر	42	٪14
2	يقيس السؤال مستوى الفهم البسيط	57	٪56
3	يقيس السؤال مستوى الفهم العميق	2	٪09.
	العدد الكلي لأسئلة إكمال الفراغ المحللة	101	٪100

أسئلـــة إكمال الفراغ تمثل نسبة محدودة- 19٪- من حيث عدد الأسئلة ككل وهي أقل من الأسئلة المقالية. و هذا يعطي ميزة لأسئلة قسم اللغة الإنجليزية بجامعة صنعاء؛ لأن هذا النوع غالبا ما يستدعي التذكر، لكن النتائج في الجدول (7) تبين أن الأسئلة أولت اهتماماً كبيراً للفهم أكثر من التذكر. والأسئلة تقيس معلومات

جوهرية في المقرر (90٪).

وأسئلـــــة إكمال الفراغ تستخدم لقياس قدرة الطلبة على تذكر الكلمات أو المصطلحات المحذوفة من فقرات السؤال، والتعويض عنها بجمل أو أشباه جمل مفيدة وهي أسـئلة ذات إجابـات محـددة. و تتميّـز بسـهولة الإعداد والبناء والقدرة على تغطية المنهج، وسهولة التصحيح وإمكانيـة اسـتخدامها في كافـة المراحـل الدراسـية، بالإضافة إلى تيسر توفير الصور المتعددة للفقرة الواحدة. لكنها بالمقابل، تهتم بـالحفظ والاسـتذكار ويسـهل فيهـا الغش. ويفضل في بنائها أن تحتوي على هدف ذي قيمة وأهمية، وأن تكون الفقرة محددة بدقة، كما يجب استخدام لغة سليمة وسهلة الفهم، و ألا تترك فراغات كثيرة ومتعددة في الجملة الواحدة، وأن يترك فراغ مناسب للإجابـة، وان تتجنب التعقيدات أو الكلمات الغامضة.

الجدول (12): يوضح التكرار والنسبة المئوية لمطابقة معيار دقة صياغة أسئلة إكمال الفراغات وارتباطها بقضايا جوهرية.

م	المعيار	التكرار	نسبة ٪
1	السؤال مصاغ بشكل واضح ودقيق وخال من الأخطاء العلمية	101	٪100
2	مكان الفراغ في بداية العبارة	32	٪32
3	مكان الفراغ في وسط العبارة	62	٪61
4	مكان الفراغ في نهاية العبارة	37	٪37
5	كل فراغ يقيس هدفا بذاته	93	٪92
6	السؤال محدد بحيث لا يحتمل أكثر من إجابة واحدة لكل فراغ	93	٪92
	العدد الكلي لأسئلة إكمال الفراغ المحللة		

4. 5. 3 الصواب والخطأ

الاستمارة الرابعة خصصت لأسئلـــــة الصواب و الخطأ. والجدول الأتي يبين نتائج هذه الاستمارة.

الجدول (13): التكرار والنسبة المئوية لمطابقة معيار المستويات المعرفية التي تقيسها أسئلة الصواب والخطأ.

م	المعيار	التكرار	نسبة ٪
1	يقيس السؤال مستوى التذكر	10	28٪
2	يقيس السؤال مستوى الفهم البسيط	11	٪31
3	يقيس السؤال مستوى الفهم العميق	25	٪69
	العدد الكلي لأسئلة الصواب والخطأ المحللة	36	٪100

الجدول (14): يوضح التكرار والنسبة المئوية لمطابقة معيار دقة صياغة أسئلة الصواب والخطأ وارتباطها بمعرفة جوهرية.

م	المعيار	تكرار	نسبة ٪
1	السؤال مصاغ بشكل واضح ودقيق وخال من الأخطاء العلمية	36	٪100
2	السؤال يتضمن فكرة رئيسة واحدة	36	٪100
3	يقيس السؤال معرفة جوهرية في المقرر	18	٪50
4	المعلومة التي يقيسها السؤال إما صحيحة تماما أو خاطئة تماما	22	٪61
5	تجنب السؤال استخدام كلمات الإطلاق (مثل دائما، أبدا، ....)	36	٪100
6	تجنب السؤال استخدام كلمات التحفظ (مثل قد، ربما، ....)	36	٪100
7	السؤال مختصر ولا يحتوي على معلومات زائدة	36	٪100
8	طول العبارة مقارب لأطوال العبارات الأخرى	36	٪100
9	تجنب السؤال أسلوب النفي المزدوج (نفي النفي)	36	٪100
	العدد الكلي لأسئلة الصواب والخطأ المحللة	36	٪100

أسئلة الصواب و الخطأ تمثل نسبة بسيطة- (07 %)- من مجموع الأسئلة وتكرارها محدود (36) ضمن الأسئلة الداخلة في الاختبار. الملاحظ أن نسبة (39٪) لا تحتوى على إجابة صحيحة تماماً أو خاطئة تماما.

4. 5. 4 الاختيار من متعدد

الاستمارة الخامسة خصصت لأسئلـــة الاختيار المتعدد. أسئلة الاختيار المتعـدد هـي الأكثـر تكـرارا (240) وتحتوي على نسبة عالية- 45٪- بالنسبة لعدد الأسئلة ككل. يبين الجدول الأتي التكرار والنسب المئوية.

الجدول (15): يوضح التكرار والنسبة المئوية لمطابقة معيار المستويات المعرفية التي تقيسها أسئلة الاختيار المتعدد.

م	المعيار	تكرار	نسبة ٪
1	يقيس السؤال مستوى التذكر	114	٪48
2	يقيس السؤال مستوى الفهم البسيط	97	٪40
3	يقيس السؤال مستوى الفهم العميق	27	٪11
	العدد الكلي لأسئلة الاختيار المتعدد المحللة	240	٪100

أسئلـــة الاختيار المتعدد مصاغة بشكل جيد، وتكاد تخلو من العيوب كما هو مبين في الجدول (15). يلاحظ على هذه الأسئلة أنها لا تعطي الفهم العميق اهتماماً كبيراً حيث أن نسبة الفهم والتذكُّر تكاد تكون متساوية في هذا النوع من الأسئلة.

الجدول (16): يوضح التكرار والنسبة المئوية لمطابقة معيار دقة صياغة أسئلة الاختيار المتعدد وارتباطها بمعرفة جوهرية.

م	المعـــــيار	تكرار	نسبة ٪
1	السؤال مصاغ بشكل واضح ودقيق وخال من الأخطاء العلمية	229	٪95
2	يحدد السؤال كل ما يحتاجه من معلومات لفهم المشكلة قبل قراءة البدائل	230	٪96
3	أصل السؤال تضمن الجزء الأكبر منه، والبدائل مختصرة	240	٪100
4	يقيس السؤال معرفة جوهرية في المقرر	225	٪94
5	تجنب السؤال أسلوب النفي المزدوج (نفي النفي)	238	٪99
6	السؤال مختصر ولا يحتوي على معلومات زائدة	239	٪99
7	يوجد تناسق لغوي بين أصل السؤال والبدائل	223	٪93
8	أصل السؤال لا يحتوي على كلمات توحي بالإجابة الصحيحة	238	٪99
9	طول الإجابة الصحيحة مقارب لأطوال البدائل الخاطئة	237	٪99
10	في كل فقرة يوجد بديل واحد فقط هو الأصح	237	٪99
11	موقع الإجابة الصحيحة موزع بشكل غير منتظم بين البدائل الأخرى	237	٪99
	العدد الكلي لأسئلة الاختيار المتعدد المحللة	240	٪100

4. 5. 5 أسئلة المزاوجة

الاستمارة السادسة خصصت لأسئلـــــة المزاوجـــــة. فهذه الأسئلة هي الأقل تكرارا (21) وتشكل نسبة بسيطة (03. ٪) من الأسئلة. يوضح الجدول الأتي التكرارات والنسب المئوية.

الجدول (17): التكرار والنسبة المئوية لمطابقة معيار المستويات المعرفية التي تقيسها أسئلة المزاوجة.

م	المعـــــيار	تكرار	نسبة ٪
1	يقيس السؤال مستوى التذكر	10	٪48
2	يقيس السؤال مستوى الفهم البسيط	10	٪48
3	يقيس السؤال مستوى الفهم العميق	1	٪0.48
	العدد الكلي لأسئلة المزاوجة المحللة	21	

الجدول (18): التكرار والنسبة المئوية لمطابقة معيار دقة صياغة أسئلة المزاوجة وارتباطها بمعرفة جوهرية.

م	المعيار	تكرار	نسبة ٪
1	السؤال مصاغ بشكل واضح ودقيق وخال من الأخطاء العلمية	21	٪100
2	فقرات القائمتين متجانسة (تدور حول محور واحد)	21	٪100
3	فقرات القائمتين مختصرة (لا تحتوي على كلمات زائدة)	21	٪100
4	فقرات الاستجابة اقصر من فقرات المقدمات	21	٪100
5	فقرات الاستجابة اختيرت بحيث تكون إجابة محتملة للمقدمات	21	٪100
6	توجد تعليمات توضح طريقة الإجابة	11	٪52
7	تم تجنب التطابق التام في فقرات القائمتين	21	٪100
	العدد الكلي لأسئلة المزاوجة المحللة	21	٪100

5. 0 مناقشة نتائج الدراسة

اشتملت الدراسة على ست استمارات تدور حول تنظيم وإخراج ورقة الأسئلة والتنوع، الأسئلة المقالية، و أسئلة إكمال الفراغ، و أسئلة الصواب و الخطأ، و أسئلة الاختيار المتعدد، و أسئلة المزاوجة. و يلاحظ من الجدول (3) الذي يوضح نسبة الأسئلة إلى الموضوعات الرئيسية بأن بعض الأسئلة كانت متميزة وتمثل المنهج بشكل كبير. فالأوراق التي تزيد نسبة الشمول فيها عن 50٪ هي كبيرة إذ تصل إلى أكثر من 90٪. البقية (0. 09 ٪) تمثل جزءاً بسيطاً. والمدى (61) يعطى مؤشراً لهذا. يلاحظ على الأوراق التي لم تكن ممثلة للمنهج بشكل كبير أنها ركيكة الإعداد؛ و ربما يرجع السبب إلى أنّ الذي أعدها لم يضمن كل الأجزاء ، ونورد هنا مثالاً على هذا النوع من الاختبارات التي لا تغطي المفردات، وهو عبارة عن ورقة اختبار في(طرق التدريس) مكتوبة بخط يد تطرح الأسئلة آلاتية: عرف Method، Techniques، Approach وESL. ثم قارن بين Lingual and direct method -Audio اشرح Grammar Translation Method. هذه المادة ليس لها وصف، ولكن واضح من الأسئلة أنها لا تغطي المفردات التي تؤهل الطالب لأن يكون مدرساً متمكناً، خصوصا أن مادةً كهذه هي أساسية لطالب التربية الذي يؤهل بالأصل لأن يكون مدرساً. أتضح من تحليل الاستمارة الأولى التي خصصت لتنظيم و إخراج أوراق الأسئلة والتنوع أن بعض الأوراق لا يمكن تصنيفها لأية كلية؛ لأنه لا يوجد ما يشير إلى مصدرها. فبعض المدرسين لا يذكر اسمه ولا اسم الكلية. بعض الأوراق لا يوجد عليها أرقام صفحات ولا علامة تشير إلى أن الورقة قد انتهت، وتحتوى مثل هذه الورقة الاختبارية على أسئلة من نحو: Make notes on the following paragraph.

وهذا السؤال يفترض أن يقيس مهارات الكتابة كونه يأتي في ورقة اختباريه تقيس الكتابة. لكنـة يخلـو من تحديد طريقة الإجابة ويعطى هذا لطلاب السنة الأولى- تخصص إنجليزي. وورقة في الكتابة المتقدمة؛ تطلـب من الطالب كتابة خطية وهذا غير موجود في وصف المقرر، وقليل ما يتصل بمستقبل الطالب العملي كمدرس لغة إنجليزية. ويمكن أن تدخل هذه الفقرة في لغة الحديث أكثر منها في مادة الكتابة. وتطلب الورقة من الطلبـة إكـمال الفراغ؛ كون المادة كتابة متقدمة يتوقع أن تقيس مهارات عليـا تعتمـد عـلى الإبـداع والخلـق ولا يتوقـع أن يحفـظ الطالب شيئاً ويأتي ليكتبه ويملئ الفراغ وهو في المستوى الرابع. وقل مثل ذلك عن مادة أخرى هي (تحليل أسلوب الخطاب)؛ حيث يعطى الطالب مطلع رواية ويطلب منه كتابة خمس جمل في نفس الموضوع، فالقطعة غير معروفـة المصدر بالنسبة للطالب والتجربة ليست قريبة من الحياة التي يمكن أن يواجهها الطلبة في الميدان ويخوض غمارها في قابل الأيام، وتوزيع الدرجات على الأسئلة يبـين أن بعـض المدرسـيين لا يـولي اهتمامـاً للاختبـارات أو التقـويم التكويني ويعطي اختباراً نهائياً من 150 (الدرجة الكاملة). وبـدلاً عـن تـدريس مسـرحيتين أو ثـلاث يـدرس مسرحية ويعطي عليها كل الأسئلة. هناك أوراق اختبارية بها أرقام في الصفحة الأولى على قطعة للقراءة، و الورقة الثانية بها قطعة وأرقام بنفس الطريقة. هذا يعني أن المصـحح لـن يسـتطيع التمييـز بـين الأرقـام في الورقـة الأولى والثانية لأنها تخلو من التسلسل (نموذج **9**). وعدد الأسئلة محدود (**13**) فقرة موضوعية لا تحتوي على ورقة تغطية تساعد المصحح ولا على مكان لوضع الإجابة. وتطلب من الطالب الإشـارة إلى معلومـة بسـطر محـدد بـرقم دون ترقيم أسطر الفقرة. ومما يتصل بهذا الموضوع بسبب أنّه يتم اختيار قطع للقراءة لا تنم عـن صـلة بثقافـة الطالـب الذاتيّة التي تتصل بمشـربه الأصلي. فالنموذج (**8**) يحتوى على قطعة للقراءة تتحدث عن الهندوسية. ولأنّ القطعة تحاول أن تقيس مهارات في القراءة فإنّها يمكن أن تؤخذ من واقع الطالب فتحتوى مثلا على معلومـات يمكـن أن يواجهها الطالب في الحياة اليومية؛ وذلك بطبيعة الحال أفضل مـن قطعـة قـد لا يواجههـا إلا لمامـاً. وهـذا يجعـل الدراسة ذات صلة بحياة الطالب وبيئته ويعزز حب التعلم عند الطالب عندما يجد انه يدرس شيئاً ذا صلة بواقعـه وبمشربه الثقافيّ. بعض المدرسين لازال يستخدم خط اليـد في إعـداد الأسـئلة وهـذه ظـاهرة وأن كانـت بسـيطة (19٪) إلاّ أنها ملفتة للانتباه؛ كونها موجودة في عصر المعلومات والثورة الإلكترونية إذ تنم عن أن بعض الأساتذة لم يندمجوا في سياق هذه التغيرات مما يتسبب في انفصام نفسي بينهم وبين طلابهـم الـذين لا يفتئـون يتـابعون لكـل جديد في إطار هذه الموجة الثقافيّة الجديدة. و ربما احتاجوا إلى إعادة تأهيل ليتكيفوا مع العصر وإفرازاته المستمرّة. أما آثرها على الاختبار فلاشك بأنها مربكة خصوصاً إذا كانـت تحـوي اختبـاراً موضـوعياً يحتـاج إلى الكثـير مـن التفاصيل (مثال على هذا النموذج رقم3).

6. 0 الخلاصة

يلاحظ آن بعض أوراق الاختبار لم تراعِ شروط الورقة الجيدة. مواد المهارات اللغوية مثلا بها تداخل كبير في الأسئلة التي يمكن آن تقيس مهارات أخرى؛ فمثلا النموذج 4 يفحص مهارات الحديث (Spoken English)، لكن هناك أسئلة تطلب تصحيح جمل ووضع علامات الترقيم المناسبة (Punctuation Marks)؛ لتصحيح الجمل. وواضح بأنّ هذا من مهارات الكتابة. وفي ذات السياق تكون بعض الأسئلة عبارة عن مقالة مأخوذة من صحيفة والمطلوب الإجابة(بصح آو خطأ) على الأسئلة لفحص الفهم ومطابقة هذا مع القطعة. و واضح أن هذا النوع من الأسئلة يقيس مهارة القراءة (Reading). وأسئلة أخرى تطلب من الطالب رسم خريطة وكتابة رسالة وتلك هي الأسئلة التي تتعلق بمادة تقيس مهارات الحديث (Spoken English)، و تضيف اكتب خمس جمل: Write five sentences about shops and facilities in your area.

ربما تعود طبيعة هذه الأسئلة إلى أنّه لا يوجد وصف واضح للمقرر في خطة القسم، واستتباعاً لذلك فإنّ هذا يستدعي مراجعة وصف المقرر ووضع خطوط عريضة للفصل بين المهارات اللغوية، ووضع تدرج لها؛ حيثُ يلاحظ أنه لا يوجد وصف يحدد الفرق بين مهارات الحديث Spoken 1, 2, 3 and 4 أو مهارة القراءة Reading 1, 2, 3, 4 مثلا. فما يدخل في محتوى Spoken 1 أو Reading 1 يمكن أن يدخل في Spoken 2 أو Reading 2. وهذا واضح من النماذج الاختبارية المتضمنة في التحليل.

بعض الأوراق الاختبارية طويلة و بدون ورقة تغطية، مع العلم بأنّ ورقة التغطية ضرورية للأسئلة الطّويلة (نموذج 4) و متنوعة. ووجود أكثر من نموذج A and B يقلل من إمكانية الغش لكن هذا الخيار غير موجود في كل الأوراق المضمنة في هذه الدراسة.

في مزج الأسئلة المقالية والموضوعية آو مزج أكثر من نوع من الاختبارات (مقال، إكمال فراغ، صواب وخطأ، اختيار من متعدد... الخ) ما يجعل الاختبار أكثر قوة؛ بالقدرة على التميز بين المفحوصين وهذا قليل في هذه الدراسة. بعض الأسئلة تفحص الهدف أكثر من مرة بأشكال مختلفة والقدر الكافي في هذا الصدد هو الفحص لمرة واحدة، لكنّ بعض الأوراق تعيد نفس الهدف. وبناءً على المعايير فالاختبار يحتاج إلى تحديد الغرض من الاختبار؛ أي الأهداف التي سوف يقيسها الاختبار، وكذلك تحديد الزمن المناسب، وإعداد جدول مواصفات الاختبار، ووضع تعليمات واضحة... إلخ.

وكتابة أسئلة الاختبار تحتاج إلى التقيد بجدول المواصفات، كما تحتاج إلى ربط السؤال بشكل مباشر مع النتائج التعليمية المراد قياسها، ويجب أنّ تتحاشى بعض المحاذير وذلك من خلال؛ تجنب المصطلحات أو الكلمات

غير المحددة، تجنب الكلمات التي تقترن عادة بالتعميمات مثل: دائماً، أبداً، جميعا، ومن الأمور المهمة التي يجب توفرها، صياغة الأسئلة بشكل واضح يتناسب مع مستوى الطالب، وان يكون طول السؤال مناسباً، وان يكون السؤل مستقلاً؛ بحيث لا تعتمد إجابته على سؤال آخر، كما يجب إسناد العبارات التي تتعلق بالرأي إلى مصادرها؛ لأن عبارات الرأي ليست صحيحة أو خاطئة تماما، ومما يجب على واضع الأسئلة توخيه عند وضع الأسئلة – حسب رأي الفريق– الابتعاد عن إتاحة فرصة الاختيار من بين مجموعة لأن البعض قد يستبعد بعض أجزاء المنهج. ومن الأمور المهمة في هذا المنحى، مراجعة الأسئلة بعد كتابتها وتدقيقها بصورة مستمرة. على أنّ هذه المعايير تختلف طبقاً لنوع الاختبار.

6. 1 التوصيات والمقترحات

تخلص الدراسة إلى أنّ الاختبار الجيد يأخذ في الاعتبار الأهداف المتوخاة منهُ، كما يراعي المفردات اللغوية لدى المتعلم، بالإضافة إلى الموازنة بين الأسئلة والمهارات اللغوية المطلوب اختبارها، مع وضوح الصياغة والتعليمات، وتوفر خاصيّة التنوّع؛ بحيث يعطي فرصةً للطالب أن يبين قدراته ويقلل نسبة الصدفة، ويسهم في توفر عنصر الموضوعية في التصحيح، و أن يكون سهل التطبيق بصورة تخلو من التكلُّف، ومجرب على عينة من الطلبة قبل التطبيق.

كون الاختبارات تقيس نواتج متنوعة من التعلم فينبغي أن تكون منسجمة مع الأهداف والمحتوى. وينصح بصياغة مخرجات التعلم بعد صياغة الأهداف، وتحديد المحتوى، و طرق التدريس، وكذلك طرق التقييم. ولذلك فان الاختبار الجيد يأتي من تحديد نواتج التعلم (ILOs or Intended Learning Outcomes)، بحيث يقيس عينة ممثلة للمادة التي تحويها موضوعات المقرر من خلال أسئلة واضحة، متنوعة، متدرجة، دقيقة، قادرة على التمييز بين مستويات الطلبة، مناسبة من حيث الزمن، وموضوعية في التفسير والتصحيح، بعيدة عن التعقيد اللغوي وتسمح بإبداء رأي المتعلم، محددة ولا يوجد بها خيارات كثيرة. وأسئلة الاختبار الجيد لا توحي بالإجابة آو أن تعتمد إجابة سؤال على إجابة سؤال آخر. ومن خلال العرض السابق توصي الدراسة بـــ:

- عقد دورات تدريبية لأعضاء هيئة التدريس لاقتسام اللغة الإنجليزية في مختلف الكليات؛ لمناقشة مختلف أساليب التقويم المختلفة وان لا تقتصر على قياس مستوى التذكر والفهم بل تشمل باقي المستويات من تطبيق وتحليل وتركيب وتقويم حسب التصنيفات المختلفة.

- عرض الاختبارات على لجنة اختباريه في القسم تراعي أن يشتمل الاختبار على جميع مفردات المقرر، وأن تشتمل الورقة على تعليمات واضحة ودقيقة، تراعي معايير صياغة الأسئلة من تنظيم وإخراج وتنوع ووقت مناسب، بالإضافة إلى مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة.
- الأخذ في الحسبان التنويع في أساليب التقويم، بحيث لا يقتصر على الاختبارات بل تستخدم الملاحظات والمقابلات والاستبيانات و تنفيذ المشاريع.
- إجراء بحوث ذات علاقة بتصحيح الاختبارات.
- مناقشة الاختبارات في مجالس الأقسام لتبادل الآراء حول كيفية بناء الاختبارات (وبالذات عند التحاق مدرسين جدد بالقسم) في كل مادة لتحديد مواصفات عامة للورقة الاختبارية وأن توزع قائمة بمعايير صياغة الاختبار على الأساتذة قبل بناء الاختبارات بوقت كاف، و تكون كبداية لإلزام كل أستاذ بتقويم مفردات مادته وإعادة بناء هذه المفردات في صورة مقرر، له أهدافه ومحتواه وأساليب عرضه وأنشطته وأساليب تقويمه.

المراجـــــع

أبــو عــلام، رجـاء محمود(**1987**). *قياس وتقويم التحصيل الدراسي*، الكويت دار القلم للنشر والتوزيع.

. بركات، محمد خليفة وموفق الحمداني (**1972**). دليل مبسط عن تحسين أسئلة الامتحانات، بغداد مركز البحـوث التربويـة والنفسية.

حمدان، (**1980**). *تقييم الطالب، أسسه وتطبيقاته*، بيروت، دار العلم للملايين.

الخطـيب، أحمـد وآخــرون (**1985**). *دليل البحث والتقويم التربوي*، عمان، دار المستقبل.

زكريا، جيرولد، (**1975**). *"الاختبارات المدرسية عون أم عقبة"* . *مستقبل التربية*، العدد الأول، مكتب اليونسكو الاقليمي، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

شريم، احمد و سوالمة، يوسف (**2006**). *"تحيد درجة لاختبار محكي المرجع في الرياضيات باستخدام نموذجي "انجوف" و "بدلكسي" : دراسة مقارنة بمعرفة صعوبات الفقرات وعدم معرفته"* . مستل من رسالة ماجستير. المجلة الأردنية في العلوم التربوية (جامعة اليرموك). مجلد (**2**)، عدد (**1**) **2006**، ص ص **1- 10**.

العجيلي، صباح، (**2005**). *القــياس والتقويم*. اليمن. مركز التربية للتصوير والطباعة والنشر.

علام، صلاح، (**1986**). *تطورات معاصرة في القياس النفسي والتربوي*. الكويت، القبس التجارية.

عودة، احمد (**1985**). *القــياس والتقويم فـي العملية التدريسية*، اربد دار الأمل.

ملحم، محمد (**2005**). القياس والتقويم في التربية و علم النفس. اربد. دار المسيرة.

Al- Baidhani, Abdussalam (2003). *Critique of Secondary School English Language Examinations from 1994- 1995 to 2000- 2001*. Unpublished MA thesis, Faculty of Arts, Sana'a University.

Anastasi, A. & Urbina, S. (1997). *Psychological Testing*. New Jersey: Prentice- Hall.

Bloom, B. *etl.* (1958). *Taxonomy of Educational Objectives: The Classification of Educational Goals*. Longman. New York. (This is the 25th printing 1982 by Longman Inc.)

Brown, J. and Hudson, T. (2003). *Criterion-referenced Language Testing*. Cambridge: Cambridge University Press. (Reviewed in TESL_EJ, Vol. 7. No. 2, September 2003)

Ebel, R. (1972). *Essentials of Education Measurement.* Englewood cliffs, N. J.

Gregory, R. (1997). *Psychological Testing*. Boston: Allyn & Bacon.

McIntyre, S. & Miller. A. (2000). *Foundations of Psychological Testing*. Boston: Mc Graw Hill.

Ten Brink, T. (1974). *Evaluation: A Practical Guide for Teachers*. New York, Mograw-Hill.

الهوامش

1) كان الباحث هو ممثل القسم والمنسق لهذا المشروع وقد تم تدريبه- على التقييم وضبط الجودة والإشراف على الاختبار- في تونس (12-16/ 12/ 2006) والأردن (18-20/ 2006) ضمن فريق من كل الجامعات العربية قام بتدريبهم هذا المشروع؛ ليقوموا بالتنسيق بين القسم وإدارة المشروع.

2) The project entitled "Enhancement of Quality Assurance and Institutional Planning at Arab Universities", is sponsored, and supervised by the Regional Bureau of Arab States of the United Nations Development Programme (UNDP/ RBAS). It was launched in January 2002 and it completed until now two phases that are executed by The United Nations Office for Project Services (UNOPS). The researcher was acting as a UNOPS consultant and as the Subject Representative for a project to organize external review mission to his department.

3) أعلى 50 طالب في دفع سنة رابعة .تم ترتيب طلاب السنة الرابعة من الأعلى إلي الأسفل حسب معدلاتهم التراكمية وتم اختيار أعلى خمسين طالب- كان منهم 49 طالبة وطالب واحد؛ وهذا مؤشر يستحق الدراسة.

4)كلية التربية-صنعاء هي الكلية الأولى للتربية في الجامعة (بها 12 قسماً و 110 أستاذة) و7390 طالبا وطالبة حسب إحصائية 2004/ 2005م_ الأقسام الأدبية 4379 (59٪)، الأقسام العلمية 3011 (41٪) ونسبة الطالبات في الأقسام الأدبية (60٪) وفي قسم اللغة الإنجليزية (85٪) ويتوقع آن يتخرج منها (2540) لعام 2005.

5) من الصعوبات أن بعض الاختبارات لم تصل من الكليات. بالإضافة إلى مشكلة أخرى و هي أن بعض الزملاء لا يسمح بان يجعل الأسئلة متوفرة حتى لا تتسرب.

المواصفات والقواعد الأساسية لنظم الإدارة البيئية
(إيزو ISO 14000)
واقع ومعوقات تطبيقها في المنظمات الصناعية اليمنية

(دراسة ميدانية في محافظة تعز)

د.فؤاد راشد عبده *

مقـــدمة :

أصبحت قضايا البيئة من القضـايا الكونيـة المعاصـــرة التـي تنـامى الاهـتمام بهـا (الفكـر السـياسي و الاقتصادي والإداري والاجتماعي) على مختلف الاصعده الوطنية والإقليمية والدولية .

وظهر الاهتمام بقضايا البيئة بعد أن تعددت وتنوعت المشكلات البيئـة ومصـادر التلـوث البيئـي التـي ألحقت أفدح الإضـرار بصحة الإنسان وبالموارد البيئة المتجددة وغـير المتجـددة التـي تشـكل الأرضـية الأساسـية للحياة الإنسانية الأمانة والمستقرة وللتنمية المستدامة (الهواء – الماء – التربة – النبات – الحيوان وغيرها) .

وتشكل الأنشطة الصناعية من أهم المصادر التي تترتب عنها أثار ومخـاطر مضـــرة بالإنسـان ومحيطـة البيئي ،الأمر الذي وضع منظمات الأعمال الصناعية أمام مسؤولية اجتماعية كبيرة تقضي بضـرورة تعديل أنشـطتها باتجاه متصالح مع البيئة والاستجابة للوعي البيئي وقناعة المستهلك بان المنظمة التي لإتراعي الاعتبارات البيئية لا يمكن أن تنتج سلع وخدمات أمنة صحياً وبيئياً . ولهذا تم الاهتمام بتطوير المواصفات والقواعـد الأساسـية لـنظم الإدارة البيئية المعروفة بالإيزو ISO 14000. هذه النظم التـي تسـعى مـنظمات الأعـمال إلى تطبيقهـا وبموجبهـا تحصل على شهادة الجودة العالمية (ISO14000) ، وتحسن من خلالها أداءها وتحافظ على سمعتها وتعـزز مركزهـا التنافسـي في الأسواق المحلية والإقليمية والدولية .

ونظراً لأهمية هذه النظم أصبح من الضـروري أن تعمل المنظمات الصناعية اليمنية عـلى تطبيقهـا ، وإن تعمل الجهات الرسمية وغير الرسمية على تأمين الشـروط اللازمة التي تؤدي إلى التطبيق الفعلي لهذه النظم . ومـن هذا المنطلق جاء اختيار موضوع الدراسة .

---

*) أستاذ إدارة الأعمال المشارك -كلية العلوم الإدارية – جامعة عدن

مشكلة الدراسة :

تطبيق نظم الإدارة البيئية يتطلب وجود وعي مجتمعي وإجراءات وتدابير رسمية وغير رسمية توجه أنشطة وسلوك منظمات الأعمال نحو التصالح مع البيئة والحفاظ عليها . كما يتطلب أيضاً وجود توجهات وإجراءات بيئية متوافقة مع المواصفات والقواعد الأساسية لنظم الإدارة البيئية تسعى منظمات الأعمال لذاتها لتطبيقها .وعليه فإن مشكلة الدراسة تتمثل في معرفة واقع تطبيق هذه النظم في المنظمات الصناعية اليمنية، من خلال التعرف على مدى توفر شروط ومتطلبات تطبيقها، والتعرف على المعوقات التي تحول دون تطبيقها.

أهداف الدراسة :

1- معرفة مدى توفر وعي عام لدى الأطراف ذات العلاقة بأهمية وضرورة تطبيق هذه النظم.

2- معرفة واقع ومعوقات تطبيق هذه النظم من خلال استطلاع آراء ووجهات نظر القيادات الإدارية للمنظمات الصناعية اليمنية .

3- التوصل إلي نتائج وتوصيات علمية تساعد متخذي القرار على تجاوز المعوقات التي تحول دون تطبيق هذه النظم.

أهمية الدراسة :

تتمثل أهمية الدراسة في تقديم عرض نظري مختصر للمواصفات والقواعد الأساسية لنظم الإدارة البيئية، والمفاهيم المتصلة بها ، والمتطلبات الأساسية لتطبيقها ، وإبراز أهمية تطبيق هذه النظم في ظل التحولات والتطورات العالمية المعاصرة وفي مقدمتها شروط تحرير التجارة الدولية التي أخذت الشروط البيئية تحتل حيزاً هاماً فيها ، وتشخيص واقع تطبيق هذه النظم في المنظمات الصناعية اليمنية ، وإبراز أهم العوامل التي تعيق تطبيقها .

أسئلة الدراسة :

1- هل الإجراءات والتدابير الرسمية وغير الرسمية المتاحة كافية وقادرة على توجيه المنظمات الصناعية لتطبيق نظم الإدارة البيئية وتوجيه أنشطتها باتجاه متصالح مع البيئة .

2- هل توجد لدى المنظمات الصناعية اليمنية توجهات وتدابير عملية تسعى من خلالها لتطبيق نظم الإدارة البيئية.

3- هل هناك علاقة بين حصول المنظمات الصناعية على شهادة الجودة العالمي (ISO) وتطبيق نظم الإدارة البيئية.

4- ما هي العوامل (المعوقات) المؤثرة على عدم تطبيق هذه النظم من وجهه نظر القيادات الإدارية للمنظمات الصناعية اليمنية .

منهجية الدراسة :

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي كما استخدم برنامج التحليل الإحصائي (SPSS) وكذلك الأساليب الإحصائية المناسبة التي تم بواسطتها معالجة البيانات والإجابة على أسئلة الدراسة .

مجتمع وعينة الدراسة :

إجمالي المنظمات الصناعية في تعز المسجلة في سجلات فرع وزارة الصناعة في المحافظة البالغ عددها (48) منظمة صناعية تمثل مجتمع الدراسة ، تم اختيار (23) منظمة كعينة للدراسة وهي تلك المنظمات التي يعمل فيها 100 عامل فأكثر. جاء اختيار محافظة تعز للدراسة الميدانية كونها المحافظة التي يوجد فيها اكبر عدد من المنظمات الصناعية اليمنية .

أداة الدراسة :

استخدمت الاستبانة كأداة رئيسية لجمع البيانات وقسمت الاستبانة إلى ثلاثة أجزاء خصص الجزء الأول منها لجمع البيانات العامة الخاصة بوصف خصائص أفراد العينة ، وخصص الجزء الثاني للأسئلة المتصلة بمعرفة واقع تطبيق نظم الإدارة البيئية في المنظمات الصناعية ، واحتوى الجزء الثالث على الأسئلة الخاصة باستطلاع آراء قيادات المنظمات الصناعية حول معوقات تطبيق هذه النظم .عرضت الاستبانة قبل تثبيت أسئلتها على ثلاثة محكمين ومن ثم وزعت (23) استبانة للقيادات الإدارية للمنظمات الصناعية عينة الدراسة ، عادت (19) استبانة من الاستبانة الموزعة ، تم استثناء استبانة واحده لعدم صلاحيتها ، وبذلك استخدمت لأغراض الدراسة (18) استبانة فقط .

وقبل البدء بمعالجة البيانات إحصائياً تم اختبار صحة وثقة إجابات عينة الدراسة بواسطة اختبار كرونباخ ألفا ، وقد كانت نتيجة الاختبار للإجابة على أسئلة الجزء الثاني من الاستبانة (0.785) ونتيجة الاختبار للإجابة على أسئلة الجزء الثالث من الاستبانة (0.704) . وكون اصغر قيمة مقبولة لاختبار ألفا هي (0.6) وأفضل قيمة مقبولة بين (0.7 – 0.8) فقد بينت نتيجة الاختبار على ثقة وصحة إجابات أفراد العينة على أسئلة الاستبانة .

أولاً :- المواصفات والقواعد الأساسية لنظم الإدارة البيئية الإيزو ISO 14000 . المفاهيم والمكونات والأهمية.

1 – المفاهيم الأساسية:

البيئة. لغةً تشتق كلمة البيئة من الفعل الثلاثي (بوأ). بمعنى أنزل وأقام. يقول سبحانه وتعالى في كتابة الكريم ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين﴾

سورة يوسف (آية56). أي أن كلمة بيئة باللغة العربية تعني المنزل أو المكان الذي يعيش فيه الإنسان وفيه مستقره ومقامه.

وعرفت البيئة في معجم (ويستر) على أنها "الظروف المحيطة والتأثيرات أو القوى التي تؤثر أو تغير مثل (أ) المركب الكلي من العوامل المناخية والايكولوجية والحياتية التي تؤثر على كائن حي أو على مجتمع ايكولوجي وتحدد في نهاية المطاف شكله وبقاءه. (ب) مجموع الظروف الاجتماعية والثقافية والعادات والقوانين واللغة والدين والتنظيم الاقتصادي والسياسي التي تؤثر على حياة الفرد أو المجتمع".[1]

وفي عالمنا المعاصر لا يوجد مدلول واحد للبيئة بعد أن اتسع نطاق هذه الكلمة وتعددت مجالات استخدامها.فالبيت بيئة والمدرسة بيئة والمنشاة بيئة والكرة الأرضية بيئة،كما أن هناك بيئة صناعية وبيئة تعليمية وبيئة إدارية ...الخ. ومع ذلك يمكن القول بأن البيئة بمفهومها العام هي كل ما يحيط الإنسان أو الكائن الحي من مكونات طبيعية أو مشيده ويستمد منها مقومات حياته ويؤثر ويتأثر بها .

بيئة منظمات الأعمال : تعرف هذه البيئة بأنها الأوساط المحيطة بالمنظمة، وتشمل الهواء والماء والتربة والموارد الطبيعية والنبات والحيوان والإنسان بالإضافة إلى العلاقة بين هذه العناصر.[2]

الإدارة البيئية : تعرف الإدارة البيئية بوجه عام بأنها "جزء من النشاط الإداري العام الهادف والوعي الرسمي وغير الرسمي (الحكومي والشعبي) المعني بإدارة تلك الأنشطة البشرية المضرة والتي تلحق ضرراً بالبيئة والموارد الطبيعية. هدفها توفير وتأمين الحاجات البشرية من تلك الموارد المتوفرة في النظم البيئية بعيداً عن الإهدار والاستغلال دون حاجة وبما يحقق أهداف التنمية المستدامة والقابلة للاستمرار".

الإدارة البيئية في منظمات الأعمال : تعرف بأنها "الهيكل الوظيفي للمنشاة والتخطيط والمسئوليات والممارسات العملية والإجراءات والعمليات وإمكانيات التطوير وتنفيذ وإنجاز ومراجعة ومتابعة السياسة البيئية بهدف تحسين أداء المنشاة وخفض أثارها البيئية السيئة ومحاولة منع تلك الآثار" ، نظام الإدارة البيئية : هو جزء لا يتجزأ من النظام الكلي للمنشأة.ويعرف هذا النظام بأنه"عبارة عن هيكل المنشاة ومسئوليتها وسياستها وممارستها وإجراءاتها وعملياتها ومواردها المستخدمة في حماية البيئة وإدارة الأمور البيئية".

---

1 – الطيب محمد جبارة ، التنظيم المؤسسي لحماية البيئة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي ، برنامج الأمم المتحدة للبيئة ، البحرين 1988ص1 .

2 – رعد حسن الصرن ، نظم الإدارة البيئية والإيزو 14000 ، دار الرضاء للنشر ، سوريا ، دمشق ، 2001 م ، ص 56 .

3 – فؤاد راشد ، الإدارة البيئية ، بحوث اقتصادية عربية ، القاهرة العدد (13) 1998 ص66 .

4 – رعد حسن الصرن ، نظم الإدارة البيئية والإيزو 14000 ، مرجع سابق ، ص 122 .

5 – نادية حمدي صالح الإدارة البيئية (المبادئ والممارسات) المنظمة العربية للتنمية الإدارية القاهرة 2003 ص 208،207

ويمكن القول بان نظام الإدارة البيئية في منظمات الأعمال هو ذلك النظام الذي يعنى بتحقيق الالتزامات التي تتضمنها السياسات والتشريعات والنظم البيئية العامة والخاصة بالمنظمة،ويوجه أنشطتها باتجاه متصالح مع البيئة ويقيها من المشكلات والآثار البيئية المحتملة،ويحمي وينمي الموارد البشرية والطبيعة ويسعى نحو استخدامها استخداما كفئاً ورشيداً ، ويهتم بإنتاج سلع وخدمات أمنة وملبية لحاجات ورغبات المستهلكين، ويؤدي إلى التطوير والتحسين المستمر لأداء المنشاة.

الإيزو ISO 14000 : هي عبارة عن مواصفات قياسية بيئية عالمية وقواعد أساسية لنظم الإدارة البيئية. تقر منظمات الأعمال من ذاتها توافقها مع هذه المواصفات والقواعد وبموجب التوافق والتنفيذ الفعلي لها. تحصل منظمات الأعمال على الإجازة أو الشهادة المعروفة بالشهادة العالمية للجودة إيزو 14000 **Iso** .

هذه المواصفات والقواعد شرعت المنظمة العالمية للمواصفات (ISO) في إعدادها منذ عام 1993م، وتم إصدارها واعتمادها في يونيو 1996م.استجابة لضرورة وجود مواصفات بيئية دولية وتطبيق نظم الإدارة البيئية في منظمات الأعمال تنسجم مع الوعي المتنامي بأهمية الحفاظ على البيئة والموارد البيئية المتجددة وغير المتجددة،ومع التوجهات العالمية الرامية إلى مواجهة مخاطر المشكلات البيئية والتلوث البيئي وأثاره على الحياة البشرية، وبما ينمي ويلبي احتياجات الجيل،الحاضر دون الإضرار بمستقبل الأجيال القادمة.

سلسلة الإيزو 14000 **Iso Series** : الإيزو 14000**Iso** كما سبق القول هي عبارة عن مواصفات قياسية بيئية وقواعد أساسية لنظم الإدارة البيئية تقر منظمات الأعمال بها وتلتزم بتنفيذها. غير أن هذا الإقرار والالتزام لا يوفر شروط ووسائل علمية للممارسة وقياس الأداء البيئي ومراجعته وتطويره وتحسينه . ولهذا جاء إصدار ما يسمى بسلسلة الإيزو 14000 **Iso** نوجز فيما يلي السلسلة ومضامين كل واحدة منها :

إيزو ISO 14001 وتتضمن المكونات الأساسية لنظم الإدارة البيئية وتوصيفات وإرشادات الاستخدام

إيزو ISO 14004 .هي عبارة عن مبادئ وإرشادات عامة للأنظمة والتقنيات المساعدة لنظم الإدارة البيئية.

إيزو14010 ISO . تتضمن المبادئ العامة للمراجعة البيئية

إيزو14011ISO . إرشادات وإجراءات المراجعة البيئية.

إيزو14012ISO . مواصفات ومعايير مراجعي شئون البيئية.

إيزو14013ISO . برامج مراجعة الإدارة البيئية.

إيزو14014ISO . المراجعة الأولية.

إيزو14015ISO . معايير المكانة البيئية.

إيزو14020ISO . أهداف ومبادئ المدخل البيئي.

إيزو14031ISO . تقييم الأداء البيئي.

إيزو14040ISO . تقييم دورة الحياة.

إيزو14060ISO . إرشادات الجوانب البيئية الخاصة بمعايير المنتج.

2- المكونات الأساسية لنظم الإدارة البيئية :

تشكل سلسلة الإيزو14000ISO وعلى وجه التحديد إيزو14001ISO الإطار العام لمكونات نظم الإدارة البيئية والإرشادات والمبادئ العامة والمتطلبات الأساسية لبناء وتطوير نظم الإدارة البيئية في منظمات الأعمال . وتتمثل هذه المكونات والمتطلبات في الآتي:-

السياسة البيئية :

من المتطلبات والمكونات الأساسية لبناء وتصميم نظم الإدارة البيئية وجود سياسة بيئية واضحة لدى منشآت الأعمال تتضمن العناصر الآتية :-

- الالتزام والتقيد بالسياسات والأهداف البيئية العامة،وتطبيق التشريعات والقوانين والإجراءات الإدارية والاقتصادية المتصلة بحماية البيئة والحفاظ عليها.
- الالتزام بحماية البيئة والصحة العامة والأمان لكل من لهم صلة بأنشطة المنظمة، وبالتحسين المستمر ومنع التلوث.
- توفير الإمكانيات والوسائل التي تؤمن مناخات عمل ملائمة تسمح بتطبيق النظام،وتدابير عملية تتلاءم مع طبيعة وحجم المنظمة والآثار البيئية الناتجة عن أنشطتها.
- توثيق السياسة البيئية وإعلام الجهات الرسمية والجمهور والعاملين في المنظمة بمضمون هذه السياسة.

التخطيط البيئي :

التخطيط البيئي ليس فقط مكون من المكونات الأساسية لنظم الإدارة البيئية بل وظيفة من الوظائف الإدارية الأساسية التي يعتمد عليها في بناء وتصميم هذه النظم. ولكي يؤدي التخطيط البيئي أهدافه ينبغي أن يستند على الآتي:-

- الدراسة والتحديد الدقيق للأبعاد والآثار البيئية الناتجة عن أنشطة المنظمة من خلال الاختيار الدقيق للأنشطة والعمليات والتعرف على اتجاهاتها وعناصرها التي يمكن أن تترك أثاراً بيئية ، ومعرفة التغيرات والآثار الكلية والجزئية ونتائجها الراهنة والمستقبلية.
- المعرفة الجيدة بالمتطلبات والضوابط القانونية النافذة والمتصلة بأنشطة المنظمة (تراخيص التشغيل- إجراءات وضوابط اختيار الموقع - تراخيص مزاولة الأعمال-الغرامات وغيرها) والمعرفة الجيدة بالاتفاقيات البيئية الإقليمية والدولية الثنائية والجمعية .
- تحديد أهداف بيئية واضحة وقابلة للتحقيق والقياس أهداف تراعي الأبعاد البيئية المحتملة لأنشطة المنظمة وأراء ووجهات نظر الجهات المعنية والمهتمة بقضايا البيئة.
- تحديد التكاليف المالية والمتطلبات التقنية الملائمة التي تمكن المنظمة من السيطرة على مصادر التلوث البيئي .
- وضع برامج بيئية ملموسة تنسجم مع طبيعة وظروف المنشاة (الحجم – الموقع - الوسائل المتاحة - الموارد المستخدمة – التصميم – الإنتاج - التسويق ....الخ).

العمليات والإجراءات التنفيذية:

تحقيقاً للسياسات والخطط والبرامج البيئية التي ترسمها الإدارة العليا في منظمات الأعمال . يتم القيام بمجموعة من العمليات والإجراءات التنفيذية يمكن إجمالها بالآتي :

1 - الهياكل التنظيمية والمسئوليات

- تعيين ممثل عن الإدارة العليا في المنظمات وتحديد الجهات المسئولة على تنفيذ النظام وتحديد مهامها ونطاق مسئوليتها وسلطتها.
- التنسيق بين جميع الحلقات المكونة للمنظمة بما يجعلها تراعي الاعتبارات البيئية عند مزاولتها لأعمالها (الإنتاج – التسويق - البحوث والتطوير- الإدارة المالية ..... الخ) .
- توجيه جهود واهتمام العاملين والمستويات الإدارية والتنظيمية المختلفة نحو الاهتمام بالبيئة .
- التعريف بالمفاهيم والمصطلحات المستخدمة في الإدارة البيئية .

2 - التدريب ورفع مستوى مهارات العاملين

- تحديد الاحتياجات من المهارات المطلوبة،ووضع خطط وبرامج للتدريب والتأهيل تلبي هذه الاحتياجات .

- التنفيذ الفعلي لخطط وبرامج التأهيل والتدريب ، وتطويرها وتحسينها المستمر.
- توثيق عمليات التدريب والتأهيل،والتقييم المستمر للنتائج .

3 – قنوات الاتصال

- تحديد قنوات الاتصال الداخلية ، وتوفير وسائل الاتصال التي تؤمن التواصل والتنسيق والتكامل بين مختلف الوظائف والمستويات الإدارية.
- تحديد آلية لكيفية الاستجابة والتعاطي مع متطلبات الجهات الخارجية ، واستقبال وتوثيق مستنداتها وتقاريرها.
- تحديد وسائل وآلية نشر وتعميم المعلومات البيئية (شهادات الإثبات والتقيد بالنظم والتشريعات البيئية– التقارير السنوية – تلقي الشكاوي والاستفسارات وغيرها) .

4 – توثيق نظام الإدارة البيئية

- تصميم وإصدار الوثائق اللازمة وتوزيعها والتأكد من تواجدها في موقع تنفيذ العمليات.
- مراجعة الوثائق للتحقق من سلامتها القانونية وتطابقها مع الأغراض المستهدفة ، والعمل على سلامة حفظ وخزن الوثائق .
- تسجيل المعلومات والبيانات بصورة واضحة بما يمكن من تتبعها واسترجاعها بكل سهولة ويسر.

5 – مراقبة العمليات

- تتبع وتوثيق العمليات والأنشطة المختلفة،والتأكد من تطابقها مع السياسات والأهداف البيئية.
- إجراء عمليات الفحص والاختبار على المواد الخام المستخدمة ، وفحص الاتفاقيات والعقود المبرمة مع المنظمات الأخرى والموردين للتأكد من سلامة تنفيذها .

6 – الاستعداد لحالات الطوارئ

- تحديد الحوادث وحالات الطوارئ المحتملة،واتخاذ الإجراءات الكفيلة بمواجهتها (الحرائق– الانبعاثات الغازية – المخلفات الصلبة والسائلة وغيرها) .
- إعداد خطط لمواجهة حالات الطوارئ تتضمن تحديد للأشخاص المسئولين والمستلزمات والوسائل المطلوبة ، خطط للتأهيل والتدريب ، معلومات عن المواد الخطرة والعمليات التي من الممكن أن تؤدي إلى حوادث طارئة.
- إجراء اختبارات على الإجراءات والتدابير المتبعة ومراجعتها في ضوء النتائج وعند الضرورة .

الفحص والإجراءات التصحيحية :

تتم هذه العمليات عن طريق الخطوات التالية:

الخطوة الأولى : المتابعة والقياس

وتتضمن تتبع العمليات وفحصها وتسجيل النتائج والمعلومات معايرة أجهزة وأدوات القياس المستخدمة . مقارنة النتائج بالأهداف البيئية المخططة، الحفظ الجيد للأجهزة وأدوات الفحص والقياس والاختبار.

الخطوة الثانية: تقييم الأداء البيئي :-

وتتطلب هذه الخطوة وجود مواصفات ومعايير محددة يتم على أساسها تقييم الأداء وفق مؤشرات ملموسة ومن هذه المعايير هي مقدار التلوث وحجم الضرر نسبة لكمية المنتج النهائي ، حجم ومقدار المواد الخام والملوثات وأثرها على الموارد الطبيعية (الأرض- المياه - الهواء ....الخ) عدد الحوادث والانتهاكات المتكررة ، مستوى التوافق مع القوانين والتشريعات البيئية النافذة .

الخطوة الثالثة: الإجراءات التصحيحية والوقائية :- وتتضمن هذه الخطوة ما يلي:

- **تحديد الجهات المسئولة عن التعامل مع الاختلالات وحدود سلطتها في اتخاذ الإجراءات الوقائية والتصحيحية .**
- **مواجهة الآثار البيئية من خلال القيام بالعمل التصحيحي والوقائي المناسب في حينه .**
- **تسجيل وتوثيق إجراءات ونتائج العمل التصحيحي والوقائي .**

مراجعة نظام الإدارة البيئية

وتجري عملية المراجعة للنظام أولاً عن طريق المراجعة الدورية التي تستهدف معرفة ما إذا كان النظام المتبع يحقق التطابق مع جميع المتطلبات البيئية ، والتأكد من التطبيق والتنفيذ الفعلي للنظام ، وتقديم المعلومات اللازمة للإدارة العليا في المنظمة وثانياً عن طريق مراجعة الإدارة العليا حيث تقوم الإدارة العليا بمراجعة النظام من حين إلى أخر للتأكد من استمرارية كفاءته وتوأمة مع مختلف الظروف والمتغيرات المحيطة . وتستند عملية المراجعة على ثلاثة متطلبات هي :

- **نتائج الاختبار والمراجعة الدورية للنظام.**
- **المتغيرات والتطورات المحيطة (طبيعية – قانونية - تكنولوجية وغيرها) .**
- **التطوير والتعديل المستمر للمنظمة (الحجم-المنتجات - الهياكل التنظيمية ....الخ) .**

3 - أهمية تطبيق نظم الإدارة البيئية :

تتجلى أهمية تطبيق نظم الإدارة البيئية في منظمات الأعمال بمختلف أنواعها في تلك الفوائد الاقتصادية والاجتماعية المجتمعية العامة والفوائد الخاصة التي تحققها منشآت الأعمال بفعل تطبيق هذه النظم.

وباعتبار منظمات الأعمال جزءاً لا يتجزأ من النظام الاقتصادي والاجتماعي العامة فانه بتطبيق هذه النظم تسهم في تحقيق المنافع العامة الآتية:-

1- الإسهام المباشر وغير المباشر في تحقيق أهداف التنمية المستدامة القائمة على الحفاظ والاستغلال والاستخدام الأمثل للموارد البيئية المتجددة وغير المتجددة بعيداً على الإهدار والاستخدام المفرط .

2- الحفاظ على الموارد البشرية المتاحة وتنميتها سواءً عن طريق الحد والسيطرة على مصادر التلوث البيئي المضرة بالعاملين في المنظمة أو المقيمين في محيطها أو عن طريق تقديم سلع وخدمات بمواصفات وجودة عالية غير مضرة بصحة وسلامة المستهلكين .

3- الالتزام بالسياسات والأهداف البيئية العامة وتطبيق القوانين المتصلة بحماية البيئة وتطبيق هذا النظم تقدم منظمات الأعمال تعهداً أخلاقيا تقر بموجبة بتوجيه أعمالها وأنشطتها في سياق سليم ومتصالح مع البيئة يسهم في تحقيق تنمية تلبي احتياجات الجيل الحاضر دون الإضرار بمستقبل الأجيال القادمة .

أما أهم الفوائد التي تحققها منظمات الأعمال من جراء تطبيق هذه النظم تتمثل في الآتي:-

1- <u>التقليل من المسئولية القانونية والاستفادة من المميزات النسبية التي تمنحها الجهات الرسمية:-</u>

في ظل تزايد الاهتمام الرسمي بقضايا البيئة وترسخ فكرة الربط بين البيئة والتنمية المستدامة أقدمت العديد من البلدان على إصدار قوانين وتشريعات بيئية واتخاذ إجراءات وتدابير بيئية جبرية وتحفيزية بغرض توجيه أنشطة منظمات الأعمال باتجاه متصالح مع البيئة،من أبرز هذه التدابير والإجراءات الآتي:-

- مزاولة الأعمال وفق دراسة وتقييم شامل للآثار البيئية.
- إصدار تراخيص مزاولة الأعمال وفق تعهدات بيئية محددة.
- تعرض منظمات الأعمال التي تترتب عن أعمالها أثار بيئية مضره لعقوبات مدنية وجنائية وغرامات مالية
- تقديم التسهيلات والمساعدات الفنية والتحفيزية للمنظمات التي تراعي الاعتبارات البيئية ، وتستند إلى أسس وقواعد الإدارة البيئية في مزاولة أعمالها .

وبتالي فان تطبيق هذه النظم يمكن منظمات الأعمال من الاستفادة من هذه المميزات ويقلل من مسئوليتها القانونية.

2 – دعم وتعزيز السمعة الاقتصادية والاجتماعية للمنظمة :–

إلى جانب الاهتمام الرسمي المتزايد بقضايا البيئة ظهرت العديد من الجمعيات والمنظمات غير الرسمية المدافعة عن البيئة والمناهضة للتلوث البيئي والداعية إلى حماية المستهلك. وبفعل هذا الاهتمام الرسمي وغير الرسمي تولد وعي واسع بين أوساط المستهلكين بأن المنظمة التي لا تهتم بالبيئة لا يمكنها أن تنتج سلعاً أو تقدم خدمات بمواصفات وجودة عالية . كما أن العديد من هيئات ومؤسسات المجتمع (مؤسسات التمويل – شركات التأمين وغيرها) أخذت تتمسك بالشروط البيئية في تقديم خدماتها كشرط لإرضاء المجتمع المحيط بالأداء البيئي للمنظمة. ولهذا فان تطبيق هذه النظم يعد أحد العوامل التي تدعم وتعزز السمعة الاقتصادية والاجتماعية للمنظمة ، باعتباره شرطاً أساسياً لبقاء واستمرارية المنظم .

3 –تعزيز المركز التنافسي للمنظمة :–

تعد المواصفات العالمية ونظم الإدارة البيئية إيزو Iso 14000 أحدث التطورات النوعية المتصلة بالبيئة والإدارة البيئية . فجميع الجهود التي سبقتها اهتمت بخفض التلوث عن طريق التنظيم والإجراءات القانونية ، أما هذه المواصفات والنظم فقد ركزت على السياسات والخطط الإستراتيجية البيئية متعددة الأبعاد ، وعلى إعادة تصميم جميع العمليات الجارية في منظمات الأعمال . الأمر الذي جعل منظمات الأعمال التي تطبق هذه النظم تحقق مركزاً تنافسياً جيداً في الأسواق بفعل الأتي :–

- خفض تكاليف الإنتاج من خلال إعادة تصميم جميع العمليات الإنتاجية والتسويقية واستخدام تقنيات ملائمة .
- تحسين الكفاءة التشغيلية بفعل الاستخدام الكفء للموارد البشرية والمادية والمالية ، وخفض كمية الخامات المستخدمة وتقليل حجم النفايات ، والاستفادة من عملية إعادة تدوير الهوالك ، والاستغلال الجيد للطاقة ، وإنتاج سلع وخدمات بجودة ترضي رغبات المستهلك والمتعاملين مع المنظمة .
- وجود موارد بشرية مؤهلة وحريصة على تنفيذ وممارسة ثقافة الجودة .
- إحكام عملية المراقبة ومنع وتجنب الكوارث والمشكلات والمخاطر قبل وقوعها .

كل ذلك يحقق عائدات ويعزز من المركز التنافسي للمنظمات التي تطبق نظم الإدارة البيئية .

4 – النفاذ للأسواق الخارجية :–

تعتبر الجودة واحدة من أهم المعايير للتسويق والنفاذ للأسواق الخارجية . ليس فقط باعتبارها مجموعة من الصفات والخصائص التي تتسم بها السلع والتي تتفق مع رغبات وأذواق المستهلكين من حيث الشكل

والتكوين والحجم ....الخ ، بل الجودة باعتبارها مجموعة من الشـروط النوعية التي يتوجب توافرها في السلع مـن حيث المكونات وشـروط السلامة والأمان وأسلوب التعبئة والتغليف والخزن وغيرها. لهذا أصبحت الاعتبارات البيئية واحدة من عناصـر الجودة التي أخذت تتحول تدريجياً إلى شـروط للاتجار الدولي .

وعليه فان منظمات الأعمال التي تراعي الاعتبارات البيئية وتطبق فعلياً نظم الإدارة البيئية وتحصل على شهادة الجودة العالمية إيزو **ISO 14000** يمكن لسلعها أن تنفذ إلى الأسواق الخارجية بكل سهولة ويسر.هذه الفوائد التي تحققها منظمات الأعمال تشكل دوافع حقيقية استدعت ضـرورة الاهتمام بهذه النظم والسعي الحثيث نحو تطبيقها ، نظراً لأهمية المنافع التي تحققها على مختلف المستويات الداخلية (الخاصة بمنشآت الأعمال) والوطنية والإقليمية والدولية.

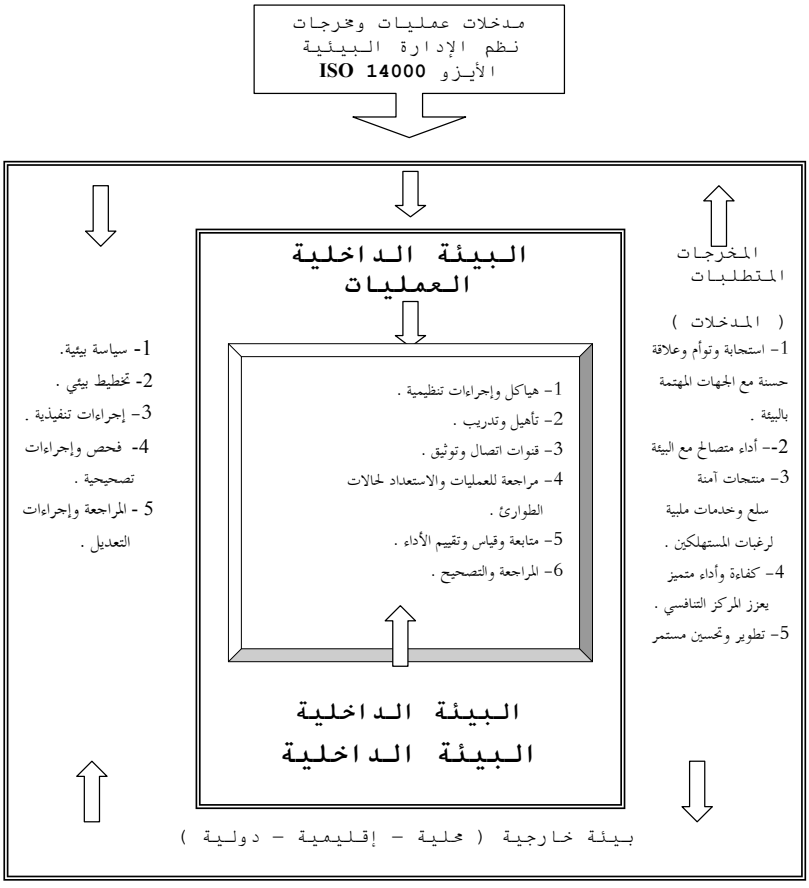

ثانياً : واقع ومعوقات تطبيق نظم الإدارة البيئية في المنظمات الصـناعية اليمنيـة في ضـوء نتـائج التحليـل

الإحصائي والإجابة على أسئلة الدراسة .

1-نتائج التحليل ألوصفي لخصائص أفراد العينة

جدول (1) تكرار للمنظمات الحاصلة على شهادة الجودة (ISO)

وغير الحاصلة على شهادة الجودة

الإجابة	التكرار	النسبة ٪
نعم	7	38.9
لا	11	61.1
المجموع	18	100

يتبين من الجدول (1) بأن أغلب المنظمات الصناعية عينة الدراسة غير حاصلة على شهادة الجودة حيث وصلت نسبتها 61.1 ٪ فيما بلغت نسبة المنظمات الحاصلة على شهادة الجودة 38.9 ٪ فقط .

جدول (2) نوعية شهادة الجودة (ISO) الحاصلة المنظمات الصناعية

نوع الشهادة	عدد المنظمات الحاصلة عليها	النسبة ٪
ISO 9001- 2000	3	42.9
ISO 9001	4	57.1
الإجمالي	7	100

جدول (3) أفراد العينة بحسب الجنس

الجنس	التكرار	النسبة ٪
ذكور	18	100
إناث	_	_

يتضح من الجدول (3) بأن جميع القيادات الإدارية في المنظمات الصناعية عينة الدراسة هم من الذكور

جدول (4) توزع أفراد العينة بحسب الفئات العمرية

الرقم	فئات العمر	التكرار	النسبة٪
1	36 – 25	5	27.8
2	45 – 36	8	44.4
3	55 – 46	5	27.8
	المجموع	18	100

تدل البيانات المعروضة في الجدول (4) بان القيادات الإدارية للمنظمات الصناعية عينة الدراسة قيادات شابة

جدول (5) توزع أفراد العينة بحسب المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	التكرار	النسبة ٪
ثانوية عامة	2	11.1
بكالوريوس	13	72.2
ماجستير	2	11.1
غير ذلك	1	5.6
المجموع	18	100

جدول (6) توزع أفراد العينة بحسب التخصص العلمي

التخصص العلمي	التكرار	النسبة ٪
إدارة أعمال	4	22.2
محاسبة	8	44.4
غير ذلك	4	22.2
بدون	2	11.1
المجموع	18	10

يستخلص من البيانات الواردة في الجدولين (4.5) بأن نسبة 83.3٪ من القيادات الإدارية للمنظمات الصناعية عينة الدراسة هم من حملة المؤهلات العلمية الجامعية (بكالوريوس – ماجستير) وبأن نسبه كبيرة قدرها 66.6٪ من هذه القيادات لديها تخصصات إدارية (محاسبة ، إدارة أعمال)

جدول (7) توزع أفراد العينة بحسب سنوات الخدمة

سنوات الخدمة في المنظمة	التكرار	النسبة ٪
1 – 5	2	11.1
6 – 12	5	27.8
أكثر من 12	11	61.1
المجموع	18	100

تدل البيانات الواردة في الجدول (7) بأن القيادات الإدارية للمنظمات الصناعية لديها خبرات عملية كبيرة. حيث وصلت نسبة من لديهم خبرة عمل أكثر من 12 سنه 61.1٪ فيما وصلت نسبة من لديهم خبرة عمل تتراوح بين 6 – 12 سنه 27.8٪

2 – الإجابة على أسئلة الدراسة في ضوء نتائج التحليل الإحصائي

أ– واقع تطبيق نظم الإدارة البيئية ISO 14000 في المنظمات الصناعية اليمنية

بغرض معرفة وتشخيص هذا الواقع حددت في الدراسة ثلاثة أسئلة في ما يلي نعرض نتائج الإجابة عليها في ضوء نتائج التحليل الإحصائي لإجابات أفراد العينة .

السؤال الأول : هل الإجراءات والتدابير الرسمية وغير رسمية المتاحة كافية ومشجعة وقادرة على توجيه المنظمات الصناعية نحو تطبيق نظم الإدارة البيئية وتوجيه أنشطتها باتجاه متصالح مع البيئة .

للإجابة على هذا السؤال احتوت الاستبانة (الجزء الثاني) على (11) سؤال (فقرة) (1 –11) طلب من أفراد العينة الإجابة عليها بك (نعم ـ لا) أعطيت الإجابة نعم قيمة ترجحيه (1) وللإجابة (لا) قيمة ترجحيه(0) .

وزعت هذه الأسئلة إلى ثلاثة محاور هي :

- إجراءات وتدابير قانونية وإدارية . الفقرات (1 –6)
- إجراءات وتدابير اقتصادية . الفقرات (7 – 8)
- ضغوط مجتمعية (غير رسمية) . الفقرات (9 – 11)

وقد جاءت نتائج التحليل الإحصائي على النحو الآتي :

1 – الإجراءات والتدابير القانونية والإدارية

جدول (8) نتائج التحليل للإجراءات والتدابير القانونية والإدارية (1 – 6) مرتبة بحسب الأهمية النسبية تصاعدياً

الرقم	السؤال(الفقرة)	التكرار		النسبية		المتوسط	الانحراف
		نعم	لا	نعم	لا	الحسابي	المعياري
1-	توجد قيود وحظر رسمي على تصدير واستيراد منتجات خطرو أو مضرة بالصحة العامة	16	2	88.9	11.1	0.89	0.323
2-	توجد جهة رسمية (حكومية) تقوم بالتفتيش والفحص والاختيار ولمراقبة وتقييم الأداء البيئي للمنظمات الصناعية اليمنية والتأكد من التقيد بالضوابط القانونية البيئية	15	3	83.3	16.7	0.83	0.383
3-	توجد نظم ولوائح حكومية تلزم المنظمات الصناعية بالحفاظ على البيئية وتنميتها المستدامة (الهواء – المياه – التربة وغيرها)	13	5	72.2	27.8	0.72	0.461
4-	توجد قوانين ونظم ولوائح حكومية انتم على علم بها تلزم المنظمات الصناعية بالتقيد بضوابط البيئية محدده ، أو ترشدها بتعديل أنشطتها باتجاه متصالح مع البيئية والحفاظ عليها	12	6	66.7	33.3	0.67	0.485
5-	توجد أنظمة ولوائح حكومية تحدد معايير للتلوث ، وتفرض على المنظمات الصناعية استخدام طرق وأساليب محددة للتجهيز والإنتاج	12	6	66.7	33.3	0.67	0.485
6-	توجد جهة رسمية (حكومية) تضع معايير بيئية للمنتجات تبين الخصائص التي يتوجب توافرها في المنتجات الصناعية الجديدة	12	6	66.7	33.3	0.67	0.485

بيانات الجدول (8) تشير إلي :

أ- حصول الفقرة (1) على أعلى نسبة إجابة – نعم قدرها 88.9 ٪ ومتوسط حسابي قدره 0.98 ،تليها الفقرة (2) بنسبة 83.3٪ ومتوسط حسابي 0.83 ، ثم الفقرة (3) بنسبة 72.2٪ ومتوسط حسابي 0.72.

ب- حصول الفقرات (4-6) على نسبة متساوية قدرها 66.7٪ ومتوسط حسابي قدره 0.485.

وإجمالاً فان إجابة أفراد العينة "بنعم" على الفقرات من (1-6) كانت بنسبة متوسطة قدرها 74.1٪

الأمر الذي يشير إلى وجود إجراءات وتدابير قانونية وإدارية ورسمية بمستوى جيد.

2- الإجراءات والتدابير الاقتصادية

جدول (9) نتائج التحليل للإجراءات والتدابير الاقتصادية (7-8) مرتبو بحسب الأهمية النسبية تنازلياً

الرقم	السؤال (الفقرة)	التكرار		النسبة		المتوسط	الانحراف
		نعم	لا	نعم	لا	الحسابي	المعياري
-1	توجد تسهيلات أو إعفاءات أو إعانات تقدمها الحكومة للمنظمات الصناعية التي تسعى لتوجيه أنشطتها باتجاه متصالح مع البيئة	1	17	5.6	94.4	0.06	0.236
-2	تعرض الحكومة ضرائب أو رسوم على المنتجات الخطرة والمضرة بالصحة وعلى الانبعاثات الملوثة الناتجة عن أنشطة المنظمات الصناعية	8	10	44.4	55.6	0.44	0.511

يلاحظ من بيانات الجدول (9) بان الإجابة على الفقرة (1) ب (لا) حصلت على أعلى تكرار قدره (17) ونسبة مئوية قدرها 94.4 ٪ . ومتوسط حسابي 0.06.

فيما حصلت الفقرة (2) على الإجابة ب (لا) نسبة 55.6٪ . ومتوسط حسابي 0.44 .إي أن النسبة المتوسطة للإجابة على الفقرتان (1-2) بـ " لا" تصل إلى 75٪

هده المؤشرات تؤكد على الآتي:

أ- بان الإجراءات والتدابير الاقتصادية الرسمية التشجيعية والعقابية ضعيفة جدا

ب- بان الإجراءات الاقتصادية التشجيعية والتحفيزية وفقا لأجابه أفراد العينة شبه معدومة ؟ فيما الإجراءات العقابية (الغرامات والرسوم وغيرها)ضعيفة.

ولهذا فان هذه الإجراءات والتدابير غير قادرة على توجيه أنشطه المنظمات الصناعية باتجاه متصالح مع البيئة،وغير مشجعه أيضاً على تطبيق نظم الإدارة البيئية

3- **الضغوط المجتمعية غير الرسمية**

جدول (10) نتائج التحليل للعوامل المجتمعية الضاغطة (غير الرسمية) (9- 12)

مرتبة بحسب الأهمية النسبية تنازلياً

الرقم	السؤال (الفقرة)	التكرار		النسبة		المتوسط	الانحراف
		نعم	لا	نعم	لا	الحسابي	المعياري
1-	توجد أي احتجاجات من المجتمع المحيط لمنظمتكم الصناعية تشكو من أثار بيئية حالية أو محتملة عن أنشطتها	4	14	22.2	77.8	0.22	0.428
2-	توجد أي جهات غير حكومية (منظمات غير رسمية) تراقب الآثار البيئية الناتجة عن أنشطة المنظمات الصناعية ، وتضغط باتجاه تعديلها باتجاه متصالح مع البيئة .	5	13	27.8	72.2	0.28	0.461
3-	انتم على علم بحصول أي نوع من أنواع الاحتجاجات المجتمعية على أنشطة المنظمات الصناعية الملوثة للبيئة والمنتجة لمنتجات خطيرة ومضرة بالصحة العامة .	5	13	27.8	72.2	0.28	0.461

من بيانات الجدول (10) نلاحظ بان لإجابة على الفقرة (1) بـ"لا" حصلت على أعلى نسبة 77.8٪ ومتوسط حسابي 0.22 ، وحصلت الفقرتان (2-3) على إجابة متساوية بـ "لا" وقدرها 72.2٪ . ومتوسط حسابي 0.28. أي أن النسبة المتوسطة للإجابة ب "لا" على الثلاث الفقرات تصل إلى 74.1٪ .

هذه النتيجة تؤكد بان دور العوامل المجتمعية الضغطة ضعيف جداً بل شبة منعدم وبالتالي فان هذه العوامل لا تشكل الضغط المطلوب على المنظمات الصناعية في تطبيق نظم الإدارة البيئية .

جدول (11) تحليل المتوسطات للفقرات (1-11)

المجموعة	الفقرة	المتوسط	انحراف المعياري
إجراءات قانونية وإدارية	1-6	0.7417	0.09559
إجراءات اقتصادية	7-8	0.2500	0.26870
ضغوط مجتمعية	9-11	0.2600	0.03464
المجموع		0.5209	0.27635

وبغرض معرفة الارتباط بين المتغيرات(المحاور) الثلاثة (القانونية والإدارية – الاقتصادية – الضغوط المجتمعية). ومن ثم الإجابة على السؤال الأول للدراسة . ثم استخدام اختبار التأثير الخطي TEST FOR LINERETY للكشف عما إذا كان هناك اتجاه عام خطي معنوي لأوساط المعالجات في تحليل التباين لمعيار واحد، و أيضاً معامل الاقتران (الارتباط) ETA و ETA-SQUARW التي تمثل نسبة التباينات الكلية في المتغير المعتمد التي يفسرها المتغير المستقل ، ومعامل الارتباط البسيط (R) ومعامل التحديد (R2) لقياس جودة توفيق نموذج الانحدار الخطي .

وبعد إجراء التحليل تم الحصول على النتائج الآتية :

1 – بينت نتائج جدول التحليل التباين وجود فروق معنوية بين متوسطات المجموعات الثلاث ، حيث بلغت قيمة اختبار F.TEST(F=21.396) .وقيمة مستوى المعنوية المقابلة لإحصائية (F) تساوي (0.001) وهي اقل من مستوى الدلالة 5٪ .

2 – بلغت قيمة(F) لاختبار TEST FOR LINERETY (F=6.695) . وقيمة مستوى المعنوية المقابلة لإحصائية (F) تساوي (0.032).

هذه النتيجة تشير إلى رفض الفرضية القائلة [أن أوساط المعالجات تقع على خط مستقيم . بمعنى أن الأوساط تنحرف عن الخط المستقيم .

3 – بلغت قيمة ETA(0.918) و ETA-SQUARW =0.842 ومعامل الارتباط (R=0.843) و R2= 0.711 وهذه النتائج تشير إلى وجود ارتباط قوي بين المجموعات (المحاور) الثلاثة المبينة في جدول (11).

من نتائج التحليل الإحصائي نستخلص النتائج العامة الآتية :

1 – توافر إجراءات وتدابير قانونية وإدارية رسمية بمستوى جيد ، يقابلها ضعف شديد في توافر الإجراءات والتدابير الاقتصادية وفي عوامل الضغط المجتمعية غير الرسمية.

2 – علاقة الارتباط القوية والتأثير المتبادل بين المجموعات الثلاث (القانونية والإدارية – الاقتصادية – عوامل الضغط المجتمعية غير الرسمية) ومتغيراتها المختلفة في ظل ضعف وغياب مجموعة منها تؤثر سالباً على اثر وفاعلية المجموعة التي تتوافر فيها نقاط قوة .

هذه النتائج تدل بأن الإجراءات والتدابير الرسمية وغيرا لرسمية المتاحة غير كافية وغير مشجعة وغير قادرة على توجيه المنظمات الصناعية نحو تطبيق نظم الإدارة البيئة وتوجيه أنشطتها باتجاه متصالح مع البيئة وفي

ذالك إجابة واضحة على السؤال الأول من أسئلة الدراسة .

السؤال الثاني: هل توجد لدى المنظمات الصناعية اليمنية توجهات وتدابير عملية تسعى من خلالها لتطبيق نظم الإدارة البيئة.

للإجابة على هذا السؤال ومعرفة مدى توافر تدابير بيئية لدى المنظمات الصناعية اليمنية تتوافق مع المواصفات والقواعد العالمية ونظم الإدارة البيئية (ISO 14000) . احتوت الاستبانة" الجزء الثاني " على (12) سؤال فقرة (12 – 23) .طلب من القيادات الإدارية للمنظمات الصناعية الإجابة عليها بـ (نعم – لا) وقد جاءت نتائج التحليل الإحصائي للإجابات أفراد العنيه على النحو الآتي :

نلاحظ من بيانات الجدول (12) بان الفقرات (1 –2) حصلت على أعلى نسبة قدرها 100٪، تليها الفقرة (3) بنسبة 94.4٪ ،ثم الفقرة (4) بنسبة 77.8٪ ، وحصلت الفقرات (5 –7) على نسبة واحده قدرها 72.2٪ ، كما حصلت الفقرات من (8 –10) هي الأخرى على نسبة واحدة قدرها 66.7٪ ، إما الفقرة (11) فقط حصلت على نسبة 50٪ ،وحصلت الفقرة (12) على ادني نسبة 44.4٪ .

وبالعودة إلى مضامين الفقرات الحاصلة على نسب عالية وفقاً لإجابات عينة الدراسة (1 –7) سنجد بأنها تحتوي إجراءات وتدابير ليست ذات علاقة مباشرة بتطبيق نظم الإدارة البيئية بالرغم من أهميتها في إطار منظومة ومتطلبات هذه النظم ويتم تطبيقها في منظمات الأعمال تنفيذاً لمتطلبات أخرى إدارية وقانونية داخلية وخارجية (قوانين وأنظمة عامة . السلامة والأمن الصناعي – شروط تجارية خاصة بالمنتج وبسلامة تنفيذ الاتفاقيات والعقود مع الموردين – تطوير مهارات العاملين وغيرها) .

وعند الإمعان بمضامين الفقرات التي حصلت على نسب مئوية ضعيفة أعلاها 66.7 ٪ وأدناها 44.4٪ الفقرات (8 –12) سنجد بأنها تحتوي على إجراءات وتدابير ذات صلة مباشرة وجوهرية بتطبيق المواصفات والقواعد الأساسية لنظم الإدارة البيئية (سياسات وبرامج بيئية مكتوبة محددة الأهداف – هيكل تنظيمي يعنى بالإدارة البيئية – تقييم ومراجعة بيئية مستمرة – نظم خاصة بالاتصالات والمعلومات البيئية وغيرها).

هذا الأمر يشير إلى أن التوجهات والتدابير البيئية المتبعة في المنظمات الصناعية اليمنية ضعيفة والجزء الأكبر منها يأتي في سياق تحقيق غايات أخرى وبذلك فهي لا تلبي القدر اللازم من شروط ومتطلبات تطبيق نظم الإدارة البيئية . وفي الإجابة على السؤال الثاني من أسئلة الدراسة يمكن القول بان لدى المنظمات الصناعية اليمنية توجهات وتدابير بيئية لكنها دون المستوى الذي يحقق تطبيق متطلبات نظم الإدارة البيئية.

جدول (12) نتائج التحليل على إجابات أفراد العينة على الفقرات (12-23) مرتبة بحسب أهميتها تصاعدياً

الرقم	السؤال (الفقرة)	التكرار		النسبية		المتوسط	الانحراف
		نعم	لا	نعم	لا	الحسابي	المعياري
1-	توجد لدى منظمتك إجراءات وتدابير خاصة لمواجهة حالة الطوارئ (الحرائق- التسربات المفاجئة وغيرها)	18	0	100	0	1.00	0.000
2-	تلتزم منظمتكم بالضوابط البيئية العامة (ترخيص التشغيل –ضوابط اختيار الموقع –تراخيص مزولة الأعمال –الضرائب والرسوم والغرامات البيئية) .	18	0	100	0	1.00	0.000
3-	تتبع منظمتكم إجراءات عملية يتم بموجبها فحص واختبار المواد الخام وفحص ومراجعة اتفاقية العقود مع الموردين للتأكد من سلامتها وتطبقها مع الموصفات المطلوبة	17	1	94.4	5.6	0.94	0.236
4-	توجد لدى منظمتكم أنظمة خاصة بالسيطرة والحد من اثأر الملوثات والمخالفات المضرة بالموارد الطبيعية (نظم معالجة المخلفات الغازية – السائلة –الصلبة – نظم إعادة تدوير النفايات وغيرها)	14	4	77.8	22.2	0.87	0.428
5-	توجد لدى منظمتكم برامج تطويرية راعيتم عند وضعها الاعتبارات البيئية، تحديداً المواد الخام والتكنولوجيا المستخدمة المضرة بالبيئة.	13	5	72.2	27.8	0.72	0.461
6-	تضع منظمتكم معايير المنتج على منتجاتها التي تبين خصائصه من حيث الاستعمال والسلامة وشروط التعبئة وبيانات الترسيم البيئي وغيرها	13	5	72.2	27.8	0.72	0.461
7-	توجد لدى منظمتكم برامج لتدريب وتطوير مهارات العاملين خاصة بالتطوير والتحسين المستمر للأداء البيئي للمنظمة	13	5	72.2	27.8	0.72	0.461
8-	توجد لدى منظمتكم سياسة بيئية مكتوبة ومعلنة تتضمن الالتزام بالسياسات البيئية والأهداف والتشريعات البيئية العامة ، وبحماية البيئة والصحة العامة ، وبالتحسين المستمر ومنع التلوث	12	6	66.7	33.3	0.67	0.485
9-	توجد في الهيكل التنظيمي لمنظمتكم جهة محددة تعنى بالإدارة البيئية ، ومحددة بوضوح مسؤوليتها وسلطتها .	12	6	66.7	33.3	0.67	0.485
10-	تقوم منظمتكم بمراجعة وتقييم وتصحيح أداءها البيئي في ضوء السياسات البيئية العامة وشكوى زبائنها والمجتمع المحيط بها والشروط الدولية للتجار الدولي	12	6	66.7	33.3	0.67	0.485
11-	توجد لدى منظمتكم خطط وبرامج بيئية محددة الأهداف مبنية على الدراسة والتحديد الدقيق للآثار والإبعاد البيئية الناتجة عن أنشطتها	9	9	50	50	0.50	0.514
12-	يوجد لدى منظمتكم نظام خاص بالاتصالات والمعلومات البيئية يحدد قنوات الاتصالات الداخلية والخارجية ووسائل واليات تصميم وجمع المعلومات البيئية ونشرها وتعميمها	8	10	44.4	55.6	0.44	0.511

السؤال الثالث : هل هناك علاقة بين حصول المنظمات الصناعية على شهادة الجودة العالمية (ISO) وتطبيق نظم الإدارة البيئية .

بهدف الإجابة على هذا السؤال احتوت الاستبانة في الجزء الأول منها على سؤال طلب من خلاله من قيادات المنظمات الصناعية عينة الدراسة الإجابة عما إذا كانت المنظمة حاصلة على شهادة الجودة أم لا ، وذكر نوع الشهادة الحاصلة عليها في حالة الإجابة بنعم .

بلغ عدد المنظمات الحاصلة على شهادة الجودة (7) منظمات وغير الحاصلة على شهادة الجودة (11) منظمة (انظر الجدول(1)) .

وقد تم فرز إجابات المنظمات الصناعية الحاصلة على شهادة الجودة وغير الحاصلة على شهادات الجودة كلاً على حده على الأسئلة للفقرات (12-23) ومن ثم إجراء التحليل الإحصائي للبيانات وكانت النتيجة على النحو الآتي :

1. إجابات المنظمات الصناعية الحاصلة على شهادات الجودة ISO

من بيانات الجدول (13) يتضح ما يلي :

1- حصول الفقرات (1-5) على أعلى نسبة قدرها 100٪ أي أن جميع هذه المنظمات لديها إجراءات وتدابير بيئية بدرجة دلالة ممتاز بموجبها تتقيد الضوابط البيئية العامة ، وإجراءات عملية توجه أنشطتها باتجاه متصالح مع البيئة ومن خلالها تواجه حالات الطوارئ . كما أن لديها في أطار هيكلها التنظيمي جهة إدارية خاصة تعنى بالإدارة البيئية وبإجراء عمليات الفحص والاختيار.

2- حصول الفقرات (6-9) على نسبة قدرها 85.7٪ وهي درجة دلالة جيده جداً ، تشير بأن هذه المنظمات لديها سياسات بيئية واضحة وبرامج وأهداف بيئية محدده . وبأنها تضع معايير المنتج والترسيم البيئي على منتجاتها ، وتقوم بمراجعة وتقييم وتصحيح أدائها البيئي وفقاً للمتطلبات البيئية المحلية والخارجية . وحصول الفقرات (10-12) على نسبة قدرها 71.4٪ وهي درجة دلالة جيده ، تشير إلى أن هذه المنظمات تراعي في برامجها التطورات والاعتبارات البيئية ، وبرامج لتدريب وتطوير مهارات العاملين خاصة بالتطوير والتحسين البيئي ، ولديها نظم خاصة بالاتصالات والمعلومات البيئية .هذه الإجراءات والتدابير التي تصل بمجملها إلى نسبة متوسطها قدرها 88٪ تشتمل على المكونات الأساسية لمدخلات وعمليات الإدارة البيئية .

وعليه يمكن القول بان المنظمات الحاصلة على شهادة الجودة تطبق نظم الإدارة البيئية بدرجة مرضية.

جدول (13) نتائج التحليل الإحصائي لإجابات المنظمات الصناعية الحاصلة على شهادة الجودة على الفقرات (12-23) مرتبة بحسب الأهمية النسبية تصاعدياً

الرقم	الفقرة (السؤال)	التكرار		النسبية		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
		نعم	لا	نعم	لا		
1-	توجد لدى منظمتكم أنظمة خاصة بالسيطرة والحد من اثأر الملوثات والمخلفات المضرة بالموارد الطبيعية (نظم معالجة المخلفات الغازية والسائلة والصلبة – نظم إعادة تدوير النفايات)	7	0	100	0	1.00	0.000
2-	توجد لدى منظمتكم إجراءات وتدابير خاصة لمواجهة حالات الطوارئ (الحرائق – التسربيات المفاجأة وغيرها)	7	0	100	0	1.00	0.000
3-	تلتزم منظمتكم بالضوابط البيئية العامة (تراخيص التشغيل – ضوابط اختيار الموقع – تراخيص مزاولة الأعمال – الضرائب والرسوم والغرمان البيئية)	7	0	100	0	1.00	0.000
4-	تتبع منظمتكم إجراءات عملية يتم بموجبها فحص واختيار المواد الخام ، وفحص ومراجعة الاتفاقيات والعقود مع الموردين للتأكد من سلامتها وتطبيقها مع الموصفات المطلوبة .	7	0	100	0	1.00	0.000
5-	توجد في الهيكل التنظيمي لمنظمتكم جهة محددة تعنى بالإدارة البيئية ، ومحدد بوضوح مسؤولياتها وسلطاتها	7	0	100	0	1.00	0.000
6-	توجد لدى منظمتكم سياسة بيئية مكتوبة ومعلنة تتضمن الالتزام بالسياسات البيئية والأهداف والتشريعات البيئية العامة، وبحماية البيئة والصحة العامة ، وبالتحسين المستمر ومنع التلوث .	6	1	85.7	14.3	0.86	0.378
7-	توجد لدى منظمتكم خطط وبرامج بيئية محدده الأهداف مبنية على الدراسة والتحديد الدقيق للآثار والإبعاد البيئية الناتجة عن أنشطتها	6	1	85.7	14.3	0.86	0.378
8-	تضع منظمتكم معايير المنتج على منتجاتها التي تبين خصائصه من حيث الاستعمال والسلامة وشروط التعبئة وبيانات الترسيم البيئي وغيرها	6	1	85.7	14.3	0.86	0.378

الرقم	الفقرة (السؤال)	التكرار		النسبية		المتوسط	الانحراف
		نعم	لا	نعم	لا	الحسابي	المعياري
9-	تقوم منظمتكم بمراجعة وتقييم وتصحيح أدائها البيئي في ضوء السياسات البيئية العام وشكاوي الزبائن والمجتمع المحيط والشروط الدولية للاتجار	6	1	85.7	14.3	0.86	0.378
10-	توجد لدى منظمتكم برامج تطويرية واعتبرتم عند وضعها الاعتبارات البيئية ، تحديداً المواد الخام والتكنولوجيا المستخدمة	5	2	71.4	28.6	0.71	0.488
11-	توجد لدى منظمتكم نظام خاص بالاتصالات والمعلومات البيئية يحدد قنوات الاتصال ووسائل واليات تصميم وجمع البيانات ونشرها	5	2	71.4	28.6	0.71	0.488
12-	توجد لدى منظمتكم برامج لتدريب وتطوير مهارات العاملين الخاصة بالتطوير والتحسين المستمر للأداء البيئي للمنظمة	5	2	71.4	28.6	0.71	0.488

2. إجابات المنظمات الصناعية غير الحاصلة على شهادات الجودة .

جدول (14) نتائج التحليل الإحصائي لإجابات المنظمات الصناعية غير الحاصلة على شهادة الجودة ISOعلى الفقرات (12-23) مرتبة بحسب الأهمية تصاعدياً

الرقم	الفقرة (السؤال)	التكرار		النسبية		المتوسط	الانحراف
		نعم	لا	نعم	لا	الحسابي	المعياري
1-	توجد لدى منظمتكم إجراءات وتدابير خاصة لمواجهة حالات الطوارئ (الحرائق – التسربات المفاجئة وغيرها)	11	0	100	0	1.00	0.000
2-	تلتزم منظمتكم بالضوابط البيئية العامة (تراخيص التشغيل – ضوابط اختيار الموقع – تراخيص مزاولة الأعمال – الضرائب والرسوم والغرامات البيئية)	11	0	100	0	1.00	0.000
3-	تتبع منظمتكم إجراءات عملية يتم بموجبها فحص واختيار المواد الخام ، وفحص ومراجعة الاتفاقيات والعقود مع الموردين للتأكد من سلامتها وتطبيقها مع الموصفات المطلوبة .	10	1	90.9	9.1	0.91	0.302
4-	توجد لدى منظمتكم برامج تطويرية راعيتم عند وضعها الاعتبارات البيئية ، تحديداً المواد الخام والتكنولوجيا المستخدمة المضرة بالبيئة	8	3	72.7	27.3	0.73	0.467

5-	توجد لدى منظمتكم برامج لتدريب وتطوير مهارات العاملين الخاصة بالتطوير والتحسين المستمر للأداء البيئي للمنظمة	8	3	72.7	27.3	0.73	0.467
6-	توجد لدى منظمتكم أنظمة خاصة بالسيطرة والحد من اثأر الملوثات والمخلفات المضرة بالموارد الطبيعية (نظم معالجة المخلفات الغازية والسائلة والصلبة – نظم إعادة تدوير النفايات)	7	4	63.6	36.4	0.64	0.505
7-	تضع منظمتكم معايير المنتج على منتجاتها التي تبين خصائصه من حيث الاستعمال والسلامة وشروط التعبئة وبيانات الترسيم البيئي وغيرها	7	4	63.6	36.4	0.64	0.505
8-	توجد لدى منظمتكم سياسة بيئية مكتوبة ومعلنة تتضمن الالتزام بالسياسات البيئية والأهداف والتشريعات البيئية العامة ، وبحماية البيئة والصحة العامة ، وبالتحسين المستمر ومنع التلوث	6	5	54.5	45.5	0.55	0.522
9-	تقوم منظمتكم بمراجعة وتقييم وتصحيح أدائها البيئي في ضوء السياسات البيئية العام وشكاوي الزبائن والمجتمع المحيط والشروط للاتجار الدولي	6	5	54.5	45.5	0.55	0.522
10-	توجد في الهيكل التنظيمي لمنظمتكم جهة محددة تعنى بالإدارة البيئية ، ومحدد بوضوح مسؤولياتها وسلطاتها	5	6	45.5	54.5	0.45	0.522
11-	توجد لدى منظمتكم خطط وبرامج بيئية محدده الأهداف مبنية على الدراسة والتحديد الدقيق للآثار والإبعاد البيئية الناتجة عن أنشطتها	3	8	27.3	72.3	0.27	0.467
12-	توجد لدى منظمتكم نظام خاص بالاتصالات والمعلومات البيئية.	3	8	27.3	72.7	0.27	0.467

من بيانات الجدول (14) يلاحظ الآتي :

1- حصول الفقرات (1-2) على نسبة 100٪ والفقرة (3) على نسبة 90.9 ٪ وبدرجة دلالة ممتاز ، وحصول الفقرات (4-5) على نسبة 72.7٪ بدرجة دلالة جيده ، والفقرات (6-7) نسبة 63.6٪ بدرجة دلالة متوسطة ، والفقرتان (8-9) نسبة 54.5٪ بدرجة دلالة مقبولة ، والفقرة (10) نسبة 45.5بدرجة دلالة ضعيفة ، والفقرات (11-12) نسبة 27.7٪ بدرجة دلالة ضعيفة جداً .

2 – الفقرات (1–3) الحاصلة على نسبة عالية .من المحتمل بل من المؤكد بأن تطبيقها يأتي في سياق غير مباشر مع نظم الإدارة البيئية بل لإغراض أخرى ، (الأمن الصناعي – المتطلبات الحكومية البيئية وغير البيئية – اتفاقيات تجارية) وفي نفس السياق يتم تطبيق الإجراءات التي تتضمنها الفقرات (4–5) الحاصلة على نسبة 72.7٪ .

3 – الفقرات (6–12) الحاصلة على نسبة تقع بين 63.6 ٪ و 27.3٪ فهي من حيث المضمون تحتوي على الإجراءات وتدابير جوهرية تشكل بمجموعها المكونات الأساسية لمدخلات وعمليات نظم الإدارة البيئية . هذه الفقرات (6–12) إجمالا حصلت على نسبة متوسطة قدرها 28٪ فقط .هذه النسبة تشير إلى أن المنظمات الصناعية غير الحاصلة على شهادات الجودة ليس لديها توجهات ولا تدابير بيئية فعلية تعمل من خلالها على تطبيق نظم الإدارة البيئية .

جدول (15) تحليل المتوسطات لإجابة المنظمات الحاصلة على شهادة الجودة وغير الحاصلة عليه على الفقرات (12–23)

المجموعة	المتوسط	عدد المجموعة	الانحراف
الحاصلة على شهادة الجودة	0.8810	7	0.12599
غير الحاصلة على شهادة الجودة	0.6439	11	0.25844
	0.7361	18	0.24296

وبهدف التأكد من صحة نتائج التحليل الإحصائي الوصفي والإجابة على السؤال الثالث من أسئلة الدراسة . تم استخدام اختبار مقارنة المتوسطات ، بالإضافة إلى إجراء تحليل التباين لمعيار واحد واختبار الاقتران (الارتباط) ETA.

وقد أظهرت نتائج تحليل التباين وجود فروق معنوية بين المتوسطات ، حيث بلغت قيمة اختبار F.TEST (F=5.038) وقيمة مستوى المعنوية المقابلة لإحصائية F تساوي (0.039) وهي اقل من مستوى الدلالة 5٪ ، إما مقياس ETA لاقتران (الارتباط) فقد بلغت (0.489) . وهي تشير إلى وجود ارتباط ضعيف بين إجابات المجموعتين ، هذه النتائج تؤكد صحة نتائج التحليل الوصفي التي تشير إلى أن المنظمات الصناعية الحاصلة على شهادات الجودة تطبق نظم الإدارة البيئية وبان المنظمات غير الحاصلة على شهادات الجودة لا توجد لديها توجهات ولا تدابير عملية تسعى من خلالها لتطبيق هذه النظم .

هذه النتائج أجمالاً تجيب على السؤال الثالث من أسئلة الدراسة بأن هناك علاقة بين تطبيق نظم الإدارة البيئية في المنظمات الصناعية اليمنية ، وحصول هذه المنظمات على شهادات الجودة (ISO) .

ب – معوقات تطبيق نظم الإدارة البيئية ISO14000 في المنظمات الصناعية اليمنية

السؤال الرابع : ماهي العوامل (المعوقات) المؤثرة على عدم تطبيق هذه النظم من وجهه نظر القيادة الإدارية للمنظمات الصناعية اليمنية ؟

لمعرفة العوامل أو المعوقات الأكثر تأثيراً على عدم تطبيق هذه النظم من وجهه نظر القيادة الإدارية للمنظمات الصناعية اليمنية. احتوى الجزء الثالث من الاستبانة على قائمة بالعوامل (12 سؤال- فقرة) افترض بأنها معوقات تحول دون تطبيق هذه النظم ، واستخدام المعيار الخماسي للإجابة على هذه الفقرات (مهم جداً – مهم – متوسط الأهمية- محدود الأهمية – عديم الأهمية) وأعطيت قيمة ترجيحية للخمس الإجابات وعلى التوالي (1،2،3،4،5،) تم تقييم العوامل (المعوقات) المفترضة إلى جزئيين . معوقات خارجية الفقرات (1-7) . معوقات داخلية خاصة بالمنظمات (8-12) وبعد المعالجة الإحصائية للبيانات جاءت النتائج على النحو الآتي :

1-المعوقات الخارجية

جدول (16) نتائج التحليل الإحصائي للمعوقات الخارجية ووفقاً لإجابات العينة مرتبة بحسب الأهمية

الرقم	السؤال(الفقرة)	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
-1	عدم الاهتمام مؤسسات التربية والتعليم ووسائل الإعلام الرسمية والأهلية بنشر الوعي البيئي	18	4.56	1.042
-2	ضعف الاهتمام الرسمي بقضايا البيئة أجمالا	18	4.33	0.840
-3	حداثة هذه النظم وعدم معرف المجتمع بمؤسساته الرسمية وغير الرسمية بمضامين وأهمية هذه النظم	18	4.33	0.970
-4	عدم وجود جهة رسمية تعنى بنابعة ومراقبة تطبيق هذه النظم	18	4.17	1.150
-5	عدم وجود قوانين وتشريعات تلزم المنظمات الصناعية بتطبيق هذه النظم	18	4.17	1.150
-6	غياب الدر المجتمعي الضاغط (جماعات وإفراد- مستهلكين – منظمات وجمعيات وغيرها من منظمات المجتمع المدني).	18	4.06	0.938
-7	عدم وجود إجراءات وتدابير اقتصادية محفزة لتطبيق هذه النظم (غرامات -ضرائب – إعفاءات – إعانات وغيرها)	18	3.94	1.305

من بيانات الجدول (16) نستنتج الآتي :

1-تفاوت درجة اثر المعوقات الخارجية حيث حصلت الفقرة (1) على أعلى متوسط حسابي 4.56 ، تليها الفقرتان (2،3) بمتوسط حسابي 4.33 . بمعنى أن هذه الفقرات (العوامل) مؤثرة جداً . إما الفقرات (4-7) فقد حصلت على أعلى متوسط حسابي قدره 4.17 وادني متوسط حسابي قدره 3.94 . أي أن هذه العوامل مؤثرة ، وعلية يمكن القول بان العوامل الخارجية السبعة المعروضة مؤثرة من وجهه نظر القيادات الإدارية للمنظمات الصناعية .

2-تفاوت درجة أثر العوامل الخارجية حيث احتلت العوامل المتصلة بالوعي البيئي المرتبة الأولى من بين العوامل الخارجية المؤثرة على تطبيق نظم الإدارة البيئية (عدم اهتمام مؤسسات المجتمع التعليمية والإعلامية الرسمية وغير الرسمية بنشر الوعي البيئي – ضعف الاهتمام الرسمي بقضايا البيئية – وعدم معرفة المجتمع بمؤسساته المختلفة بمضامين وأهمية هذه النظم) .

واحتلت العوامل المتصلة بالتشريعات والرقابة المرتبة الثانية ، وجاء غياب الدور المجتمعي غير الرسمي الضاغط في المرتبة الثالثة ، فيما جاءت العوامل الاقتصادية في المرتبة الرابعة و الأخيرة .

2-العوامل الداخلية :

جدول (17) نتائج التحليل الإحصائي للمعوقات الداخلية (الخاصة بالمنظمات)

وفقاً لإجابات العينة مرتبة بحسب الأهمية

الرقم	السؤال(الفقرة)	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
1-	التكاليف الكبيرة المطلوبة لتطبيق هذه النظم وإجراء التعديلات المطلوبة لأنشطة المنظمات بما يتلاءم وهذه النظم	18	4.56	0.784
2-	المعرفة غير الكافية لدى إدارة المنظمات بهذه النظم ومتطلباتها	18	4.06	1.056
3-	المعرفة غير الكافية لدى إدارة المنظمات بدور وأهمية تطبيق هذه النظم في الاتجار الدولي ونفاذ منتجاتها للأسواق الخارجية	18	4.00	1.029
4-	إنتاج المنظمات الموجه نحو الاستهلاك المحلي وعدم اهتمامها بنفاذ منتجاتها للأسواق الخارجية	18	3.72	1.127
5-	عدم اهتمام المنظمات بتطبيق هذه النظم كون المجتمع المحلي لا يهتم بالآثار والإبعاد البيئية الناتجة عن أنشطتها	18	3.17	1.249

من بيانات الجدول (17) نلاحظ الآتي :

1- حصول الفقرة (1) على متوسط حسابي 4.56. الأمر الذي يعني بأن تكاليف تطبيق هذه النظم من وجهه نظر القيادات الإدارية عائق مؤثر جداً على عدم تطبيقها لهذه النظم .

2- حصول الفقرات (2،3) على متوسط حسابي على التوالي قدره 4.06 ، 4.00 ، ذلك يعني بأن المعرفة غير الكافية بهذه النظم ومتطلباتها ، ودورها وأهميتها في الاتجار الدولي من قبل القيادات الإدارية يعد عاملاً مؤثراً على عدم تطبيق هذه النظم .

3- حصول الفقرات (4، 5) على متوسط حسابي على التوالي 3.72 ، 3.17 الأمر الذي يشير بأن هذه العوامل من وجهه نظر القيادات الإدارية متوسطة التأثير وفي تقديرنا بان عدم اهتمام قيادات المنظمات الصناعية بنفاذ منتجاتها إلى الأسواق الخارجية ، والتفاعل السلبي مع محيطها غير المهتم بالإبعاد والآثار البيئية يعد من العوامل المؤثرة جدا على عدم تطبيق هذه النظم .

وللإجابة على السؤال الرابع والأخير من أسئلة الدراسة وفي ضوء نتائج التحليل الإحصائي والبيانات الواردة في الجدولين (16،17) يمكن القول بان أهم العوامل (المعوقات) المؤثر على عدم تطبيق هذه النظم من وجهة نظر القيادات الإدارية للمنظمات الصناعية اليمنية تتمثل في الآتي :

1- عدم اهتمام مؤسسات التربية والتعليم ووسائل الإعلام الرسمية والأهلية بنشر الوعي البيئي .

2- التكاليف الكبيرة المطلوبة لتطبيق هذه النظم وتعديل أنشطة المنظمات الصناعية بما يتواءم مع متطلباتها .

3- ضعف الاهتمام الرسمي بقضايا البيئية أجمالاً ، وعدم معرفة المجتمع بمؤسساته الرسمية وغير الرسمية بمضامين وأهمية هذه النظم .

4- عدم وجود تشريعات تلزم المنظمات الصناعية بتطبيق هذه النظم ، وعدم وجود جهات رسمية تتابع وتراقب عملية تطبيقها .

5- عدم معرفة القيادات الإدارية للمنظمات الصناعية بهذه النظم ومتطلباتها ، وبأهمية ودور تطبيقها في تحسين أداء المنظمات ونفاذ منتجاتها للأسواق الخارجية .

6- غياب الدور المجتمعي الضاغط (جماعات- إفراد – مستهلكين- منظمات وجمعيات وغيرها من منظمات المجتمع المدني) .

7- عدم وجدود القدر الكافي من الإجراءات الاقتصادية الضاغطة والمشجعة على تطبيق هذه النظم (غرامات – ضرائب – إعفاءات – إعانات وغيرها) .

8- اهتمام المنظمات بإنتاج سلع تلبي متطلبات السوق المحلي ، واستحبتها السلبية لمجتمعها المحلي غير المهتم بنوعية سلعها والآثار البيئية المترتبة عن أنشطتها.

ثالثا: النتائج والتوصيات :

استنادا إلى العرض النظري ونتائج التحليل الإحصائي التي بينت واقع ومعوقات تطبيق نظم الإدارة البيئية إيزو ISO 14000 . في المنظمات الصناعية اليمنية، وبما ينسجم مع مشكلة الدراسة وأهدافها نعرض فيما يلي عدد من النتائج والتوصيات التي نعتقد بأنها ستساعد متخذي القرار في الجهات ذات العلاقة على معرفة الواقع ومن ثم اتخاذ ما يلزم لتجاوزه.

النتـــائج :

1- تكتسب قضية تطبيق نظم الإدارة البيئية في منظمات الأعمال أهمية كبيرة ومتزايدة بفعل تلك الغايات التي وضعت من أجلها وأهمها:

- التنمية والحفاظ على الموارد البشرية والموارد الطبيعية المتجددة وغير المتجددة باعتبارها مقومات أساسية للتنمية المستدامة
- تقديم سلع وخدمات غير مضره بصحة وسلامة المستهلكين في الأسواق المحلية والخارجية .
- تطوير وتحسين كفاءة أداء منظمات الأعمال ذاتها من خلال إعادة تصميم جميع عملياتها واستخدام تقنيات ملائمة تؤدي إلى خفض تكاليف الإنتاج والتشغيل وتعزز مركزها التنافسي والنفاذ إلى الأسواق الخارجية .

هذه الأهمية ينبغي أن يدركها المجتمع بكل مؤسساته الرسمية وغير الرسمية، كما، ينبغي أن تدركها منظمات الأعمال اليمنية نفسها. ومن ثم التوجه نحو فعل جاد يؤدي إلى تطبيق هذه النظم. ما لم ستتعرض منظمات الأعمال اليمنية وبالتالي الاقتصاد اليمني إلى مخاطر وتحديات مستقبلية كبيرة.

2- من المتطلبات الهامة لتطبيق هذه النظم توافر إجراءات وتدابير عامة ملزمة وضاغطة ومشجعة ومحفزة على تطبيق هذه النظم (تشريعات – إجراءات إدارية وتنظيمية – إجراءات اقتصادية – ضغوط لمؤسسات المجتمع المدني) .

غير أن الواقع يؤكد على الحقائق الآتية:

- وجود إجراءات وتدابير إلزامية قانونية وإدارية واقتصادية . إلا أن مستوى تنفيذها على أرض الواقع محدود وضعيف .

- عدم توافر الإجراءات والتدابير التشجيعية والتحفيزية القانونية والإدارية والاقتصادية بالصورة المطلوبة .
- الغياب شبه الكلي للدور الضاغط من قبل مؤسسات المجتمع المدني ، هذا الواقع بالنتيجة لا يلزم ولا يشجع منظمات الأعمال الصناعية على تطبيق نظم الإدارة البيئية .

3- إلى جانب العوامل الخارجية (المجتمعية) الضاغطة والمشجعة على تطبيق نظم الإدارة البيئية . من الضروري والمهم للغاية أن توجد لدى المنظمات الصناعية توجهات وتدابير عملية بيئية تتوافق مع المواصفات والقواعد الأساسية لنظم الإدارة البيئية إيزو14000 iso . ومن خلال الدراسة الميدانية لواقع تطبيق هذه النظم في المنظمات الصناعية تبين الآتي :

- عدم وجود إجراءات وتدابير بيئية عمليه لدى أغلب المنظمات الصناعية تدل بأنها تسعى من خلالها إلى تطبيق نظم الإدارة البيئية. بل توجد لديها بعض التدابير البيئية غير المباشرة يتم تنفيذها تطبيقا لمتطلبات إدارية أخرى
- أن المنظمات الصناعية الحاصلة على شهادة الجودة (ISO 9001 أ9001-2000) توجد لديه إجراءات وتدابير بيئية مرضية ومتوافقة مع المواصفات والقواعد الأساسية لنظم الإدارة البيئية إيزو ISO 14000.

وعليه يمكن القول بأن توجهات منظمات الأعمال الصناعية اليمنية نحو تطبيق هذه النظم ضعيف ودون المستوى المطلوب.

4- هناك مجموعة من العوامل الخارجية (المجتمعية) والعوامل الداخلية المتصلة بالمنظمات الصناعية ذاتها تتشكل بمجموعها معوقات حقيقية تحول دون تطبيق هذه النظم. إلا أن أبرز وأهم هذه العوامل هو عدم توافر القدر الكافي من الوعي العام تجاه قضايا البيئة ، وعدم معرفة وإدراك المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، ومؤسسات المجتمع المدني، والقيادات الإدارية للمنظمات الصناعية بمضامين هذه النظم وأهميتها.

5- وعلية يمكن القول بأن ضعف الوعي العام تجاه قضايا البيئة إجمالا، وعدم إدراك أهمية تطبيق هذه النظم في المنظمات الصناعية اليمنية يعد من أهم معوقات تطبيق هذه النظم.

6- قضايا الجودة والسعي نحو الحصول على شهادات الجودة المختلفة ينبغي أن تكون إحدى التوجهات الإستراتيجية للقيادات الإدارية العليا في المنظمات الصناعية اليمنية إن لم تكن في مقدمة توجهاتها الإستراتيجية. غير أن اعتبار القيادات الإدارية لهذه المنظمات بأن التكاليف المرتفعة لتطبيق نظم الإدارة البيئية ، واهتمامها بإنتاج سلع تلبي احتياجات السوق المحلية، وعدم اهتمام المستهلك المحلي بنوعية هذه السلع وبالآثار البيئية

الناتجة عن أنشطة المنظمات الصناعية. تعد من العوامل والدوافع الأساسية التي تجعلها لا تسعى نحو تطبيق هذه النظم. والحصول على شهادة الجودة إيزو14000 ISO . تدل دلالة واضحة بأن هذه القيادات تفتقد للرؤى والبعد المستقبلي والإستراتيجي في إدارتها للمنظمات الصناعية اليمنية.

7- تطبيق نظم الإدارة البيئية في المنظمات الصناعية اليمنية عملية تتطلب جهود مشتركة بين مختلف الأطراف المعنية (المؤسسات والأجهزة الرسمية والشعبية – الجمهور (المستهلكين والمجتمع المحيط بالمنظمات) – منظمات الأعمال) . ولكي تؤدي هذه الجهود المشتركة دورها ينبغي أن توظف في نسق تكاملي وفي إطار بناء مؤسسي قادر على جعلها فاعلة ومؤثرة. ويشير الواقع بأن مختلف الجهود والإجراءات البيئية الراهنة تفتقد إلى الشراكة والتكامل، وإلى البناء المؤسسي المطلوب الأمر الذي أبهت دور وأثر وفعل هذه الجهود في الواقع. ولعل من أبرز تجليات هذا الواقع هي :

- وجود إجراءات وتدابير قانونية وإدارية وتنظيمية واقتصادية مكتوبة لا يتم تنفيذه بفعل انعدام الرقابة والمتابعة وعدم استجابة الأطراف ذات العلاقة .
- الانتقائية في تنفيذ القوانين والنظم واللوائح الإدارية والمالية المتصلة بقضايا البيئة والإدارة البيئية.
- تجاذب الاختصاصات والصلاحيات من قبل جهات عده، وعدم وجود جهة واحدة تعنى بقضايا البيئة وبتطبيق هذه النظم .
- الاستجابة السلبية لمنظمات الأعمال مع محيطها المحلي الذي ينقصه الوعي البيئي وثقافة الجودة.

التوصيات :

1-العمل على رفع مستوى الوعي البيئي، ونشر وترسيخ ثقافة الجودة في المجتمع ، مهما كان مستوى الإجراءات والتدابير اللازمة والتشجيعية يظل المدخل الأساسي لتجاوز الواقع ومعوقاته هو الارتقاء بمستوى الوعي البيئي ونشر وترسيخ ثقافة الجودة في المجتمع. وتحقيقا لذلك ينبغي القيام بما يلي:

- إدماج قضايا ومفاهيم البيئة والإدارة البيئية والجودة في مناهج التعليم الأساسي والثانوي والجامعي
- وضع خطط وبرامج توعوية وثقافية خاصة بقضايا البيئة والجودة. تتولى تنفيذها وسائل الإعلام الرسمية والأهلية المرئية والمسموعة والمقرؤة.
- إصدار مجلات وصحف ومنشورات متخصصة تعنى بقضايا البيئة والجودة تتولى وزارتي الثقافة والإعلام إصدارها ، وتساهم منظمات المال والأعمال في تمويلها.

- وضع خطط وبرامج علمية من قبل الجامعات اليمنية الحكومية والأهلية ومراكز البحوث العلمية تقوم بموجبها بالفعاليات العلمية المختلفة (مؤتمرات- ندوات- وحلقات نقاش وغيرها). والقيام بالدورات التأهيلية والتدريسية المتخصصة للقيادات الإدارية المعنية في المؤسسات الرسمية وغير الرسمية وللقيادات الإدارية في منظمات الأعمال .
- تشجيع مؤسسات المجتمع المدني المتخصصة (جمعيات حماية البيئة - جماعات أنصار البيئة- جمعيات حماية المستهلك وغيرها) وتعزيز دورها ودعم أنشطتها.

2 -إجراء مراجعة شاملة للبناء المؤسسي العام الذي له صله بقضايا البيئة والجودة. على أن تشمل هذه المراجعة المكونات الأساسية لهذا البناء المؤسسي (التشريعية - التنظيمية والهيكلية - البشرية) وتؤدي إلى الآتي:

- تفعيل القوانين والنظم الإدارية والمالية النافذة، واستكمال إصدار القوانين والنظم المتصلة بالإدارة البيئية وإدارة الجودة، وتفعيل الدور الرقابي لتنفيذها.
- إعطاء القدر الكافي من الاهتمام للإجراءات والتدابير الاقتصادية التشجيعية في إطار منظومة القوانين والنظم الإدارية .
- القضاء على الازدواجية وتجاذب الاختصاصات والصلاحيات بين الوزارة والهيئات الحكومية ذات العلاقة ، وبما يؤدي إلى حشد وتكامل جهودها.
- إنشاء هيئة وطنية مستقلة أو وحدة إدارية متخصصة في إطار الهيئة العامة للمواصفات والمقاييس تعنى بإدارة الجودة ومنها نظم الإدارة البيئية إيزو14000 ISO .
- تفعيل وتعزيز الدور الرقابي لكل من الهيئة العامة للبيئة والهيئة العامة للمواصفات والمقاييس وتحديدا دورهما الرقابي على البيئة والجودة.
- الاهتمام الجاد والفعلي بإعداد وتأهيل كادر بشري متخصص ، وتوفير الإمكانيات والتقنيات الضرورية التي تمكنه من القيم بأعمال الرقابة والتفتيش والفحص والتقييم البيئي للأنشطة منظمات الأعمال .

3 -التوجه نحو قيام شراكة حقيقة بين المؤسسات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني وقطاع المال والأعمال . تتولى الغرفة التجارية والصناعية اليمنية رعاية وتنسيق هذه الشراكة والقيام بالاتي :

- نشر وترسيخ مفاهيم البيئة وتوضيح أهميتها ودورها في تحقيق أهداف التنمية وتحسين وتطوير أداء منظمات الأعمال .

- تعزيز وترسيخ ثقافة الجودة وبيان أهميتها الإستراتيجية في أوساط القيادات الإدارية للمنظمات الصناعية ومنظمات الأعمال المختلفة .
- تقديم الدعم الاستشاري واللوجستي لمنظمات الأعمال التي تسعى للحصول على شهادات الجودة و تطبيق نظم الإدارة البيئية .
- وضع معايير عامة يمنح بموجبها الدعم المالي والمعنوي للمنظمات التي تسعى للحصول على شهادة الجودة والتي تعمل على تعديل أنشطتها باتجاه متصالح مع البيئة .

قائمة المصادر والمراجع

1- أسامة الخولي ، البيئية وقضايا التنمية والتصنيع ، سلسلة عالم المعرفة (285) الكويت يناير 1978 م.

2- الطيب محمد جباره ، التنظيم المؤسسي لحماية البيئة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي ، برنامج الأمم المتحدة للبيئية ، البحرين 1988 م .

3- رعد حسن الصرن ، نظم الإدارة البيئية و الإيزو 14000 ، دار الرضاء للنشر سوريا – دمشق سبتمبر 2001 م .

4- كلود فوسلو – بيتر جيمس ، ترجمة علاء أحمد صلاح ، إدارة البيئية ، مركز الخبرات المهنية للإدارة (بميك) القاهرة 2000 م .

5- محمد شيرين الكردي ، الدليل العملي إلى الإيزو ، مكتبة أبن سيناء القاهرة 1988 م .

6- محمد علي سيد امبالي ، الاقتصاد والبيئة (مدخل بيئي) المكتبة الأكاديمية ، القاهرة 1998 م .

7- نادية حمدي صالح، الإدارة البيئية (المبادئ والممارسات) المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، القاهرة 2003 م.

8- مجلة الإدارة العامة ، معهد الإدارة العامة الرياض ، المجلد التاسع والثلاثون ، العدد الثاني يوليو 1999 م .

9- مجلة بحوث اقتصادية عربية ، الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية ، العدد (13) القاهرة 1998 م .

10- إدارة البيئة ، المرجع الأساسي للتقييم البيئي ، المجلد الأول ، الدراسة رقم (139) . سلسلة الدراسات الفنية الصادر عن البنك الدولي .

11- إدارة البيئة المجلد الثاني ، الدراسة رقم (140) . البنك الدولي .

12- إدارة البيئة المجلد الثالث ، دراسة رقم (154) . البنك الدولي .

13- دليل دوائر الأعمال إلى النظام التجاري العالمي ، مركز التجارة الدولية ، أمانة الكومنولث ، الطبعة الثانية 1999 م .